المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية




# مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة

## في القرنين السابع والثامن الهجريين /١٣-١٤م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

**إعداد الطالبة**

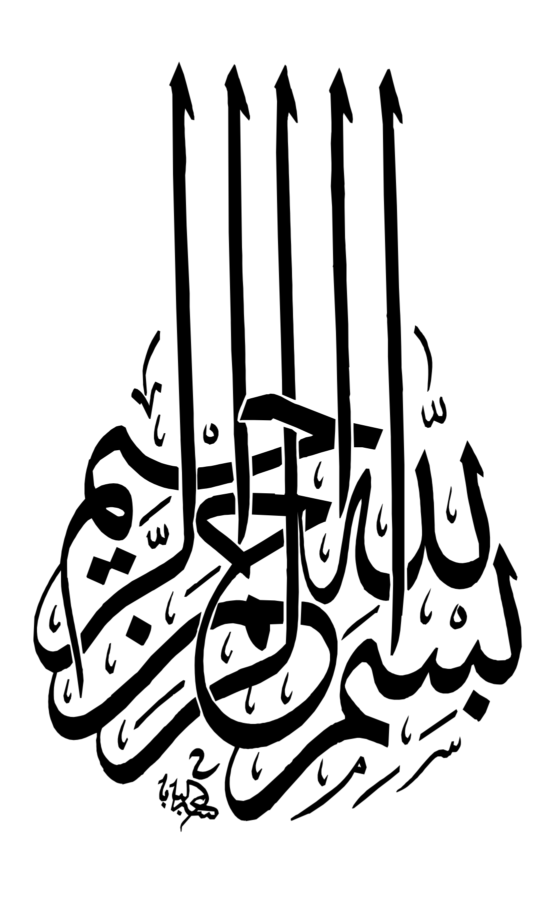
أماني بنت سعيد الحربي

الرقم الجامعي : (٤٢٩٨٠٢١٧)

**إشراف**

أ. د. لمياء بنت أحمد شافعي

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

# ملخص الرسالة

بعنوان (**مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين / ١٣-١٤م**).

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد: فهذا ملخص لرسالة الماجستير التي تتكون من مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمه، فالمقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع، والسبب الذي اختير من أجله الموضوع، وعرض لخطة البحث، والتمهيد: يتضمن مفهوم الرحلة، الرحلة عند المسلمين، أنواع الرحلات، وأهميتها، دوافع الرحلات إلى مصر، الفصل الأول كان عن الرحالة المغاربة السته الذين اعتمدنا على كتاباتهم في الرسالة، فتضمن ذكر حياتهم ورحلاتهم ومؤلفاتهم، الفصل الثاني عن الاحوال السياسية والوظائف الإدارية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين، فذكر فيه الاشارات البسيطة التي كتبها الرحالة عن الحياة السياسية في مصر، عن عصر المنصور قلاوون وحصاره لعكا وموته وابنه الناصر محمد بن قلاوون وتوليه الحكم وحربه مع غازان والسلطان حسام الدين لا جين وإسقاط الضرائب عن الحجاج مع الاستعانة بالمصادر التاريخية لتوضيح أبرز الأحداث في عصر السلاطين الذين حكموا مصر في فترة وجود الرحالة، وذكر فيه الوظائف الإدارية والمهام السلطانية كما تحدث عنها الرحالة، الفصل الثالث: فكان عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمصر فتضمن الحديث عن المجتمع المصري وأقسامه، وملابس أهل الذمة والعلماء، والمأكل والمشرب، والمناسبات والاحتفالات، كروية هلال رمضان والمحمل والأوقاف والمحاصيل الزراعية لمصر، والتجارة مع الدول المجاورة لها، والصناعات والحرف القائمة بها، والضرائب والعملة والمكاييل والموازين، الفصل الرابع: تناول الحياة العلمية لمصر كما وردت في كتابات الرحالة، فتضمن الحديث عن المؤسسات العلمية من مدارس ومساجد وزوايا وأربطة، كما تناول المناهج وأساليب التعليم، و العلوم النقلية والعقلية كما وردت في كتابات الرحالة وأشهر العلماء الذين التقي بهم الرحالة وأخذوا منهم العلم، الفصل الخامس: وتضمن أبرز ما شاهده الرحالة من معالم دينية و مدنية وعسكرية في مصر، كجامع عمرو بن العاص ﷺ و جامع ابن طولون، و الجامع الأزهر، والفنادق والحمامات والبيمارستانات والأهرامات، وأبوالهول، ونهر النيل ومنارة الإسكندرية وقلعة صلاح الدين، والخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.



# Abstract of the Thesis

**The Thesis is entitled (Egypt in the eye of the writings of the Moroccan travelers in the seventh and eighth centuries AH/ 13-14AD)**

**All praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the best among all the prophets and messengers.**

**To proceed:**

**Here is the abstract of the Master's Thesis which consists of an introduction, preface, five chapters and a conclusion. As for the introduction, it includes the significance of the subject and the justification why it was chosen as well as the presentation of the research plan. As for the preface, it includes the concept of journey in general, the journey to the eye of Muslims in particular, types of journeys, importance of going in a journey, and the motives of journeying to Egypt.**

**Chapter I is about the six Moroccan travelers on whose writings we relied in the compilation of the thesis, where it mentioned their biographies, their travels and their literary works.**

**Chapter II handles the political circumstances and administrative posts in Egypt during the seventh and eighth centuries AH. This chapter mentions a few simple hints written by the travelers on political life in Egypt, mainly the era of Al-Mansour Qalawun and his besieging Acre and his death; his son Al-Nasir Muhammad ibn Qalawun who took office later and fought against Ghazan; and Sultan Husam Al-Din Lajin who cancelled taxes for the benefit of the pilgrims. In doing so, I referred to historical sources to illustrate the most prominent events in the era of the sultans who ruled Egypt during the presence of the travelers in Egypt. This chapter also mentions the administrative posts and the tasks of sultans as narrated by the travelers.**

**Chapter III discusses the social and economic life of Egypt, where it talks about the Egyptian society and its classes, in addition to the uniform of dhimmis and scientists, as well as the habits of having food and drink, and their social and religious occasions and celebrations. For example, the chapter narrates the custom of witnessing the new crescent of Ramadan, the Howdah, Awqaf (assets that are donated, bequeathed, or purchased for the purpose of being held in perpetual trust as ongoing charity or for a general or specific cause that Islam regards as socially beneficial) and agricultural crops of Egypt and its trade with neighboring countries, industries and crafts in Egypt at the time, taxes, currency, weights and measures.**

**Chapter IV handles scientific life of Egypt as contained in the writings of the travelers, where it involves talking about the scientific institutions, such as schools, mosques, small mosques and links. It also handles the curricula and teaching methods, and traditional and mental sciences as reflected in the writings of the travelers, in addition to the most famous scientists with whom the travelers met to acquire knowledge face to face.**

**Chapter V involves the most prominent religious, civilian and military landmarks seen by the travelers in Egypt, such as the Mosque of Amr ibn Al-Aas (may Allah be pleased with him), the Mosque of Ibn Tulun, Al-Azhar Mosque, hotels, bathrooms, hospitals, and the Pyramids, Sphinx, the Nile River, the Lighthouse of Alexandria and the Saladin Citadel.**

**As for the conclusion, it includes the most important findings reached by the study.**



# الإهـداء

❁ إلى والديَّ:

**قال تعالى:** ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الإسراء/ ٢٣].

❁ إلى كل الذين رحلوا عن الدنيا لدار الحق، وكنت أتمني وجودهم اليوم.

❁ إلى أخـي، وجـدتي، وعمتـي، وابنـة عمتـي-رحمهـم الله-وأدعـوا الله جـل وتعالى-أن يرحمهم ويسكنهم فسيح جناته بعفوه ورحمته، وأن يجعل قبورهم روضة من رياض الجنة ويجمعني بهم في مستقر رحمته بعفوه وكرمه.

❁ أهـدي لهـم جمعًـا هـذا الجهـد المتواضـع وأسـال المـولى-عزوجـل- أن يتقبلـه ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.



# الشكر والتقدير

الحمد الله الذي أبدع الكون، وخلق الإنسان وهداه إلى خير الطريق، وعالج ضلاله بالهداية، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فأشكر الله كثيراً كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه على عونه وتوفيقه، ثم أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى قدوتي والنور الذي أنار طريقي، إلى من علماني أن أصمد أمام صعوبات الحياة، إلى من أعطياني ومازالا يعطياني بلا حدود، إلى من أفتخر بهما، ولا تستطيع كلماتي التي كتبتها التعبير عن مشاعري نحوهما، ولا أملك غير الدعاء لهما وأدعوا الله أن يبقيهما ذخراً لي ولا يحرمني من حبهما وحنانهما أمي وأبي.

كما أشكر إخواني وأخواتي وابنة أختي على كل ما قدموه لي من دعوة ونصيحة ودعم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الدكتورة الفاضلة / لمياء بنت أحمد شافعي المشرفة على رسالتي بما قدمته من جهد واهتمام و نصح وتوجيه وإرشاد خلال مراحل كتابة الرسالة، فقد كان لتوجيهاتها السديدة الأثر الكبير في إظهار هذه الرسالة المتواضعة إلى حيز الوجود، ومهما قلت وعبرت عما في نفسي من امتنان فلن أوفِّيها حقها من التقدير، جعله الله في ميزان حسناتها وجزاها الله خير الجزاء.

كما أقدم خالص شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور/ محمد الحبيب الهيلة،على ما قدمه من توجيهات ونصح وآراء سديدة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى عامة، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية التي منحتني فرصة مواصلة العلم، كما أتقدم بشكر عميدها السابق / الشيخ سعود الشريم، وعميدها الحالي فضيلة الأستاذ الدكتور/ غازي العتيبي، ورئيس قسم التاريخ سعادة الدكتور / خالد الغيث، ورئيس قسم التاريخ سابقاً سعادة الدكتور / طلال البركاتي، ورئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية سابقاً الدكتور / عبدالله الشنبري.

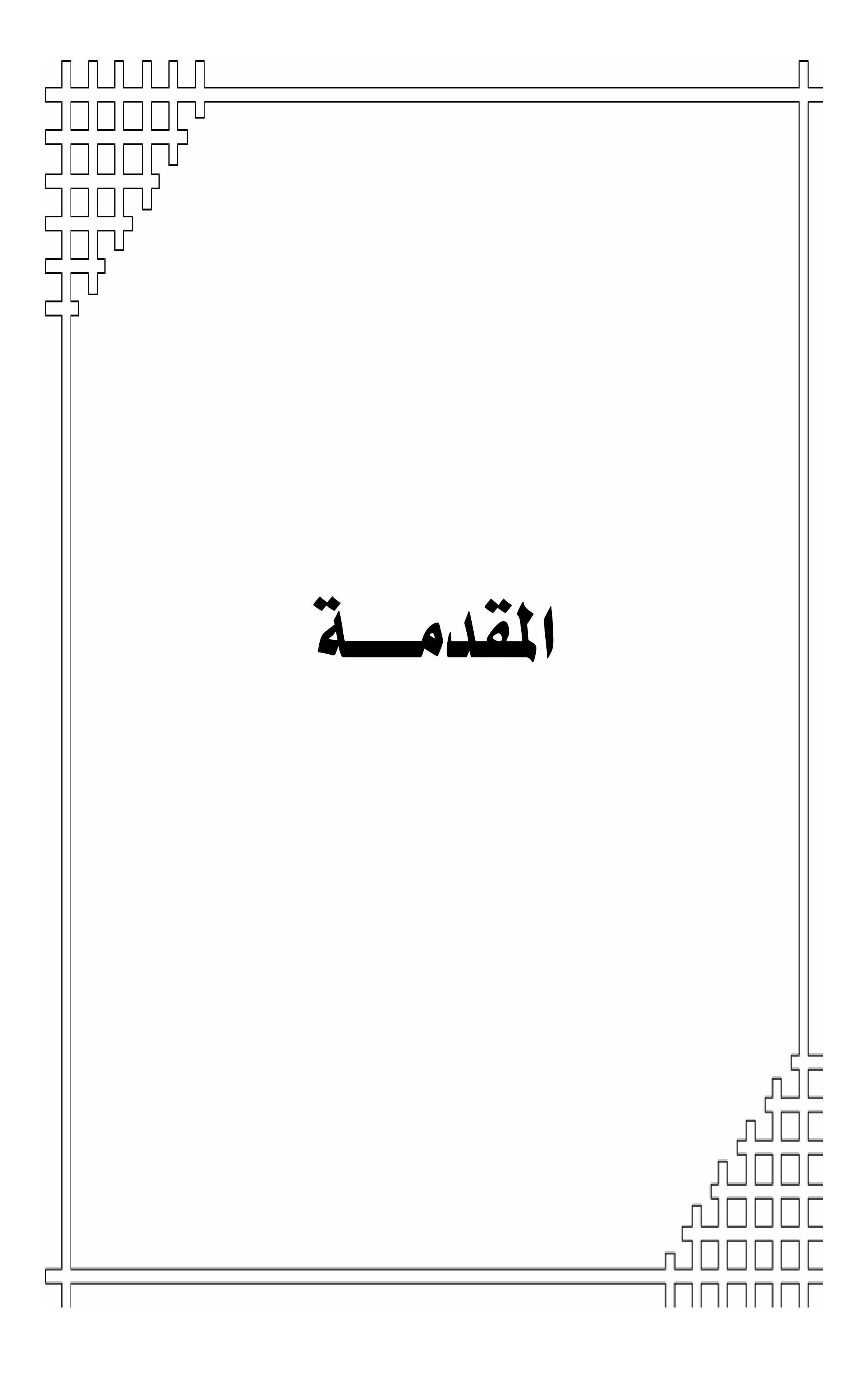
كما أتقدم بشكري إلى زميلاتي في مرحلة الماجستير فكنَّ خير الأخوات على ما قدمنه لي من نصح وإرشاد، فجزاهن الله خير الجزاء.

كما أشكر مكتبة الملك عبدالله بجامعة أم القرى ومنسوبيها والتي وجدت بها العديد من المصادر والمراجع التي أفادت موضوع الرسالة كثيراً، كما أشكر أيضاً مكتبة الحرم المكي الشريف لما قدموه من خدمات وإمدادي بالمراجع التي تخص موضوع بحثي فلهم مني عظيم الشكر.

وفي الختام أتقدم بالشكر لعضوي لجنة المناقشة على قراءة رسالتي المتواضعة ومناقشتها، وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

**الباحثة**

**أماني بنت سعيد الحربي**



# المقدمـــة

# المقدمـــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الطاهر الأمين، الذي أخرج العباد من ظلام الجهل والشرك إلى نور الإسلام الخالد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن المتتبع لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي يجده مكاناً خصباً، حيث أخرج أعظم الرحالة المسلمين الذين وصفوا ودونوا مشاهداتهم أثناء مسيرة رحلاتهم، وكشفوا عن العديد من أوجه الحياة في البلاد التي رحلوا إليها، بدءاً من بلاد هم وحتى المشرق الإسلامي، سواء كانت معلومات جغرافية أو تاريخية أو ثقافية أو اجتماعية.

ولقد اختلفت دوافع هذه الرحلات، فبعض الرحالة كانت رحلته بدافع الحج، والبعض الآخر كان لطلب العلم، والبعض كانت دوافعه للتجارة، أو لغرض شخصي من أجل الاستكشاف أو سفارة إلى دولة أخرى، فيقوم أثناء ذلك بتدوين كل ما شاهده عن هذه البلاد التي رحل إليها، ولقد كان ابن جبير البلنسي أول من بدأ هذا النوع من الرحلات في رحلته المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ثم سار على نهجه العديد من الرحالة أمثال: ابن سعيد المغربي(ت٦٨٥/ ١٢٧٤م) في كتابه النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة في القسم الخاص بالقاهرة من كتابه المغرب في حلُى المغرب والتي رحل فيها مع والده إلى مصر زمن الصالح نجم الدين أيوب في سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)، وكذلك ابن رشيد (ت٧٢١هـ/ ١٣٢م) في رحلته المسماة ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، حيث رحل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ومنها إلى مصر سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٧٤م)، وكذلك العبدري (توفي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادى) في رحلته المسماة الرحلة المغربية، وبدأ رحلته للمشرق الاسلامي إلى مكة والمدينة، ومنها إلى

مصر سنة: (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، والرحالة التجيبي (ت٧٣٠/ ١٣٢٩م) في رحلته المسماة مستفاد الرحلة والاغتراب، فلقد رحل من بلدته سبته متجهاً إلى مصر سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) ومنها إلى مكة والمدينة، وكذلك الرحالة ابن بطوطة (ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) في رحلته تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار التي احتوت على معلومات عن ممالك بعيدة فيما وراء العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا إبان العصور الوسطى ومن ضمنها مكة والمدينة والهند والصين وبلاد الشام ومصر التي رحل إليها سنة: (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، والرحالة البلوي (ت٧٨٠هـ/ ١٣٨٧م) في رحلته المسماة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، حيث رحل إلى بلدان المشرق، ومنها مصر فدخلها زمن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة: (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) وغيرهم.

فلقد احتوت رحلاتهم على معلومات ومشاهدات وحقائق هامة تحتاج لدراسة شاملة، ولقد اهتم الرحالة بتدوين رحلاتهم بدءاً من خروجهم من بلدانهم إلى وصولهم إلى أرض الحجاز، فدوَّنوا ما شاهدوه من الطرق، سواء كانت برية أو بحرية، ووصفوا الأماكن التي تحط فيها قوافلهم، والأحداث التي تقع أثناء رحلاتهم وما شاهدوه أثناء دخولهم للبلدان من الدروب والحارات والأسواق والمساجد والمدارس والزوايا والمقابر التي تحوي قبور الصحابة والتابعين-رضوان الله عليهم- والسلاطين والعلماء، ووصفوا أشهر المنشآت العمرانية التي تشتهر بها البلاد، والأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد بدقة، كل ذلك سجلوه من خلال رؤيتهم الشخصية ومعايشتهم لأهل البلاد التي رحلوا إليها، ومن أهم المدن التي مر بها الرحالة المغاربة في طريقهم إلى الأراضي المقدسة، سواء لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم والتجارة، وكذلك مدن مصر التي تقع في طريق رحلاتهم، لذلك نجدهم يلقون الضوء على كثير من صور الحياة فيها، ونظراً لتعدد رحلات المغاربة والأندلسيين للحجاز ومرورهم بمصر خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، فقد وردت في مؤلفاتهم أخبار عديدة عن البلاد المصرية التي كانت في أوج ازدهارها

وقوتها، سواء كانت في عصر الدولة الأيوبية أو المملوكية آنذاك، فوصفوا ازدهار الحياة الثقافية في مصر من المدارس التي بناها السلاطين الأيوبيين والمماليك، والأوقاف التي أجروها عليها والمساجد التي يدّرس فيها المذاهب الفقهية الأربعة، والزوايا التي أجروها على الغرباء من غير أهل البلاد والمنقطعين للعبادة، كما وصفوا البيمارستانات التي بنيت لمعالجة المرضى.

وسجلوا مظاهر الحياة الاجتماعية عند مختلف العناصر السكانية التي تعمر البلاد، ونقدوا بعض الجوانب الأخلاقية والسلوكية مع وصفهم لأزياء أهل البلاد بمختلف طوائفهم، وذكر عاداتهم وزيارتهم للمقابر، وشواهد القبور عندهم، وانتشار التصوف ومراسمهم في رؤية هلال رمضان أو هلال شوال، واحتفالاتهم بخروج المحمل إلى بلاد الحرمين، كما وصفوا الحياة الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة، والمنشئات العمرانية والدينية من جوامع كجامع عمرو بن العاص ﵁ وجامع أحمد بن طولون، والجامع الأزهر، ومنارة الإسكندرية، والأهرامات، وأبو الهول وقلعة صلاح الدين، والأسوار والفنادق والأسواق وغيرها.

## ۞ أهمية الموضوع:

إن هذه الرحلات تعد فن من فنون الأدب العربي في المقام الأول ثم تعد من المصادر المساعده لكتابة التاريخ، تصف لنا كل ما شاهده الرحالة عند مرورهم ببلاد مصر من مظاهر وأحوال حضارية وثقافية وعمرانية واجتماعية واقتصادية في فترة قوة وازدهار الدولة الإسلامية، فنصوص هذه الرحلات تعتبر مادة تاريخية تحوي على معلومات دقيقه لا نجدها في كتب المؤرخين.

ومن هنا جاءت أهمية الموضوع الذي يقوم بدراسة مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، دراسة تاريخية، مع إعطاء صورة واضحة عن الأحوال العامة في مصر من خلال ما دونه الرحالة من ذكر الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية

السائدة أثناء فترة استقرارهم فيها، فجاء عنوان الدراسة: (**مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين**).

### ۞ أسباب اختياري للموضوع:

١ - إن كتابات الرحالة تعتبر مصدراً من المصادر التاريخية المهمة التي تصور لنا مشاهداتهم لأحوال البلاد بدقة، ونقدهم لبعض المظاهر السائدة فيها والتي لا نجدها في كتب المؤرخين.

٢- إن ازدهار الحياة في مصر بمختلف جوانبها في القرنين السابع والثامن الهجريين كان شاملاً لكل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، وعلى وجه الخصوص الأحوال الثقافية العلمية، حيث اعتبرت مصر مركزاً من مراكز انتشار العلم في المشرق الإسلامي يفد إليها العلماء من كل حدب وصوب لتلقى العلم أو لإلقاء الدروس في المساجد والمدارس.

٣- توضيح أثر الأحوال السياسية على الحياة العامة في مصر.

٤- الرغبة في دراسة موضوع يتناول التاريخ الذهبي لمصر، سواء في عصر دولة الأيوبيين أو المماليك، خلال القرنيين السابع والثامن الهجريين وهما عصر أوج قوتها وازدهارها من منظور الرحلات.

### ۞ الدراسات السابقة:

من خلال بحثي عن دراسات سابقة في نفس الموضوع فقد أفادني معهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى بعدم وجود دراسة مستقلة خصصت لهذا الموضوع في قواعد البيانات المتوفرة لديها، كما لم أجد خلال بحثي في فهارس مكتبات الجامعات عن دراسة مستقلة للموضوع، أو دراسة خاصة به إلا أنه

توجد بعض الدراسات التي تناولت بعض الجوانب الخاصة بالموضوع والتي يمكن الاستفادة منها.

١- رحلة ابن رشيد السبتي دراسة وتحليل، رسالة دكتوراه، نجاح صلاح الدين القابسي.

٢- مصر في رحلة ابن بطوطه في عصر الناصربن قلاوون لمؤلفه قاسم عبده قاسم.

٣- رحلة العبدري لمؤلفه حمد الجاسر.

٤- آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين لمؤلفه محمد الكحلاوى.

### أهم المصادر والمراجع التاريخية:

اعتمدت الدراسة على كتابات الرحالة المغاربة وهي الأساس التي قامت عليه الرسالة، بالإضافة إلى عدد من المصادر والمراجع التي أثرت البحث، ومن أبرز هذه المصادر التاريخية على سبيل المثال:

١- كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، لجمال الدين محمد بن سالم ابن واصل (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) تناول مؤلفه الحياة السياسية السائدة في عصر السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وأبرز الأحداث في عهده من وصوله للحكم في مصر وحربه مع عمه الصالح إسماعيل والناصر داود حاكم الكرك، والحملة الصليبية السابعة على مصر.

٢- كتاب المختصر في أخبار البشر، لمؤلفه عماد الدين إسماعيل بن علي بن شاهنشاه الأيوبي (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) وقد أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات مهمة عن الحياة السياسية، سواء في عصر الصالح نجم الدين أو في العصر المملوكي.

٣- كتاب تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، لمؤلفه محي الدين بن عبدالظاهر (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) يعتبر من المصادر المهمة التي تكلمت عن عصر المنصور قلاوون وحربه مع سنقر الأشقر ومواجهة الصليبيين.

٤- كتاب السلوك في معرفة دول الملوك لمؤلفه تقي الدين أحمد المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ويعتبر من الكتب المهمة التي استفدت منه في الحياة السياسية والاجتماعية.

٥- كتاب المواعظ والاعتبار لمؤلفه تقي الدين أحمد المقريزي، وقد استفدت منه كثيراً في الحياة الاجتماعية والعلمية و معرفة أبرز المعالم الحضارية في مصر.

٦- كتاب إغاثه الأمة بكشف الغمة، للمؤلف تقي الدين أحمد المقريزي، الذي أفاد البحث في الحياة الاجتماعية (معرفة أقسام المجتمع المصري).

٧- كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي لمؤلفه، شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) وهو من أبرز الموسوعات في العصر المملوكي، ويقع هذا الكتاب في أربعة عشر مجلدًا في شتي فنون التاريخ، وقد أفاد البحث في الوظائف الإدارية الموجودة في العصر المملوكي وفي الحياة الاجتماعية.

٨- كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب لمؤلفه، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) وهو من الكتب الموسوعة جاء في خمسه وثلاثين مجلد، وقد احتوي هذا الكتاب على معلومات وافية أفادت الدراسة فيما يتعلق بالحياة السياسية في عصر الناصر محمد، كما أفاد الدراسة في الجوانب الحضارية فمدنا بمعلومات عن البيمارستان المنصوري.

٩- كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لمؤلفه، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، جاء في سته عشر جزءا، أفاد البحث في الحياة السياسية وتعريف بعض الشخصيات.

١٠- كتاب " بدائع الزهور في وقائع العصور لمؤلفه، محمد بن أحمد بن إياس (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) وقد أفاد البحث في الحياة السياسية والاجتماعية.

١٠- واعتمد البحث في الحياة الاجتماعية على كتاب المدخل إلى الشرع الشريف لابن الحاج (ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة، وذلك لما احتوى عليه من نقد بعض الظواهر السلبية في المجتمع المصري.

ومن أبرز كتب التراجم التي عرفت للشخصيات الموجودة في الرسالة وترجمت لحياتهم وإسهاماتهم في الحياه الاجتماعية والعلمية والسياسية وقدمت معلومات وافية عنهم، نذكر من هذه الكتب:

كتاب الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لشهاب الدين بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وكتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لمؤلفه، أبو الفلاح عبدالحي ابن العماد(ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، وكتاب المنهل الصافي لمؤلفه، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) وغيرها من الكتب، كما تمت الإفادة في البحث من كتب المعاجم الجغرافية ككتاب معجم البلدان لمؤلفه ياقوت الحموي المتوفي عام (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) وكتاب تقويم البلدان لمؤلفه، أبو الفداء (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) في التعريف بأهم المدن المصرية.

كما استفاد البحث من مراجع كثيرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية، نذكر منها:

كتاب دولة بنى قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص لمؤلفه محمد جمال الدين سرور، وكتاب المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك لمؤلفه سعيد عبدالفتاح عاشور، و كتاب عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي لمؤلفه، قاسم عبده قاسم، بالإضافة إلى عدد كبير من المصادر والمراجع التي آثرت الرسالة.

## ۞ خطـة البحـــث:

**(مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين / ١٣-١٤م).**

وقد جعلته في مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد احتوت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياري للموضوع والدراسات السابقة، وعرض لأهم المصادر والمراجع التي أفادت البحث.

**التمهيد:** وفيه مفهوم الرحلة، والرحلة عند المسلمين، وأنواع الرحلات، وأهميتها، ودوافع الرحلات إلى مصر.

### الفصل الأول:

الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين، حياتهم ورحلاتهم ومؤلفاتهم، وفيه ستة مباحث:

**المبحث الأول:** ابن سعيد المغربي(٦١٠ - ٦٨٥هـ/ ١٢١٣- ١٢٧٤م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته.

**المبحث الثاني:** ابن رشيد (٦٧٥-٧٢١هـ/ ١٢٥٨-١٣٢١م)،حياته ورحلاته ومؤلفاته.

**المبحث الثالث:** العبدري كانت رحلته (سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م).

- ولم يعرف تاريخ مولده ووفاته ـ، حياته ورحلاته ومؤلفاته.

**المبحث الرابع:** التجيبي السبتي (٦٧٠-٧٣٠هـ/ ١٢٧١- ١٣٢٩م) حياته ورحلاته ومؤلفاته.

**المبحث الخامس:** ابن بطوطة (٧٠٣- ٧٧٠هـ/ ١٣٠٣- ١٣٦٨م) حياته ورحلاته ومؤلفاته.

**المبحث السادس:** البلوي (٧١٣- ٧٨٠هـ/ ١٣١٣-١٣٨٧م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته.

**الفصل الثاني:**

الأحوال السياسية والوظائف الإدارية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتب الرحالة المغاربة. وفيه مبحثان.

**المبحث الأول:** الأحوال السياسية لمصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة.

**المبحث الثاني:** الوظائف الإدارية والمهام السلطانية من خلال كتابات الرحالة المغاربة.

**الفصل الثالث:**

الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتابات الرحالة المغاربة. وفيه مبحثان.

**المبحث الأول: الحياة الاجتماعية في مصر. وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: المجتمع المصري.

المطلب الثاني: الملبس والمأكل والمناسبات.

المطلب الثالث: الاحتفالات الدينية.

المطلب الرابع: الأوقاف.

**المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في مصر. وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: الزراعة.

المطلب الثاني: التجارة.

المطلب الثالث: الصناعات والحرف.

المطلب الرابع: الضرائب.

المطلب الخامس: العملة والمكاييل والموازين.

**الفصل الرابع:**

الحياة العلمية لمصر في القرنين السابع والثامن من خلال كتابات الرحالة المغاربة. وفيه ثلاثة مباحث.

**المبحث الأول: المؤسسات العلمية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: المدارس.

المطلب الثاني: المساجد.

المطلب الثالث: الزوايا والأربطة.

**المبحث الثاني: المناهج وأساليب التعليم.**

**المبحث الثالث: العلوم والعلماء. وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: العلوم النقلية.

المطلب الثاني: العلوم العقلية.

المطلب الثالث: أشهر العلماء ومصنفاتهم.

**الفصل الخامس**

المعالم الدينية والمدنية والعسكرية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتابات الرحالة المغاربة.

**المبحث الأول: المعالم الدينية. وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه.

المطلب الثاني: جامع أحمد بن طولون.

المطلب الثالث: الجامع الأزهر.

المطلب الرابع: جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي.

**المبحث الثاني: المعالم الجغرافية والمدنية، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: الفنادق والحمامات، والبيمارستانات.

المطلب الثاني: نهر النيل.

المطلب الثالث: الأهرامات.

المطلب الرابع: أبو الهول.

المطلب الخامس: بركة الفيل.

**المبحث الثالث: المعالم العسكرية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: منارة الإسكندرية.

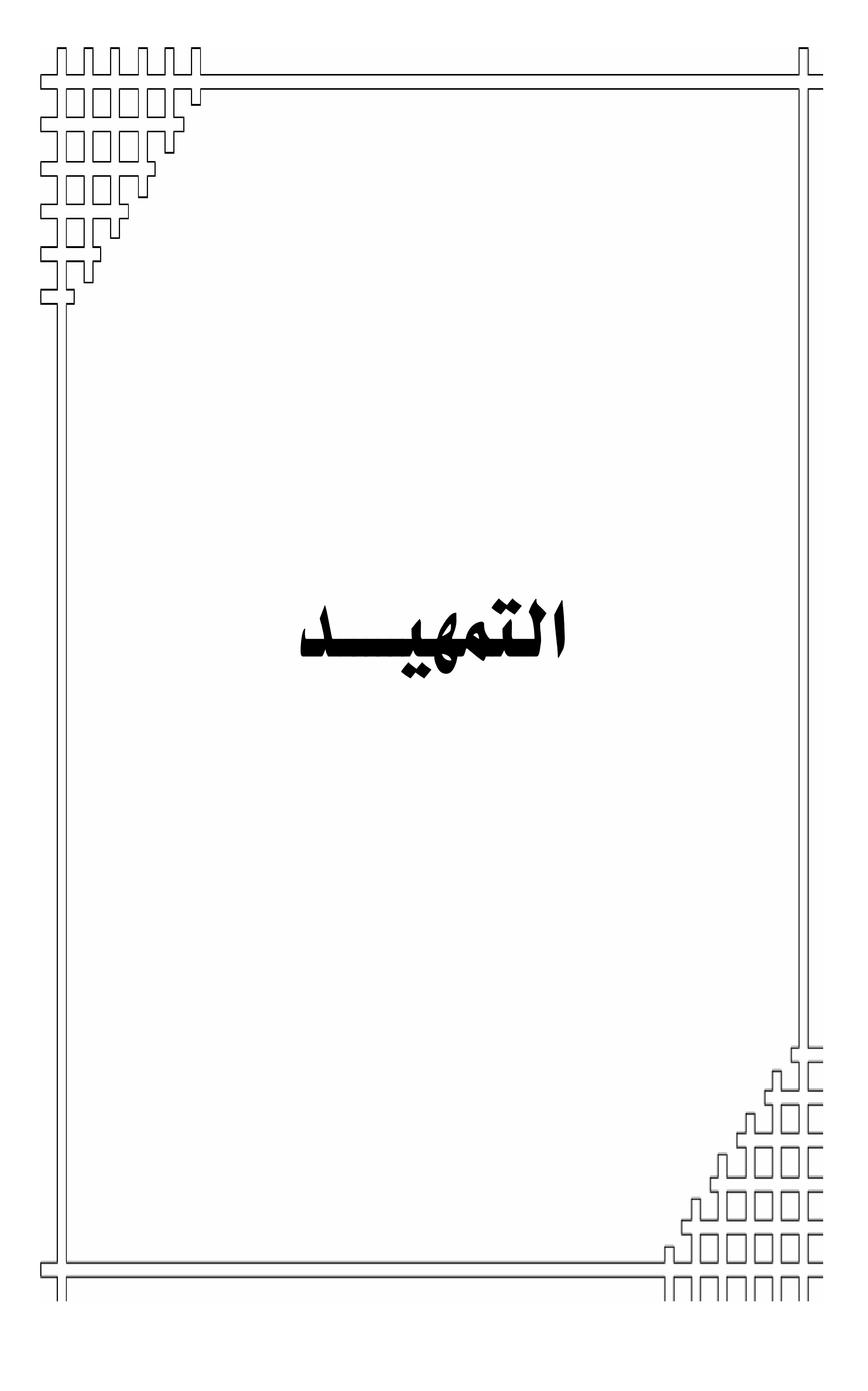
المطلب الثاني: قلعة صلاح الدين.

المطلب الثالث: قلعة الروضة.

**الخاتمة:** وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

**الملاحق وقائمة المصادر والمراجع والفهارس.**





# التمهيـــد

# التمهيـــــد

**وفيـــــه :**

- ۞ **مفهوم الرحلة .**
- ۞ **الرحلة عند المسلمين .**
- ۞ **أنواع الرحلات ، وأهميتها .**
- ۞ **دوافع الرحلات إلى مصر .**

## ۞ التمهيد:

الرحلة هي سلوك انساني جُبل عليه الإنسان منذ تكوينه البشرى، فالناس ترحل متنقلة من بلاد إلى أخرى، إما بحثاً عن الماء أو الكلأ، أو بحثاً عن أماكن خصبة للزراعة، أو من أجل البحث والاستكشاف عن مجتمع آخر يختلف عن المجتمع الذي يعيشون فيه، أو هرباً من الحروب والمجاعات، ومهما تكن أسباب الرحلة أو الهجرة سواء كانت هجرةأفراد أو جماعات، فهي تعتبر مادة غنية تزودنا بمعلومات تاريخية وجغرافيه ووصفية عن المكان والزمان الذي وجد فيه الرحالة،فيصف لنا الرحالة المراكز العلمية التي شاهدها من مدارس أو زوايا أوجوامع تُدرس فيها العلوم، كما يذكر الأوقاف التي وقفت على هذه المدارس أوالجوامع ويصف المعالم الأثرية والجغرافية التي مر بها، كما يُسجل عادات أهلها واحتفالاتهم وأعيادهم وملبسهم ومأكلهم وكل ما تشتمل عليه المظاهر الاجتماعية، كذلك يصف لنا الوضع الاقتصادي للبلاد التي مر بها، وما يعترى أهلها من غلاء أو وباء أو ضرائب تؤخذ منهم، وبذلك نستطيع القول بأن الرحلات هي سجل تاريخي يحفل بكل ألوان الحياة من اقتصادية وعلمية واجتماعية وسياسية وغيرها.

## ۞ مفهوم الرحلة:

### الرحلة في اللغة:

يعرف لنا ابن منظور الرحلة لغة بقوله: "إنَّ الرّحْل هو مركب للبعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال، والرَّحالة كل ذلك من مراكب النساء، وقيل: هو من مراكب الرجال دون النساء، والترحيل والإرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج ويقال: رَحَل الرجل إذا سار، وقوم رحل أي: يرتحلون كثيراً"[1] "والرَّحْل كل شئ يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير"[2].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ص١٢١- ١٢٢.

(٢) أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير، ص٢٢٢.

فجاءت الرحلة على أنها السير إلى الأشخاص والأماكن على مركب البعير وهـو للنساء والرجال على السواء.

**الرحلة في الاصطلاح:**

أما الرحلة فتعرفها لنا دائرة المعارف بـأنها هـي: " انتقـال واحـد أو جمـاعة أوقبيلـة أوأمّـة مـن مكـان إلى آخـر لمقاصـد مختلفـة وأسـباب متعـددة، كجـدب بلادهـم وضـيقها أولاضطهاد وقع عليهم، أو على أثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم، ومع هـذه الأسباب تسمي رحلاتهم مهاجرة، وهذا شأن الأمم منذ قديم الزمان" (١).

وفي تعريف آخـر، هـم: أشخـاص يرتحلـون مـن مكـان إلى آخـر طلباً لكسب العيش، وأغلب الرحالة يرتحلون في مساحات غير محددة وفقاً لما تقوم عليـه أنـشطتهم وحسب فصول السنه(٢).

والرحلة هي أيضًا: "مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمـة الرحـلات كمـصدر لوصـف الثقافـات الإنسـانية ولـرصد بعض جوانب حياة النـاس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة"(٣)، فأصبحت كتابات الرحالة "تصور أحوال النـاس والعمـران بالعيـن الباصرة اللاقطة"(٤) وذلك "أمـر طبيعي يتعـلق بحياة الأفراد و الأمـم"، ومـا أكثـر مـا نجد كتب التـراث العربي التي تحفل بأخبار الرحـلات والرحالة(٥).

---

(١) بطرس البستاني: دائرة المعارف، ٨/ ٥٦٤.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، ١١/ ١٣٦.

(٣) حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص١٥.

(٤) شوقي ضيف: الرحلات، ص٥.

(٥) عمروعبـدالعزيز منـير: مـصر والعمـران بـين كتابـات الرحالـة والمـوروث الـشعبي في القـرنين الـسادس والسابع الهجريين، ص١٣.

### ۞ الرحلة عند المسلمين:

تشير كتب التاريخ إلى أن العرب كانت لهم تجارة نشطة منذ ما قبل الإسلام، فقد سافروا خارج أوطانهم براً وبحراً، وعرفوا الملاحة والإبحار، واشتهروا بالتجارة مع الشعوب الإفريقية وشرق الجزيرة، حتى بلاد الهند وما وراءها والدليل على ذلك ما ورد في بعض المصادر من أن الإسكندر الأكبر فكر في غزو الجزيرة العربية، وأنه رأى أن يتم ذلك عن طريق موانيها على الخليج العربي حتى يقطع صلاتها بأسواقها في إفريقية والهند، وهي الأسواق التى تموِّن العرب بالثراء، وبذلك يقضي على سيادة العرب على الخطوط التجارية البرية والبحرية، ويحد من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه أسعار البضائع الثمينة التى تأتى من الشرق إلى أسواق مصر والشام محمولة على سفن عربية أو على ظهور جمال القوافل ومن هناك تنقل إلى أوربا[١].

فنجد اليمن مثالاً على ذلك، فقد كان فيها العرب يتاجرون منذ أقدم العصور مع البلدان مثل إريتريا والصومال (الحبشة)، ويرسلون سفنهم إليها ويوجهونها إلى ساحل مليبار (الهند) طوال قرون عديدة للحصول على الخشب لبناء السفن، وكذلك كانوا يركبون البحر إلى سواحل إفريقية الشرقية حتى قرب زنجبار، و يمدون هذه البلاد بالذهب والنحاس والأحجار الكريمة، كما يمدونهم بالسلع الأخرى التى كانت تستعمل في صناعة العطور والمراهم وبخور المعابد، ونجد أن السبئيون كانوا مسؤولين عن كل البضائع التى تنقل من آسيا وأوربا خلال القرن الثالث قبل الميلاد[٢]، فقد كانت ترد إليهم الحاصلات الغالية المرغوبة من اللولؤ من الخليج العربي، والأنسجة والسيوف من الهند، والحرير من الصين، والعاج وريش النعام

(١) فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص٢٥.

(٢) علي محسن مال الله: **أدب الرحلات عند العرب في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري**، ص١٠.

والذهب من الحبشة، وجميعها تجد طريقها إلى أسواق أوربا[(١)].

ومن الأمم العربية التى تمدنت قبل الإسلام كانت دولة الأنباط التى امتدت سيطرتها على الجزيرة العربية حتى الحجاز، وكانت الواسطة في التجارة بين الشرق والغرب وكانوا أصحاب رحلة وسفر من خلال نشاطهم التجاري[(٢)].

ومن العرب الذين عملوا بالتجارة قريش ذات النشاط التجاري الواسع، وكانت كثيرة الرحلات والأسفار، و لها رحلتان مشهورتان كل عام هما رحلتا الشتاء والصيف، ورد ذكرهما في القران الكريم، فقد استفاد تجار مكة من الوضع السيء الذي طرأ على اليمن بدخول الأحباش إليها، ومن تردي الأوضاع السياسية فيها، والاضطرابات المستمرة التى وقعت بتصادم الوطنيين والغزاة الأحباش، فانحسر كل نفوذ سياسي أوعسكري لحكومات اليمن في الحجاز أو على بعض القبائل، ووجدت قريش نفسها حرة مستقلة في وضع يمكنها من استغلال مواهبها في التجارة، فقامت بمهمة الوسيط تنقل تجارة أهل اليمن والعرب الجنوبيين إلى أسواق فلسطين، وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن، وبذلك حصلت على أرباح طائلة عظيمة، جعلتها من أغنى العرب عند ظهور الإسلام، وصارت مكة مركزاً مهمًا من مراكز الثروة والمال في جزيرة العرب في ذلك الحين[(٣)] ومن هذا العرض الموجز لرحلات العرب قبل الإسلام تبين أن رحلاتهم أدّت بهم إلى أن يعرفوا الطرق البحرية في مناطق متعددة، كما نمت ما يسمى اليوم بالتبادل التجاري للسلع، وظهور طبقة من الأغنياء العرب الذين كانوا ينمون أموالهم بهذه الرحلات[(٤)].

---

(١) فليب حتى وآخرون: **تاريخ العرب**، ص٨١.

(٢) علي محسن مال الله: **أدب الرحلات عند العرب في المشرق**، ص١١.

(٣) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨/ ٢٢٠.

(٤) علي محسن مال الله: **أدب الرحلات عند العرب في المشرق**، ص١٢.

وعند ظهور الإسلام وأطلاله على الجزيرة العربية بنوره، كان القران الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة، داعياً في مواضع عديدة إلى السفر والترحال والضرب في الأرض نذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2].

وقوله تعالي: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾[4].

وهكذا وجَّه الله -عزوجل- بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعى في الأرض والسير في البر وركوب الفلك وخوض البحار والانتفاع بها تجارة أو صيداً، وقد كانت تلك الدعوات تشجيعاً لهم على تحمل مشاق السفر انتفاعاً في البداية بالخيرات، ثم بعد ذلك تدريباً على حمل الرسالة ونشر الدعوة، ولن تبلغ الرسالة كافة الخلق إلا بالسفر وقطع المسافات والطواف بالأمصار شرقاً وغرباً[5].فبدأت رحلات المسلمين في أرجاء من الأرض تجوب العالم بالقدوم من الشرق والغرب تلبية لدعوة الإسلام من أجل أداء فريضة الحج وفي سبيل العلم، ولم يقتصر الحث على السفر على القران الكريم؛ بل أن هناك أحاديث حث فيها الرسول الكريم-عليه أفضل الصلاة والسلام- بطلب العلم

(١) سورة الأنعام، آية ١١.

(٢) سورة الملك، آية ١٥.

(٣) سورة يوسف، آية ١٠٩.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٣٢.

(٥) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص٢٩ - ٣٠.

والسفر من أجله فدعا-عليه الصلاة والسلام- الناس إلى طلب العلم ولو في الصين، فأقبل الرجال والنساء على طلب العلم أينما كانوا ثقة وإيمانا بأن من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وقد طلبوا العلم في الدين وفي غيرة[١] وذلك تلبية لقوله ﷺ: ((من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة)) وقال-عليه الصلاة والسلام ((من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)) [٢].

فاندفع لذلك محبوا العلم وطالبوه، كأنهم يندفعون إلى الشهادة ينفقون ما يقدرون عليه من مال ووقت وجهد لأجل تحصيل العلم، وقد كانت الرحلات في زمن النبي ﷺ محدودة؛ لأنهم كانوا منشغلين بالرسالة وإرساء قواعدها وتثبيت أقدامها في الجزيرة العربية أولاً، ومع ذلك يمكننا اعتبار أول هجرة قام بها المسلمون إلى الحبشة وعلى رأسهم جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه[٣] رحلة، وكذلك الهجرة الثانية وهي الهجرة الكبرى التي خرج بها الرسول ﷺ ومعه أبوبكر الصديق رضي الله عنه من مكة إلى المدينة حماية للدين الجديد ودعما له، فإنه يمكننا اعتبارها رحلة أيضًا، لكن الرحلات بكافة أشكالها المختلفة تعددت على عهد الخلفاء الراشدين وما بعدهم من الخلفاء، ففى زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تذكر كتب المصادر عن عدد من الأسفار منها سفر عثمان بن العاص الثقفي[٤] والى البحرين الذي أبحر من عمان في غارة

---

(١) فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص٣١.

(٢) محمد بن عيسى بن سورة، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**،٤/ ٥٨٩، ٥٩٠، حديث رقم ٢٨٣٧، ٢٨٣٨.

(٣) هو جعفر بن أبى طالب ابن عم الرسول ﷺ، أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل كان أشبه الناس برسول الله خُلقاً و خْلقاً ومات شهيداً في السنة الثامنة من الهجري في معركة مؤتة بعد أن قاتل قتالاً شديداً وعمره عند موته ٤١ سنة، ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ١/ ٥٤١.

(٤) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف فأسلم واستعمله رسول الله على الطائف ولم يزل عثمان على الطائف في حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وسنتين من خلافة عمر-رضي الله عنهما- واستعمله عمر سنة خمس عشر على عمان والبحرين فسار إلى عمان ووجه أخاه الحكم إلى البحرين وسار هو إلى توج فافتتحها ومصرها وقتل ملكها "شهرك " سنة: (٢١هـ/ ٦٤١م) وكان يغزو صيفاً ويشتو بتوج لسنوات في خلافة عمر وعثمان-رضي الله عنهما-، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ⇐

جريئة إلى تانة على سواحل الهند بالقرب من بمباي ووجه أخاه إلى خور الديبل عند مصب السند سنة: (١٥هـ/ ٦٣٦م)[1].

وقد أورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ بأن العلاء الحضرمي والى البحرين في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يعبر من البحرين إلى فارس فحمل الناس على الخروج فعبر البحر إلى فارس، حتى وصل إلى إصطخر وبعد أن أقتتل مع أهل فارس اقتتالا عظيما خرج بمن معه يريد البصرة للرجوع، ولم يجد طريقاً للرجوع إلى البحر فلما بلغ عمر ﷺ ذلك أرسل عتبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جند كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وكان عمر ﷺ قد نهاه عن الغزو في البحر، ونهى غيره أيضاً[2].

ولم يرسل عمر ﷺ أي حملة من هذا النوع إلا مرة واحدة ضد الأحباش حين توالت هجماتهم على السواحل العربية سنة: (٢١هـ/ ٦٤١م)[3].

"وبعد أن وطدت أعمدة الدين الوليد في شبه الجزيرة سعى الخلفاء الراشدون ومن بعدهم إلى إهدائه للعالم كافة، قطراً بعد قطر فتقدموا إلى الشام ومصر والعراق وفارس ثم شمال إفريقية، وأعقب ذلك التوجه شرقاً إلى الهند والصين وتلا ذلك الأندلس واسيا الصغرى، وكانت الرحلة ورجالها هي البطل الأول في التمهيد للفتوحات، و ما كانت الجيوش الإسلامية قادرة على طى القفار أو صعود الجبال وعبور الأنهار لدخول الأقطار والأمصار إلا بفضل الرحالة والتجار والملاحين وهواة الأسفار، وكان للعرب في ذلك خبرة طويلة، أسهمت كثيراً في تسهيل مهمة

---

= ٣/ ٥٧٣.

(١) فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص٣٢ - ٣٣.

(٢) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ٢/ ٣٨٢-٣٨٣، أن منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بدافع الخوف من الحاق الضرر بالمسلمين.

(٣) فؤاد قنديل: **المرجع السابق**، ص٣٣.

الانطلاق براية الإسلام إلى كل أنحاء العالم"[١].

وعلى الرغم من أن الدولة الإسلامية باتساعها المتشعب قد فقدت "وحدتها السياسية منذ منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي لكن روابط الدين واللغة والثقافة ظلت تجمع بين سكان الدول الإسلامية، فكانوا يشعرون بأنهم أبناء إمبراطورية إسلامية ذات روابط قوية في العصور الوسطى، ولم تكن القوميات الإقليمية قد عظم شأنها بعد، وكانت أنحاء هذا الملك الواسع الذي أسسه المسلمون تتطلب الدراسة والوصف تمهيداً لتطبيق أحكام الشريعة وتسهيلا لمهمة الولاة، فسافر القوم لدراسة البلاد وطرقها وحاصلاتها وخراجها وما إلى ذلك مما لابد منه للتأليف في علم تقويم البلدان"[٢].

فكانت عناية الرحالة بعلم تقويم البلدان لحاجتهم إلى معرفة الطرق إلى مكة وذلك للقيام بفريضة الحج هذا فضلاً عن عناية الرحالة بالتجارة، ويتضح ذلك من أخبار وأحاديث السندباد البحري التى وردت في كتاب ألف ليلة وليلة[٣] والتى ترجع إلى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[٤].

فالعرب قاموا برحلات بحرية في العصر العباسي تبدأ من بغداد وتسير في الخليج

---

(١) فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص٣٣.

(٢) زكي محمد حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص٥-٦.

(٣) إن أخبار السندباد البحري وكتاب ألف ليلة وليلة أقدم بكثير من هارون الرشيد ولكن نعتقد أنه حصل تحوير لتوافق زمن هارون الرشيد.

(٤) هارون الرشيد: ولد بالري في(٢٧ ذي الحجة عام ١٤٩هـ/ ٧٦٧م) وقيل: ولد في أول يوم في محرم سنة: (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، بويع بالخلافة بعهد من أبيه المهدي عند موت أخيه الهادي (يوم السبت ٢٦ ربيع الأول سنة: ١٧٠هـ/ ٨٠٩م) كان كثير الغزو والحج، محباً للعلم وأهله يميل إلى أهل الأدب والفقه، يحب الشعراء والشعر، يعظم حرمات الإسلام ويكره المراء في الدين، توفي الرشيد في جماد الأول سنة: (١٩٣هـ/ وعمره خمس وأربعين سنة) ودفن بطوس، ومدة خلافته ثلاثة وعشرون عامًا، الأربلي: **خلاصة الذهب المسبوك**، ١٠٦، ١١١، ١٧٠، السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، ٢٢٥- ٢٣٥.

العربي حتى تصل إلى شبة جزيرة الملايو، وكـان التجـار يـشجعون هـذه الـرحلات التى تجلب لهم التوابـل مـن الهنـد وعطورهـا وحريـر الـصين[١]. ولـيس مـن المستبعد أن يكـون الرحالة العرب قد وصلوا في رحلاتهـم إلى بـلاد الـصين في القـرن الثـاني الهجـري، وذلـك بسبب اتساع رحلات العرب وكـان مـن المراكـز الرئيسية التي يمـرون بهـا في طـريقهم إلى الصين هو ميناء سيـراف حيث تجتمع فيه الـسلع الـواردة مـن البـصرة وعـمان وغيرهـا مـن الجهات[٢]، ومن الرحلات البحريـة التـى وردت لنـا رحلـة قـام بهـا رحالـة يهـودي يـدعى إبراهيم بن يعقوب وهو تاجر من تجار الرقيق مـن أهـل الأنـدلس رحـل للتجـارة إلى المانيـا وبلاد الصقالبة في عهد القيصر (أوتو)الكبير سنة (٢٦٣هـ/ ٩٧٣ م) على وجه الاحـتمال، فلما عـاد إلى قرطبـة قدم وصفاً لـرحلته[٣]إلى الأمير الأنـدلسي عبدالله الذي تولى بـعد وفـاة والده عبدالرحمن الثاني من سنة: (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) [٤].

ويعلق بروكلمان على هذه الرحلة بأنه لم يكن يراد لها التـداول الأدبي لـو لم يحفـظ نصاً مختصراً منها في مصنف البكري في الجغرافيا العامة، وقد نشر الرحلـة كونيـك و روزنا، مع وجود ترجمة روسية للرحلة في سان بطرس[٥].

ومـما وصل إلينا رحـلـة قام بها رحـالة مصري من أسوان يسمي سليـــم الأسـواني صعد نهـر النيل حتى انتهى إلى بـلاد النـوبة[٦] سنة: (٢٦٥هـ/ ٩٧٥م) ودون رحلتـه في كتاب سماه "أخبار النوبة" لا نعرفـه إلا مـن مقتطفـات أوردهـا المقـرى في كتابـه[٧]،

---

(١) أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص٣٥ - ٣٨.

(٢) أحمد رمضان: **المرجع السابق**، ص٣٦.

(٣) كارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، ٤/ ٢٥٢.

(٤) أحمد رمضان: **المرجع السابق**، ص٣٨.

(٥) كارل بروكلمان: **المرجع السابق**، ٤/ ٢٥٢.

(٦) أحمد رمضان: **المرجع السابق**، ص٣٨.

(٧) كارل بروكلمان: **المرجع السابق**، ٤/ ٢٥٣.

ولم تقتصر رحلة العرب على البحر؛ بل أنهم قاموا برحلات برية، ومن أهم الرحالة الذين ورد ذكرهم في المصادر العربية الرحالة.

**١- رحلة سلام الترجمان**

فقد ذكر لنا القزويني في كتابه، أن الخليفة الواثق[١] رأى في منامه أن السد الذي بناه ذو القرنين ليأجوج ومأجوج مفتوح، فأمره بالرحيل إلى السد والنظر فيه[٢] فسار سلام من مدينة سر من رأى ومعه خمسون رجلاً ومائتا بغل تحمل الزاد والماء، و كان الخليفة قد أعطاه كتاباً إلى حاكم أرمينية ليقضى ما يحتاجونه ويسهل أمر مهمتهم[٣].

ويقول ياقوت بأن حاكم أرمينية[٤] قد استجاب لطلب الخليفة الواثق بقضاء حوائجهم وكتب إلى صاحب السرير، وكتب صاحب السرير إلى ملك اللان، وكتب ملك اللان إلى فلا نشاه فكتب لهم فلا نشاه إلى ملك الخزر فوجه معهم ملك الخزر خمسة من الأدلاء، وسار الجميع سنة وعشرين يوماً فوصلوا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة، وكان معهم خلٌ لتخفيف الرائحة بإشارة من الأدلاء[٥] وسار الركب في تلك الأرض عشرة أيام ثم وصلوا إلى مدن أصابها الخراب وساروا فيها سبعة وعشرين يوماً وقال الأدلاء إن يأجوج ومأجوج هما الذان خربوا تلك المدن،

---

(١) الواثق بالله: هو هارون ابن المعتصم بن الرشيد، ولد في(٢٠ شعبان سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م) بطريق مكة تولي الخلافة العباسية بعهد من أبيه، بويع بالخلافة في(١٩ ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ/ ٥ يناير ٨٤٢م) كان الواثق عالم بالأدب والشعر، حليم، توفي في سر من رأى(يوم الأربعاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ/ ١٣ أغسطس ٨٤٧م) وكانت مدة خلافته خمسة أعوام وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً، الأربلي: **خلاصة الذهب**، ص٢٢٣- ٢٢٥، السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، ص٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣.

(٢) القزويني: **آثار البلاد وأخبار البلاد**، ص٥٩٧.

(٣) زكي حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص١٣.

(٤) أرمينيا: هي دولة تقع في إقليم جبال القوقاز وكانت جزء من الاتحاد السوفيتي سابقاً، مصطفي أحمد: **الموسوعة الجغرافية**، ١/ ٩.

(٥) الحموي: **معجم البلدان**، ٥/ ٣٠.

وانتهيا إلى الجبل الذي فيه السور المنشود، وعلى مقربة منه حصون تسكنها أمة مسلمة تتكلم العربية والفارسية، ولكنها لم تسمع بخليفة المسلمين قط.

ويورد لنا ابن خرداذبة تلك القصة في كتابه المسالك والممالك بقوله على لسان سلام الترجمان: "ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شُعبة منه السدُّ وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرأون القرآن لهم كتاتيب ومساجد، فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم إنا رسل أمير المؤمنين، فأقبلوا يتعجبون ويقولون أمير المؤمنين فنقول نعم فقالوا شيخ هو أم شابٌّ،فقلنا شابٌّ فعجبوا أيضاً، فقالوا أين يكون؟ فقلنا العراق في مدينة يقال لها: سرَّ من رأى، فقالوا ماسمعنا بهذا قطُّ"[(١)].

وتقدم الركب إلى جبل لا نبات عليه يقطعه وأدى عرضه مئة وخمسون ذراعاً، وفي الوادي باب ضخم جداً من الحديد والنحاس، عليه قفل طوله سبعه أذرع وارتفاعه خمسة، و فوق الباب بناء متين يرتفع إلى رأس الجبل[(٢)] ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة حديد فيجيئون إلى الباب ويضرب كل واحد منهم القفل والباب ضربات كثيرة، ليسمع من وراء الباب ذلك فيعلمون أن هناك حفظة للباب[(٣)]، وليتأكد الرئيس وأعوانه الفرسان من أن أولئك السكان لم يحدثوا في الباب حدثاً، ولما فرغ سلام الترجمان ورفقاؤه من مشاهدة السور رجعوا إلى سر من رأى[(٤)]، ولا يمكن أن يكون الباعث الحقيقى لهذه الرحلة ذلك الحلم الذي رآه الخليفة في منامه كما يزعم الرواة، فربما اتخذ الواثق هذا الحلم ذريعة لسبب قد يكون سياسيا، أو لعل الخليفة أراد أن يبين مقدرته على الهيمنة على تلك الأقطار، وقد نجح إلى حد بعيد إذ يكمن

---

(١) ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، ص١٤٢

(٢) زكي حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص١٣.

(٣) الحموي: **معجم البلدان** ٥/ ٣٠.

(٤) زكي حسن: **المرجع السابق**، ص١٤.

نجاحه في اهتمام الملوك والأمراء بكتاب الخليفة وتسهيل مهمة سلام[١].

وهناك مجموعة من الرحالة الأوائل في العصر الإسلامي الذين استطاعوا أن يصلوا إلى الصين وكشفوا عن مجاهل الطريقين البحري والبري إليها وإلى البلاد المجاورة لها كالملايو والهند وغيرها، ولكنهم لم يدونوا رحلاتهم تلك أو لعلهم دونوها وفقدت ثم جمعها من أتى بعدهم من الرحالة أو الجغرافيين في مؤلفاتهم أو اقتبسوا مقتطفات منها ومن أهم هؤلاء ابن وهب القرشي وسليمان التاجر[٢].

## ٢- رحلة ابن وهب القرشي:

فأما ابن وهب القرشي فكان من ذوي الثروة والجاه في العراق ومن ولد هبار بن الأسود، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه قام برحلته إلى الصين نحو سنة: (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) فترك مدينة البصرة عندما خربها الزنج وخرج من ميناء سيراف على بعض المراكب الهندية، وساح طويلا في ممالك الهند إلى أن انتهى إلى مدينة خانفو (كنتون) بمملكة الصين ثم تقدم إلى مدينة خمدان عاصمة تلك المملكة، وتقع هذه المدينة على مقدار شهرين من خانفو والتمس ابن وهب مواجهة الإمبراطور ولكنه لم يفلح إلا بعد انتظار طويل، وبعد أن أرسل الإمبراطور إلى حاكم خانفو يأمره[٣]بالبحث عن حقيقة ابن وهب والاستفسار من التجار العرب عما يدعيه من قرابته للنبي ﷺ، فلما كتب الحاكم بصحة نسبه أكرم الإمبراطور وفادته وأذن له في الوصول إليه، وناقشه في الدين والسياسة[٤]ثم عرض عليه صور بعض الأنبياء مثل نوح عليه السلام في السفينة وموسي وبني اسرائيل، وعيسى على حماره والحواريين معه-عليهم السلام-[٥]وأنه

---

(١) علي محسن مال الله: **أدب الرحلات عند العرب في المشرق**، ص٣١.

(٢) أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص٤٠.

(٣) زكي حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص١٦.

(٤) علي محسن مال الله: **المرجع السابق**، ص٥٠-٥١.

(٥) زكي حسن: **المرجع السابق**، ص١٦.

رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد دون فيها ذكر أسمائهم ومواضع بلدانهم ومقادير أعمارهم وأسباب نبواتهم وسيرتهم ورأى صورة نبينا محمد ﷺ على جمل وأصحابه محدقون به في أرجلهم نعال عربية من جلود الإبل، وفي أوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك [(١)]، وقد سأل الملك ابن وهب عدداً من الأسئلة من أهمها لم عدل عن مَلكه وهو أقرب إليه نسباً فأخبر بما حدث في البصرة ونزوع همته إلى مُلكه وحسن سيرته وكثرة جنوده، فتاقت نفسه إلى مملكته ومشاهدتها فاذا رجع إلى بلاده وصفها إلى ملكه، وقد أكرم الملك ابن وهب بجائزة قيمة وحمله بالبريد إلى خانفوا وكتب إلى ملكها بإكرامه[(٢)]وعلى الرغم من أن ابن وهب القرشي لم يسجل رحلته وإنما تحدث عنها إلَّا أنها نقلت لنا من أبي زيد الحسن السيرافي[(٣)]وقد التقى المسعودي أبا زيد الحسن بن يزيد السيرافي بالبصرة[(٤)] سنة: (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) فأخذ عنه خبر ابن وهب القرشي[(٥)].

والراجح أن هذه الرحلة كانت حقيقة واقعة وأنها أوضحت شيئاً جديداً ومعلومات نافعة عن بلاد الصين وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، وهي أمور لم تكن معروفة عند العرب قبل هذه الرحله والتى تعد من بواكر رحلات الرحالين العرب[(٦)].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١/ ١٤٤.

(٢) المسعودي: المصدر السابق، ١/ ١٤٥.

(٣) علي محسن مال الله: أدب الرحلات عند العرب في المشرق، ص٥٢.

(٤) تقع مدينة البصرة جنوب العراق عند التقاء نهر دجلة والفرات، وتعد البوابة الرئيسية للعراق من جهة الجنوب، وتتميز مدينة البصرة بوقوعها في منطقة غنية بحقول النفط جنوبي العراق، وتتميز بوجود أشجار النخيل مما أدى لقيام مصنع مهم لتعليب التمور فيها، حسام الدين إبراهيم عثمان: موسوعة مدن العالم، ص٤٧.

(٥) المسعودي: المصدر السابق، ١/ ١٤٥.

(٦) علي محسن مال الله: المرجع السابق، ص٥٣.

### ٣ - رحلة سليمان التاجر:

أما الرحالة سليمان التاجر الذي عرف في القرن الثالث الهجري يعد من الرحالة الأوائل الذين جابوا بحار الهند والصين وخلجانها، فقد رحل سليمان التاجر من مرفإ سيراف على الخليج العربي واخترق المحيط الهندي حتى سيلان، ومنها إلى مضيق ملقا [١]حتى دخل شواطئ الصين[٢].

وقد كتب رحلته سنة: (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) ثم ذيلها وأضاف عليها بعض الأفكار أبو زيد حسن السيرافي سنة: (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م). وأضاف حسين فوزي في كتابه (حديث السندباد القديم) أن رحلة سليمان التاجر تحتوي على معارف في غاية الأهمية عن المحيط الهندي وبحر الصين[٣]، وربما كانت رحلة سليمان التاجر هي الأثر العربي الوحيد الذي يتحدث عن سواحل البحر الشرقي الكبير والطريق الملاحي إليها على أساس الخبرة الشخصية مع التزام الموضوع وعدم الخروج عنه إلى أحاديث تاريخيه[٤]. ومما لاشك فيه أن رحلة سليمان التاجر تحمل معلومات صادقة عن هذه الطرق البحريه التى تربط البلاد العربية والإسلامية بالهند والصين، لذا اعتنى التجار والجغرافيون بهذه الرحلة الميمونة.

فعندما شرع سليمان التاجر بتدوين رحلته نوه بالعلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الأمة العربية الإسلامية والصين، حيث كان التبادل التجاري والسياسي

---

(١) مدينة ملقا الماليزية هي عاصمة ولاية ملقا وهي إحدى أقدم مدن ماليزيا، وتقع عند مصب نهر ملقا، وكانت قديماً مركزاً تجاريا مهما إلا إنها اليوم تعتبر إقليما زراعياً وصناعياً مهما في ماليزيا ومن أهم منتجاتها الزراعية المطاط وزيت النخيل والأرز وتتميز ملقا بوجود بعض الآثار فيها مثل قصر ملقا ومسجد كامونج هولو أقدم مسجد في ماليزيا، حسام الدين إبراهيم عثمان: **موسوعة مدن العالم**، ص١٩٣.

(٢) علي محسن مال الله: **أدب الرحلات عند العرب في المشرق**، ص٤٠.

(٣) علي الدفاع: **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية**، ص١١٢- ١١٣.

(٤) زكي حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص٢٠.

على أحسن ما يرام بينهما في القرن الثالث الهجري[١].

وأشار زكي حسن في كتابه الرحالة المسلمون في العصور الوسطي بأن رحلة سليمان التاجر والذيل الذي وضعه أبو زيد يمتاز بوصف صادق للطرق التجارية وبعض العادات والنظم الاجتماعية والاقتصادية، ومن أهم المنتجات التى تنتجها بلاد الهند وسرنديب وجاوه والصين مع قلة الخرافات والأساطير التى تكثر في أحاديث البحارة[٢]، فيصف لنا عادات أهل الصين فيقول "وليس لهم نظافة، ويأكلون الميتة، وما أشبهها مما يصنعه المجوس فإن دينهم يشبه دين المجوس، ونساؤهم يكشفن رؤوسهن ويجعلن فيها الأمشاط، فربما كان في رأس المرأة عشرون مشطا وغير ذلك"[٣].

ومن الوصف الطريف إشارته للشاي وأن ملك الصين يحتفظ لنفسه بالدخل الناتج من محاجر الملح ومن نوع من العشب، يشربه الصينيون في الماء الساخن، ويباع منه الشيء الكثير في جميع مدنهم ويسمونه " ساخ" وقال سليمان عند وصفه لبعض الجزر المحيطه ببحار الهند أو بعض جزر المحيط الهندي أن لأهلها ذهباً كثيراً: "وأكلهم النارجيل وبه يتأدمون ويدهنون وإذا أراد واحد منهم أن يتزوج، لم يزوج إلا بقحف رأس رجل من أعدائهم، فإذا قتل اثنين زوج اثنين، وكذلك إن قتل خمسين زوج خمسين امرأة بخمسين قحفًا، وسبب ذلك أن أعداءهم كثير، فمن أقدم على القتل أكثر كانت رغبتهم فيه أوفر "[٤].

فقد ذكر أبو زيد حسن في ذيله أن السفن القادمة من سيراف متجهة إلى البحر الأحمر كانت إذا وصلت جهة أقامت بها، ونقلت مافيها من السلع إلى مراكب خاصه

---

(١) علي الدفاع: رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية،ص ١١٢- ١١٣.

(٢) زكي حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٠.

(٣) علي محسن مال الله: أدب الرحلات عند العرب في المشرق، ص٤١.

(٤) زكي حسن: المرجع السابق، ص٢١.

تحملها إلى مصر، وتسمي مراكب القلزم، وذلك لأن المراكب الأخرى كانت لا تستطيع الملاحة في شمال البحر الأحمر(١).

وقد أتى أبو زيد بكثير من أخبار الهند وسائر الأقاليم المطلة على المحيطين الهندى والهادي وتحدث عن العنبر واللؤلؤ والمسك ومصادرها.

وأشار إلى قلة الاتصال بالصين بعد رحلات سليمان، وذلك بسبب قيام ثورات فيها(٢).كما نجد أن القيمة الجغرافية للرحلة كبيرة فهي تقدم معلومات قيمة عن البحار والجزر والطرق البحرية من سيراف إلى الصين وتمثل تسجيلا لمعارف وانطباعات التاجر سليمان عن الهند والصين والطريق البحري المؤدى إليهما.فهو ليس نتاج رحلة واحدة أو رحلتين، بل رحلات متعددة قام بها خلال فترات زمنية طويلة ونتيجة رحلاته المتعددة للصين والهند لا يلتزم بنهج واحد أو خطه تفصيلية، لذا نراه أحياناً مغامراً، جريئاً ودقيقاً متعمقاً في ملاحظاته ساذجا في أحيان أخرى، تسيطر عليه طبيعة التاجر الذي يتابع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الربح(٣).

٤- <u>رحلة ابن فضلان:</u>

ومن الرحالة الذين دونوا رحلاتهم ووصلت إلينا ابن فضلان(٤)فقد قام برحلته ليس برغبة منه بل بأمر من الخليفة المقتدر بالله(٥) الذي أرسله مبعوثاً إلى ملك الصقالبة

---

(١) أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص٤٤.

(٢) زكي حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص٢١.

(٣) ناصر الموافي: **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجرى**، ص١١٧.

(٤) هو أحمد بن فضلان بن العباس ابن راشد بن حماد، مولى القائد العباسي محمد بن سليمان، الذي نجح في هزيمة جيوش الطولونيين وإعادة مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية سنة: (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) في عهد الخليفة المكتفي بالله(٢٨٩- ٢٩٥هـ/ ٩٠١- ٩٠٧م) ولم يعرف تاريخ ميلاده أو وفاته، زكي حسن: **المرجع السابق**،ص٢٢،فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**،ص١٦٣، ١٦٤.

(٥) المقتدر بالله: هو أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بالله ولد في شهر رمضان سنة: (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م) =⇐

مثل ما ذكرنا من قبل عن رحلة سلام الترجمان كانت بـأمر من الخليفة الواثق العباسي، وابن فضلان عندما ذهب في بعثة مرسلة من الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة سنة: (٣٠٩هـ/ ٩٢١م) كان بناء على طلب ملك الصقالبة من الخليفة المقتدر بعد أن أسلم أن يبعث من يفقهه في الدين ويعرفه على شرائع الإسلام[١]، وقد أجاب الخليفة طلبه وأرسل إليه هذه السفارة التى غادرت بغداد في(١١ صفر سنة ٣٠٩هـ/ ٢٠يونيو ٩٢١م) متجهين إلى بخارى وخوارزم وبلاد البلغار، حيث وصلوا في (١٢ محرم سنة ٣١٠هـ/ ١١ مايو ٩٢٢م)[٢].

فاستغرقت الرحلة أحد عشر شهراً ذهاباً ومثلها عودة، تتوسط هاتين الفترتين فترة ثبات واستقرار استغرقت ستة أشهر، وفترة بهذا الطول الزماني مر فيها ابن فضلان بمشاهد ومواقف كثيرة، تمت بين أناس مختلفين في اللغة والتقاليد و العقيدة أيضاً، ومن الطبيعى أن الأماكن التى زارها تختلف في بيئتها عن البيئة التي عاش فيها[٣]. وترك لنا ابن فضلان في رحلته صورة واضحة للصقالبة وحضارتهم وعاداتهم وتجارتهم فمن عاداتهم[٤]أن يأكل كل واحد من مائدته لايشاركه فيها أحد ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً فإذا فرغ من الطعام حمل كل واحد منهم ما بقى على مائدته إلى

= وتولى الخلافة بعد أخيه المكتفي بالله وله من العمر ثلاث عشرة سنة، ولم يتول من هو أصغر منه من بنى العباس، وانتهت خلافته بمقتله عندما خرج لقتال مؤنس الخادم في(١٧ شوال عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، وكانت مدة خلافته منذ أن تولي الخلافة إلى مقتله أربعة وعشرين عاماً، وتوفي وعمره ثماني وثلاثين عاماً، الأربلي: **خلاصة الذهب المسبوك**، ص٢٣٩، ٢٤٠، الشرقاوي: **تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين**، ص٧٢.

(١) أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص٤٥.

(٢) زكي حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص٢٣.

(٣) ناصر الموافي: **الرحلة في الأدب العربي**، ص٢٤٤.

(٤) أحمد رمضان: **المرجع السابق**، ص٤٦.

منزله[١] وكانوا يلبسون القلانس يرفعونها عن الرأس ويجعلونها تحت الإبط للتحية وإظهار الاحترام، أما علاقة ملك الصقالبة بشعبه فقد دون ابن فضلان أن كل من زرع شيئاً أخذه لنفسه، ليس للملك فيه حق، غير أنهم يؤدون إليه من كل بيت جلد ثور. وإذا أمر سرية بالغارة على بعض البلدان كان له معهم حصة، وكلهم يلبسون القلانس، فإذا ركب الملك ركب وحده بغير غلام، ولا أحد معه فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحد إلا قام وأخذ قلنسوته عن رأسه وجعلها تحت أبطه، فإذا جاوزهم ردوا قلانسهم فوق رؤوسهم[٢]، وكذلك لكل من يدخل إلى الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوانه، ساعة يقع نظرهم عليه يأخذون قلانسهم فيجعلونها تحت آباطهم ثم يومئون إليه برؤوسهم ويجلسون ثم يقومون حتى يأمرهم بالجلوس وكل من يجلس بين يديه فإنما يجلس باركاً ولا يخرج قلنسوته، ولا يظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك[٣] كذلك وصف ابن فضلان بعض قدماء الروس الذين شاهدهم على نهر الفلجا حين قدموا للتجارة مع البلغار. ومما يدل على دقة ملاحظة ابن فضلان وصفه وصفاً دقيقاً لمراسيم الدفن عند الروس وعلى وجه الخصوص وصف دفن أحد زعماء الروس حتى أن أحد الرسامين الروس في نهاية القرن التاسع عشر رسم صورة حية لمراسيم الدفن وذلك اعتماداً على وصف ابن فضلان[٤].

---

(١) ابن فضلان: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص١١٦.

(٢) زكي حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٤.

(٣) ابن فضلان، المصدر السابق، ص١٣١.

(٤) أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤٦-٤٧.

## ۞ أنواع الرحلات وأهميتها :

لقد تنوعت الرحلات وتعددت أنواعها عند المسلمين منها الرحلات العلمية والرحلات الدينية والرحلات التجارية والرحلات السياسية

**١ - الرحلات العلمية:**

إن الذي يتتبع تاريخ الرحلات العلمية يدرك أنها ابتدأت منذ الجيل الإسلامي الأول ليعلموا الناس شؤون الدين، وليقرئونهم القرآن، ويرووا لهم الأحاديث ثم تفاوتت ميول العلماء فأصبح منهم من يميل إلى التفسير ومنهم من يميل إلى الحديث ومنهم من يميل إلى الفقه وهكذا.

ولقد استجاب طلاب العلم منذ عهد النبي صلي الله علية وسلم لدعوة العلم وتحصيله، وهبوا يسافرون لطلب العلم رغم مشقة السفر وإجهاد الرحلة، فخرجوا فرادى وجماعات يسعون في عزم قوي ومثابرة فائقة[(١)].

يقول ابن خلدون في مقدمته عن الرحلة في طلب العلم " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، وإن الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال "[(٢)].

ومن الذين ارتحلوا لجمع الحديث النبوى الشريف المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، الصحابة والتابعيين رضوان الله عليهم الذين رحلوا إلى الأمصار المختلفة

(١) كرم حلمي فرحات أحمد: **التراث العلمي للحضارة الإسلامية في الشام والعراق خلال القرن الرابع الهجرى**، ص١٩٧.

(٢) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، ص٤٤٠.

لجمع أحاديث الرسول ﷺ ونشرها بين الناس بعد جمعها وتمحيصها والتثبت منها، فيروي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: " بلغني حديث عن رسول الله ﷺ لم أسمعه، فابتعت بعيراً، فشددتُ رحلي، وسرت شهراً حتى قدمت الشام "(١) وعن سعيد بن المسيب قوله "إني كنت لأسير الأيام والليالى في طلب الحديث الواحد " (٢).

ومن الرحلات العلمية ما قام به علماء اللغة فذهبوا إلى جمعها من مصادرها المتعددة ومن مصادرها سماعها من الأعراب في البادية، وكثيراً ماكانوا يخرجون ويمضون الأعوام فيها ويخالطون الأعراب ويأكلون معهم ويشربون ويسمعون منهم ويدونون عنهم(٣)، وفى سبيل العلم رحل الناس من الأندلس إلى بخارى، ومن بغداد إلى قرطبة، فكانوا يتنقلون في البلدان لأخذ العلم عن الشيوخ، ولقاء العلماء ومنهم الحافظ أبو طاهر المقدسي الذى طلب العلم في العراق والحجاز ومصر وسورية وأصفهان والأهواز(٤)، وأبو الريحان البيروني(٥)الذي تجول في الهند مدة أربعين سنة فاطلع على عادات وتقاليد أهلها ودرس أحوالها الجغرافية والطبيعية والاقتصادية(٦)وأخذ عن البراهمة علومهم وبرع فيها ودونها في كتابه (عجائب الهند)

---

(١) البغدادي: **الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع**، ص٣٧٩.

(٢) البغدادي: **الرحلة في طلب الحديث**، ص١٢٧.

(٣) أحمد أمين: **ضحي الإسلام**، ص٢٥٦.

(٤) عبدالرحمن حميدة: **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ص٥٣- ٥٤.

(٥) البيروني: هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني عاش بين عامي(٣٦٢-٤٤٠هـ/ ٩٧٢- ١٠٤٨م)، ينتمي إلى الجنس الفارسي ولد بخيوه ضاحية من ضواحي خوارزم، توفي بغزة، عاش متنقل من مكان إلى آخر والتقي خلال أسفاره كبار علماء الجغرافية والتاريخ وغيرها من العلوم، صحب البيروني السلطان محمود الغزنوي في فتوحاته لبلاد الهند وتعلم اللغة السنسكريتية وكتب كتاب عن دين وعادات الهند اسمه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة)، لا يعرف سنة وفاته، علي عبد الله الدفاع: **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية**، ص١٢٩.

(٦) علي محسن مال الله: **أدب الرحلات عند العرب في المشرق**، ص١٨٦.

وابن البيطار[١] عالم النبات الشهير والذي دفعه حبه للعلم ودراسة النبات إلى ركوب البحار فسافر إلى بلاد الإغريق وأقصى بلاد الروم والمغرب وعاين منابتها وتحقق منها وعاد بعد أسفاره، واتصل بالملك الكامل الأيوبي فقربه منه وأعلى مكانته وعينه رئيساً على العشابين، لما أنس منه سعة المعرفة في الأدوية، وتعدد مراكز الثقافة في ديار الإسلام جعل رجال العلم ينتقلون في طلبه من إقليم إلى آخر، يدرسون على مشاهير الأساتذة ويلقون أعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين والأطباء والفلاسفة والرياضيين[٢].

## ٢- الرحلات الدينية:

إن من أهم الرحلات التى انتشرت وكانت أكثر رواجاً هى الرحلة من أجل الحج فقد اندفع المسلمون من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال فالحج كان، ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس بمختلف مستوياتهم من علماء وفقهاء وعامه[٣]، وكان الناس عند عودتهم إلى بلادهم يخبرون عن الطرق التى سلكوها والأحداث التى صادفوها[٤] وما ارتسم في أذهانهم وأنطبع في نفوسهم عن الأشخاص والأماكن التي مروا بها بل كان بعضهم يدون ما

---

(١) ابن البيطار: هو ضياء الدين عبدالله بن أحمد المالقي النباتي الطبيب، ألف كتاب "الأدوية المفردة"، عالم في النبات سافر إلى أقاصي بلاد الروم، اتصف بالذكاء، خدم السلطان الكامل الأيوبي وجعله في مصر رئيساً على العشابين، وبعد وفاة السلطان الكامل توجه ابن البيطار إلى القاهرة وخدم السلطان الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الكامل،توفي في دمشق سنة: (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)،ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص٥٥٥، ٥٥٦ الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢٣/ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) عبدالرحمن حميدة: **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ص٥٤.

(٣) حسين محمد فهيم: **أدب الرحلات**، ص٨٠.

(٤) عمرو عبدالعزيز منير: **مصر والعمران بين كتابات الرحالة والموروث الشعبى في القرنين السادس والسابع الهجريين**، ص٢٠.

شاهده على هيئة مذكرات يومية[١] فمن الرحالة المشارقة الذين رحلوا من أجل الحج نذكر ابن رسته الذي أنتج الموسوعة المشهورة "الأعلاق النفيسة "، فالثابت أنه رحل إلى مكة لأداء مناسك الحج سنة: (٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) وقضى مدة قصيرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة واستفاد من إقامته القصيرة هناك ليتتلمذ على يد كبار علماء العلوم الشرعية في الحرمين الشريفين[٢]، وأيضاً من الذين رحلوا للحج نذكر ناصر خسرو[٣] الذي كان منغمساً في الملاهى والملذات حتى تراءى له ليلة رجل في الحلم نهاه عن المعاصي وأسّر إليه أن يزور البيت الحرام فهو سبيل التوبة فكان لهذا الحلم أثر، فأقلع عما كان عليه وسار للحج ثلاث مرات[٤]، وأيضاً منهم أبو زيد البلخي[٥] الذي ذهب إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج والعمرة والتقى ببعض علماء العرب المسلمين المشتغلين في الفلك والجغرافية والأدب والفقه فتبادل معهم الرأي في كثير

---

(١) محمد يوسف عابد: **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة**، ص١٩ - ٢٠.

(٢) علي عبد الله الدفاع: **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية**، ص٨٥.

(٣) ناصر خسرو: ولد سنة: (٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م) في مدينة قباديان من أسرة متوسطة الحال، وتعلم في بلاد فارس، وعمل في خدمة السلطان الغزنوي محمود وابنه مسعود، كما عمل في ديوان حاكم خراسان جفري بيك السلجوقي لكنه ترك العمل وتفرغ للرحلات العلمية، فسافر لأداء فريضة الحج وقام برحلات إلى الشرق بين سنة: (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م و ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، وتوفي في خراسان عام (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، ناصر خسرو: **سفر نامه**، ص٩، ٣٢، **علي عبد الله الدفاع**: **المرجع السابق**، ص١٤٣، **ز كي محمد حسن**: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطي**، ص٤٧.

(٤) نقولا زيادة: **الرحالون المسلمون والأوربيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطي**، ص٨١- ٨٢.

(٥) هو أحمد بن سهل البلخي ولد بشامستان، قرية من قرى بلخ ومات بها، اشتغل بالتعليم ثم طلب العلم ببغداد لمدة ثماني سنوات وطاف بالبلاد المجاورة، عمل فترة كاتباً لأمير بلخ أحمد بن سهلي المروزي فيما بين(٣٠٥-٣١٠هـ/ ٩١٧- ٩٢٢م)، ألف كتباً في الفلسفة والفلك والرياضة والطب والجغرافية والسياسية والتاريخ وأصول الدين والتفسير واللغة والنحو، توفي في ٥ ذي القعدة سنة: (٣٢٢هـ/ أكتوبر ٩٣٤م)، فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص١٥٧.

من الأمور الخاصة بالعلوم الشرعية والجغرافية[١]، وإن كان معظم الذين رحلوا للحج من المغاربة وذلك لبعد الديار المغربية عن الشرق والحجاز، فكان على من يرحل إلى الحجاز من الأدباء والعلماء أن يخبر مواطنيه عن تلك البلاد وما شاهده من آثار الصحابة والمشاهد الشهيرة والعلماء لما يربطه بها من روابط الدين واللغة والدم بالإضافة إلى ولوع المغاربة بالسياحة وارتياد أقاصي البلاد[٢].

## ٣- الرحلات التجارية:

استمرت الرحلات التجارية وأشتهر بها العرب في ظل الإسلام وازدهرت نتيجة لاتساع الدولة وسهولة التنقل في داخل أقاليمها، إلى جانب التقاء المسلمين في موسم الحج فكانوا يعقدون الاتفاقات والصفقات التجارية وساعدتهم على الرحلات التجارية وحدة الثقافة والدين في أقطار العالم الاسلامي[٣] ووصلوا إلى الصين والهند وسواحل إفريقية الشرقية والغربية[٤]كما كان كثير من المسلمين يرحلون في طلب الرزق تطبيقا لتعاليم القران الكريم في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٥]﴾[٦] واستطاع المسلمون عن طريق الرحلات التجارية أن ينشروا الإسلام في أندونيسيا وغيرها من الجزر الهندية النائية[٧]ونجحوا في ذلك بسبب ما اتصفوا به من العقيدة وحسن السمت والتحلى بمكارم الأخلاق، ومن أقدم الرحلات التجارية في الإسلام رحلة التاجرين سليمان

---

(١) علي عبد الله الدفاع: رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية، ص٩٣.

(٢) محمد يوسف عابد: بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة، ص٢٠.

(٣) محمد محمود محمدين: الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، ص١٧٨.

(٤) شوقي ضيف: الرحلات، ص٩.

(٥) سورة الجمعة: آية ١٠.

(٦) محمد يوسف عابد: المرجع السابق، ص١٨.

(٧) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص٩.

التاجر وابن وهب القرشي اللذين قاما برحلات إلى الهند والصين في القرن الثالث الهجري بقصد التجارة كما سبق الإشارة لها[1].

## ٤- الرحلات السياسية:

إلى جانب الرحلات العلمية والدينية والتجارية هناك رحلات سياسية لخدمة شؤون الدولة التى ترامت أطرافها[2] ومنها إرسال السفارات إلى الدول المجاورة لها التي كان من أهمها سفارة ابن فضلان إلى ملك الصقالبة سنة: (٣٠٩هـ/ ٩٢١م) في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي وقد سبقت الإشارة لها [3]، وأيضا نذكر من السفارات سفارة أبي دلف الخزرجي[4] الذي أوفده الأمير الساماني نصر بن أحمد [5] إلى الصين سنة: (٣٣١هـ/ ٩٤٢م) مع بعثة كان أحد الأمراء الصينيين قد أرسلها

---

(١) محمد يوسف عابد: **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة**، ص١٩، للرجوع إلى رحلة ابن وهب القرشي ص٣٣-٣٤ ورحلة سليمان التاجر ص٣٥-٣٧.

(٢) محمد محمود محمدين: **الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان**، ص١٧٧.

(٣) للرجوع لرحلة ابن فضلان، ص٣٧-٣٩.

(٤) أبو دلف هو مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبعى ينتسب إلى قبيلة الخزرج بالمدينة، أما الينبعى فتشير إلى أنه أقام جانباً من حياته في ينبع، هو شاعر وأديب ورحالة، عاش في بلاط نصر بن أحمد الساماني، وفي سنة(٣٣١هـ/ ٩٤٢م) عندما وفدت سفارةمن بلاد الصين على بلاط نصربن أحمد يطلبون مصاهرته راغبين في خطبة ابنته فرفض وطلبوا أن يزوج ولده من ابنة الملك فوافق واستاذن أبودلف السلطان نصر بن أحمد في مرافقة البعثة الصينية في رحلة عودتها فوافق، وقام برحلتين الأولى سنة(٣٣١هـ/ ٩٤٢م) بدأت من بخارى إلى الهند والصين، والثانية رحل فيها إلى مدينة " الشيز" وفارس وآذربيجان وبلاد ماوراء النهر وأرمينيا، ولد سنة(٣٠٥هـ/ ٩١٧م) وتوفي سنة(٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) هو نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، حكم بلاد خراسان وبلاد ماوراء النهر بعد أبيه وظل يحكم لمدة ثلاثين سنة وثلاثين يوماً، وتوفي سنة(٣٣١هـ/ ٩٤٢م) وعمره ثماني وثلاثين سنة بمرض السل، وتولى بعد حكم البلاد أبنه نوح، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ٧/ ١٧٤، ١٧٥، الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، ٢/ ٤٠، ٤١، ابن العماد: **شذرات الذهب في أخبارمن ذهب**، ٣/ ٣٣.

إلى البلاط الساماني[١] يطلب المصاهرة بين الأسرتين، ولكن الأمير الساماني رفض تزويج ابنته ومع ذلك قبل أن يتزوج أحد أبنائه إحدى الأميرات الصينيات وعادت السفارة إلى خانفوا ومعها مبعوثو نصر، وبصحبتهم أبو دلف[٢]، ومنها أيضاً سفارة يحي الغزال[٣] التى أوفدها عبدالرحمن الثاني إلى ملك المجوس تورجايوس والتى بلغت عاصمة النورمان جوتلند (الدانمارك حالياً) لمفاوضته ولكن المفاوضات فشلت[٤]، وقد اختلفت المصادر القديمة فيما يتعلق بسفارة الغزال أكانت للقسطنطينية في المشرق أم إلى بلاد المجوس في الشمال فمن المؤرخين من يرى أن رحلة الغزال موجهة إلى القسطنطينية برسالة لملك الروم ومنهم من أوردها إلى القسطنطينية وبلاد المجوس ومنهم من نظر إليها بشك كبير في حين أنه أيدها فريق آخر وسواء كانت إلى القسطنطينية بالمشرق أو إلى بلاد المجوس في الشمال فقد قام الغزال فيها بتسجيل مشاهداته لكل ما مر به[٥]. فالمصادر التى تثبت ذهابه إلى القسطنطينية تصمت عن ذكر تفاصيل ما لقيه الغزال وما قام به عند زيارته للبيزنطيين والشذرات التي تذكرها تلك المصادر تختلط بالتفاصيل التى يوردها ابن دحية مؤرخ سفارة الغزال إلى ملك النورمانيين في الشمال حول هذه السفارة[٦].

---

(١) زكي محمد حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص٢٧.

(٢) ناصر عبد الرازق الموافي: **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجرى**، ص١٢٢.

(٣) يحي الغزال: هو عربي من بكر بن وائل، ولد في جيان وسمي بالغزال لجمال هيئته وأناقته، شاعراً فيلسوف، لقي قبول من عبدالرحمن الأوسط وأصبح من ندمائه وأصحابه، وقد أعجب عبدالرحمن بأدبه وظرفه وهيأته فجعله سفيراً له لدى الملوك، وأرسله كما ذكرنا في سفارة إلى الإمبراطور تيوفيلوس إمبراطور بيزنطة وإلى ملك النورمان، توفي سنة: (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) وقد تجاوز الثمانين، حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص٣٣٥، ٣٣٦.

(٤) عبدالرحمن حميدة: **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ص١٦٦.

(٥) عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز**، ص٦٦.

(٦) سليمان الرحيلي: **السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية**، ص٢٣٨.

ومن الرحلات السياسية أيضاً رحلة عبدالله بن محمد التجاني الذي خرج سنة: (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) من تونس في صحبة أحد أمراء الدولة الحفصية، الأمير "أبو يحي بن اللحياني " في رحلة تفقد فيها أنحاء تونس. وقد حوت رحلته قضايا أدبية وتاريخية وجغرافية واجتماعية للأماكن التي مر بها[1].

### ۞ أهمية الرحلات:

إذ ا كانت كتب التاريخ مهمة في إمداد الباحث بمعلومات تاريخية للفترة الزمنية التى يبحث عنها، نجد كتب الرحلات من أهم المصادر التاريخية فالرحلات تتعرض إلى جميع نواحي الحياة، إذ تتوفر فيها مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد والأدب والأديان فالرحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور، فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يكتب عن مظاهر مختلفة في الحياة سواء شاهدها أو سمع عنها أو نقلها من غيره، ولاشك أن الرحالة يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم ونوع هذا الاهتمام وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغيرة التى يمرون بها[2] لذا كان من المهم الرجوع إلى كتب الرحالة الذين صوروا المجتمعات الإسلامية بوضعها الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والديني أصدق تصوير.

**دوافع الرحلات إلى مصر:**

إن الرحلات التي يقوم بها الرحالة في المشرق تمثل أهم المظاهر الحضارية في مختلف العصور الإسلامية وذلك بحكم أن الشرق يضم الأماكن المقدسة والمراكز الثقافية العلمية ولاسيما الحجاز بحيث أن الرحلة إلى الحج تأتى في مقدمة الرحلات التى دفعت بالمسلمين من كل فج عميق. وبعد أداء الفريضة كان الرحالة يتوجهون

---

(١) محمد يوسف عابد، **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة**، ص١٩.

(٢) حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، ص٦.

إلى مختلف الحواضر الإسلامية لطلب العلم أو للتجارة أو الاستطلاع و الاختلاط مع الشعوب ولم تقف الخلافات السياسية في أي وقت من الأوقات حائلاً أمام مثل هذه الرحلات[(١)]فمن الرحالة المشارقه الذين زاروا الشرق نذكر منهم أبو الحسن علي بن أبكر الهروي الذي زار كثيراً من بلاد الإسلام فرحل إلى العراق والشام والحجاز ومصر والمغرب كما زار القسطنطينية والهند وقد عرف بكثرة أسفاره حتى أطلقوا عليه اسم الهروى السائح [(٢)].

ونذكر كذلك الرحاله عبداللطيف البغدادي[(٣)]صاحب كتاب " الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر " فقد زار البغدادي الشام ومصر والعراق وتنقل بين حلب وأذربيجان والروم وبغداد وقد تضمن كتابه الإفادة والاعتبار وصفاً لمشاهداته في مصر التى زارها مرتين وقد أمتاز وصفه لمصر بالدقة العلمية والاهتمام بالنواحي الاجتماعية والعمرانية[(٤)]وإن معظم من زار المشرق كانوا من المغاربة، فقد أفرد المقري في كتابة نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب أسماء المشارقه الذين رحلوا للأندلس وأسماء الأندلسيين الذين رحلوا للمشرق في

---

(١) عبدالواحد ذنون طه: **الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق**، ص٧٣.

(٢) أبو الحسن علي بن أبكر الهروي: أصله من هراة واستوطن الموصل، اشتهر بكثرة رحلاته لذا عرف باسم السائح رحل الهروي إلى بلاد الشام ومصر والمغرب وبلاد الروم والعراق ومكة المكرمة والمدينة المنورة واليمن بلاد فارس وغيرها لا يعرف شئياً عن طفولته، توفي في حلب سنة: (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، علي عبد الله الدفاع: **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية، ص١٦٩**.

(٣) هو موفق الدين عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن على بن أبي السعد وسمي البغدادي نسبة إلى مدينته، ولد ببغداد سنة: (٥٥٧هـ/ ١١٦٢م)، ونشأ في أسرة تحرص على العلم والثقافة، فكان أبوه بارعاً في القراءة مشتغلاً بعلم الحديث، مجيدا في المذاهب، وعارفاً بالعلوم العقلية وكان عمه سليمان فقيها،تعلم عبداللطيف البغدادي الخط وحفظ القرآن الكريم ودرس المقامات وديوان المتنبي،كما درس العلوم الشرعية على يد عدد من العلماء، رحل إلى دمشق والموصل والقدس ومصر،توفي في بغداد سنة: (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)،فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**،ص ٤١٩-٤٢١.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: **التاريخ والمؤرخون العرب**، ص٢١٨ - ٢١٩.

فصلين، ومن الرحالة المغاربة نذكر ابن جبير الذي قام بثلاث رحلات للمشرق الإسلامي دون أخبار رحلته الأولى على شكل مذكرات يومية في كتاب عرف باسم "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " كتبها سنة: (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م)[١] سجل فيها ملاحظاته ومشاهداته لما شاهده في رحلته في الإسكندرية والقاهرة والفسطاط وقوص و عيذاب ومكة والمدينة والكوفة وبغداد والموصل وعكا وصقلية، فاهتم بوصف المساجد والأضرحة والأثار كما اعتني بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التى زارها ووصفه يدل على دقة الملاحظة وتعليقاته على مظاهر الحياة في البلاد التى زارها تعد من أهم الوثائق التى تعين الباحث في تصور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الشرق الإسلامي في عصره[٢].

ومن المغاربة الذين رحلوا للمشرق علي ابن موسي الشهير بابن سعيد المغربي حيث زار مصر مع والده سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)، في زمن الصالح نجم الدين أيوب، ومنهم العبدري الذي بدأ رحلته سنة: (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فرحل إلى تلمسان والجزائر وبجاية وتونس والإسكندرية. ومنهم أيضاً ابن رشيد الفهري الذي رحل إلى المشرق سنة: (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) لأداء فريضة الحج بالمراكز العلمية في الحجاز والشام ومصر. ولاننسى ذكر أشهر الرحالة للمشرق أبو عبدالله محمد بن محمد اللواتي الشهير بابن بطوطة، حيث رحل عن وطنه لأداء فريضة الحج سنة: (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) وأمضى في رحلته خمساً وعشرين سنة زار فيها معظم بلاد المشرق[٣].

---

(١) زكي محمد حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص٥٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: **التاريخ والمؤرخون العرب**، ص٢٢١.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: **المرجع السابق**، ص٢٢٢ - ٢٣٢.

وبعـد أن قـدمنا عرضـاً مـوجزاً لـبعض الرحالـة الـذين رحلـوا للمـشرق نـذكر أهم الدوافع التى دفعت الرحالة المغاربة للرحلة لمصر:

١- الرحلة العلمية، حيث يتصل المغاربة بالمراكز الثقافية العلمية بمصر، و لقاء علماء مصر وشيوخها وأخذ العلوم الشرعية منهم، وسماع الروايات وحفظ الأسانيد والحصول على الأجازات والاطلاع على المصنفات العلمية والأدبية في التفسير والحديث والفقه والشعر[1].

٢- الرحلة لأداء فريضة الحج، كانت من أهم الأسباب التى دفعت بالمغاربة لزيارة الحجاز والمشرق الإسلامي وعرفت هذه الرحلات بالرحلات الحجازية، فكانوا يمرون بمصر بوصفها من أهم طرق الحج الرئيسية ومن هنا يهتم صاحب الرحلة بتدوين مشاهداته من أول خروجه حتى عودته إلى وطنه. فدونوا ما شاهدوه على الدروب من وصف الطرق سواء بحريه أو برية وقاموا بقياس المسافات بين كل بلاد وأخرى ودونوا أسماء الأماكن التي تحط فيها القوافل والأحداث التى تحدث أثناء رحلاتهم، وكانت الإسكندريةأول محطة تحط بها قوافل المغاربة القادمة عن طريق البحر أوالصحراء ومنها إلى القاهرة انتظاراً لخروج المحمل إلى الحجاز[2]، وكانوا الرحالة المغاربة يقومون بزيارة قبور الأنبياء والصالحين والأولياء ومشاهدهم، فكانوا يصفون تلك المشاهد وصفاً معمارياً دقيقاً، حيث لا تخلو رحلة مغربية لمصر من وصف القبور والمشاهد فامتاز وصفهم بدقة الملاحظة وخاصة مشاهد أهل البيت والصحابة والتابعين والتي تزخر مصر بالكثير منها[3].

٣ - بعد أقطار المغرب والأندلس عن حواضر العالم الإسلامي ومراكز الثقافة في العراق ومصر والشام حيث نشأت الثقافة العربية.

---

(١) عبدالعزيز الضعيفي: **علاقة العلماء المغاربة بنظرائهم المصريين بين الاستفادة والإفادة**، ص٣٨٤.

(٢) محمد الكحلاوى: **آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين**، ص١٥.

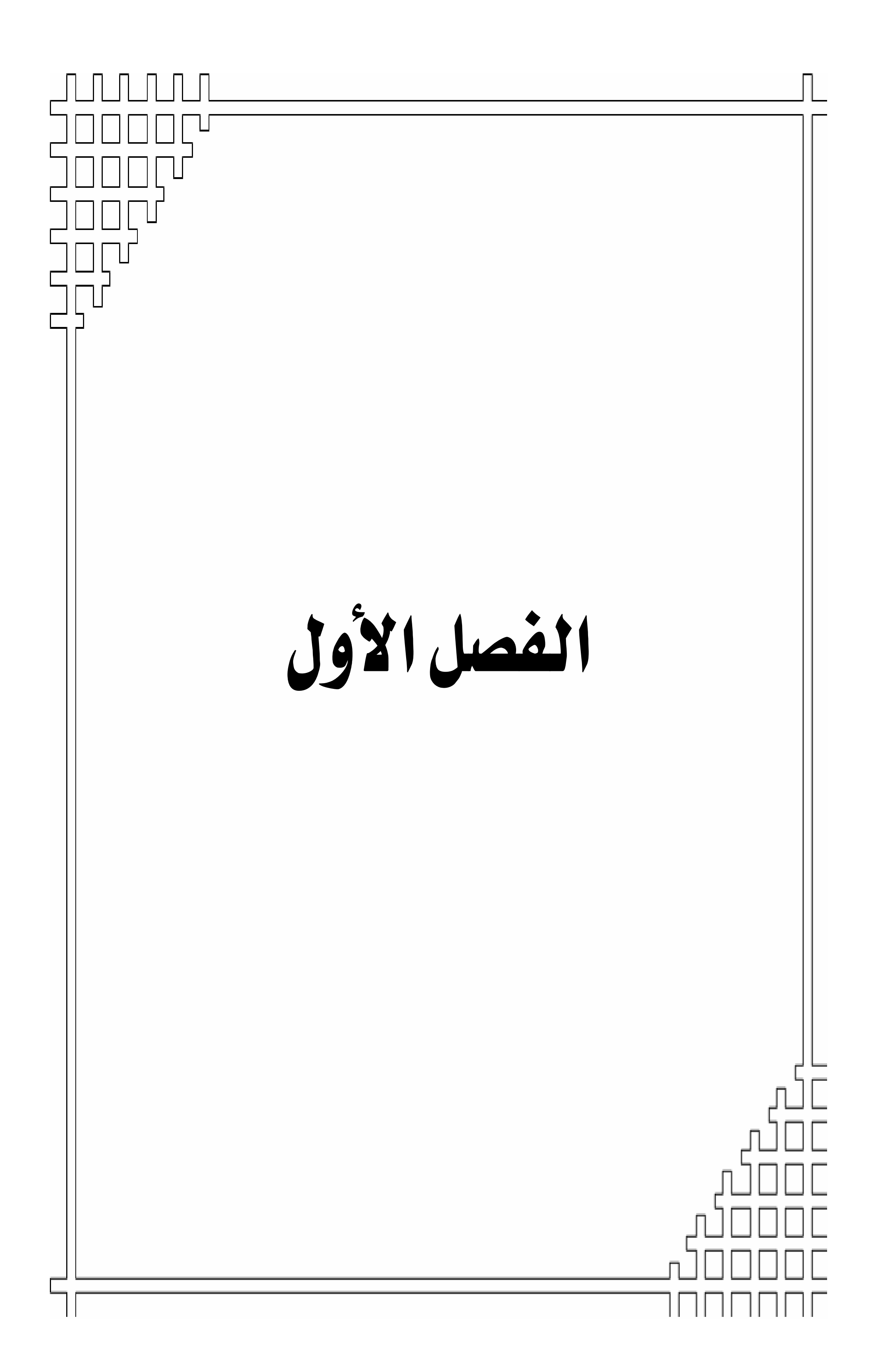
(٣) محمد الكحلاوى: **المرجع السابق**، ص١٦.

٤ - الاهتمام الكبير لسلاطين المماليك بمصر بتشجيع العلم والعلماء حيث أنفقوا أموالاً جمة على بناء المدارس، وعلى المنح والمرتبات التي كانت تقدم أيضاً للطلبة وللأساتذة القادمين من المغرب، مما شجع الكثيرين من المغاربة على السفر إلى مصر[(١)].

وماسبق يعد من أهم الدوافع التي حدت بالرحالة المغاربة إلى الإتجاه لمصر التي كانت ضمن مسارهم فخصصوها بالتالي بالوصف وتدوين ماشاهدوه في كتب رحلاتهم التي تعد من المصادر المعينه للباحث عندما يتطرق لتاريخ مصر في تلك الفترة.



(١) عبدالعزيز الضعيفي: **علاقة العلماء المغاربة بنظرائهم المصريين بين الاستفادة والإفادة**، ص٣٨٥.



# الفصل الأول

# الفصل الأول

## الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين
## حياتهم ورحلاتهم ومؤلفاتهم

**وفيه ستة مباحث:**

- **المبحث الأول : .ابن سعيد المغربي( ٦١٠ -٦٨٥ هـ / ١٢١٣- ١٢٧٤م ) ، حياته ورحلاته ومؤلفاته .**
- **المبحث الثاني : ابن رشيد ( ٦٧٥ -٧٢١هـ /١٢٥٨-١٣٢١ م ) ،حياته ورحلاته ومؤلفاته .**
- **المبحث الثالث : العبدري كانت رحلته ( سنة ٦٨٨ هـ /١٢٨٩م ) -ولم يعرف تاريخ مولده ووفاته- ، حياته ورحلاته ومؤلفاته.**
- **المبحث الرابع : التجيبي السبتي ( ٦٧٠ -٧٣٠ هـ / ١٢٧١- ١٣٢٩م ) ، حياته ورحلاته ومؤلفاته .**
- **المبحث الخامس : ابن بطوطة ( ٧٠٣- ٧٧٠ هـ / ١٣٠٣- ١٣٦٨م ) ، حياته ورحلاته ومؤلفاته .**
- **المبحث السادس : البلوي ( ٧١٣ - ٧٨٠هـ / ١٣١٣-١٣٨٧م )، حياته ورحلاته ومؤلفاته .**

# المبحث الأول

## ابن سعيد المغربي (٦١٠ - ٦٨٥ هـ / ١٢١٣- ١٢٧٤م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته

### ابن سعيد المغربي:

هو علي بن موسي بن محمد بن عبدالملك بن سعيد، ينتهي نسبه إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه يكنى: أبوالحسن، ويلقب بالغرناطي، القلعى، أو الغماري، العنسي، ويعرف بابن سعيد[١].

ولد بقلعة يحصب قرب غرناطة[٢] ليلة عيد الفطر من سنة: (٦١٠هـ/ ١٢١٤م)[٣] وقد ذكر حسين مؤنس في كتابه تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس خلاف ذلك، فأورد أن ابن سعيد ولد سنة: (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨-١٢٠٩م)

---

(١) انظر: مصادر ترجمة: جلال الدين السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ٢/ ٢٠٩، جمال الدين ابي المحاسن بن تغري بردي: **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، ١/ ٤٨٦، محمد بن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ١/ ٤٨٣، ابن القاضي: **ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال**، ٣/ ٢٤٠، صلاح الدين خليل الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٢٢/ ١٥٧، الزركلي: **الأعلام**، ٥/ ١٧٩.

(٢) الزركلي: **المرجع السابق**، ٥/ ١٧٩

(٣) لسان الدين ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط ١، ٤/ ١٥٨، محمد مؤنس عوض: **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص١٨٣، ويذكر المقري أن علي بن سعيد المغربي ولد في شهر رمضان يوم الثلاثاء ٢٢ سنة: (٦١٠هـ/ (**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٢/ ٣٣٣).

في قلعة يحصب أو قلعة اسطَلير التى تسمى بقلعة بنى سعيد[(١)] ويتفق معه آنخل جنثالث في كتابه تاريخ الفكر الأندلسى حيث يذكر بأن مولد علي بن سعيد فيما بين سنتى: (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) و(٦١٠هـ/ ١٢١٤م) في قلعة يَحصُب[(٢)].

## أسرته:

لابدّ لنا من التحدث عن أسرة ابن سعيد؛ لأنها أولاً لعبت دوراً مرموقا في تاريخ الأندلس الثقافي والسياسي وخاصة في عصر الموحدين[(٣)]، وثانياً كان لها أثرًا كبيرًا على شخصية ابن سعيد وعلمه،فكما ذكرنا أن نسب ابن سعيد ينتهي إلى الصحابي الجليل عمار بن ياسر ﷺ الذي كان له دوراً بارزاً في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين، فبعض أحفاد عمار قدم إلى الأندلس في عهد الفتح أو بعده بقليل ونجد أن أحدًا من أحفاده وهو عبدالله بن سعد بن عمار يحل بالقلعة التي ستعرف فما بعد بقلعة بني سعيد، وتعرف بقلعة يحصب ويصبح أميراً على اليمانية من جند دمشق ويوالي يوسف الفهري والى العباسيين في الأندلس ويقف تبعاً لذلك بنو عمار في وجه قاتلي جدهم[(٤)]

وبعد قتل عبدالله على يد عبدالرحمن الداخل،يختفي ظهور هذه الأسرة عن مسرح الأحداث المشهورة حتى يثور أحد أفرادها وهو خلف بن سعيد، زمن ملوك الطوائف ويستقل بالقلعة وتوابعها وظل بنو سعيد في قلعتهم

---

(١) **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص٤٦٥.

(٢) آنخل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٢٤٤.

(٣) محمد الأنصاري: **التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره**، ص٧١.

(٤) يذكر المقري بأن يوسف بن عبدالرحمن الفهري كتب إلى عبدالله بن سعد بن عمار لمحاربة عبدالرحمن بن معاوية (الداخل)وركن إليه في محاربة عبدالرحمن لما بين بني عمار وبين بني أمية من الثأر بسبب قتل عمار- رضي الله عنه- بصفّين على يد عسكر معاوية -رضي الله عنه- (أحمد المقري: **نفح الطيب**،٢/ ٣٣٠).

حتى ظهر من بينهم عبدالملك بن سعيد[(١)].

والذي كان موالياً للمرابطين إلى أن ثارت عليهم الأندلس سنة: (٥٣٩هـ/ ١١٤٥م) فامتنع عبدالملك في قلعته واستمر ممتنعاً بها[(٢)]،ثم اتجه بعد ذلك لتأييد الموحدين[(٣)]وصاحبهم عبدالمؤمن، ومازال عبدالملك وأبناؤه من شيعتهم وعمالهم حتى توفي سنة: (٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)[(٤)].

وقد عرف عنه تشجيعه للعلم ومساهمته فيه، ففي أواخر حكم المرابطين قدم عليه حافظ الأندلس أبومحمد عبدالله الحجاري سنة: (٥٣٠هـ/ ١١٣٦م) ومدحه وصنف له كتاب "المسهب في غرائب المغرب" صنفه في ستة أسفار ابتداء من فتح الأندلس إلى سنة قدومه على عبدالملك بن سعيد سنة: (٥٣٠هـ/ ١١٣٦م) وثار في نفس عبدالملك إكمال كتاب المسهب وأضاف ما غفل عنه الحجاري فكان الكتاب هو النواة الأولى لكتاب المغرب الذي تعاقبتْ على إكماله أسرة بني سعيد[(٥)].

ومن أسرته نذكر محمد بن عبدالملك كان مقدماً عند يحي بن غانية[(٦)] آخر ولاة المرابطين على الأندلس، ودخل مع أبيه في طاعة الموحدين فجعله وزيراً له وولاه

---

(١) محمد الأنصاري: **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره**، ص٧١.

(٢) ابن سعيد المغربي: **المغرب في حُلى المغرب**، ص٢.

(٣) محمد عوض: **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص١٨٣.

(٤) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢

(٥) المقري: **نفح الطيب**، ٢/ ٣٢٩ محمد الأنصاري: **المرجع السابق**، ص٧٢.

(٦) يحي بن علي ابن غانية:،تعلم يحي الفقه والدين واتصف بالدين والورع وكان يضرب به المثل في الشجاعة، وجهة يوسف بن تاشفين إلى الأندلس لولاية بعض مدنها، فولي بلنسية ثم قرطبة وغزا عدة غزوات بقي إلى آخر دولة المرابطين، لم يذكر المؤرخون سنة وفاته، المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ٣٨٥، ٣٨٦، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢١/ ٧٣، ٧٤.

أعمال أشبيلية وغرناطه(١).

وعلى يده بُنِيَ الجامع الأعظم باشبيلية وقد مدحه الرصافى بقصيدة منها:

إن الكـرام بنـى سـعيد كلـهُمُ ورثوا العُلا والمجدَ أَوْحَدَ أوحدا
قسموا المعـالى بالسواء وفضلوا فيهـا عمادهـم الكبـير محمـداً

وتولى للموحدين أعمالاً كثيرة منها: توليه عمل غرناطة إلى أن أمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبوالحسين وذلك سنة: (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) ثم عفا عنهما في آخر الأمر(٢).

وقد سار محمد على نهج أبيه في تشجيع العلم فواصل الاهتمام بالإضافة على كتاب الحجاري "المغرب " كما شجع رجال العلم والشعر فقصده الرصافى والذي مدحه كما أوردنا وبالغ في مدحه وتعظيمه(٣).

ومن أسرته الشاعر أبوجعفر أحمد بن عبدالملك هو شقيق محمد بن عبدالملك، كان والده كثير الإعجاب به خاصة بأشعاره ويقدمه على سائر أهله، وقد اتخذه عثمان بن عبدالمؤمن صاحب غرناطة وزيراً له، وكان أحمد شاعراً مبدعاً فمن شعره قوله:

قـل لحـريص إن يرانـى مقيـداً بخدمته: لايجعل البازفي القفص(٤)

وقد تعلق بالشاعرة حفصة الرّكونية وكانت بينهما مراسلات ومساجلات ومن مصادفات القدر أن عثمان بن عبدالمؤمن كان يهوى حفصة، وكان أسود اللون، فبلغه ما قاله أبو جعفر لحفصة "ما تحبين في ذلك الأسود وأنا أقدر أن أشترى لك من

---

(١) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، ص٢.

(٢) محسن العيادى: ابن سعيد الأندلسى حياته وتراثه الفكرى والأدبى،ص ٦٢، ٦٣.

(٣) محمد الأنصاري: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، ص٧٣.

(٤) محسن العيادى: المرجع السابق، ص٦٣.

السوق بعشرين ديناراً خيراً منه ".

فأسرها عثمان في نفسه ومكث ينتظر الفرصة المناسبة للقضاء على أبي جعفر، وجاءت الفرصه بفرار عبدالرحمن أخو أبي جعفر إلى ابن مردنيش الثائر على الموحدين في شرقي الأندلس، فاتخذ عثمان من هذا الأمر سبباً لقتل أبي جعفر وضرب عنقه[(١)] وأضاف أبوجعفر زيادات إلى كتاب المغرب، وكان شاعراً يميل إلى ألوان مختلفة من الأدب مما أتاح له الاهتمام بكتاب المغرب[(٢)].

ومن أسرة ابن سعيد وله التاثير الأكبر عليه والده موسي بن محمد بن عبدالملك، فقد ظل في طاعة الموحدين هو وبنوسعيد فلما اضطرب حال الأندلس بسرعة بعد معركة العقاب سنة: (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) واهتزت مكانة الموحدين، خرج عدد من الطامعين بالحكم، الثائرين على الموحدين منهم محمد بن هود الذي استقل بجزء من الأندلس وتلقب بالمتوكل (حكم من ٦٢١ - ٦٣٥هـ/ ١٢٢٤- ١٢٣٨م)، فكثر عدد مبايعو المتوكل ابن هود ومنهم موسى بن عبدالملك[(٣)] الذي دخل في طاعة ابن هود فولاه الجزيرة الخضراء فانتقل إليها بأهله وولده وظل بولايته على الجزيرة الخضراء حتى قتل المتوكل ابن هود[(٤)].

والواقع أن موسى لم يظل متمسكا بولايته على الجزيرة الخضراء بعد وفاة المتوكل بن هود وذلك نتيجة للفوضى التى أصابت الأندلس، لذلك قرر موسى الرحيل مع ابنه علي من الأندلس سنة: (٦٣٨هـ/ ١٢٤١م)[(٥)].

---

(١) ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ص٢.

(٢) محمد الأنصاري: **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق**، ص٧٤.

(٣) ابن سعيد المغربي: **رايات المبرزين وغايات المميزين**، ص١٥.

(٤) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص٤٧١.

(٥) ابن سعيد المغربي: **رايات المبرزين وغايات المميزين**، ص١٥.

وكان موسى عالماً بارعاً في العديد من الفنون ولاسيما فنون الأدب[(١)] وبلغ من حبه للعلم واكتساب المعرفة ما ذكره علي بن موسى عن أبيه، من شغفه بالعلم فقال: " ومّما شاهدت من عجائبه أنّه عاش سبعاً وستين سنة ولم أره يوماً يخلي مطالعة كتاب أوكَتْب ما يخلده، حتى إن أيّام الأعياد لا يخليها من ذلك، ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكَتْب، فقلت له: يا سيدي، أفي هذا اليوم لا تستريح؟ فنظر إلي كالمغضَب وقال: أظنك لا تُفلح أبداً، أترى الراحة في غير هذا؟ والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها، ولوددت أن الله تعالى يُضاعف عمري حتى أتم كتاب "المغرب " على غرضي "[(٢)].

وبلغ من شغف موسى بالعلم أيضاً ما ذكر في كتب المصادر على لسان ابنه علي أنه لما كان موسى والياً على الجزيرة الخضراء أبلغه أحد الأشخاص عن كراريس يمتلكها أحد النبهاء تحتوي على شعر الشعراء وأخبار الرؤساء الذين تشملهم دولة الموحدين، فأرسل إليه يستعيرها فأبى، "وقال: إن كانت له حاجة إليها يأت للاطلاع عليها فضحك موسى لما سمع، ذلك وقال لابنه علي: سر معى إليه، فقال له: ومن يكون هذا حتى نمشى له على هذه الصورة؟ فقال لى: إني لا أمشي إليه، ولكن أمشي إلى الفضلاء الذين تضمنت الكراريس أشعارهم وأخبارهم، أتُرَاهم لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أنفت أن أمشى إليهم؟ فقال علي: لا، فقال: إن الأثر ينوب عن العين، وذهبا فاطلعا عليها، وشكر موسي صاحبها، ثم قال لابنه: " إنى سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية، وإن هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها "[(٣)] وكان لموسى نصيباً كبيراً في إكمال كتاب

---

(١) محمد عوض: **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص١٨٣.

(٢) المقري: **نفح الطيب**،٢/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ص٤، ٥، ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص٦، ٧.

المغرب ويعتبر من أكثر بني سعيد اهتماماً بالتاريخ وأعلمهم به[(١)]

ومما سبق نجد أن أسرته تمتعت بمكانة علمية وقيادية كبيرة مكنتها من الإسهام في حركة التأليف بإنتاج كتاب المغرب وكما كان لها التأثير الأكبر على شخصية علي بن سعيد المغربي وعلى وجه الخصوص والده.

**علم ابن سعيد:**

لم يؤلف علي بن سعيد برنامجاً يضمن أسماء العلماء الذين رحل إليهم وأخذ منهم العلم، مثل: التجيبي السبتي، الذي ألّف برنامجا يتضمن أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم،كما لم يتطرق في رحلته لعلماء مصر الذين أخذ عنهم، كما تطرق الرحالة الآخرون كالعبدري، وابن رشيد، والبلوي، ولا نعرف من علمائه إلا ماورد من شذرات في المصادر من أنه قرأ الأدب والنحو على أبي علي الشلوبين[(٢)] من أعلام إشبيلية، وأبي الحسن الدباج[(٣)]، وأبي الحسن بن عصفور[(٤)]

(١) محمد الأنصاري: **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق**، ص٧٥.

(٢) **أبو علي الشلوبين**: هو عمر بن محمد بن عمر الأزدي الأندلسي الإشبيلي النحوي، ولد في سنة(٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) في إشبيلية وتلقى العلم من العالم أبي بكر بن محمد بن خلف وعبد الله بن زرقون وغيرهم، كان أبو علي الشلوبين من أكبر علماء العربية، تصدر لقراءة النحو نحو ستين عاماً، توفي في صفر سنة( ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) في إشبيلية، وعمره ثلاثاً وثمانين عاماً، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢٣/ ٢٠٧، ٢٠٨، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٢٨٥، ٢٨٦، السيوطى: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ٢/ ١٨٧، ١٨٨، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٥/ ٣٥٦.

(٣) هو العالم أبو الحسن علي بن جابر، نحوي مقري، أخذ القراءات عن العالم أبي بكر بن صاف والعربية من العالم أبى ذر بن أبي ركب، تصدر العالم أبو الحسن الدباج لتدريس القراءات والعربية نحو خمسين عاما، ولد في سنة(٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) وتوفي في شعبان سنة(٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) في إشبيلية الذهبي: **المصدر السابق**، ٢٣/ ٢٠٩، الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، ٣/ ٢٥٥، السيوطي: **المصدر السابق**، ٢/ ١٢٩، ابن العماد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٤) هو علي بن عبد المؤمن بن محمد بن علي، ولد في سنة(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) في إشبيلية، أخذ عن العالم أبي ⇐

والأعلم البطليوسى[(١)].

## صفاته:

أشاد لسان الدين ابن الخطيب بعلي بن سعيد فقال: " هذا الرجل وُسْطَى عقد بيته، وعَلَم أهله، ودّرة قومه المصنف الأديب، الرحال، الطُّرفة، الإخباري، العجيب الشأْن في التجول في الأوطان، ومدخلة الأعيان، والتمتع بالخزائن العلمية، وتقليد الفوائد المشرقية والمغربية "[(٢)].

وقال عنه ابن مخلوف " العالم المؤلف الأريب الرحال الإخباري العجيب، آية الزمان في الحفظ والإتقان "[(٣)].

فعلي بن سعيد كان واسع الاطلاع، غزير المادة، كثير الحفظ مع التضلع في فنون الأدب، فضلا عن معرفته بأخبار ديار الإسلام[(٤)].

## رحلات ابن سعيد:

بعد أن ترك موسى بن عبدالملك إقليم الجزيرة الخضراء إثر الفوضى التي ألمت بالأندلس، رحل هو وولده علي إلى تونس، وأقاما عدة أشهر بها، في كنف ابن عم

---

= الحسن الدباج وأبي علي الشلوبين، وقام بتدريس العربية في إشبيلية وشريس ومالقة ولورقة ومرسية، توفي في تونس في ٢٤ ذي القعدة سنة(٦٦٣/ ٦ سبتمبر ١٢٦٥م) وقيل سنة(٦٦٩هـ/ ٣ يوليو ١٢٧١م)، الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٢٢/ ١٦٥، الكتبي: **فوات الوفيات**، ٣/ ١٠٩، ١١٠، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٥/ ٤٧٢، ٤٧٣.

(١) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط ١، ٤/ ١٥٣، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٣٠٢، السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ٢/ ٢٠٩، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٤٨٠، ابن القاضي: **ذيل وفيات الأعيان**، ٣/ ٢٤٠، ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ١/ ٤٨٣.

(٢) ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ط ١، ٤/ ١٥٣.

(٣) ابن مخلوف: **المصدر السابق**، ١/ ٤٨٣.

(٤) محسن العيادى: **ابن سعيد الأندلسي**، ص١٣٧.

الرحاله علي بن سعيد المغربي[١] ودخلا في خدمة أميرها أبي زكريا الحفصي[٢].

وخلال هذه الفترة تولى علي بن سعيد قراءة المظالم لأبي زكريا الحفصي بفضل وساطة ابن عمه أبي عبدالله بن الحسين بن سعيد قائد الأمير، لكن ابن عمه أبا عبدالله بن الحسين بن سعيد انقلب ضده وأخذ يسعى ضده لدى الأمير حتى نجح في تأخيره عن قراءة المظالم، وعلى الرغم من تأليف علي ابن سعيد عدة قصائد لاسترضاء ابن عمه يمدحه فيها ليعود لسابق عهده إلا أن محاولاته لم تنجح، والسبب في ذلك يعود لعلاقة علي بن سعيد بالوزير ابن جامع وتقربه منه، فأخذ ابن جامع يتوسط لابن سعيد عند الأمير ويكثر من مدحه على الرغم من الصحبة بين ابن عمه والوزير ابن جامع [٣].

ومما يدل على هذا السبب ما ذكر من قول علي بن سعيد الذى نقل في كتاب "نفح الطيب ": " وكان سبب التغير بيني وبين ابن عمي الرئيس المذكور أن ملك إفريقية استوزر لأشغال الموحدين أبا العلاء إدريس بن علي بن أبي العلاء ابن جامع، فاشتمل علي، وأولاني من البر ما قيدني وأمال قلبي إليه، مع تأكيد ما بينه وبين ابن عمي من الصحبة، فلم يزل ينهض بي، ويرفع أمداحي للملك، ويوصل إليه رسائلي، منبها على ذلك مرشحاً، إلى أن قبض الملك على كاتب عسكره، وكان يقرأ بين يديه كتب المظالم، فاحتيج إلى من يخلفه في ذلك، فنبه الوزير على، وارتهن في، مع أني كنت من كتاب الملك، فقلدني قراءة المظالم المذكورة، وسفر لي الوزيرُ عنده في دار الكاتب

(١) فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ص٤٥١.

(٢) يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس، فقد استقل بإمارة تونس بعد أن عزل أخاه أبا عبدالله ابن أبي محمد بن أبي حفص، وأعلن عدم تبعيته للموحدين واتجه إلى توسيع دولته فمد سلطانه من مقره في طرابلس إلى قسطنطينة وبجاية وتلمسان، وتوفي أبو زكريا في سنة: (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير**،٢/ ٨٧٥، ٨٧٦، أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،٤/ ٣٠١، ٣٠٢.

(٣) محمد الأنصاري: **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق**، ص٩٠، ٩١.

المؤخر، فأنعم بها، فوجد الوشاة مكاناً متسعاً للقول، فقالوا وزوروا من الأقاويل المختلفة ما مال بها حيث مالوا، وظهر منه مخايل التغيير، فجعلت أداريه وأستعطفه، فلم ينفع فيه قليل ولا كثير إلى أن سعى في تأخير والدي عن الكَتَبْ للأمير الأسعد أبي يحي ابن ملك إفريقية ثم سعى في تأخيري، فأخرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم " فأصبح علي بن سعيد كاتباً للوزير ابن جامع وتولى جميع أموره، ولكن ابن عمه مازال يسعى ضده فخشي علي بن سعيد على نفسه، وأن لا يتمكن الوزير ابن جامع من حمايته، فرغب بالذهاب للمشرق، ولكن الوزير ابن جامع لامه على عدم ثقته به ولم يسمح له بالرحيل، فظل علي ابن سعيد في حمايته حتى توفي الوزير ابن جامع فقرر عند ذلك علي بن سعيد الرحيل للمشرق لأداء الحج مع والده[1]فقام برحلتين على أرجح الآراء، الرحلة الأولى كانت مع والده اتجه فيها إلى مصر فدخلا الإسكندرية سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م) وفي الإسكندرية توفي والده، فاتجه علي ابن سعيد إلى القاهرة ولقي بها إيدمر التركي والبهاء زهير وجمال الدين ابن يغمور وكمال الدين بن العديم: رسول صاحب حلب الناصر، وأقام علي بن سعيد في مصر أربع سنوات ثم اتجه في سنة: (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) إلى حلب واتصل بصاحبها الناصر فأكرمه ووعده بالمساعدة ووهبه من الخلع والدنانير ما لا يعد، وقد تعرف علي ابن سعيد في خلال ذلك على عدد من رجال السيف والقلم ممن يعملون لدى الناصر ثم تحول علي ابن سعيد إلى دمشق، ودخل مجلس السلطان المعظم ابن الملك الصالح بدمشق، ثم رحل إلى بغداد عقب سنة: (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) ثم رحل إلى البصرة وحج، ثم عاد إلى إقليبية بتونس سنة: (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) واتصل بخدمة صاحب تونس الأمير أبي عبدالله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة عنده، ثم عاود الحنين علي ابن سعيد للرحيل مرة أخري إلى المشرق[2].

---

(١) المقري: **نفح الطيب**، ٢/ ٢٧٧-٢٨٠.

(٢) ابن الخطيب: **الإحاطة**،ط١، ٤/ ١٥٥ - ١٥٨، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٣٠٢، السيوطي: =⇦

فكانت هذه الرحله الثانية له حيث ارتحل فيها علي ابن سعيد من تونس سنة: (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) فدخل الإسكندرية وسأل عن صاحب حلب الناصر[(١)] فأخبر بما جرى له من التتار وأعطاه الأمان ثم قتله، فحزن علي ابن سعيد على ذلك، وما تعرضت له مدينه حلب من التخريب، وقرر الرحيل إلى هولاكو ليؤثر عليه بعلمه ويثنيه عن مهاجمة ديار الإسلام، فرحل إلى أرمينيه وأتته الفرصة لمقابلة هولاكو، فمكث فترة ضيفاً عليه حتى أتت هزيمة التتار في عين جالوت سنة: (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠ م) فرحل علي بن سعيد إلى إيران ثم عاد إلى تونس[(٢)].

ومما قاله عن وصفه لمدينة القاهرة في مصر: " هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغى أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته؛ لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العُبيديين، وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط، وخطب له في البحرين من جزيرة العرب عند القرامطة وفي مكة وفي المدينة وبلاد اليمن وما جاورها، وعلت كلمته "[(٣)].

ويقول علي بن سعيد عن دروب القاهرة وأزقتها في موضع آخر: "وأكثر دروب

---

= **حسن المحاضرة**، ١/ ٤٨٠، ابن القاضي: **ذيل وفيات الأعيان**، ٣/ ٣٤١،٣٤٠، ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ١/ ٤٨٣، نقولا زيادة: **الجغرافية والرحلات عند العرب**، ص١٧٠،١٦٩، بطرس البستاني: **دائرة المعارف**، ١/١٨/٥ - ٥١٩، آنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٢٤٤.

(١) هو السلطان الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر، غازي بن صلاح الدين يوسف، ولد في سنة: (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، ومنحه السلطان الكامل حكم بلاد حلب، واستطاع في سنة: (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) يضم إلى ملكه دمشق وحاول أخذ مصر فلم يتم له الأمر، كان جواداً، حسن الأخلاق، كثير الحلم ومحباً للأدب والعلم، وقع أسير في قبضة المغول وقتل على يد هولاكو في سنة: (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢٣/ ٢٠٤- ٢٠٦، **تاريخ الإسلام**، ١٤/ ٩٢١- ٩٢٤، اليافعي: **مرآة الجنان**، ٤/ ١١٥، ١١٦.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: **التاريخ والمؤرخون العرب**، ص٢٢٤،٢٢٣.

(٣) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٢.

القاهرة ضيقة مظلمة، كثيرة التراب والأزبال، والمباني عليها من قصب وطين، مرتفعة، قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينها، لم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ حالاً منها في ذلك ولقد كنت إذا مشيت فيها يضيق صدرى، وتدركنى وحشة عظيمة، حتى أخرج إلى بين القصرين "[1]، وقد ترك لنا علي ابن سعيد وصفاً نفيساً لما كانت عليه الحياة في مصر فوصف أزقتها وشوارع المدينة وأبنيتها وتحدث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها[2].

ومن وصفه للحياة الاجتماعية في القاهرة قوله: " بأنها مستحسنة للفقير وذلك لوجود أماكن الفرجة والطرب، فقد يرقص الواحد منهم في السوق أويسكر من الحشيش[3]لكن المقريزي علق على ذلك بقوله: "وفيه تحامل كثير "[4].

الواقع أن أسلوب علي بن سعيد في رحلته أسلوب بسيط وواضح، مبتعداً فيه عن الاستطراد والتكلف والسجع.

**مؤلفاته:**

يعتبر علي بن سعيد من أخصب الكتاب إنتاجا فقد ألَّف في مجال الجغرافيا والرحلات والأدب والتاريخ مما أدى إلى ارتفاع شأنه في تلك العلوم والفنون ومن مؤلفاته:

١ - المشرق في حلى المشرق[5].

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٤.

(٢) نقولا زيادة: **الجغرافية والرحلات عند العرب**، ص١٦٩، ١٧٠.

(٣) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٣٠.

(٤) نقولا زيادة: **المرجع السابق**، ص١٦٩، ١٧٠

(٥) الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**، ٣/ ١٠٣، الزركلى: **الأعلام**، ٥/ ١٧٩، شاكر خصاك: **كتابات مضئية في التراث الجغرافي العربي**، ص١٩٢.

٢ – المغرب في حلى المغرب. صنف الكتاب في أربع مجلدات طبع منها جزءين وهو من تصنيف أسرة بنى سعيد كما ذكرنا عند الحديث عن أسرته كان آخرهم ابن سعيد [(١)].

٣- المرقصات والمطربات.

وهو كتاب صغير الحجم يشتمل على قطع من النظم والنثر في أخبار المغرب[(٢)] طبع هذا الكتاب أولاً في القاهرة عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ثم أعيد طباعته مره أخرى في الجزائر عام ١٩٤٩م / ١٣٦٨ هـ [(٣)].

٤- المرزمة.

"يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس، لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله-عز وجل- "[(٤)].

٥- الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد (أي في تاريخ بيته وبلده) [(٥)].

٦- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب.

وهو يتعرض لتاريخ العرب في الجاهلية[(٦)].

---

(١) الزركلي: **الأعلام**، ٥/ ١٧٩.

(٢) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط١، ٤/ ١٥٣، ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**،١/ ٤٨٣، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٣٠٢، ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص١٩.

(٣) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص١٩.

(٤) ابن الخطيب: **المصدر السابق**،ط ١، ٤/ ١٥٣، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ص٣٠٢، ابن القاضي: **ذيل وفيات الأعيان**، ٣/ ٢٤٠.

(٥) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٤٨٠، ابن القاضي: **المصدر السابق**، ٣/ ٢٤٠، الزركلي: **المرجع السابق**، ٥/ ١٧٩.

(٦) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص١٩، محمد عوض: **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص١٨٤ – ١٨٥.

٧- رايات المبرزين وغايات المميزين.

يضم الكتاب مجموعة من مختارات الشعر، انتقاه من كتاب المغرب وأهداه إلى أبي الفتح جمال الدين موسى بن يُغمور [١]، والكتاب ينقسم إلى قسمين القسم الأول تحدث فيه ابن سعيد عن شعراء وسط الأندلس وغربه وشرقه، والقسم الثاني عن شعراء إفريقية " مراكش، والمغرب الأوسط وتونس وصقلية، وضم الكتاب الحديث عن مئة وأربعين شاعراً أورد المؤلف لهم أربع عشرة مقطوعة من الشعر، والشعراء مرتبون بحسب مدنهم ومراتبهم ومرتبون ترتيباً زمنياً بحسب العصور التي ظهروا فيها، ويتناول الفترة الواقعة بين زوال خلافة قرطبة والقرن الثالث عشر الميلادي / القرن السابع الهجري [٢] وتوجد نسخة من الكتاب محفوظة في مكتبة استانبول [٣].

٨ - المقتطف من أزاهر الطرف.

يشتمل على الحكم التي نطق بها بعض الأعلام وعلى نخبة من المؤشحات الأندلسية [٤]، توجد منه نسخة في مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٤٠٠ وهي ناقصة في أولها، كما توجد نسخة أخرى في سوهاج ناقصة في آخرها، وتحتفظ مكتبة الجامعة العربية بصورة فوتوغرافية للنسخة الأخيرة تحت رقم ٤٨٦ [٥]

---

(١) هو جمال الدين بن يغمور الباروقي موسي ولد بالصعيد سنة( ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) وكان من أجل الأمراء، ولي نيابة مصر ودمشق وتوفي في شعبان سنة(٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م) ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٥/ ٤٥٢، الذهبي: **العبر**، ٣/ ٣٠٨.

(٢) آنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص١٣٥ - ١٣٦.

(٣) ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص٢٣.

(٤) ابن سعيدالمغربي: **المغرب في حلي المغرب**، ص٨.

(٥) ابن سعيدالمغربي: **الجغرافيا**، ص٢١.

٩- عدة المستنجز وعقلة المستوفر.

فيه ذكر علي بن سعيد عن رحلتهُ الثانية من تونس إلى المشرق وأورد فيه غرائب وبدائع وأشعار [١].

١٠- لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام، يقع في جزأين، وهو كما يدل عنوانه يتعرض لتاريخ الأمم العجمية التي اعتنقت الإسلام [٢].

١١- الغرة الطالعة في شعراء المئة السابعة.

هو كتاب يتناول شعراء الأندلس في القرن السابع الهجري / ١٣ الميلادي[٣].

١٢- القدح المعلى في التاريخ المحلى.

يحتوي على تراجم لشعراء الأندلس في عصر المؤلف وتحتفظ المكتبة القومية بباريس بنسخة خطية منه[٤].

١٣- النفحة المسكية في الرحلة المكية.

ويحتوي على وصف لرحلة علي ابن سعيد لمكة عندما قدم لأداء فريضة الحج[٥].

---

(١) ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص٢٢، الزركلي: **الأعلام**، ٥/ ١٧٩، نقولا زيادة: **الجغرافيا والرحلات عند العرب**، ١٦٩ - ١٧٠ بطرس البستاني: **دائرة المعارف**، ١/ ٥٢٢.

(٢) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢٠، محمد عوض: **الجغرافيون والرحالة المسلمون**، ص١٨٤ - ١٨٥.

(٣) السيوطي: **بغية الوعاة**، ٢/ ٢٠٩ - ٢١٠، آنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٢٤٧.

(٤) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢٠، الزركلي: **المرجع السابق**، ٥/ ١٧٩، محمد عوض: **المرجع السابق**، ص١٨٤.

(٥) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢١، عبد الرحمن حميدة: **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ص٤٩١.

١٤- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة[(١)]

تحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة مصورة من الكتاب وبالنسخة الأصليه بخط المؤلف[(٢)].

١٥- كنوز المطالب في آل أبي طالب.

وجاء الكتاب بخط علي ابن سعيد في أربع مجلدات[(٣)].

١٦- ملوك الشعر[(٤)].

١٧- ريحانة الأدب في المحاضرات.

جمع فيه علي بن سعيد بين عيون الآخبار ومستحسنات الأشعار[(٥)].

١٨- تاريخ ابن سعيد.

كتاب كبير الحجم،مرتب على السنوات وهو في الحقيقة عبارة عن كتابين في التاريخ أحدهما هذا الكتاب، والأخر تاريخ صغير ذكر فيه تراجم لمن لقيهم من معاصريه[(٦)].

١٩- حَلي الرسائل[(٧)].

٢٠ - كتاب الغراميّات.

---

(١) ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص٢٣، الزركلي: **الأعلام**، ٥/ ١٧٩.

(٢) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢٣.

(٣) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٢٢/ ١٥٨.

(٤) الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**، ٣/ ١٠٤.

(٥) حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ٢/ ٢٤٦.

(٦) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢٣، حاجي خليفة: **المصدر السابق**، ١/ ٣٢٨.

(٧) الصفدي: **المصدر السابق**، ٢٢/ ١٥٨

وذكر الكتاب عند حاجي خليفة باسم الغرابيات[(١)].

٢١ - كتاب الحلى بالأشعار.

٢٢ - حيا المحل وجني النحل[(٢)]

٢٣ - المعرب عن سيرة ملوك أهل المغرب[(٣)].

٢٤- نتائج القرائح في مختار المراثي والمدائح[(٤)].

٢٥ - الملتقط من السلك من حلي العروس الأندلسية [(٥)].

٢٦ - كتاب الجغرافيا أوبسط الأرض في الطول والعرض.

وقد اختلفت تسمية هذا الكتاب، ففى بعض الأحيان يسمى " وصف الكون " وأحياناً يسمى " كتاب الجغرافيا في الأقاليم السبع " وأحياناً أخرى يسمى كتاب " بسط الأرض في الطول والعرض " [(٦)].

وهناك اعتقاد بأن كتاب بسط الأرض في الطول والعرض هو كتاب الجغرافيا غير أن إسماعيل العربي محقق كتاب الجغرافيا لابن سعيد قد أثبت أن الكتابين مختلفين وأن كتاب بسط الأرض في الطول والعرض ما هو إلا اختصار لكتاب الجغرافيا[(٧)]،أما المصادر التي اعتمد عليها ابن سعيد في كتاب الجغرافيا، فقد اعتمد إلى حدٍّ كبير على

---

(١) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٢٢/ ١٥٨، حاجي خليفة: **كشف الظنون**،١/ ٣٢٨.

(٢) ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص٢٢ - ٢٣.

(٣) حاجي خليفة: **المصدر السابق**، ١/ ٣٥٢.

(٤) حاجي خليفة: **المصدر السابق**، ٣/ ٤٥٨.

(٥) حاجي خليفة: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٦٤.

(٦) محسن العيادي: **ابن سعيد الأندلسي**، ص٢٤٣.

(٧) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢٥، محمد عوض: **الجغرافيون والرحالة المسلمون**، ص١٨٤ - ١٨٥

الإدريسي، وعلى المعارف الجغرافية اليونانية مثل ما ألفه بطليموس القلوزى " المجسطى "، واعتماده على أحد الرحالة الذين فقدت مؤلفاتهم وهو ابن فاطمة، بالإضافة إلى اعتماده على المشاهدة الشخصية(١).

وكتاب الجغرافيا هذا هو الكتاب الذي نقل منه القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ونقل منه أبوالفداء في كتابه تقويم البلدان(٢)، وقد وثق أبوالفداء في كتاب الجغرافيا أول الأمر ثم تبين مابه من أخطاء فصححها(٣).

وبجانب هذه المصنفات المختلفة كان علي ابن سعيد شاعرًا فترك ديواناً رآه المقرى، ونقل منه كثيراً في ترجمته له(٤).

وما بقى من مؤلفات علي بن سعيد قليلاً بالمقارنة بمؤلفاته الأخرى التي أصابها الضياع والاندثار، وليس بغريب عن ابن سعيد تأليف هذا العدد من المؤلفات، وقد عاش نيفاً وسبعين سنة، قضى معظمها في الأسفار، والبحث والتدوين، ومخالطة العلماء، وارتياد المكتبات في مختلف عواصم المشرق والمغرب (٥).

**منهج ابن سعيد:**

أما منهج علي بن سعيد فنذكر ما قاله الدكتور علي الدفاع:

"وخلاصة القول أن نهج أبي الحسن علي بن سعيد يمتاز عن غيره بسلامة الوصف، ومتانة الأسلوب، ودقة التعبير، فهو لا يطنب ولا يستطرد، عرف بغزارة

---

(١) محمد عوض: **الجغرافيون والرحالة المسلمون**، ص١٨٤ - ١٨٥.

(٢) عمر و منير: **مصر والعمران بين كتابات الرحالة والموروث الشعبى في القرنين السادس والسابع الهجريين**، ص٧٨.

(٣) عبد الرحمن حميدة: **أعلام الجغرافيين العرب**، ص٤٩١.

(٤) ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ص٨.

(٥) ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص٢٧.

المادة، ورسوخ العلم، ورحابة الصدر، وطول الأناة، وهو علم من أعلام الفكر العربي والإسلامي "[١].

وتظهر لنا شخصية الرحالة علي بن سعيد المغربي من خلال ما قدمنا سابقا عنه ومدى العلم الذي تلقاه من والده والذي أثر على شخصيته، فقدم العديد من المؤلفات، ومن ضمنها رحلته إلى مصر والتي امتازت بإسلوبها السهل السلس البعيد عن الاستطراد.

**وفاته:**

أما وفاة علي بن سعيد، فقد اختلفت المصادر في مكان وفاته وسنة الوفاة، فالقول الأول: أن ابن سعيد توفي بعد عودته من رحلته في تونس سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)[٢]، أما القول الآخر: أن ابن سعيد توفي في دمشق في يوم السبت الحادي عشر من شهر شعبان سنة: (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) [٣].

ولترجيح أحد القولين نرجح ما قاله الدكتور شوقي ضيف: " أما مايزعمه ابن شاكر وابن تغرى بردى من أنه توفي سنة: (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) بدمشق فغير صحيح لسببين، أما أولهما فهو أن ابن الخطيب والمقرى وابن فرحون وكلهم من مؤرخي المغرب يتفقون على أنه توفي سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ويوافقهم في ذلك السيوطي في حسن المحاضرة. وأما ثانيهما: فهو أن في دار الكتب المصرية مصورة عن أصل لأحد كتبه بخطه وهو كتاب (الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة

---

(١) علي الدفاع: **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية**، ص١٩١.

(٢) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط ١، ٤/ ١٥٨، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٤٨٠، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٣٠٢، ابن القاضي: **ذيل وفيات الأعيان**، ٣/ ٢٤١، المقري: **نفح الطيب الرطيب**، ٢/ ٢٧٤.

(٣) الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**، ٣/ ١٠٤، الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٢٢/ ١٥٨، جمال الدين تغري بردي: **المنهل الصافي**، ٨/ ٢٢٩.

السابعة) وفي نهايته أنه كتب سنة: (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) "[1].

وبذلك يتضح لنا ترجيح وفاته في سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

---

(١) ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ص٨.

# المبحث الثاني

## ابن رشيد ( ٦٧٥ - ٧٢١هـ/ ١٢٥٨ - ١٣٢١م ) ، حياته ورحلاته ومؤلفاته

### ابن رشيد الفهري:

هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن إدريس بن عبدالله بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد الفهري، يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن رشيد[(١)] ولد ابن رشيد في سبته[(٢)] في شهر رمضان سنة: (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩ م[(٣)] ويذكر المقري بأن ابن رشيد ولد سنة: (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) أوسنة: (٦٥٩ / ١٢٦١م)[(٤)].

---

(١) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**،ص ٢٨٩، العسقلاني: **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، ٤/ ٢٢٩، ابن تغري بردي: **الدليل الشافي**، ٢/ ٦٦٩، ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ١/ ٥٣٢، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٤٠٠، آنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ٣١٨.

(٢) **سبتة**: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب مابين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية على ماقيل لأنها ضاربة في البحر داخلة كدخول كف على زند، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ٥/ ١٧.

(٣) ابن فرحون: **المصدر السابق**، ص٤٠١، العسقلاني: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٣٠، ابن مخلوف: **المصدر السابق**، ١/ ٥٣٢، ويذكر محمد الشوكاني بأن ابن رشيد ولد في جمادى الأول سنة: (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) (محمد الشوكاني: **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ٢/ ١١٨).

(٤) المقري: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ٢/ ٣٤٧.

## علم ابن رشيد:

كانت مدينة سبتة في فترة أزدهارها العلمي تضم عدد من مشاهير العلم سواء من المغرب أوالأندلس، فنشأ ابن رشيد في هذه المدينة العلمية وتلقي العلم فيها على يد أشهر علمائها أبوالحسن بن أبي الربيع[١]، الذي برع في علوم اللسان [٢]فأخذ عنه ابن رشيد ثقافته في علوم اللغة العربية[٣]وقرأ عليه بالقراءات السبع بمضمن كتاب التيسير، وقيَّد عنه تقييدًا مفيدًا على كتاب سيبويه[٤]وقرأ أيضاً الكتاب العزيز على العالم علي بن محمد الكتامى بن الخضار [٥]بالمقارئ السبعة، وأخذ بالمرية في أثناء مروره بها

---

(١) هو عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي الملقب بابي الحسن، ولد في أشبيلية سنة: (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) وتوفي (في ١٦ صفر سنة: ٦٨٨هـ)، أخذ عن مجموعة من العلماء، وكان عالماً في الفقه وأصوله والقراءات والحساب والفرائض وإمامًا في النحو، أصله من قرطبة، وأخذ يتنقل في مدن الأندلس حتى استقر في سبتة التي توفي بها،ابن القاضي: **درة الحجال**، ٣/ ٧٠- ٧٢.

(٢) **علم اللسان**: هو علم يدرس ألفاظ اللغة وقوافيها والالفاظ التي تتكون منها اللغة نوعان مفردة ومركبة والمفردة هي التي تدل على أعلام أو على أجناس وأنواع، ويذكر الفاربي أن علم اللسان عند جميع الأمم ينقسم إلى سبعة أجزاء وهي "علم الالفاظ المفردة وتعني به علم المعاجم، وعلم الالفاظ المركبة ويعني به الكلام البليغ من شعر ونثر وخطابة، وعلم قوانين الالفاظ المفردة ويعني به علم فقه اللغة،، علم قوانين الألفاظ المركبه الذي يشمل علمى الصرف والنحو، علم قوانين الكتابة أو الخط، علم قوانين تصحيح القراءة، علم قوانين تصحيح الأشعار ويعني به علم العروض "، الفارابي: **إحصاء العلوم**، ص٨، ٩.

(٣) نواف الجحمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي**، ص٧٧.

(٤) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٨٩-٢٩٠، ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ١/ ٥٣٢، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٤٠٠.

(٥) العالم علي الكتامي: هو من علماء القراءات، ونحوي ماهر، عالماً بعلم الكلام وأصول الفقه، وأصله من تلمسان وانتقل منها إلى سبته، وفيها التقى الرحالة ابن رشيد وسمع عليه النحو، توفي في(٢٥ ربيع الآخر سنة: ٦٨٠هـ/ وقد قارب السبعين سنة)، السيوطي: **بغية الوعاة**، ٢/ ١٧٠، أحمد حدادي: **رحلة ابن**

عن الخطيب محمد ابن الصائغ والوزير الأديب أحمد بن محمد بن سليطور ونقل عنه من شعره[١] ورحل فأخذ ببجاية عن الحافظ أبي محمد عبد العزيز بن عمر القيسي ابن كحيلا نزيلها، وبتونس عن قاضي الجماعة بها أبا القاسم بن أبي بكر بن زيتون[٢]، ورحل ابن رشيد إلى المشرق فأخذ العلم عن عدد من أشهر العلماء، ففي الإسكندرية أخذ عن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن فارس التميمي، والصالح العدل أبي عبد الله ابن عبد الخالق ابن طرخان القرشي، وبالقاهرة أخذ عن الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، والأديب الصوفي شهاب الدين أبوعبد الله محمد بن عبدالمنعم الأنصاري، ابن الخيمي، نزيل إيوان الحسين ﷺ من القاهرة المعزية[٣]، كما لقي في مصر ابن دقيق العيـــد[٤] واستفاد منه كثيراً[٥]، ولقي في دمشق شيخ الشيوخ عز الدين أبي العز عبدالله بن علي الحراني، والمسند فخرالدين أبي الحسن بن علي بن عبدالواحد المقدسي وأبوالفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالملك المقدسي[٦] وأخذ بمكة عن العالم

---

= رشيد السبتي، ١/ ٢٧٠.

(١) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٩٠.

(٢) المقرى: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ٢/ ٣٤٨.

(٣) ابن القاضي: **المصدر السابق**، ٢٩٠

(٤) العالم ابن دقيق العيد: ولد في(٢٥ شعبان سنة: ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)، نشأ في قوص وحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي على يد والده، وأخذ عنه الحديث والأصول، كما تلقى العلم على يد عدد من العلماء الآخرين، ورحل في طلب العلم إلى القاهرة والإسكندرية ودمشق والحجاز، وعاد إلى قوص وقد درس الفقه على المذهبين المالكي والشافعي، وأصول الفقه والحديث وعلومه وعلم الكلام والتفسير والنحو واللغة والأدب، ودرس في المدرسة الفاضلية والكاملية والصالحية ودرس بقوص بدار حديث بنيت له، وفي سنة: (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) تولي قضاء الشافعية في مصر واستمر في منصبه حتي توفي سنة: (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، الأدفوي: **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**، ص٥٦٧-٥٩٩، أحمد بدوي: **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، ص١٦٧-١٦٩.

(٥) العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٤/ ٢٣٠.

(٦) المقري: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٤٩.

جار الله أبواليمن بن عساكر لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة(١)، وبالمدينة أخذ عن إمام النحو عفيف الدين أبومحمد عبدالسلام بن مزروع البصري وغيرهم من العلماء الذين أخذ عنهم في أثناء رحلته وقيدهم في رحلته (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة) (٢).

## صفاته:

تمتع ابن رشيد بعدد من الصفات المحمودة والتي اتفق المؤرخون في وصفها،" فهو الخطيب، المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد، فريد عصره: جلالة وعدالة وحفظاً وأدباً وسمتاً وهداياً(٣)واسع الأسمعة، عالى الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط تام العناية بصناعة الحديث، قيما عليها بصيراً بها محققا فيها، ذاكراً فيها للرجال، جامع للكتب، محافظاً على الطريقة، مضطلعا بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيهاً أصيل النظر ذاكراً للتفسير، ريان من الأدب، حافظاً للأخبار والتواريخ، مشاركاً في الأصلين عارفاً بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، متجملاً، كلف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة. كهفاً لأصناف الطلبة " (٤)، وكان ابن رشيد ورعاً متزهداً عن الدنيا، ذا هيبة ووقار، يسارع في قضاء حوائج الناس بجلب المصالح لهم ورد المفاسد عنهم، يؤثر على نفسه الفقراء والغرباء والطلبة، لا تأخذه في الله لومة لائم(٥).

كما كان ابن رشيد صادقا في عهوده، أميناً، كريم العشرة، باراً بأصدقائه، جامعاً

(١) ابن الخطيب: **الإحاطة**،ط ١، ٣/ ١٣٦.

(٢) المقري: **أزهار الرياض**، ٢/ ٣٤٩.

(٣) ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٤٠٠.

(٤) ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ط ١، ٣/ ١٣٥ – ١٣٦، السيوطي: **بغية الوعاة**، ١/ ١٧٥.

(٥) الذهبي: **ذيل تاريخ الإسلام**، ص٢١٥، أحمد حدادي: **رحلة ابن رشيد السبتي**، ١/ ٧٥.

للكثير من الفضائل والصفات الحسنة [١]، وقد تمتع ابن رشيد بسرعة البديهة والفصاحة، ومما يدل على ذلك ما ورد في كتب المؤرخين من موقف تعرض له عندما كان خطيباً بالجامع الأعظم بغرناطة، حيث قام ابن رشيد على المنبر ليخطب وقد ظن أن المؤذن الثالث قد فرع من أذانه، فخطب والمؤذن رفع صوته بالأذان فاستعظم بعض الناس ذلك وَهِمَ آخرون بإشعاره، وكلمه آخرون فلم يثنيه ذلك عما شرع من الخطبة، وقال قول ينم عن سرعة بديهة: أيها الناس، رحمكم الله، إن الواجب لا يبطله المندوب، وإن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم وتنبهوا وتذكروا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٢] فقد روينا عنه ﷺ أنه قال: "من قال لأخيه والإمام يخطب أنصت فقد لَغَا، ومن لَغَا فلا جُمُعَة له". جعلنا الله وإياكم ممن علم فعمل، وعمل فقبل، وأخلص فتخلص، وذلك الموقف يدل على سرعة بديهة ابن رشيد وبلاغته[٣].

## رحلات ابن رشيد:

لما بلغ ابن رشيد السادسة والعشرين من عمره، تاقت نفسه إلى أداء فريضة الحج وملاقاة علماء بلاد المشرق، ليكمل على أيديهم اختصاصه في علم الحديث، ويحصل منهم على أعالي الأسانيد فاستعد للرحيل[٤] وفي المرية إلتقي بصاحبه الوزير محمد ابن الحكيم سنة: (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) وكان قصدهما واحد فترافقا في السفر ودخلا إفريقية ومصر والشام، فأخذ ابن رشيد العلم من علماء هذه المدن وممن لقي من علماء الحجاز[٥]

---

(١) المقري: **أزهار الرياض**، ٢/ ٣٤٨.

(٢) سورة الحشر، آية رقم٧.

(٣) المقري: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢، ابن الخطيب: **الإحاطة**،ط١، ٣/ ١٣٧ - ١٣٨، ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٨٩.

(٤) محمد الفاسي: **ابن رشيد ورحلته إلى المشرق**، ص٣١ - ٣٢.

(٥) ابن القاضي: **المصدر السابق**، ص٢٨٩.

وبعد أداء فريضة الحج عاد في سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[(١)] إلى الاسكندرية ومنها إلى تونس، وكان رفيقه أبوعبدالله ابن الحكيم رجع قبله وقد أخذ عليه عهد إن مرّ بالأندلس، أن يزوره قبل عودته إلى أهله[(٢)]. فلم يقصد أهله ووطنه في ذلك؛ بل عزم ابن رشيد على الذهاب إلى رندة لملاقاة رفيقه أبي عبدالله ابن الحكم، وأخذ العلم من مشاهيرها وبعد ذهابه إلى رندة، قصد الجزيرة الخضراء ومنها أبحر إلى سبتة ودخل وطنه يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة: (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) بعد أن تغيب عنها ثلاث سنوات قضاها في الأخذ عن العلماء والبحث عنهم، وتصدر بعد ذلك للإقراء ببلده وبدأ صيته ينتشر وأقبل على تأليف الكتب المفيدة خصوصاً في العلم الذي تخصص فيه وهو علم الحديث[(٣)] فلما لم يعرف مقدار ابن رشيد في بلده سبتة، كتب إليه رفيقه أبوعبدالله ابن الحكيم[(٤)] لما علم بحاله يستدعيه إلى حضرة غرناطة ويعده بكل مأمول فلبى دعوته وانتقل إلى غرناطة حيث قدم للخطبة والصلاة بجامعها الأعظم[(٥)]، ثم لما توفي العالم أبوجعفر بن الزبير عن قضاء الأنكحة خلفه ابن رشيد في القضاء[(٦)] وبقى ابن رشيد على هذه الحال إلى أن وقع اغتيال رفيقه الوزير ابن الحكيم سنة: (٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م) فعزم على الرحيل إلى المغرب[(٧)] بعد أن تعرض لموقف أساءه من بعض السفهاء ضاق به صدره، وفي ذلك يقول ابن الخطيب: " تعرض إليه قوم، يوم قتل صديقه أبي عبدالله الحكيم بإذاية قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وترهم القتيل، فتخلص ولا تسل كيف، وأزمع

---

(١) حمد الجاسر: **أشهر رحلات الحج**، ص١٩.

(٢) عبد الله كنون: **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ص٧.

(٣) محمد الفاسي: **ابن رشيد ورحلته إلى المشرق**، ص٣٣-٣٤.

(٤) المقري: **أزهار الرياض**، ٢/ ٣٥٥.

(٥) عبد الله كنون: **المرجع السابق**، ص٨.

(٦) المقري: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٥.

(٧) عبد الله كنون: **المرجع السابق**، ص٨.

الرحيل فلم يلبث بعد ذلك "[(١)].

فارتحل ابن رشيد في أواخر سنة: (٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م) إلى فاس، فتلقاه أهلها وملكها بالبر والإكرام وتصدر للدرس بها، ووفدت عليه الفقهاء والمتفقهون من جميع المغرب، ثم شغرت وظيفة بمراكش من وظائف العلم والخطابة فتولاها لمدة سنة، ومات له معظم أولاده بسبب وباء وقع بها فضاق صدره[(٢)] ورحل عنها إلى مدينة فاس وفي ذلك يقول ابن القاضي "ثم استدعاه السلطان [(٣)]، إلى حضرة فاس فوردها وصار من خواص السلطان، وأقام على ذلك إلى أن توفي بفاس "[(٤)].

**مؤلفاته:**

لم يقتصر دور ابن رشيد على التدريس سواء كان ذلك بالجامع الأعظم بغرناطة أو التدريس في فاس أو مراكش أو تولي القضاء أو الإمامة أو الرحلة و الأخذ عن العلماء، ولكنه ألَّف العديد من الكتب في مختلف العلوم، فأثر بذلك ابن رشيد بإنتاجه العلمي في ميادين العلم والمعرفة وسنذكر مؤلفاته وفق العلوم التى تنتمي إليها:

**أ.النحو :**

١ - تقييد على كتاب سيبويه[(٥)].

٢ - تلخيص كتاب القوانين في النحو[(٦)].

---

(١) **الإحاطة**، ط١، ٣/ ١٤٢.

(٢) الذهبي: **ذيل تاريخ الاسلام**، ص٢١٥.

(٣) والسلطان الذي عاش ابن رشيد في كنفه، هو أبو سعيد المريني الأكبر ابن السلطان يعقوب المنصور المريني، وكان معروفاً بحبه للعلم والعلماء وتعظيمهم واحترامهم وهو الذي بنى مدرسة العطارين بفأس وغيرها (عبد الله كنون: **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ص١١).

(٤) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٩١.

(٥) ابن القاضي: **المصدر السابق**، ص٢٩٠، عمر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣/ ٥٦٧.

(٦) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٤/ ١٩٩، الذهبي: **المصدر السابق**، ص٢١٢.

**ب - البلاغة :**

١ - شرح التجنيس لحازم بن حازم الإشبيلي[١].

٢ - أحكام التأسيس في أحكام التجنيس[٢].

٣ - حكم الاستعارة[٣].

٤ - الإضاءات والإنارات في البديع[٤].

**ج - العروض :**

١- وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي[٥].

٢- جزء مختصر في العروض[٦].

**د - التراجم :**

١- إيضاح المذاهب في تعيين من ينطلق عليه اسم الصاحب[٧].

٢- ترجمان التراجم على أبواب البخاري[٨].

---

(١) ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ١٠/ ٢٥٢، السيوطي: **بغية الوعاة**، ١/ ١٧٦.

(٢) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٩٠، عمر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣: ٥٦٧

(٣) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٤/ ١٩٩، ابن مخلوف: **شجرة النور**، ١/ ٥٣٣.

(٤) المقري: **أزهار الرياض**، ٢/ ٣٥٠.

(٥) عمر كحالة: **المرجع السابق**، ٣/ ٥٦٧.

(٦) المقري: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٠.

(٧) ابن تغري بردي: **المصدر السابق**، ١٠/ ٢٥٢، الصفدي: **المصدر السابق**، ٤/ ١٩٩، السيوطي: **ذيل طبقات الحفاظ للذهبي**، ص٢٣٦.

(٨) الشوكاني: **البدر الطالع**، ٢/ ١١٨، السيوطي: **المصدر السابق**، ص٢٣٦، عبد الحي الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات**، ١/ ٤٤٤.

٣- وله شروح وتعليقات على كتب الضبى وابن الأبار [١].

**هـ الأسانيد :**

١- إفادة النصيح في مشهور رواة الصحيح[٢].

٢- السنن الابين في السند المعنعن[٣].

٣- مسالة العنعنة و المحاكمة بين الإمامين [٤].

٤- الصراط السوي في اتصال سماع جامع الترمذي[٥].

**و- الفقه :**

١- جزء فيه حكم رؤية هلال شوال ورمضان[٦].

٢- المقدمة المعرفة في علو المسافة والصفة[٧].

٣- رحلته المسماة (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة) [٨].

وقد أثنى ابن الخطيب على رحلته بقوله: " فيها فنون وضروباً من الفوائد

---

(١) آنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٣١٩.

(٢) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٤/ ١٩٩، السيوطي: **بغية الوعاة**، ١/ ١٧٦، عبد الحي الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات**، ١/ ٤٤٤.

(٣) المقري: **أزهار الرياض**، ٢/ ٣٥٠

(٤) المقري: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٠، الذهبي: **ذيل تاريخ الإسلام**، ص٢١٢، الزركلي: **الأعلام**، ٧/ ٢٠٥.

(٥) الذهبي: **المصدر السابق**، ص٢١٢.

(٦) الصفدي: **المصدر السابق**، ٤/ ١٩٩، الذهبي: **المصدر السابق**، ص٢١٢.

(٧) ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ١٠/ ٢٥١، المقري: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٠.

(٨) المقري: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٠، ورد اسم الكتاب كما هو مذكور هكذا عند المقري لكن عنوان الكتاب الصحيح هو(ملء العيبة بماجمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة)

العلمية والتاريخ وطرفاً من الأخبار الحسان، والمسندات العوالي والأناشيد، وهو ديوان كبير لم يسبق إلى مثله "[١].

ويقول المقري عن رحلة ابن رشيد: " وقفت عليها في تلمسان وقد جمع فيها من الفوائد الحديثية والفرائد الأدبية، كل غريبة وعجيبة "[٢].

ويذكر الأستاذ محمد الفاسي: بأن الموجودة في خزانة الإسكوريال خمسة أجزاء وترتيب هذه النسخه ومحتوها يقع في ستة أجزاء، فالجزء الأول مقسم إلى جزئيين، والجزء الرابع والنصف الأول من الجزء الأول وبعض أول الجزء الثالث وآخره مفقود[٣].

**منهج ابن رشيد :**

أما منهج ابن رشيد في رحلته:

ومما استنتجت الدراسة نجد أن رحلة ابن رشيد كانت زاخرة بأسماء العلماء الذين إلتقى بهم أو سمع منهم فرحلته هي رحلة علمية في المقام الأول، حيث نجد ابن رشيد يذكر لنا أهم المراكز العلمية في مصر والعلماء الذين إلتقى بهم في الإسكندرية والقاهرة وأماكنهم ويهتم بذكر ترجمة مفصلة عن بعض العلماء وعن مؤلفاتهم، ويهتم بأخذ الإجازات له ولأبنائه ولأخواته، ويورد ابن رشيد الحديث بأكثر من إسناد ويهتم بذكر رجال السند واتصال السند إلى النبي ﷺ ويشير إلى معلومات في علم الحديث والأدب والنحو والتصوف، ويورد ابن رشيد خلال رحلته أبيات شعرية وإن كان علم الحديث قد نال جل اهتمامه خلال رحلته فالغاية من رحلة ابن رشيد هي غاية علمية.

---

(١) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط ١، ٣/ ١٣٧.

(٢) المقري: **أزهار الرياض**، ٣/ ٣٥٠.

(٣) محمد الفاسي: **ابن رشيد ورحلته للمشرق**، ص٣٩ - ٤١.

**وفاتـــــه:**

تجمع المصادر على أن وفاة ابن رشيد كان بمدينة فاس[(١)] في الثالث والعشرين من شهر محرم، سنة: (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)[(٢)]

وله من العمر أربع وستون سنة[(٣)] ودفن خارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة، التى اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء من الغرباء الواردين إلى مدينة فاس[(٤)].



(١) ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص٤٠١، الشوكاني: **البدر الطالع**، ٢/ ١١٨، العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٤/ ٢٣١، ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٩١، ابن الخطيب: **الإحاطة**،ط ١، ٣/ ١٤٢.

(٢) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٤/ ١٩٩، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ص٤٠١، المقري: **أزهار الرياض**، ٢/ ٣٥٦، الذهبي: **ذيل تاريخ الإسلام**، ص٢١٦.

(٣) أبو الفضل المكي: **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، ص٦٧.

(٤) ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ط١، ٣/ ١٤٣.

# المبحث الثالث

## العبدري كانت رحلته ( سنة ٦٨٨ هـ /١٢٨٩م ) - ولم يعرف تاريخ مولده ووفاته - ، حياته ورحلاته ومؤلفاته

**العبدري:**

هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي، ويكنى: أباعبدالله، وينسب العبدري إلى أصل عربي قرشي، اذ ينتهي نسبه إلى عبدالدار بن قصي بن كلاب وكان سلفه يقطنون بلاد حاحة تلك القبيلة البربرية التي تحيط بمدينة الصويرة المغربية على الشاطئ الأطلسي، والنسبة إليها حيحي على غير قياس كما يتلفظ بها أهل المغرب[1].

ومن المؤرخين من ينسب العبدري إلى أصل أندلسي يعود إلى بلدة بلنسية[2] وسواء كان الرجل أندلسياً بلنسى الأصل، ثم نشأ في المغرب أو كان عربياً مغربياً لا صلة له بالأندلس، فإنه يعد من المغاربة[3]،أما تاريخ ولادة العبدري فلم

---

(١) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٨٦، الزركلي: **الأعلام**، ٧/ ٢٦٠،العبدري: **مقدمة رحلة العبدري**، حققه: محمد الفاسي، صت.

(٢) نقولا زيادة: **الجغرافية والرحلات عند العرب**، ص١٧٠، آنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٣١٨، **بلنسية**: هي ثالث أكبر مدن أسبانيا بعد مدريد وبرشلونة و إحدى محطات السكك الحديدية الرئيسية في شرق إسبانيا، وتزدهر المدينة بتجارة البرتقال وغيرها من الفواكه، كما تشتهر بالحرير وصناعة القبعات الملونة وصناعة الأسمنت والأثاث والورق ولعب الأطفال والعطور ومستحضرات التجميل، حسام الدين إبراهيم عثمان: **موسوعة مدن العالم**، ص٤٩.

(٣) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص٥١٩.

تذكر المصادر متى ولد، وكل ما نعرفه أنه قام برحلته في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة: (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) وكان عندها في مقتبل عمره كما قال له شيخه أبوزيد الدباغ، فاذا افترضنا أنه كان آنذاك في الخامسة والأربعين، بدليل قوله عن ابن خميس التلمساني الذي كان حين لقيه في تلمسان[١] في الثامنة والثلاثين من عمره بأنه "فتيّ السنّ" فتكون ولادته حوالي سنة: (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) [٢].

## علم العبدري:

لقد نشأ العبدري في عائلة علم وأدب، ونستدل على ذلك بقوله في أحد مخطوطات الرحلة الموجودة بالرباط وهو يصف ويعرف بنفسه أنه الفقيه العالم العارف المتفنن أبوعبدالله ابن الشيخ الصالح الخطيب المرحوم أبي عبدالله بن علي فترجم لأبيه بأنه الشيخ الخطيب، أما أخوه يحي الذي رافقه في رحلته فإنه من أهل العلم حيث نراه يأخذ عن أحد علماء تونس الأربعين المسلسلة لإبي الحسن بن المفضل المقدسي قال العبدري: " وسمع أخي يحى الأربعين المذكورة بقراءتي عليه، وسلسل معه جميعها وأجازني وإياه إجازة عامة " [٣].

ولا يذكر العبدري بأي مدينة درس قبل خروجه للرحلة الحجازية مع أنه في رحلته يظهر عليه بأنه ذا علم جم واطلاع واسع في العلوم الدينيه والآداب العربية منذ خروجه من بلاده مما يدل على أنه درس على يد أفراد عائلته، وأن النهضة العلمية والتى بدأت مع المرابطين ثم الموحدين كانت قد آتت أكلها في أواخر القرن السابع الهجري في بلاد المغرب[٤].

---

(١) تلمسان: تقع مدينة تلمسان في الجزائر على السفوح الشمالية لمرتفعات تلمسان، حسام الدين إبراهيم عثمان: **موسوعة مدن العالم**، ص٦٩.

(٢) العبدري: **مقدمة رحلة العبدري**، المحقق: علي إبراهيم كردي، ص٧ – ٨.

(٣) العبدري: **المصدر السابق**، حققه: محمد الفاسي،ص ح.

(٤) العبدري: **المصدر السابق**، حققه: محمد الفاسي، صح.

أما العلماء الذين أخذ عنهم العلم في رحلته فكثير نذكر منهم: أبوزيد الدباغ[(١)] في القيروان وأجاز للعبدري، وبتونس أخذ من الإمام اللبيدى وبباجة أخذ من أبي علي الطبلي[(٢)] وأخذ من العالم شرف الدين الدمياطي وابن دقيق العيد وعبدالله بن هارون[(٣)] ومحمد بن يحي الشريف المراكشي وغيرهم من العلماء الذين ذكرهم في رحلته وأخذ عنهم[(٤)].

---

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الانصاري الاسيدي، من ولد أسيد بن حضير رضي الله عنه ويعرف بالدباغ، ولد في سنة(٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م)، لقيه العبدري في القيروان، ومن مؤلفاته برنامج يضم نحو ثمانين من أسماء شيوخه الذين روي عنهم وقد قرأ العبدري عليه بعض البرنامج وأجازه أجازة هامة، وكتاب معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان يضم أسماء من دخل القيروان من الفضلاء منذ أن دخلها الإسلام إلى زمانه، وقد قرأ الرحالة العبدري بعض الأحاديث الثنائية إلاسناد من حديث مالك رضي الله عنه وبعض أحاديثه التساعية من تأليفه وناوله الأحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين من تأليفه وسمع منه عدد من الأحاديث والشعر، العبدري: **رحلة العبدري**، حققه: محمد الفاسي، ص٦٧ - ٧٢.

(٢) هو الأديب النحوي أبي علي الحسين بن محمد الطبلي، لقيه العبدري في باجة وقرأ عليه بعض كتاب المقري في النحو، العبدري: **المصدر السابق**، حققه: محمد الفاسي، ص٣٨.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز بن إسماعيل الطائي الأندلسي القرطبي، ولد في رمضان سنة(٦٠٣هـ/ مارس ١٢٠٧م)، قرأ القراءات على جده لأمة محمد بن قادم المعافري، وقرأ على قريبه أبي زكريا الحميري الفصيح والأشعاروالروض الأنف، وسمع من العالم أبي القاسم بن بقي المؤطا، وسمع صحيح مسلم من العالم أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن عطية وسمع من غيرهم من العلماء وأخذ منهم، توفي في تونس في ١١ ذي القعدة سنة(٧٠٢هـ/ ٢٦ يونيو ١٣٠٣م)، وقد بلغ عمره مائة عام، العسقلاني: **الدررالكامنة**، ٢/ ٤٠٩، ٤١٠، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ١٤٠، ١٤١.

(٤) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص٢٨٦، ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ١/ ٥٣٤.

## صفاته:

امتاز العبدري بدقه الملاحظه، وسعة الاطلاع على التراث العلمي والأدبي مما جعله يبحث عن الآثار العلمية والأدبية بإلحاح، ويسجل ما يقف عليه وكان رجلاً فاضلاً محباً للفضيلة والأخلاق، وكان عالماً بالعلوم الإسلامية، وفوق هذا كان العبدري صريحًا إلى درجة لم تعهد من قبله ولا من بعده، فكان أكثر ما تقع عليه عينه مذموماً لأنه يقيسه بميزانه[١].

## رحلة العبدري :

كانت بداية رحلته من بلاد حاحة في الخامس من ذي القعدة سنة: (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) [٢]واجتاز شمال إفريقية ماراً بالسوس الأوسط حتى وصل إلى المغرب الأوسط[٣]ومنها إلى تلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وتونس، ثم اجتاز ليبيا برا حتى وصل الإسكندرية[٤]، ويبدو أن العبدري قد تأثر بآراء ابن جبير ورأى راية في نقمته على عمليات التفتيش التى تحدث للحجاج القادمين من المغرب إلى الإسكندرية [٥]فيقول العبدري في هذا الصدد " ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينهم وأعرب أنهم يعترضون الحجاج ويجرعونهم من بحر الإهانة والملح الأجاج ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج يبحثون عما بأيديهم من مال ويأمرون بتفتيش النساء والرجال " [٦].

---

(١) العبدري: **مقدمة رحلة العبدري**، حققه: محمد الفاسي، صغ.

(٢) أحمد البدرشيني: **مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين**، ص٧٦.

(٣) أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص٣٤٧ - ٣٤٨.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: **التاريخ والمؤرخون العرب**، ص٢٢٦.

(٥) أحمد رمضان: **المرجع السابق**، ص٣٥١.

(٦) محمد العبدري: **رحلة العبدري**، حققه وعلق عليه محمد الفاسي، ص٩٣.

ومن الإسكندرية إتجه العبدري للقاهرة وصحب الركب إلى مكة لأداء فريضة الحج سنة: (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) وأدَّى فريضة الحج في تلك السنة وبعد انتهاء الحج عاد إلى بلاده مع الركب المصري قاصداً مصر فزار في طريقه المدينة المنورة، ثم رحل إلى أن وصل عقبة أيلة ومن أيلة اتجه إلى بلاد الشام (مدينة الخليل والقدس وعسقلان وغزة) وهى آخر حدود بلاد الشام، ثم واصل سيره إلى القاهرة ثم الإسكندرية سالكاً طريق قدومه عن طريق البر إلى أن وصل بلاد المغرب[(١)]، وسمى رحلته "الرحلة المغربية" وقصد العبدري بهذه التسميه أنه قطع كل بلاد المغرب في طريقه إلى بلاد المشرق ولم يركب البحر كما فعل من قبله أو كما فعل ابن جبير من قبله[(٢)]، أما سبب الرحلة فالأول: ديني حيث خرج العبدري لأداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة والاتصال بالصالحين، والسبب الثاني: هو رغبة العبدري في لقاء العلماء والأخذ عنهم[(٣)] وللتجارة أيضاً.

## منهج العبدري :

فيوضحه لنا العبدري بقوله في بداية تدوينه لرحلته: " وبعد فاني قاصد بعد استخارة الله-سبحانه- إلى تقييد ما أمكن تقييده، ورسم ما تيسر رسمه وتسديده، مما سما إليه الناظر المطرق في حين الرحلة إلى بلاد المشرق، من ذكر بعض أوصاف البلدان، وأحوال من بها من القطان، حسبما أدركه الحس والعيان، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان، من غير تورية و لا تلويح، و لا تقبيح حسن ولا تحسين قبيح، بلفظ قاصد لا يحجم معردا ولا يجمع فيتعدى المدى، مسطرا لما رأيته بالعيان ومقررا له

---

(١) أحمد البدرشيني: **مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين**، ص٧٦-٧٧.

(٢) العبدري: **مقدمة رحلة العبدري**، حققه: محمد الفاسي، صم.

(٣) العبدري: **المصدر السابق**، المحقق: علي إبراهيم كردي، ص١٠.

بأوضح بيان "[١]، فوصف العبدري المدن التى مرّ بها، وما شاهده فيها من المعالم الأثرية، كما قدم لنا دراسة في عادات أهالي البلاد التى مر بها، فضلا عن الكلام عن أعلام الفقهاء المسلمين في عصره[٢]ففي رحلته لمصر يظهر منهج العبدري بوضوح حيث يبدأ بوصف دقيق لجمال مناظر أراضيها وإبراز ما فيها من معالم بدقة شديدة مع نقده لمجتمع مصر سواء كان في الإسكندرية أو القاهرة بسلوب لاذع شديد ولكنه لا ينكر ما فيها من علماء وشيوخ فضلاء يمتازون بأخلاق جميلة، وعلى الرغم من نقده لمجتمع الإسكندرية والقاهرة وتصوير عاداتهم من أكل في الأسواق وإهمالهم المحافظة على نظافة مساجدهم[٣]، إلا أنه يظهر من خلال رحلته مدى اهتمامه بمعالمها الأثرية وذكر أشكالها وارتفاعها وذكر القصص المتناقلة في بنائها كما حدثنا بذلك في أهرامات مصر[٤]وذكر لنا من معالمها نيل مصر وعدد أبرز المزارات فيها والتي يزورها أهل مصر[٥].

من خلال رحلته يظهر على العبدري دقة الملاحظة وجزالة الأسلوب وكثرة استخدام الألفاظ المتكلفة، ونلاحظ على العبدري من خلال رحلته حبه للحياة العلمية، وهذا إن دل فانما يدل على أنه عالم أديب محب للعلوم وعلى وجه الخصوص العلوم الدينية والشعر الذي ملاء بعض صفحات رحلته.

مؤلفاته:

وبسبب شح المعلومات عن العبدري وعن مؤلفاته فإننا لانعرف له مؤلفات غير رحلته التى استفاد في كتابتها من رحلة ابن جبير، وأتى بأشياء لم يذكرها ابن جبير

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، حققه: محمد الفاسي، ص١.

(٢) زكي حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص١٠٧.

(٣) العبدري: **المصدر السابق**، ص١٢٧ – ١٢٩.

(٤) العبدري: **المصدر السابق**، ص١٤٦-١٤٩.

(٥) العبدري: **المصدر السابق**، ص١٤٥– ١٥٣.

في رحلته[١]، ويعلق الدكتور علي كردي على ذلك بقوله: "غير أننا لا نُسلم بهذا، ولا نظن أن علم الرجل عقم عن كتاب آخر وهو من هو في علمه ومكانته، ويبدو أن غوائل الدّهر قد أتت على ما أنتجه هذا العالم ولم يسلم لنا سوى الرّحلة "[٢].

**وفاتـــه:**

لا نعرف للعبدري سنة وفاته، فتاريخ وفاته مجهولٌ، ونرجح أنه توفي بمدة قريبة بعد رجوعه من الحج؛ لأنه لو عمر طويلاً بعد ذلك لكان وضع مؤلفات في شتى العلوم التى يتقنها ولكان لها صدى وتناقلها العلماء والمؤرخون وذكروا عنها، وقبره موجود في حاحة ومعروف عند أهلها باسم قبر سيدي أبوالبركات[٣].

---

(١) حمد الجاسر: **أشهر رحلات الحج**، ص٢٠.

(٢) العبدري: **مقدمة رحلة العبدري**،المحقق: علي إبراهيم كردي، ص٩.

(٣) العبدري: **المصدر السابق**،حققه: محمد الفاسي، صاج.

# المبحث الرابع

## التجيبي السبتي (٦٧٠-٧٣٠ هـ / ١٢٧١- ١٣٢٩م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته

**التجيبي السبتي:**

هو القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي[(١)] السبتي الإمام المحدث الرَّحال علم الدين ولد التجيبي في مدينة سبتة سنة: (٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م) في عهد دولة بني مرين[(٢)].

**علم التجيبي:**

لا توجد معلومات عن نشأته العلمية المبكرة في بلاده غير ما ذكره الأستاذ عبدالحفيظ منصور في مقدمة برنامج التجيبي بقوله: " وقد استأثرت به قراءة القرآن بقراءاته المشهورة وغيرها، ودرس مشاهير الكتب في هذا الفن بأسانيدها، كالكافي لابن شريح الذي أنهى قراءته بسبتة سنة: (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م). وهو في السادسة عشرة من عمره، وتدرجت معارفه بسبتة لتناول النص القرآني بالتفسير والتعرف على لغاته سنة: (٦٩١هـ/ ١٢٩٢م) "[(٣)] وفيها نهل من مصادر العلوم الدينية والشرعية وغيرها، كما ورد أن التجيبي قد تنقل بعد أن كبر في السن إلى مدن المغرب الأقصى

---

(١) وتجيب من السكون من ولد أشرس بن كندة، وكانت تجيب من أقدم القبائل التى نزلت الأندلس وديارها في سرقسطة، التجيبي: مقدمة برنامج التجيبي،تحقيق: عبد الحفيظ منصور، صز.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٤/ ١٢٩، العسقلاني: الدرر الكامنة، ٣/ ٣٢٤، أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، ص٣٥٥.

(٣) التجيبي: المصدر السابق، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، صح

حيث توجد مراكز الثقافة، ولما أتم حفظ القرآن والحديث وتفقه في علوم اللغة والأدب التحق بجامعة القرويين بمدينة فاس[١] عاصمة بني مرين[٢].

**رحلة التجيبي:**

كان السبب الأول لخروج التجيبي للرحلة هو لأداء فريضة الحج فكان خروجه من بلاده حوالى سنة: (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م) فدخل بجاية وروى بعض كتب ابن الأبار البلنسى وتحول منها إلى تونس في نفس السنة وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى مصر فدخل الإسكندرية والقاهرة سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) ودوَّن تفاصيل ماشاهده بمصر في رحلته،ثم خرج من ميناء عيذاب إلى مكةلأداءفريضة الحج سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)[٣].

**منهج التجيبي في رحلته:**

يظهر لنا من خلال رحلته لمصر أنه يتبع الأسلوب البسيط الواضح المفهوم البعيد عن السجع، والدقيق ويظهر ذلك في وصفه للمعالم التي شاهدها في مصر، كما يعتمد على بعض المصادر التى كتبها المؤرخون مثال على ذلك عندما تحدث عن جامع ابن طولون وعند ذكره من بناه فذكر قول ابن عساكر الدمشقي في ذلك[٤]، وبدأ التجيبي وصفه لمصر بذكر تأسيس الفاطميين لها وبناء جوهر الصقلى للقاهرة، ثم ذكر قلعة صلاح الدين وما بها من جامع وإيوان، ثم وصف القاهرة والأعداد الهائلة من

---

(١) **فاس**: مدينة فاس تقع على ضفاف نهرفاس أحد روافد نهر البو في شمال المغرب في المنطقة المعتدلة الدافئة وهي من أقدم المدن في بلاد المغرب ويوجد بها جامع القرويين من أعرق جامعات العالم وتشتهر المدينة ببضائعها الحريرية والصوفية ومنتجاتها الجلدية، حسام الدين إبراهيم عثمان: **موسوعة مدن العالم**، ص١٣٨.

(٢) أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص٣٥٥.

(٣) التجيبي: **مقدمة برنامج التجيبي**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، صح، ط

(٤) التجيبي: **مستفاد الرحلة والاغتراب**، ص٦.

الناس التي تسكنها ويعلل ذلك باستقرار الخليفة العباسي بها فاستقر بها الأمراء والأجناد وأرباب الصنائع، ويصف بعد ذلك ما بها من المدارس وما تحتويه(1) كما وصف التجيبي الأوقاف والبيمارستان المنصوري ويذكر جوامع القاهرة ونجده يفصل عند حديثه عن جامع ابن طولون ويذكر اعتناء السلطان حسام الدين لاجين(٢) بإصلاحه وإنفاق الأموال عليه، ويصف الساعة المصنوعة فوق قبة الجامع والدروس التي أجراها السلطان فيه، وما أمتاز به السلطان حسام الدين لاجين، من عناية بالحجاج وإسقاط المكوس عنهم(٣).

وكان للمشاهد نصيب في وصفة كمشهد الحسين بن علي -رضي الله عنهما- ومشهد السيدة نفيسة -رضي الله عنها- والمقابر وما تحتويه من قبور الصالحين والصحابة، فهو لا يكتفي بذكر من هم أصحاب القبور؛ بل يذكر صحة هذه المعلومة من عدمها مثل قولهم بوجود قبر أسماء بنت أبي بكر-رضي الله عنها- وقبر ابنها عبدالله ابن الزبير، ثم ينفي وجود قبورهما في مصر، ويأتي بالدليل على صحة معلوماته(٤)، ثم يذكر العلماء الذين إلتقى بهم في القاهرة ومروياتهم ومسموعاتهم ومؤلفاتهم، ونجد التجيبي يحرص على أخذ الرواية منهم والحصول على الإجازة له وفي كل ترجمه للعلماء يذكر سنة مولد العالم و سنة وفاة بعضهم (5)كما يشيد بأسواق

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٣.

(٢) حسام الدين لاجين: تولى السلطنة في مصر بعد أن خلع العادل كتبغا من السلطنة في سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) وأقام في السلطنة لمدة عامين وشهرا ونصف، وتوفي مقتولاً على يد جماعة من المماليك الأشرفية في سنة: (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)، ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ١/ ٥١- ٥٥، العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤/ ٢٧، ابن الوكيل: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، ص٦٢.

(٣) التجيبي: المصدر السابق، ٤ – ٧.

(٤) التجيبي: المصدر السابق، ص١٣ – ١٤.

(٥) التجيبي: المصدر السابق، ١٤١ – ١٩١.

القاهرة ونهر النيل والأهرامات وأبوالهول، ويصف مدن الصعيد وما تمتاز به من المرافق والزراعة والتجارة ويصف ما تعرضت له مركبتهم من تفتيش رجال المكوس للبضائع وأخذ الأموال من أصحابها، ثم يختم قوله عن مدينة عيذاب ومدى اعتناء أهل مصر بالحجاج إضافة إلى اعتناء السلطان لاجين(١) . ونجد أن التجيبي يورد في رحلته عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحياة العلمية والمعالم الأثرية في مصر وإن كانت الحياة العلمية هي الغالبة كرحلة ابن رشيد والعبدري والبلوي.

**مؤلفاته :**

**لا نعرف للتجيبي مؤلفات سوى:**

١ - **رحلته المسماة مستفاد الرحلة والإغتراب**. وقال عنها العسقلاني: " وهى ثلاث مجلدات ضخمة وقد حذا حذو ابن رشيد، وكان قد رحل قبله بنحو عشر سنين وزاد هو على رحلة ابن رشيد بتضمين الرحلة مشيخة له مستوعبة يذكر ترجمة الشيخ وما يمكن من مروياته، ويبين ما سمعه منه بأسانيده، ويخرج عنه بعد ذلك شيئا من حديثه وفوائده وإنشاداته ويفعل ذلك في كل بلد دخلها "(٢).

**٢- برنامج التجيبي:**

وتشير الدكتورة عواطف نواب إلى ما يحتويه برنامج التجيبي بقولها: "وهو مأخوذ من مستفاد الرحلة والاغتراب حيث استخرج التراجم الموجودة فيه وجعلها في برنامج قائم بذاته مع إضافة ما أخذه أثناء لقائه بالمحدثين والفقهاء في تنقلاته بين المراكز العلمية "(٣).

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص١٦٤ - ١٧٤.

(٢) العسقلاني: الدرر الكامنة، ٣/ ٣٢٥.

(٣) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص١٢٢.

**وفاتـــــه:**

توفي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي سنة: (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، وبلغ عمره حين وفاته حوالى الستين سنة[١].

(١) التجيبي: **مقدمة رحلة مستفاد الرحلة والإغتراب**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ص.

# المبحث الخامس

## ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٠ هـ / ١٣٠٣ - ١٣٦٨م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته

### ابن بطوطة:

هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن يوسف اللواتى[(١)] من أهل طنجة[(٢)]، يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن بطوطة، ولد في مدينة طنجة يوم الإثنين(١٧ رجب سنة: ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م)[(٣)].

### علم ابن بطوطة :

لا علم لنا عن نشأة ابن بطوطة العلمية الأولى سوى ما ذكر في سياق رحلته، ويبدو أنه قد حصل على ما تيسر من العلم بمسقط رأسه طنجة وتعلق بعلوم الدين لاسيما علم الفقه وفقاً للمذهب المالكى السائد بشمال أفريقيا[(٤)]، وينحدر ابن بطوطة

(١) نسبة إلى لواتة إحدى قبائل البربر والتى انتشرت بطونها على طول ساحل إفريقية حتى مصر، ابن بطوطة: **مقدمة رحلة ابن بطوطة**، تحقيق: كرم البستاني، ص٥، أغناطيوس كراتشكوفشكي: **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ص٤٥٦.

(٢) **طنجة**: تقع مدينة طنجة على الساحل الشمالي للمغرب العربي على طول مضيق جبل طارق الذي يربط المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض وتعد من أقدم المدن في المغرب الاقصى، حسام الدين إبراهيم عثمان: **موسوعة مدن العالم**، ص١٣٢.

(٣) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص١٤، ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط١، ٣/ ٢٧٣، الزركلى: **الأعلام**، ٧/ ١١٤، عمر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣/ ٤٥٢، أحمد مصطفى: **الحياة في القرن الثامن الهجري كما تصورها رحلة ابن بطوطة**، ص١٤، عبد الهادى التازي: **ابن بطوطة أمير الرحالة**، ص١٤.

(٤) أغناطيوس كراتشكوفشكي: **المرجع السابق**، ص٤٥٧.

من بيت فقهاء تولى الكثير منهم القضاء، ويذكر ابن بطوطة أثناء حديثه عن رحلته إلى الأندلس أنه لقي في مدينة رندة أحد أعمامه وكان قاضياً، مما يؤكد إذًا أنه ينحدر من أسرة من أهل العلم والفقه[١]، وقد تولى ابن بطوطة القضاء أثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة: (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) ذكر أنه تولى القضاء على الركب القادم إلى الحجاز في مدينة تونس[٢]حيث قال " وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخا يعرف بأبي يعقوب السوسي من أهل أقل من بلاد إفريقية، وأكثر المصادمة، فقدموني قاضياً بينهم وخرجنا من تونس في أواخر شهر ذي القعدة سالكين طريق الساحل "[٣].

كما تولى ابن بطوطة القضاء في عدة بلدان منها بلاد الهند وفي ذلك يقول ابن الخطيب " ولما استقر عند ملك الهند فحظي لديه، وولاه القضاء وأفاده مالا جسيماً"[٤] وتولى القضاء أيضاً في جزائر ذيبة المهل وفي ذلك يقول ابن بطوطة " ونساؤها لا يغطين رؤوسهن، ولا سلطانتهن تغطي رأسها، ويمشطن شعورهن، ويجمعنها إلى جهة واحدة، ولا يلبس أكثرهن إلا فوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين في الأسواق وغيرها، ولقد جهدتُ لما وليت القضاء بها أن أقطع تلك العادة وآمرهن باللباس فلم أستطع ذلك "[٥] وتولى القضاء في بعض مدن المغرب بعد أن عاد إليها[٦]. وبذلك يتضح لنا أن ابن بطوطة كان كأمثال الرحالة الذين رحلوا من قبله من بلاد المغرب إلى المشرق من أجل أداء فريضة

---

(١) حسين مؤنس: **ابن بطوطة ورحلاته**، ص١٧.

(٢) محمد يوسف عابد: **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة**، ص٢٧.

(٣) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص١٨.

(٤) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط١، ٣/ ٢٧٣.

(٥) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٥٧٧.

(٦) أحمد مصطفى: **الحياة في القرن الثامن الهجري**، ص١٤.

الحج وأخذ العلم عن العلماء، كما كان منذ بداية رحلاته موضع احترام الشيوخ وتقديرهم، ومن وصفه لمجالسته للعلماء وأحاديثهم معه في شئون العلم نستدل على أنه كان متمكنا من علوم الدين(1).

## صفاته :

امتاز ابن بطوطة بسرعة التأقلم مع البيئات المختلف التى يصادفها في رحلته، فكان يتكيف مع أهل البلاد التى يحل بها ويندمج معهم ومع عاداتهم(٢)حتى يصبح كأنه واحداً منهم أضف إلى ذلك ما امتاز به ابن بطوطة من شدة الملاحظة وقوة الذاكرة فلاعجب أن تمتاز رحلته بكونها سجلاً مهماً للحياة الاجتماعية بل السياسية والاقتصادية في أقطار لم نكن نعرف عنها شيئاً في الوقت الذي زارها فيه لولا انطباعاته هذه التي سجلها بكل دقة وأمانة في رحلته(٣).

## رحلة ابن بطوطة :

في سنة: (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) قام ابن بطوطة برحلته المشهورة والتي جاب فيها مناطق كثيرة من العالم في مدة تزيد على ربع قرن من الزمن(٤)، وكان هدفه من الرحلة حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول ﷺ كما يقول ابن بطوطة: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمئة معتمداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول-عليه أفضل الصلاة والسلام-"(٥) وزيارة أولياء الله والتبرك بهم(١)ويظهر من خلال الرحلة مدى تعلق ابن

---

(١) محمد يوسف عابد: بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة، ص٢٩.

(٢) عمر كحالة: معجم المؤلفين، ٣/ ٤٥٢.

(٣) عبدالله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص٩ - ١٠.

(٤) نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، ص٩١.

(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص١٤.

بطوطة بالأولياء والإيمان بكراماتهم ومن ذلك قوله: "ومنهم الإمام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الأعرج من كبار الزهاد وأفراد العباد، لقيته أيام مقامي بالإسكندرية وأقمت في ضيافته ثلاثاً، دخلتُ عليه يوماً فقال لى: أراك تحب السياحة والجولان في البلاد فقلتُ له نعم إني أحب ذلك. ولم يكن حينئذ بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين فقال: لابد لك إن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكرياء بالسند، وأخي برهان الدين بالصين، فإذا بلغتهم فأبلغهم مني السلام. فعجبت من قوله وألقى في روعي التوجه إلى تلك البلاد، ولم أزل أجول حتى لقيتُ الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه "[٢] وكذلك من أهداف رحلة ابن بطوطة زيارة العلماء المشهورين والنهل منهم[٣]، ونلاحظ من خلال رحلته في مصر أنه يذكر اسماء العلماء الذين إلتقى بهم، مع عدم حرصه على أخذ الإجازات والعلوم منهم، كما لم يورد ترجمة مفصلة عن هؤلاء العلماء بل اكتفى بذكر من لقي من العلماء بينما فصل في أسماء الأولياء وكراماتهم وحرصة على زيارتهم وأخذ البركه منهم.

ومن أهداف رحلة ابن بطوطة شوقه إلى رؤية الدنيا والناس إضافة إلى شوق أخر إلى المعرفه[٤] وحب الاستطلاع فلم يكن ليقضي نصف حياته في الترحال لو

---

(١) أحمد مصطفى: **الحياة في القرن الثامن الهجري**، ص١٦، إن الاعتقاد في كرامات الأولياء والتوسل بهم كان مما تفشى في القرن السابع بين الناس في المغرب وفي مصر، حتى أنهم نسبوا للأولياء كثير من الكرامات الخارقة التي هي فوق قدرة الإنسان، فنجد في رحلة ابن بطوطة ذكر لبعض هذه الكرامات الخارقة عند ذكره لبعض الأولياء الذين التقى بهم في مصر وهذا من الجهل، ومثال على ذلك ماذكره ابن بطوطة عندما دخل مدينة الإسكندرية عن كرامات العالم أبو عبد الله الفاسي أنه كان يسمع رد السلام عليه اذا سلم من صلاته، وانظر ماقاله ابن بطوطة عن كرامات الأولياء في رحلته، ص٢٤،٢٥، ٢٨، ٣٠، ٥١.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٤ – ٢٥.

(٣) أحمد مصطفي: **المرجع السابق**، ص١٦.

(٤) حسين مؤنس: **ابن بطوطة ورحلاته**، ص١٨.

لم يكن حب الترحال يجري في دمائه، وقد لاقى في هذه الرحلات مخاطر مهولة وتعرض للموت أكثر من مرة ولم يثنه كل ذلك عن مواصلة التنقل والترحال[1].

وقد رحل ابن بطوطة ثلاث رحلات، أولهنَّ وهي أطولهن بدأها في يوم الخميس(٢ رجب سنة: ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) من طنجه وانتهى منها في يوم الجمعة أواخر شعبان سنة: (٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م) وكان له من العمر اثنان وعشرون عاماً وذلك أيام السلطان أبي سعيد المريني الأكبر[٢]وانطلق فيها إلى إفريقية الشمالية فمر بمراكش (المغرب) والجزائر وتونس وطرابلس العاصمة الليبية الآن ومصر ثم قصد عيذاب على البحر ماراً ببلاد الصعيد المصري ليجتاز البحر الأحمر فلم يتهيأ له ذلك، للحرب التي كانت قائمة بين المماليك العربية وبلاد الشام وأرض الحجاز فحج حجته الأولى ومن مكة المكرمة توجه إلى بلاد العراق وإيران وتركيا (الأناضول) ثم عاد إلى مكة مرة أخرى فحج حجته الثانية وأقام بها سنتين ثم غادرها إلى اليمن الشمالية ثم الجنوبية ليعود ليجتاز البحر إلى إفريقية الشرقية، ثم عاد منها ماراً بجنوبي جزيرة العرب حتى الخليج العربي، فزار عمان والبحرين والأحساء ثم رجع إلى مكة فحج حجته الثالثة[٣]ومن ثم قصد مصر فلم يلبث أن غادرها متجهاً نحو فلسطين فالأناضول فشبه جزيرة القرم، ومن هناك ابحر إلى القسطنطينية ومنها انطلق إلى الهند[٤]، فمر بخوارزم وخرسان وتركستان وأفغانستان وكابول والسند وتولى القضاء في دهلى الهندية على المذهب المالكي للسلطان محمد شاة[5]ولما أراد السلطان محمد أن

---

(١) أحمد مصطفي: **الحياة في القرن الثامن الهجري**، ص١٧.

(٢) عبدالله كنون: **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ص١٤.

(٣) أسماء محمد: **ابن بطوطة الرجل والرحلة**، ص٤٠.

(٤) جورج غريب: **أدب الرحلة تاريخه وأعلامه**، ص٥٩.

(٥) محمد بن شاة: من حكام بني تغلق في دهلى، انتزع الحكم من والده بعد قتله في سنة: (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، كان شخصية غريبة الأطوار، كثير العطاء وإراقة الدماء، شجاع، متواضع، ومظهراً للحق والعدل، يعاقب على ترك الصلاة لم تستقر أمور الحكم في دهلى له، فقد قامت عدة ثورات ضده، ولم يستطع =

يرسل وفداً إلى ملك الصين خرج ابن بطوطة فيه وفي عودته مر سيلان وجزائر الهند والصين ومن ثم عاد إلى بلاد العجم إيران والعراق وسوريا وفلسطين ومنها إلى مكة فحج حجته الرابعة[١]، وعندها تذكر ابن بطوطه الوطن وحن إلى أهله وتاق إلى بلاده فعاد إلى فاس ماراً بمصر وتونس والجزائر فوصل إلى المغرب بعد غياب طويل سنة: (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)[٢]وفي المغرب قابل السلطان أبي عنان، وزار قبر والدته وأصابه مرض لازمه ثلاثة أشهر وعندما تعافى من مرضه[٣]عاد للرحلة مرة أخرى فبدأ رحلته الثانية في مملكة غرناطة فمر بسبته وجبل طارق[٤]ومالقة، ولم يطل ابن بطوطة المقام هناك وعاد إلى فاس ليستعد للرحلة للمرة الثالثة إلى إفريقية [٥]، وفي رحلته الثالثة مرَّ بالسودان مبتدءاً بسجلماسة ثم تغازا وبعد استراحة عشرة أيام استانف الرحلة عبر الصحراء، وكانت رحلته شاقة، ومحفوفة بالمخاطر، وأخيراً وصل إلى مدينة الأتن، أول عمالة السودان ثم خرج منها متوجهاً صوب مالي عاصمة البلاد، ثم توجه إلى تمبكتو ومنها إلى تكدا، ووصل في تنقلاته بين هذه المدن إلى نهر النيجر، ولما وافاه أمر السلطان أبي عنان بالرجوع إلى المغرب، مرَّ راجعاً إلى سلجماسة، وفي نهاية سنة: (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م) وصل إلى فاس بعد أن قضى في هذه الرحلة عامين كاملين[٦].

---

= السلطان القضاء على هذه الثورات، توفي في سنة: (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) بعد أن تدهورت سلطنة دهلى، واستقلت معظم ولاياتها، محمد أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند، ص٢٧٤ - ٢٧٦، عصام الدين الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ٩٧- ٩٩.

(١) أسماء محمد: ابن بطوطة الرجل والرحلة، ص٤٠.

(٢) جورج غريب: أدب الرحلة تاريخه وأعلامه، ص٦٠.

(٣) أحمد مصطفى: الحياة في القرن الثامن الهجري، ص٣٥.

(٤) عمر كحالة: معجم المؤلفين، ٣/ ٤٥٢.

(٥) جورج غريب: المرجع السابق، ص٦٠.

(٦) عمر كحالة: المرجع السابق، ٣/ ٤٥٢.

## منهج ابن بطوطة في رحلته:

اتبع ابن بطوطة أسلوباً سهلاً بسيطاً في جميع رحلتة فيما عدا أسلوب السجع والإنشاء عند وصفه أي مدينة عند القدوم وكان ذلك الأسلوب ليس أسلوب ابن بطوطة إنما أسلوب ابن الجزي الذي أملى عليه ابن بطوطة رحلته، وعند وصف ابن بطوطة لمصر نجد أن ذلك الوصف يعتبر موسوعة متنقلة وخاصة في الحياة الاجتماعية وإن كان يغلب على رحلته وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية أكثر من ذكر الحياة العلمية، ففي الحياة العلمية يصف مدارس مصر وزواياها وأربطتها أكثر من ذكر من التقى من العلماء وما أخذ عنهم ومؤلفاتهم ومسموعاتهم. ومن أجازه كما فعل من سبقه من الرحالة كالعبدري وابن رشيد، والتجيبي والبلوي بعده بل نجد ابن بطوطة يكثر من ذكر الأولياء ويورد كراماتهم ويحرص على زيارتهم ويكتفي بذكر اسم العالم والعلم الذي اشتهر به، وفي رحلته لمصر يبدأ ابن بطوطة بوصف الاسكندرية وأبوابها ومنارتها وقد تهدم أحد جوانبها، ووصف ما بداخل هذه المنارة من البيوت كما عاد ووصف منارة الإسكندريةعند عودته إلى المغرب وقد مرّ بها سنة: (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) في عهد الناصر حسن وقد أصبحت خراباً [(١)] وذكر الأولياء في الإسكندرية وحرصه على زيارتهم، و ذكر المدن التى بين الإسكندريةوالقاهرة ومدن الصعيد وما بها من صناعة وتجارة وزراعة وأشار إلى الأعياد الدينية التي يحتفل بها أهل مصر كيوم ارتقاب هلال رمضان، كما وصف أسواق مصر ومدارسها وزواياها ومساجدها وفي ذكره للمساجد يذكر فقط اسم جامع عمرو بن العاص ﷺ ويذكر الجامع الأزهر في الوقت الذي يغفل عن ذكر جامع ابن طولون، كما أشار ابن بطوطة إلى ما كان عليه المجتمع المصري من زيارة المقابر وذكر المشاهد في مصر، وذكر المعالم الأثرية كالنيل و الأهرامات وأبوالهول[(٢)].

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢١.

(٢) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٢٣ - ٥٣.

**مؤلفاته:**

أما مؤلفات ابن بطوطة فلا نعرف له مؤلف غير رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار والتي أمر السلطان أبو عنان ابن بطوطة بإملائها على الكاتب أبي عبدالله بن جزي، فقام بن جزي بما كلف به من ضم أطراف الرحلة وترتيبها وتصنيفها وتهذيبها[١] وانتهى ابن جزي من تدوينها في ثالث ذى الحجه سنة: (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)[٢].

وقد اهتم المستشرقون برحلة ابن بطوطة، فنشروا منها قطعاً وأجزاءًا ثم نشرت كاملة مع ترجمة فرنسية سنة: (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م) ثم طبعت في القاهرة طبعات مختلفة، وترجمت إلى الألمانية سنة: (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) [٣].

وقد كانت رحلة ابن بطوطة موضع شك عند بعض الناس وبعض المؤرخين نذكر منهم العالم الفذ ابن خلدون الذي يقول في مقدمته "أنه ورد بالمغرب لعهد السُلطان أبي عنان من مُلوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذُ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلهي حاضرة ملك الهند، وهو السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه وكان له منه مكان واستعملهُ في خُطة القضاء بمذهب المالكية في عمله، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان، وكان يحدث عن شأن رحلته، وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدثُ عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون، مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان، وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى

---

(١) عمر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣/ ٤٥٢.

(٢) أحمد مصطفى: **الحياة في القرن الثامن الهجري**، ص٣٥.

(٣) وجيه عضاضة: **الرحلات عند العرب في العصور الوسطى**، ص٣٣.

صحراء البلد ويطوفون به، وينصب أمامهُ في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر تُرمى بها شكائرُ الدراهم والدنانير على الناس، إلى أن يدخل إيوانهُ، وأمثال هذه الحكايات فتناجى الناس بتكذيبه "[١]، وقد أنكر ذلك عليه ابن خلدون وحدث بهذا الشأن يومئذ وزير السلطان فارس بن وردار وأراهُ إنكار أخبار فمنعهُ الوزير عن إنكار شيء ليس لهُ برهان على إنكاره لجهله أحوالهُ[٢] ومن الذين شككوا في صدق رحلة ابن بطوطة، العالم أبوالبركات البلفيفي فقد نقل ابن الخطيب في كتابه: "الإحاطة في أخبار غرناطة " ما كتبه شيخه أبوالبركات " ثم قفل إلى بلاد المغرب ودخل جزيرة الأندلس فحكى بها أحوال المشرق، وما استفاد من أهله فكذب، وقال، لقيته بغرناطة وبتنا ببستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية نيلة وحدثنا في تلك الليلة، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى وهي على قدر مدينة مسقفة كلها وفيها أثنا عشر ألف أسقف " بل نجد ابن الخطيب يشك فى رحلة ابن بطوطة بقوله: " وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا "[٣] فضلاً أن ابن الجزي قد شك في أقوال ابن بطوطة بقوله: " وأوردتُ جميع ما أورده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار "[٤].

ربما هذا الشك في رحلة ابن بطوطة نتج عن فقدان ابن بطوطة أوراق رحلته نتيجة سلب الهنود له كل ما كان معه ومنها مذكراته التي دونها عن رحلته، فاعتمد ابن بطوطة على ذاكرته في إملاء رحلته على ابن جزي ليكتبها[5] وأن ماذكره أبن بطوطة يعد غريب خاصة أنه يتحدث عن أناس عاشوا على نمط معيشه مختلف عما يعرفه أهل المغرب.

---

(١) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، ص١٧٠.

(٢) بطرس البستاني: **دائرة المعارف**، ١/ ٤٠٠.

(٣) ابن الخطيب: **الإحاطة**،ط١، ٣/ ٢٧٣.

(٤) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص١٣.

(٥) ابن بطوطة: **مقدمة رحلة ابن بطوطة**، ص٦.

**وفاتــه:**

توفي ابن بطوطة سنة: (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م)[1] ويذكر الدكتور أحمد رمضان في كتاب الرحلة والرحالة المسلمون بأن ابن بطوطة قد وافته المنية في فاس سنة: (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)[2] لا كما يعتقد البعض من أنه توفي بطنجة، وفي ذلك يقول الأستاذ عبدالله كنون: " ومن هنا يُعلم انه لم يتوف بطنجة، وإن كان يوجد بها ضريح ينسب إليه، ويَفِدُ الرحالةُ من كل جنس اذا قدموا طنجة عليه،لكننا نستريب في أن يكون ذلك هو مرقد الرحالة الحقيقي، أولاً: لأن وفاته لم تكن بطنجة، ثانياً: لأن اسم صاحب الضريح في ألسنة الناس أحمد بن علال وليس اسم بطوطة، ثالثا: لأن طنجة خضعت للاحتلال الأجنبي، البرتغالي ثم الإنجليزي ما ينيف على قرنين من الزمن بعد موت ابن بطوطة فيبعد أن يبقى قبره محفوظاً ومعروفا بعد هذه المدة الطويلة التي تغيرت فيها معالم المدينة من جميع الوجوه، وعلى كل حال فهو وأن يكن ذا صفة رمزية، ضريح متواضع جدًّا لا يتناسب وعظمة الرجل الذي طبقت سمعته الآفاق"[3].



(١) عبدالله كنون: **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ص٣٧.

(٢) أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص٣٨٦.

(٣) عبدالله كنون: **المرجع السابق**، ص٣٧ – ٣٨، أن بناء الأضرحة على قبور الأموات وأن كانوا من الصالحين مما لايجوز، فبناء القباب والأضرحة على القبور محرما شرعا، ولكن ربما يكون هذا الامر منتشراً في بلاد المغرب العربي وهذا من الجهل.

# المبحث السادس

## البلوي (٧١٣ - ٧٨٠هـ / ١٣١٣-١٣٨٧م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته

### خالد البلوي:

هو أبوالبقاء خالد بن عيسي بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، من أهل قنتورية من حصون وادي المنصورة ينتمي إلى قبيلة البلويين[1] ولد في بلدة قنتورية من أعمال غرناطة التى كان والده قاضيا بها سنة: (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)[2].

### علم البلوي:

نشأ البلوي في أسرة علمية متدينة حيث تلقى تربية صالحة وأخذ أولا عن والده بقنتورية القرآن ومبادئ العربية، ثم رحل إلى غرناطة حيث أتم دراسته بها[3]، ورحل إلى فاس وأخذ عن العالم عبدالعزيز القوري[4] وأبي العباس بن شعيب

(١) قبيلة البلويين منتشرة في عدة بلاد إسلامية كجزيرة العرب والأندلس والمغرب، وهي قبيلة عربية صميمة من قضاعة اليمنية هاجرت من اليمن إلى الحجاز قبل الإسلام وفي ظلال الإسلام ناصرت الدعوة الإسلامية وكانت من أنصار الرسول ﷺ وكانت لها شرف المشاركة فى عدة غزوات، البلوي: **مقدمة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق: الحسن السائح، ١/ ١٦

(٢) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط٢،١/ ٥٠٠، ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص١٨٦، محمد السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ١/ ٦٣٠، البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٥، الزركلي: **الأعلام**، ٢/ ٣٣٩، نواف الجحمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي**، ص٩٩، محمد يوسف عابد: **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة**، ص٦٩.

(٣) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٨.

(٤) عبد العزيز بن محمد القوري من علماء فاس وهو فقيه من أصحاب الشيخ أبي الحسن الصغير، توفي في =

الجرنـائى[١] وعبـدالمؤمن الجانـاتي[٢] وأبـى عبـدالرحمن الجـزولي وأبي عبـدالله ابـن عبدالكريم، كما أخذ بتلمسان عن أبي موسى ابن الإمام[٣]وقاضي الجماعة أبي على منصور بن هدية [٤]وأبي عمران موسى المشدالى والقاضي أبي عبدالنور[٥]وأخذ عن علماء القاهرة والإسكندرية والقدس[٦].

**صفاته:**

يصفه ابن الخطيب بقوله: "هذا الرجل من أهل الفضل والسذاجة، كثير التواضع، منحط في ذمة التخَلق، نابه الهيئة،حسن الأخلاق، جميل العشرة محب في الأدب"[٧] ونقل أحمد التنبكتى عن غيره أنه" ارتسم بديوان الكتابة بتونس عن أميرها

---

= سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)،البلوي: مقدمة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ١/ ٣١ .

(١) أبو العباس الجزنائى: هو أحمد بن شعيب التازي الفاسي، برع في اللسان والأدب والعلوم العقلية من فلسفة وطب، توفي بتونس في سنة(٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٣٢

(٢) هو عبد المؤمن بن محمد الجناتي من علماء فاس، أخذ عن العالم أبي الحسن الصغير وجلس في مجلسه، توفي في سنة( ٧٤٦ هـ ،/ ١٣٤٥م)، البلوي: المصدر السابق، ١/ ٣١، ٣٢

(٣) أحد الأخوين المشهورين بابني الإمام أصلهما بن برشك من أعمال تلمسان واسم الأكبر أبو زيد عبدالرحمن، والأصغر أبو موسى عيسى، انتقلا لتونس في المئة السابعة وأخذا عن ابن زيتون، البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٨.

(٤) هو القاضي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي، ولد في سنة(٦٣١/ ١٢٣٣م) أو(٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) وهو فقيه ومفسر رحل للشرق صغيراً مع أبيه فقرأ وتفقه وسمع من علماء مصر والشام، توفي في سنة(٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) ببجاية وقد بلغ عمره مائة سنة، البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٣٣، أحمد التنبكتى: **نيل الأبتهاج بتطريز الديباج**، ٢/ ٣٠٦ - ٣٠٨.

(٥) أحمد التنبكتى: **المصدر السابق**، ١/ ١٨٨ - ١٨٩ .

(٦) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٩.

(٧) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ط٢،١/ ٥٠٠ .

زمناً يسيراً وكان يتشبه بالمشارقة شكلاً ولساناً، ويصبغ لحيته بالحناء والكتم"[1]
ويذكر الأستاذ الحسن السائح في مقدمة رحلة البلوي (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) بأن البلوي اتصف بعدم الشجاعة حيث لم يدفع عن نفسه جور قطاع الطرق وإنما كان جباناً يمثل الفقهاء والعلماء في آخر عصور الأندلس حيث لم يعودوا كما كانوا من قبل يحتفظون بالفروسية والشجاعة والمقاومة وإنما أصبحوا يعتمدون على العامة في الدفاع عنهم وعن البلاد، ويورد مثالاً على ذلك عندما أغار قطاع الطرق على قافلة الحجاج التي كان منهم البلوي فيصفه بأنه (أعدى من جام).

ولكننا لا نتفق مع ما أورده المحقق الحسن السائح لأن الإنسان جبل على حب النفس وفي وقت الخطر يريد أن ينجو بنفسه في قافلة تضم مجموعات مختلفة من الناس الذين لا يعرفهم أولاً، وثانيا: لأنه لا يملك ما يستطيع أن يدافع به عن نفسه، ويصف الأستاذ الحسن السائح البلوي بأنه يملك نظرة متشائمة للحياة ويورد قول البلوي" فالليالي لا تجمع شملا إلا شتته ولا تصل حبلا إلا بتته، من أطاعها عصته ومن أدناها أقصته، فالبصير من يرفض الدنيا ويسأل الله في أموره" وأيضًا لا نتفق مع وصف البلوي بالنظرة المتشائمة للحياة، فما أورد من قول يدل على زهد في الدنيا ورجاء ما عند الله تعالى، والحزن على مفارقة الأحباب والأقارب، فمن صفات البلوى أنه صادق أميــن، لا ينافق ولا يخادع يشق كثيرًا ويحسن الظن بالناس يتحبب للعلماء والفضلاء وذوي الجاه، ليستعين على سفره بجوائزهم إن كانوا أغنياء ويستفيد من علمهم أن كانوا علماء[2].

## رحلات البلوي:

لقد كان البلوي شغوفا بالرحلة والأسفار فقد رحل ثلاث رحلات، الأولى إلى

---

(١) أحمد التنبكتى: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، ١/ ١٨٨.

(٢) البلوي: **مقدمة تاج المفرق**، ١/ ٣٧ - ٣٩.

فاس والأندلس وأخذ عن علمائها، وقد ذكر البلوي بعض تفاصيل هذه الرحله في فهرسته.

أما رحلته الثانية: فقد كانت إلى بلاد المشرق وهي الرحلة التي أَلَّف فيها كتابه (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) أما رحلة البلوي الثالثه فكانت في شرق الأندلس وفي غرناطة والمرية ويلش وغيرها(١).

أما سبب رحلته إلى المشرق فقد خرج من بلدة قتورية قاصدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول ﷺ، وقد استكمل أبوالبقاء البلوى رحلته للحج في شهر ذي الحجة سنة: (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) وصف فيها البلاد التي نزل بها وقام فيها(٢)، والمدن المشرقية التي مر بها البلوي بعد خروجه من قتورية يوم الأحد (٧ جمادى الاولى سنة: ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) هنين، وتلمسان، والجزائر، فبجاية(٣)، فقسطنطينة فالعناب(٤)، فبونة ثم رحل إلى تونس والتي غادرها سنة: (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م إلى قوسرة ومالطة، وقبرص ثم الإسكندرية، فالقاهرة التي دخلها في (١٣ رجب سنة: ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) في عهد الناصر محمد بن قلاوون وخرج البلوي من القاهرة في نفس العام

---

(١) البلوي: مقدمة تاج المفرق، ١/ ٤٥.

(٢) البلوي: المصدر السابق، ١/ ٤٦.

(٣) **بجاية**: تقع في شمال الجزائر العاصمة بحوالي ٢٠٠كم، وتطل مدينة بجاية على ساحل البحر الأبيض المتوسط مباشرة، ومدينة بجاية تعد من المدن التاريخية إذ أسسها الفينيقيون وأطلقوا عليها اسم صلداي، ودخلها الإسلام في سنة(٦١هـ/ ٦٨٠م)، حسام الدين إبراهيم عثمان: **موسوعة مدن العالم**، ص٤٠

(٤) **العنابة**: هي ثاني أهم مدن الشرق الجزائري، وثالث الموانئ الجزائرية من حيث الأهمية الأقتصادية، وتقع على ساحل البحر الأبيض في منطقة سهلية مشهورة بإنتاجها الزراعي وثرواتها المعدنية، وتعتبر مدينة العنابة من المراكز الصناعية المهمة في الجزائر، حسام الدين إبراهيم عثمان: **المرجع السابق**، ص١٣٦

متوجهاً إلى غزة [(١)]، ثم بيت المقدس، ثم رحل إلى الكرك، وتبوك، فالعلاا ثم وادي القرى ومنها إلى المدينة المنورة والتي خرج منها البلوي في ٢٣ ذى القعدة إلى (ذى الحليفة) (فوادى الصفراء) فرابغ، فخليص، فبطن مر ومنها توجه إلى مكة التي دخلها في(٥ ذي الحجة سنة: ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)[(٢)].

ثم قفل راجعا إلى وادى العقيق فالمدينة في(٢٣ ذى الحجة سنة: ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) فينبع، فعقبة إيليا فوصل إليها في(١٦ محرم ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م) ثم واصل السير إلى القدس، فالرملة فغضة، عسقلان، فقاطبة،فمصر، ففوة، فالإسكندرية، فالغمارى وامتحن في دشار الغماري التي بلغها مع أخيه محمد في ربيع الأول سنة: (٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م) ثم رجع إلى الإسكندرية وغادرها في أول شوال سنة: (٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م) مارا بطبرق وتونس سنة: (٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م) وباجة والعناب وقسطنطينة، وبجاية، وجبل الزاب والجزائر، وتلمسان وهنين، حيث ركب منها متوجهاً إلى المرية حتى بلغ قتورية ولكنه لم يكد يستقر في بلدته حتى أخذ يطوف بالمدن المجاورة لبلده حيث قرظ رحلته بعض علماء المرية وغرناطة [(٣)]، وكانت رحلة البلوي للمشرق ممتعة (استفاد منها وأفاد وتبادل الأنشاد) [(٤)]، وكان البلوي محترماً أينما حل وارتحل، بل لقد شغل في تونس وظيفة سلطانية سامية، حيث عمل كاتباً لدى أبي يحي

---

(١) **غزة**: تقع في فلسطين على مسافة ٨٠ كم جنوب مدينة يافا وتطل على البحر الأبيض المتوسط مباشرة، وهي من المدن التاريخية العريقة فقد دخلها الإسلام على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه في سنة(١٥هـ/ ٦٣٦م)، حسام الدين إبراهيم عثمان: **موسوعة مدن العالم**، ص١٣٧.

(٢) البلوي: **مقدمة تاج المفرق**، ١/ ٥٣.

(٣) مدينة غرناطة تقع في الجنوب الشرقي من إسبانيا وقد أنشا المسلمون المدينة سنة(١٣٣هـ/ ٧٥٠م) وتوجد فيها العديد من الآثار والمباني التاريخية الإسلامية، حسام الدين إبراهيم عثمان: **المرجع السابق**، ص١٣٧.

(٤) فقد استفاد الرحالة البلوي من كبار علماء المشرق في الحديث والادب فأخذ منهم وروي سندهم ونسخ كتبهم وأخذ منهم الأجازة وأفاد فقد روي لهم من أدب الأندلس، البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٥٨-٥٩.

أبو بكر بن زكرياء الحفصى ولكنه حن إلى بلدة فقدم استقالته معتذرا [١].

## منهج البلوي في رحلته:

أما منهج البلوي في رحلته: فمن خلال رحلته إلى مصر وقد دخلها على أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكانت في أوج ازدهارها العلمي، فوصف لنا ما شاهده، وصف البيمارستان المنصوري وصفاً دقيقاً، ووصف معالم مصر الحضارية حيث وصف الأهرامات وشكلها ووصف نيل مصر ومراكبها وتحدث عن مساجد مصر وعلى وجه الخصوص جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه، حيثُ نقل ما كان مكتوباً على المحراب، ووصف (مشهد الحسين بن علي رضي الله عنه ومشهد السيدة نفيسه -رضي الله عنها- ومشهد السيدة زينب ابنة علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-) فيصف أشكالها وما كان قد كتب عليها.

ووصف مدرسة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وتحدث عن العلماء الذين التقى بهم وعند ذكره للعالم الذي يلتقى به سواء في القاهرة أو الإسكندرية نجده يعرف العالم بكلمات يغلب عليها السجع ويذكر مؤلفات بعض العلماء الذين التقى بهم.

ويحرص البلوي على أخذ الإجازات له سواء كان ذلك من علماء القاهرة أوالإسكندرية كما يحرص على لقاء العلماء في أماكن تواجدهم سواء كانوا في المدارس أوفي منازلهم، وكان البلوي مولع بالشعر وقد حفظه وبالأخص الشعر الأندلسي ومؤلفه مليء بمحفوظاته في ذلك الجانب وقد روى لنفسه الكثير من القصائد والمقطوعات [٢].

ونجد أن البلوي في رحلته اعتمد على التجربة الشخصية فكان يقف على المشاهد والآثار بنفسه، ويتصل بالعلماء للرواية عنهم مباشرة ولا يعتمد في وصف

---

(١) البلوي: مقدمة تاج المفرق، ١/ ٥٣ - ٥٤.

(٢) البلوي: المصدر السابق، ١/ ٤٠.

المدن على ما جاء في كتب الرحالة والمؤرخين الذين سبقوه وإنما يعتمد على مشاهداته بنفسه، وقد ذكر بروكلمان في كتابه أن البلوي استفاد في كتابه (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) بما كتبه ابن جبير عن المشرق، والواقع أن البلوي لم يشير إلى هذه الرحلة ولم ينقل عنها شيئا بل إن طريق رحلته في بعض الأحيان غير طريق سلفه[١]، وإذا كان هناك تشابه في الوصف الأدبي في ذكر المكان والزمان فذلك يرجع إلى تشابه الموصوف غير أن مؤلفه يميز حيوية كاتبه[٢]الذي لم ينقل الموضوع عمن سبقه إنما يتحدث عن المشاهد التى رآها، فوصفها وعلق عليها[٣]، ورحلته زاخرة بالمعلومات الهامة التى احتوها ذلك العصر، علما بأن البلوي أمتاز بالأمانة العلمية في نقل الرواية فهو حريص على ذكر الرواة المشهورين والمعروفين بالصدق ويذكر البلوى أن سنده في الحديث قوي فهو يروي موطأ مالك برواية أبي عبدالله بن عبدالسلام وهي أصح رواية ولا يوجد مثل سندها في المغرب، كما أن البلوي كان على درجة كبيرة من الثقافة ويظهر ذلك جلياً من خلال ما أورده من كتب وفهارس ودواوين شعر وغيرها في رحلته، وقد اهتم البلوي بالوصف الجغرافي للمدن والقرى التي مرَّ عليها بصورة دقيقة كما أشار إلى الأحوال الأمنية والسياسية والاجتماعية والدينية في متن رحلته. لذا فرحلة البلوي تعد مصدراً من المصادر التاريخية لدراسة أحوال المشرق العربي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري وعلى وجه الخصوص الحياة العلمية في المشرق العربي نظراً لطغيان الحديث عن الحياة العلميه والعلماء الذين أخذ منهم في رحلته، ونجد أن البلوي كان معاصراً للرحالة ابن بطوطة ويتفق الإثنان في بعض الأمور لأنهما عاصرا بعضهما بعضاً ولكل رحلة طابعها الخاص الذي يميزها[٤]لكن

---

(١) البلوي: **مقدمة تاج المفرق**، ١/ ٤٧ - ٤٨.

(٢) نواف الجحمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي**، ص١٠٣.

(٣) البلوي: **المصدر السابق**،، ١/ ٤٨.

(٤) نواف الجحمة: **المرجع السابق**، ص١٠٤.

البلوي نجده في رحلته قد اطلع على الكتب الجغرافية بخلاف ابن بطوطة الذي يرتكب أخطاء جغرافية تدل على عدم اطلاعه على هذا الفن، وإنما تدل على مشاهداته للأماكن التى زارها فحسب كما يلاحظ أن ابن بطوطة برغم من أنه رحل قبل البلوي إلا أنه لم يسجل رحلته في وقتها إنما سجلها بعد عودته في زمن متأخر، أما البلوي فقد دون رحلته أيام تنقلاته وفي أثناء سفره وأكمل مراجعتها بها بعد عودته من رحلته سنة: (٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م)[(١)].

## المناصب التى تولاها البلوى:

تولى البلوي الكتابة في تونس لدى أميرها أبويحي الحفصى[(٢)]، وتولى القضاء زمناً في بلدته قتورية[(٣)]، ثم في ببرشانة، كما كان مدرساً في الإسكندرية مدة إقامته بمصر[(٤)].

## مؤلفاته:

اما مؤلفات البلوي فقد ألف عدة مؤلفات نذكر منها أهمها وهو:

١ - رحلته المسماة (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) ويقول عنها ابن الخطيب المكناسي: "حج وقيد رحلته في سفر، وصف فيها البلاد ومن لقي بفضول جلب

---

(١) البلوي: مقدمة تاج المفرق، ١/ ٥٩-٦٠.

(٢) وقد شغل منصب الكاتب في تونس بعد عودته من رحلته المشرقية لدى أميره أبويحي الحفصي سنة: (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) كما يذكر الأستاذ الحسن السائح في عهده زخرت تونس بالكتاب الكبار كابن خلدون والأبلى وأمثالهما (البلوي: المصدر السابق، ١/ ٤٣).

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ط٢، ١/ ٥٠٠، الزركلي: الأعلام، ٢/ ٣٣٩، عمر كحالة: معجم المؤلفين، ١/ ٦٨٨.

(٤) البلوي: المصدر السابق، ١/ ٤٣.

أكثرها من كلام العماد الأصفهاني وصفوان وغيرهما "[(١)]

"والواقع أن ابن الخطيب كان قاسيا على البلوي في اتهامه بالسرقات الأدبية سواء من العماد الأصفهاني أو صفوان، ويري ابن الخطيب أن البلوي اقتدي أسلوب العماد في السجع ورواية القصائد والمقطوعات والتضمينات في كتابة (البرق الشامي)، وهذا النقد اللاذع من ابن الخطيب يوضح صورة النقد في ذلك العصر وذلك لوفرة الخزائن من المؤلفات وانتشارها، وإلا فكيف ينتقد ابن الخطيب البلوي في سرقته الأدبية من العماد الأصفهاني في كتابة (البرق الشامي)، ومع هذا فالبلوي لم يكن مقلدا بمعني الكلمة بل كان مقتبساً ومتاثراً، سواء بالتعابير الوصفية أو الأدبية أو الأنماط التصويرية، وهذا الأمر لم يكن فريدا في عصر البلوي، بل نجده يتكرر في مولفات المشرقيين وتأثرهم بالشعر والنثر الأندلسيين إذ لهم طابع خاص يتميزون به، وربما نتفق مع ابن الخطيب في اقتفاء البلوي للعماد الأصبهاني في الكثير من الأمور ولكن من الصعوبة أن نتهم البلوي في أنه قد نسخ رحلته من غيره ونسبها إلى نفسه، فإن ابن الخطيب لاتساعده البراهين في إثبات ذلك "[(٢)].

ويقول عنها أيضاً المقري التلمساني: " هذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد، وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد "[(٣)] ويظهرأن المؤلف كتب رحلته أولا وتناقلها الناس عنه، ثم بدا له أن يكتبها مرة ثانية وعرضها على أصدقائه من العلماء فقرظوها، وقد احتفظ بها حفيده ثم نشرها من جديد، وهذا سبب عدم الاتفاق في بعض النسخ، وتعتبر رحلة البلوي ذات قيمة كبيرة سواء من الناحية التاريخية أو الأدبية أو الاجتماعية أو العلمية فقد سجل مذكراته بضبط تام

---

(١) ابن الخطيب: **الإحاطة**،ط٢، ١/ ٥٠٠.

(٢) نواف الجحمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي**، ص١٠٣.

(٣) المقري: **نفح الطيب**، ٢/ ٥٣٢.

وبدقة ولم يعتمد فيها على ذاكرته[١].

٢- كما ألف البلوي برنامج روايته الذي لم يعثر عليه.

٣ - ترك البلوي ديوان شعر ضمنه قصائده ومقطوعاته التي أشار اليها في رحلته.

٤ - كما له تخريج في حديث الرحمة، وكتابا عن أسانيد لثلاثيات البخاري أشار له في تاج المفرق.

٥ - كما له مجموعة مختارة من أشعار معاصريه[٢].

**وفاتــــــه:**

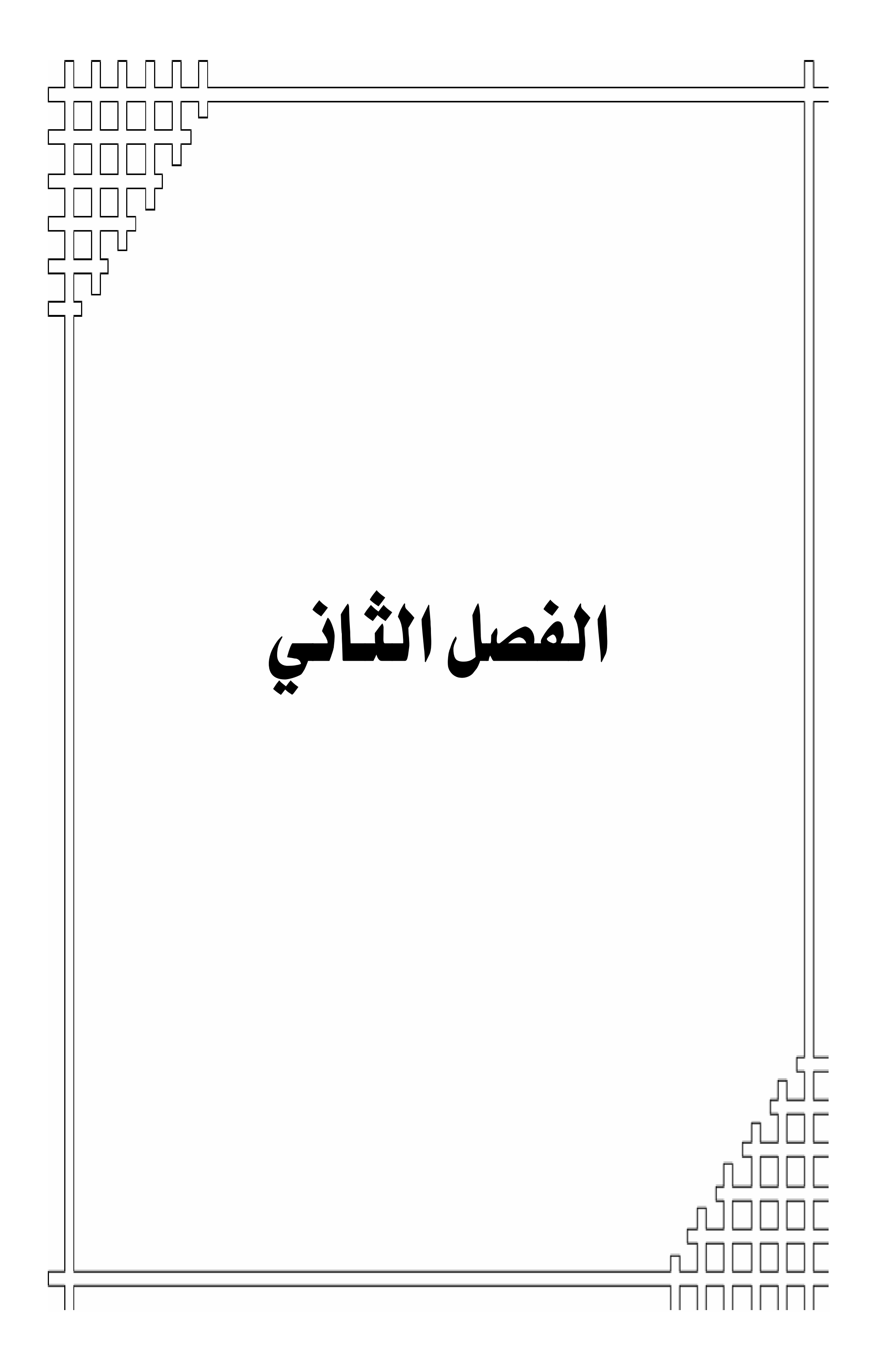
أما وفاته فقد ذكر الزركلى أن البلوي توفي بعد سنة: (٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م)[٣] وهذا ما نفاه الأستاذ الحسن السائح محقق الرحلة بقوله أن ذلك غير صحيح لان البلوي أتم كتابة رحلته في أخر يوم من شهر ربيع الأول سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م برشانة، ولم يعيش بعد هذا التاريخ، لأن المؤكد أنه توفي قبل سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م ، ويدل على ذلك ذكر ابن الخطيب له في كتابه الريحانة التي ألفه سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م وترحمه عليه[٤].

(١) البلوي: مقدمة تاج المفرق، ١/ ٤٦.

(٢) البلوي: المصدر السابق، ١/ ٣٦.

(٣) الزركلي: الأعلام، ٢/ ٣٣٩.

(٤) البلوي: المصدر السابق، ١/ ٢٦.



# الفصل الثاني

# الفصل الثاني

## الأحوال السياسية والوظائف الإدارية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتب الرحالة المغاربة

**وفيه مبحثان :**

- **المبحث الأول : الأحوال السياسية لمصر من خلال كتابات الرحالة.**
- **المبحث الثاني : الوظائف الإدارية والمهام السلطانية من خلال كتابات الرحالة المغاربة.**

# المبحث الأول

## الأحوال السياسية لمصر
## من خلال كتابات الرحالة

كانت الأحوال السياسية في مصر في القرن السابع والثامن تحوي الكثير من الصراعات في عهد سلاطين المماليك، صراعات داخليه وصراعات خارجية مع الصليبيين أو المغول، لذلك سأذكر عصور السلاطين الذين رحل الرحالة إلى مصر في زمنهم وأبرز الأحداث التي وردت كإشارات بسيطة في كتب الرحالة مع الاستعانة بكتب المصادر لتوضيح الحدث التاريخي أكثر:

### ١- عصر الصالح نجم الدين أيوب:

على الرغم من أن الرحالة ابن سعيد المغربي رحل إلى مصر ودخلها سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م) في زمن الصالح نجم الدين أيوب(1)، ومكث في مصر لمدة أربعة

(١) هو نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد، ولد بالقاهرة سنة(٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)، جعله والده الملك الكامل نائب على مصر سنة(٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م)، ثم انتقد عليه والده عدة أمور ومال إلى أخيه العادل بدلاً عنه، ولما فتحت حران وآمد وسنجار أرسله والده إليها، حكم مصر في سنة( ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) بعد أن خلع أخيه العادل واعتقله في قلعة الجبل، وتوفي في نصف شعبان سنة( ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) في المنصورة أثناء حصار الفرنجة عليها، فاخفت زوجته شجر الدر خبر موته، إلى أن جاء ابنه توران شاة فتولى مقاليد الحكم بعده، كانت مدة حكمه لمصر تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوماً، وتوفي و عمره نحو أربع وأربعين سنة، من أهم أعماله بناء قلعة الروضة والتي اتخذها مسكنا للمماليك التي استكثر من شرائهم، ابن العميد: **أخبار الايوبيين**، ص٢٦، ٣٨،، ابن واصل: **مفرج الكروب**، حققه: حسنين محمد ربيع، ٥/ ٢٥٩، ٢٦٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ابن واصل: **مفرج الكروب**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ٦/ ٨٠، ٨١، الحنبلي: **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، ص٣٦٧، ٣٨٠، ٣٧٥.

=⇦

سنوات ثم غادرها سنة: (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) إلى حلب، إلا أنه لم يذكر تفاصيل عن الحياة السياسية في تلك الفترة، كما لم يعط حتى إشارات بسيطة.

## ٢- عصر المنصور قلاوون:

وقد رحل الرحالتان العبدري وابن رشيد إلى مصر زمن السلطان المنصور قلاوون [1]، فأشار الرحالة العبدري إلى إعداد المنصور قلاوون لحصار عكا ووفاته،

= وانظر ترجمته في ابن دقماق: **نزهة الأنام في تاريخ الأسلام**، ص١١٥، ١٨٨، ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي**، ص٢٤١، ٢٦٠، ابن الجيعان: **الحوادث الجامعة**، ص٢٩٠، ٢٩١، ابن خلكان: **وفيات الاعيان**، ٥/ ٨٤-٨٦، القرماني: **أخبار الدول وآثار الأول**، ص٢٦١، ٢٦٣، الملواني: **تحفة الاحباب**، ص١٢٩، ١٣٠.

(١) هو سيف الدين أبو المعالى قلاوون الصالحي النجمي الألفي، اشتراه الأمير آق سنقر الكاملي من تاجر بألف دينار ثم مات الأمير آق سنقر فاشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة(٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) وبعد موت الملك الصالح ترقى حتى صار من أمراء الألوف بالديار المصرية في عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وفي عهد العادل سلامش ابن الظاهر بيبرس عمل نائب للسلطنة، ولما خلع السعيد بركة من السلطنة وحلفوا لأخية العادل سلامش جعلوا قلاوون الوصي عليه، فصار يخطب له مع السلطان العادل سلامش وضربت السكة على وجه باسم سلامس وعلى الوجه الأخر باسم قلاوون، وظل الأمر لمدة شهرين إلى أن خلعوا الأمراء سلامش في سنة(٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) وبايعوا المنصور قلاوون، ولما تسلطن المنصور قلاوون أمسك جماعة كثيرة من الأمراء الظاهرية وهزم المغول مابين حمص والرستن في أول سنة(٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، وهزم الصليبيين ففتح المرقب سنة(٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، وطرابلس سنة( ٦٨٨/ ١٢٨٩م)، وفي سنة(٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) خرج المنصور قلاوون من مصر لحصار عكا، فخيم بمسجد التين، وكان مريضاً فاشتد به المرض وتوفي في المكان المذكور في ٦ ذي القعدة سنة(٦٨٩هـ/ ٩ نوفمبر ١٢٩٠م)، وكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة شهور، المنصوري: **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، ص١٢٢، ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ٩/ ٩١، ٩٢،٩٥، **مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة**، ٢/ ٣٨، ٤٠، اليونيني: **ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، ١٩/ ٩٨.

وانظر ترجمته في: ابن دقماق: **الجوهر الثمين في سير الملوك**، ٢/ ٩٢ - ١٠١، المقريزي: **السلوك**، ٢/ ١٢٢ - ٢١٧، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط٢، ٧/ ٢٩٢ - ٣٢٥،ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص٣٤٧- ٣٦٠، الشافعي: **دول الإسلام الشريفة البهية**، ص٤١-٤٤، ابن سباط: **تاريخ ابن سباط**، =

بينما الرحالة ابن رشيد لم يعطينا أي إشارات عن عصر المنصور قلاوون.

## حصار السلطان المنصور قلاوون لعكا

وقد أشار الرحالة العبدري إلى خبر موت السلطان المنصور قلاوون أثناء حصار عكا بقوله: " وبعد مرحلة من رابغ جاءنا من مصر من أخبر بموت سلطانها الملك المنصور ولهم عن مصر سبعة عشر يوماً، وكنا تركنا السلطان على الحركة إلى جهاد عكة، وقد برز جميع عسكره خارج المدينة فلما خرج مرض، فمات من حينه "[(١)]، ولم يورد لنا تفاصيل حصار السلطان المنصور قلاوون لعكا وأسباب حصاره لعكا ومن خلال كتب المصادر نجد أن المنصور قلاوون، أتبع سياسة التعامل مع خصومه المغول والصليبيين كل على حدة، فعقد هدنة مع الصليبيين شملت قوى الأسبتارية وبوهيمند السابع أمير طرابلس لمدة عشر سنوات سنة: (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، وبعد انتصار السلطان قلاوون على المغول واستقرار أوضاع الدولة الداخلية، قرر مواجهة القوى الصليبية، وبدأ بقلعة المرقب التي كانت بيد الأسبتارية وذلك في سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وحاصر الحصن وضربه بالمنجنيق فطلب أهلها الأمان فأعطي أهلها الأمان على أن يخرجوا منه، وتسلم الحصن[(٢)]، وفي سنة: (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) أرسل السلطان المنصور قلاوون حملة بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي إلى اللاذقية لفتحها، ففتحها[(٣)]، وفي سنة: (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) خرج المنصور قلاوون في حملة عسكرية لفتح طرابلس فحاصرها واستطاع فتحها بعد ٣٤ يوم وأمر بهدم طرابلس

---

= ٢/ ٤٧٠ - ٤٩٣، العليمي: **التاريخ المعتبر في أنباء من عبر**، ص١٥٥- ١٥٨، الملطي: **نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**، ص٧٩ - ٨٠.

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص٣٥١.

(٢) أبو الفداء: **المختصر**، ٤/ ٣٠، المنصوري: **التحفه الملوكية**، ص١١٣-١١٤، المقريزي: **السلوك**، ٢/ ١٨٩.

(٣) أبو الفداء: **المصدر السابق**، ٤/ ٣١، ابن عبدالظاهر: **تشريف الأيام والعصور**، ص١٥٢.

فهدمت[١] مستفيداً من الصراعات الصليبية الداخلية بينهم إذ حصل نزاع بين تجار جنوة وبيزا سنة: (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧)في الموانئ الصليبية وما قام به البنادقة من تشجيع السلطان قلاوون لإحكام سيطرته على طرابلس نكاية بأعدائهم الجنوية، كما انتهز قلاوون فرصة موت حاكم طرابلس بوهيمند السابع والخلافات التي دارت بين الصليبيين حول من يرث الحكم بعده [٢] ولم يتبق للصليبيين من مدنهم سوى عكا وصيدا وصور وعثليث[٣]و كانت عكا أكبر مدن الصليبيين ولم يكن في نية السلطان قلاوون فرض سيطرته على مدينة عكا عقب فتحه لمدينة طرابلس مباشرة لذلك جدد السلطان قلاوون الهدنة مع الصليبيين لمدة عشر سنوات[٤]لكن هذا الاستقرار لم يدم طويلاً إذ بوصول الصليبيين الإيطالين أثاروا الارتباك للسلطات في عكا بسبب جهلهم، و أرادوا فور نزولهم إلى البر التعبير عن حماسهم الديني فهاجموا التجار والفلاحين في عكا، وسارع الصليبيون في عكا إلى تقديم الاعتذار وتعهدوا بمعاقبة المذنبين، وكان اعتذاراً شكلياً يتضمن أن الصلبيين الذين ارتكبوا المذابح هم غرباء وأجانب خارجون عن سلطتهم، على الرغم من إرسال السلطان قلاوون وفدا إلى مدينة عكا يطالب بتسليم المذنبين[٥]فقرر السلطان قلاوون نتيجة ذلك التجهيز لغزو عكا، وأخذ يستعد لذلك في مصر والشام ولكن وهو في ذروة استعداده وافاه الأجل سنة: (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)[٦]، وبعد وفاة السلطان المنصور قلاوون تولى مقاليد الحكم

---

(١) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٢١١، المنصوري: **التحفه الملوكية**، ص١٢٠.

(٢) نعمان جبران: **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص٣١٥.

(٣) عثليث: اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر كان مما فتحه السلطان الناصر يوسف بن أيوب سنة: (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) الحموي: **معجم البلدان**، ٦/ ٢٩٩.

(٤) سعيد عاشور: **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، ص٢١٦.

(٥) محمد طقوش: **تاريخ الحروب الصليبية**، ص٦٨١، ٦٨٢.

(٦) نعمان جبران: **المرجع السابق**، ص٣١٦.

بعده ابنه الأشرف خليل[١] في يوم الأحد ٧ ذي القعدة سنة: (٦٨٩هـ/ ١٠ نوفمبر١٢٩٠م)[٢] وأقسم الأمراء الأيمان للسلطان خليل الذي تلقب بلقب الملك الأشرف، وبدأ التأهب للخروج على رأس حملة إلى بلاد الشام لاستكمال فتح عكا[٣]وعندما علم الصليبيون في عكا بخروج الأشرف خليل إليهم،أرسلوا له الرسل يسألونه العفو والصلح، لكن السلطان خليل لم يقبل الصلح معهم[٤]، وخرج الأشرف خليل بالعساكر المصرية إلى عكا في سنة: (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) وأرسل إلى العساكر الشامية بالحضور، فحضر الملك المظفر صاحب حماة إلى عكا، ونائب دمشق

---

(١) هو السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون الصالحي، تولى حكم بلاد مصر والشام بعد وفاة والده في ذي القعدة سنة( ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، فاستكمل فتح عكا وفتح قلعة الروم، انتهى أمره بقتله على يد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء المماليك، حيث سافر السلطان الأشرف خليل إلى البحيرة ونزل تروجا وتوجه منها فوقف بالطريق ليطعم الطيور فأحضر إليه الأمير بيدرا والأمير لاجين ومعهم جماعة من الامراء فاستفهم منهم السلطان عن سبب حضورهم في تلك الساعة، فقال بيدرا: أنهي بين يدي مولانا السلطان كلاماً وقرب من السلطان وجرد سيفه وضرب السلطان على وجهه، فتلقاها بيده فجرح، فصاح لاجين على رفيقة بيدرا وقال: من يقصد قتل الملوك تكون ضربته كذا وضرب السلطان على كتفه الأيمن، فمات السلطان الأشرف خليل في سنة( ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وشهران وأياما، ابن دقماق: **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، ٢/ ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، القرماني: **أخبار الدول وآثار الأول**، ٢/ ٢٧٦، ٢٧٥

وانظر ترجمته في: المنصوري: **مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك**، ص٩١- ٩٧، االمقريزي: **السلوك**، ٢/ ٢١٨ - ٢٤٦، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ٢، ٨/ ٣- ١٨، الشافعي: **دول الإسلام الشريفة البهية**، ص٤٧، ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص٣٦٥ - ٣٧٤، **جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك**، ص١٣٤-١٣٨، الملطي: **نزهة الاساطين**، ص٨١- ٨٣، ابن سباط: **تاريخ ابن سباط**، ١/ ٤٩٤ - ٥٠٢، العليمي: **التاريخ المعتبر**، ص١٥٨ - ١٥٩.

(٢) ابن تغري بردي: **المصدر السابق**،ط ١، ٨/ ٣.

(٣) محمد طقوش: **تاريخ المماليك في مصر والشام**، ص٢٠١.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٢٢.

وأمراء الشام ونائب صفد وتجمعوا أمام أسوار عكا[1] فنصب الأشرف خليل على عكا اثنين وتسعين منجنيقاً وفرض حصاره عليها، وبذل الصليبيون في عكا جهودًا كبيرة في الدفاع عنها، غير أن المسلمين نجحوا في اقتحام أسوار عكا بعد حصار دام أربعة وأربعين يومًا فأمر الأشرف خليل بهدم الأسوار والكنائس ثم تدمير المدينة[2] وبذلك وجَّه الأشرف خليل ضربة للصليبيين واستطاع المماليك بعد ذلك فتح المدن الباقية بيد الصليبيين مثل: صور وصيدا وأنطرطوس وعثليث[3]

### ٣- تولي العادل كتبغا الحكم.

ولم يشير أحد من الرحالة إلى الأحداث السياسية السائدة في عصر السلطان العادل كتبغا [4] غير الرحالة التجيبي، فقد أشار إلى الوباء الذي حصل في عهد

---

(١) أبو الفداء: **المختصر**، ٤/ ٣٤، ٣٥، المنصوري: **التحفة الملوكية**، ص١٢٦.

(٢) حمدى حسين: **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص١٧٦.

(٣) سعيد عاشور: **الحركة الصليبية**، ٢/ ٩٣٥،٩٣٦.

(٤) هو كتبغا بن عبد الله المنصوري، أصله من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في سنة( ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م)، فاخذه الملك المنصور قلاوون وأعتقه ورقاه حتى صار من أكابر أمرائه، واستمر على ذلك في دولة الأشرف خليل وأخوه الملك الناصر محمد، وتولى كتبغا الحكم في مصر في سنة( ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، بعد ذهاب الملك الناصر محمد إلى الكرك، واستمر كتبغا في الملك إلى أن خلعه حسام الدين لاجين من الملك في سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، وتولي السلطنة بعده، وبعد دخول العادل كتبغا في طاعة الملك حسام الدين لاجين، أنعم عليه لاجين بنيابة صرخد واستمر بها إلى أن قتل لاجين، فلما عاد الناصر محمد للسلطنة، جعلة نائب عى حماة واستمر بها إلى أن توفي في سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، ونقل إلى دمشق، فدفن بتربته بسفح قاسون، وكانت مدة سلطنته لمصر سنتين وسبعة عشر يوما، ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ٩/ ١١٥-١١٨.

وانظر ترجمته: ابن دقماق: **الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين**، ٢/ ١١٨-١٢٠، المنصوري: **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، ص٣٠٥، ٣١٠-٣١٢، العيني: **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، ٣/ ٢٦٧ - ٣٥٧، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط٢، ٨/ ٥٥، ٦١-٦٨، الدواداري: **كنز الدرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)**، ٨/ ٣٥٧ - ٣٦٨، ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص٣٨٦-٣٩٢، =⇐

السلطان العادل كتبغا بقوله: "وبلغني أن السلطان الملقب بالعادل كتبغا المنصوري لما احتبس النيل في مدته ووقع بأرضه الوباء، وغلا السعر، ولم يستوف الخراج وتشاءم الناس بأيامه وخاف من خلعهم له، أمر الناظر في النيل أن يأمر مناديه، ينادي في الناس بأن النيل قد زاد إلى حد يرضونه ويسرون به، فلم يفعل ذلك، وقال له: أتريد أن أضر بالناس، وأغرر بهم وأخونهم، وأنا مؤتمن، والله لا فعلت هذا أبدًا، أو كما قال هذا أو معناه أو قريب منه"[(١)].

ومن خلال المصادر نجد أن المصريين تشأموا عند تولي العادل كتبغا الحكم، فذكر المقريزي أن أهل القاهرة جرى على ألسنتهم عبارة واحدة، في يوم ركوب كتبغا بشعار السلطنة وهي: "يانهار الشؤم، إن هذا نهار نحس"[(٢)]، وعلى الرغم من أن العادل كتبغا لم يحكم فترة زمنية طويلة (من سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤ إلى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) إلا أنها كانت فترة سيئة في دولة المماليك، فقد أصيبت بلاد مصر بعد اعتلاء كتبغا بالقحط وكثر الوباء بين الناس وغلت الأسعار، وقصر مدّ النيل[(٣)] ونتيجة هذا الوباء الذي أصاب مصر مات في مدينة القاهرة في كل يوم ألوف: "وعظم في القاهرة ومصر وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقى الميت مطروحاً في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم"، ويؤكد المقريزي أنه بسبب تزايد الغلاء وعظم البلاء انتشر الجوع بين الناس فدفع بعضهم إلى أكل الميته والقطط والحمير

---

= ابن سماط: تاريخ ابن سماط، ١/ ٥٠٣، ٥٠٦، ٥١١، ٥١٢،، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ٢/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب، ص١٦٤.

(٢) المقريزي: السلوك، ٢/ ٢٦٠.

(٣) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر، ص٢١٦، هيفه صالح الصاعدي: الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام، ص٥٦.

وأكل بعضهم لحم بعض[1] وما كان من السلطان العادل كتبغا المنصوري أمام هذا الوضع الصعب إلا أنه فرق الفقراء على أصحاب الأموال رفقة بأحوالهم وسوء أوضاعهم، وفي ذلك يقول المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة: " فلما تجاوز الأمر الحد أمر السلطان بجمع الفقراء وذوي الحاجات، وفرقهم على الأمراء فأرسل إلى أمير المائة، مائة فقير، وإلى أمير الخمسين خمسين، حتى كان لأمير العشرة عشرة. فكان من الأمراء من يطعم سهمه من الفقراء لحم البقر مثروداً في مرقة الخبز، يمده لهم سماطاً يأكلون جميعاً، ومنهم من يعطي فقراءه رغيفاً، وبعضهم كان يفرق الكعك، وبعضهم يعطي رقاقاً، فخف ما بالناس من الفقر"[2] وتطورت الأمور للأسوا في سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، حيث ارتفع سعر القمح فبيع كل إردب بمائة وعشرين درهماً بعد أن كان بخمسة وعشرين درهماً، ثم وصل سعره في سنة(٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) إلى مائة وستين درهماً للإردب الواحد[3] وظل الحال على ذلك حتى عزل السلطان العادل كتبغا على يد نائبه حسام الدين لاجين، وأصبح لاجين هو السلطان الجديد في مصر، فنخفضت الأسعار في سنة(٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) مع تولى السلطان حسام الدين لاجين، إلى النصف وفرح الناس بذلك وسروا[4].

## ٤- عصر السلطان حسام الدين لاجين:

وقد رحل الرحالة التجيبي إلى مصر زمن السلطان حسام الدين لاجين[5] ولم يشر إلى أي أحداث سياسية في فترة حكمه، إنما اقتصر وصف التجيبي على مدى

---

(١) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٢٦١،٢٦٢

(٢) المقريزي: **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، ص٣٩.

(٣) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ٢، ٨/ ٥٧

(٤) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٢٧٦

(٥) المقريزي: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٧٦

اعتناء السلطان بالحجاج وأسقاط المكوس[١] ومن ذلك نورد أحد أقواله: " ومآثره جليلة ومفاخره عظيمة، فمنها أنه اعتنى بالحجاج اعتناء تامًّا وسهل طريقهم، وأمر بإسقاط ما كان يؤخذ منهم في جميع بلاده من الوظائف والضرائب، وأنفذ بذلك كتبا إلى بلاده وعماله وولاته، قرئت على المنابر، ونحن نسمع طائفة منها وأكد في ذلك غاية التأكيد ووعد من تعرض لهم بما يسوؤهم بالعقاب الشديد نفعه الله تعالى " [٢]

لم تذكر المصادر بالتفصيل الضرائب التي ألغاها السلطان حسام الدين لاجين، بل اكتفت بذكر أن السلطان ألغى عدة ضرائب

ويقول العيني عن السلطان حسام الدين لاجين: " كان ديناً خيراً مشفقاً ، كثير الصوم والعبادة ، وقطع أكثر المكوس وقال : إن عشت لا تركت مكساً واحدا" [٣] ويقول المقريزي عن السلطان حسام الدين لاجين: " وأبطل عدة مكوس وقال: " إن عشت لا اتركن مكساً ألبتة " [٤]

ويقول ابن إياس ايضاً: " ابطل في ايامه ماحدث من المكوس بالديار المصرية وكان ناظراً إلى فعل الخير "[٥] وماذكره الرحالة التجيبي من معلومات عن إلغاء السلطان حسام الدين لاجين من المكوس عن الحجاج، لم يذكر بالتفصيل في المصادر

---

(١) انظر أقوال التجيبي عن مدى اعتناء السلطان لأجين بالحجاج وإسقاط المكوس من خلال رحلته **مستفاد الرحلة**، ص٨، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥.

(٢) انظر ترجمته في الفصل الأول ص٩٤، وللمزيد عن الحياة السياسية السائدة في عصر حسام الدين لاجين انظر: المقريزي: **السلوك**، ٣/ ٢٧٤ - ٣٠٧، المنصوري: **زبدة الفكر في تاريخ الهجرة**، ٣١٣ - ٣٢٣، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط٢، ٨/ ٨٥ - ١٠٩، الدواداري: **كنز الدرر(الدرة الزكية في أخبار الدزولة التركية)**، ٨/ ٣٦٧ - ٣٧٨، ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص٣٩٤ - ٤٠٠.

(٣) العيني: **عقد الجمان**، ٣/ ٤٣٣.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٣/ ٢٧٤ - ٣٠٧.

(٥) ابن إياس: **المصدر السابق**، ١/ ق١: ص٤٠٠.

مما يدل على أن كتب الرحالة تحوي معلومات تاريخية لاتذكرها المصادر والرحالة التجيبي قد ذكرها بوصفه حاج في المقام الأول ومما أثار انتباهه.

**٥ - عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون:**

فقد رحل كل من ابن بطوطة والرحالة البلوي إلى مصر في زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون [1]، فمدح كل من الرحالتين السلطان، كما وصف ابن بطوطة مدى اعتناء السلطان بالحجاج فيقول ابن بطوطة: " وكان سلطان مصر على عهد دخولي إليها الملك الناصر أبوالفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، وكان قلاوون يُعرف بالألفي؛ لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً، وأصله من قفجق. وللملك الناصر -رحمه الله- السيرة الكريمة والفضائل العظيمة،

---

(١) **الناصر محمد بن قلاوون**: ولد الناصر محمد ووالده المنصور قلاوون يحاصر حصن المرقب سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، وتولى الناصر محمد الحكم ثلاث مرات المرة الأولى بعد قتل أخيه الأشرف خليل سنة(٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) وعمره تسع سنوات وكان العادل كتبغا نائبه بمصر واستمرالناصر محمد في الحكم إلى أن خلعه العادل كتبغا سنة(٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) فتوجه إلى الكرك وأقام بها إلى أن أعيد للحكم مرة ثانية بعد قتل السلطان حسام الدين لاجين سنة(٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) وكان الأمير سلار نائب له والأمير بيبرس أستادار فكانا يدبران أمور الحكم لقصر سنة فضاق منهم وخرج يريد الحج لكنة مضى إلى الكرك وترك الملك سنة(٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨م)، فتولى الحكم بعد بيبرس الجاشنكير، وفي سنة(٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م) تولى الناصر محمد الحكم للمرة الثالثة وظل بالحكم إلى أن توفي في ذي الحجه سنة(٧٤١ هـ/ ١٣٤١م) وكانت مدة حكمه الثالثة اثنين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ودفن بالقبة المنصورية، ابن تغري بردي: **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، ٢/ ٦٧٤، ٦٧٥المقريزي: **الخطط**، ٣/ ٤١٧

وانظر ترجمتة: المنصوري: **مختار الأخبار**، ص٩٨، ١٠١، ١١٠، الدواداري: **كنز الدرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)**، ٩/ ٦، ٧، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٨، ١٨٩، ابن دقماق: **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، ٢/ ١١٤، ١١٧، ١٢٩، ١٣٧، ١٤٩، ١٧٠، ابن سباط: **تاريخ ابن سباط**، ١/ ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٨، ٥١٩، ٢/ ٦٠٢،٥٩٦، ٦٦٧.

وكفاه شرفاً انتماؤه لخدمة الحرمين الشريفين. وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تُعين الحجاج من الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أوضعف عن المشي في الدربين المصري والشامي "(١) أما الرحالة البلوي فيقول عن السلطان الناصر محمد عند زيارته للقاهرة: "وخلد فيها العز والتمكين للسلطان الناصر الدنيا والدين، أبو المعالى محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى قسيم الملك أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان بن الخلفاء العباسيين فاستمرت سلطنته الآن مدة من خمسين سنة فجاءت الدنيا في أيامه غضة، وزهرة الأيام بهجة، لما منح الله على يديه من الأمن والسكون والدعة وظلال المسرة والهدنة فانسحب ذيل العز، وانضرب رواق الأمن، وانسدل ستر العافية على الملأ والكافة والأقطار النازحة والغريبة "(٢)، ونشير إلى أن الرحالة ابن بطوطة لم يمدنا بغير ما ذكر عن الحياة السياسية زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أثناء زيارته لمصر، لكن احتوت رحلته إشارات عن الحياة السياسية في مصر، ومن هذه الإشارات:

## ١- حكم السلطان الناصر محمد مصر للمرة الثانية

وقد أشار الرحالة ابن بطوطة إلى الفترة الثانية من حكم الناصر محمد أثناء عبوره على حصن الكرك بقوله: " وبهذا الحصن يتحصن الملوك وإليه يلجأون في النوائب وله لجأ الملك الناصر لأنه ولى الملك وهو صغير السن، فاستولى على التدبير مملوكه سلار النائب عنه، فأظهر الملك الناصر أنه يريد الحج، ووافقه الأمراء على ذلك، فتوجه إلى الحج، فلما وصل عقبة أيلة لجأ إلى الحصن وأقام به أعواماً إلى أن قصده أمراء الشام واجتمعت عليه المماليك" (٣).

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٣.

(٢) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢١٦.

(٣) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص١١١.

وبالرجوع إلى المصادر نجد أن المرة الثانية لتولي الناصر محمد السلطنة في مصر أطول من مرته الأولى فقد امتدت لمدة عشر سنوات تقريباً من سنة: (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) إلى سنة: (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨ م)[١] فبعد مقتل السلطان لاجين في سنة: (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) اتفق الأمراء على الكتابة للناصر محمد بن قلاوون وهو في الكرك وقدومه إلى مصر لتولي مقاليد السلطنة، على أن يكون الأمير طغجي[٢] نائب له، وأن لا يقرر أمراً من الأمور المختصة بشؤون الدولة إلا بموافقة الأمراء عليه[٣] غير أن الأمير كرجي[٤] اعترض على ما اتفق عليه الأمراء المماليك من عودة الناصر محمد وتولي مقاليد الحكم وقال لهم في اجتماع ضم الأمراء المماليك من ضمنهم كان الأمير طغجي: " ياأمراء أنا الذي قتلت السلطان وأخذت ثأر أستاذي، والملك الناصر صغير ما يصلح ولا يكون السلطان إلا هذا وأشار لطغجي - وأنا أكون نائبه "[٥] وانقسم الأمراء بين مؤيد لطغجي وكرجي وكان معظمهم من المماليك الأشرفية، والفريق الثاني من المماليك كان يريد عودة الناصر محمد، اتفقت هذه الأحداث مع عودة الأمراء المماليك التي أرسلت الى السيس وبلاد الأرمن على رأسها سيف الدين بكتاش أمير سلاح، ولما علم بخبر مقتل السلطان لاجين غضب غضباً شديداً ودعا الأمراء للذهاب إلى لقائه خارج القاهرة، كما جرت العادة من استقبال القادة المنتصرين، فتردد الأمير طغجي في الخروج معهم وتحت إلحاح باقي الأمراء وضغطهم خرج للقاء

(١) أحمد العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٢٤.

(٢) هو الأمير طغجي بن عبد الله الأشرفي، نائب السلطنة بالديار المصرية وهو أحد مماليك الأشرف خليل وهو من الذين شاركوا في قتل السلطان حسام الدين لاجين، فقتل بعده بأربعة أيام في سنة(٧٩٨هـ/ ١٢٩٨م)، ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ١/ ٣٦٥.

(٣) المقريزي: السلوك، ٢/ ٣٠٧.

(٤) هو كرجي بن عبد الله، كان أحد أمراء الديار المصرية، وكان رأس البرجية وهو الذي قتل المنصور حسام الدين لاجين ثم قتل بعده بيوم في سنة(٦٩٨ هـ/ ١٢٩٨م)، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ٢/ ٥٥٦.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، ٢/ ٣٠٨، محمد سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٤٠.

الأمير سيف الدين بكتاش، فنفذ الأمراء ما تفقوا عليه من خطه وقتلوا الأمير طغجي وعادوا إلى القلعة حيث تمكنوا في نهاية الأمر من قتل كرجي[١] وبعد ذلك عاد الناصر محمد من الكرك إلى مصر لتولي السلطنة، فعين الأمير سيف الدين سلار المنصوري نائب للسلطنة والأمير بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار[٢] واتخذ الأميرين سلار، وبيبرس الجاشنكير من صغر سن السلطان ذريعة، للاستئثار بالسلطة، وضيقوا عليه ولم يسمحوا للسلطان الناصر محمد بن قلاوون بالتصرف بحرية في أمواله، إذ خفضوا من المرتب المالي المخصص له ومن آثار التنافس السياسي بين كل من بيبرس وسلار للاستئثار بالنفوذ والسلطة في مصر، عدم استقرار أوضاع بلاد مصر، ونشوب الخلاف بين طوائف المماليك، فقد كان بيبرس يلي أمور المماليك البرجية الذين أزداد نفوذهم، حتى أخذ الناس يتوافدون عليهم، لقضاء حاجاتهم، كما كان الأمير سلار يشرف على شؤون المماليك الصالحية والمنصورية، وقد بلغ التنافس، فأصبح كل من الفريقين يطمع في زيادة نصيبه من الاقطاعات، وإذا مارقى واحد من المماليك البرجية، طلب مماليك الأمير سلار أن يؤامر واحداً منهم[٣] وأدت هذه المنافسات بين المماليك ووجود سلطان قاصر في حكم مصر إلى ازدياد غارات العربان وفسادهم مستغلين انشغال السلطان الناصر محمد ومن معه من المماليك بحرب المغول، فأكثروا الفساد في الوجه القبلي، وقطعوا الطرق على التجار وفرضوا عليهم أتاوات، واستخفوا بالولاة وامتنعوا عن أداء الخراج وتسموا بأسماء الأمراء واختاروا اثنين منهم كقادة لهم تسمى أحدهما باسم بيبرس والآخر سلار واستفتى الأمراء القضاة والفقهاء في أمر التصدي لهولاء العربان، فأفتوهم بقتالهم[٤] فخرج الأمير بكتاش بمن معه من الجند إلى الفيوم

---

(١) هاني حمزة: **مصر المملوكية**، ص١٩٦.

(٢) ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي**، ٢/ ٣٥١، النويري: **نهاية الإرب**، ٣١/ ٢٣٦.

(٣) محمد سرور: **دولة بني قلاوون في مصر**، ص٤١.

(٤) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٣٤٦، سعيد عاشور: **العصر المماليكي في مصر والشام**، ص١١٩.

وبيبرس الدوادار ومعه بعض الأمراء إلى السويس والطور وقطع عليهم حاكم قوص طرق الصحراء، ونجح الأمراء في نهاية الأمر من محاصرة العربان المتمردين، ثم انقضوا عليهم في مخابئهم، فقتلوا منهم الكثير، وأسروا نحو ألف وستمئة[(١)] لكن السلطان الناصر في سنة: (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) نفذ صبره نتيجة تضيق سلار وبيبرس عليه، فاستدعى الأمير بكتمر الجوكندار وأخبره برغبته بالتخلص من الأميرين بيبرس وسلار وطلب مساعدته في ذلك، وعرفا هذان الأميران عن نية السلطان بالتخلص منهما[(٢)] عن طريق جواسيسهما المنتشرين في القلعة، فاتخذا الحيطة وقاما بتطويق مكان إقامته، وأمرا عدد من المماليك بالتمركز على باب الاصطبل السلطاني حتى لا يهرب السلطان[(٣)] وعندما علم السلطان بالأمر أرسل إلى الأمراء يقول لهم: " ما سبب هذا الركوب على باب إسطبلي؟ إن كان غرضكم في الملك فما أنا متطلع إليه، فخذوه وأبعثوني أي موضع أردتم " فكان جواب الأمراء "بأن السبب هو من عند السلطان ومن المماليك الذين يحرضونه على الأمراء " ولما علم العامة بهذه المؤامرة، خرجوا مؤيدين للسلطان الناصر، معلنين حبهم للسلطان ورغبتهم في بقاء الحكم في أسرة قلاوون واستاء كل من سلار وبيبرس وعملا على تفريقهم، ولم تهدا ثورة العامة " فاشتد صياحهم: يا ناصر يا منصور، وتكاثر جمعهم وصاروا يدعون السلطان، ويقولون: الله يخون الخائن، الله يخون من يخون ابن قلاون" ولم تهدا ثورة العامة حتى أيقنوا أن السلطان رضي عن أمرائه، وبعث الأمراء إلى السلطان بأنهم في طاعته، ويطلبون منه إخراج الشباب الذين أثاروا الفتنة، فلم يوافق السلطان في أول الأمر، وبعد تردد وافق على أخراج جماعة منهم إلى القدس[(٤)]، وتمادى كل من الأميرين سلار

---

(١) محمد طقوش: **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ص٢٣١.

(٢) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط٢، ٨/ ١٧٠، ١٧١.

(٣) محمد طقوش: **المرجع السابق**، ص٢٣١.

(٤) ابن تغري بردي: **المصدر السابق**، ط ٢، ٨/ ١٧٢، ١٧٣.

وبيبرس في سياسة الحجر على السلطان الناصر فقرر السلطان الناصر محمد التخلي عن الحكم، فتظاهر بالتوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فغادر القلعة يصحبه بعض كبار الأمراء، وسار إلى الكرك، فوصلها في(١٠ شوال من سنة: ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)[١] ولما استقر في الكرك أمر نائبها الأمير جمال الدين أقوش والأمراء الذين حضروا معه، بالسير إلى مصر وإخبار الأمراء المماليك بأنه اتخذ من ذهابه للحجاز حجة ويريد الاستقرار في الكرك والتنازل عن الحكم[٢] وعقد الأمراء اجتماعاً لاختيار من يصلح لتولي السلطنة في مصر ووقع اختيارهم في أول الأمر على سلار غير أنه رفض قبول تولي أمر السلطنة وأشار إلى بيبرس الجاشنكير ونهض قائماً إليه لمبايعته وتبعه المماليك البرجية في مبايعة بيبرس[٣] فبويع في(٢٣ شوال سنة: ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م) و لقب بلقب " الملك المظفر "[٤]

## ٢- قضاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الأميرين بيبرس الجاشكنير وسلار

وقد أشار الرحالة ابن بطوطة إلى حادثة مقتل الأميرين بيبرس وسلار أثناء رحلته فقال: " فقصده الملك الناصر بالعساكر ففر بيبرس إلى الصحراء فتبعته العساكر وقبض عليه، وأتى به إلى الملك الناصر فأمر بقتله، فقتل وقبض على سلار وحبس في جب حتى مات جوعاً، ويقال: إنه أكل جيفة من الجوع، نعوذ بالله من ذلك "[٥]

أما عن أسباب قتل السلطان الناصر محمد بن قلاوون للأمير بيبرس، فتذكر المصادر، أن الأمير بيبرس بعد أن تولى مقاليد السلطنة بادر بكتابة تقليد للناصر محمد

---

(١) ابن حبيب: **تذكرة النبيه**، ١/ ٢٨٦،المنصوري: **التحفة الملوكية**، ص١٨٨، ١٨٩.

(٢) ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي**، ٢/ ٣٦٥.

(٣) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ٢، ٨/ ٢٣٤.

(٤) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٤/ ٤٣.

(٥) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص١١١.

يمنحه بموجبها الكرك ظناً أن ذلك الحل سوف يرضيه ويرضي أتباعه، وطلب السلطان بيبرس من نائب الشام الأمير جمال الدين أقوش الأفرم بأخذ البيعة له من الأمراء، فاستدعى الأفرم أمراء الشام وأخذ البيعة من بعض الأمراء[(١)] بينما رفض عدد كبير من كبار أمراء الشام الاعتراف بسلطنة بيبرس الجاشكنير، كان من بينهم قراسنقر نائب حلب وقبجق نائب حماة وأسندمر نائب طرابلس وأصروا على ولائهم للناصر محمد بن قلاوون[(٢)] واجتمع الأمراء الثلاثة في حلب فقرروا الكتابة إلى الناصر محمد في الكرك ليعرضوا عليه مساعدته في استعادة ملكه " فإما نأخذ له الملك وإما أن نموت على خيولنا "[(٣)] وحمل محمد ابن قراسنقر رسائل الأمراء إلى الناصر محمد بالكرك، وكانت رسالة الأمير قراسنقر، تتضمن لوم الناصر محمد عن تخليه عن الحكم وكيف وقع له ذلك دون أخذ المشورة ووعده بمساعدته لاستعادة ملكه "، وعند وصول محمد ابن قراسنقر إلى الكرك، سلم الناصر الكتاب، فطلب منهم الناصر التريث " فهذا الأمر ما ينال بالعجلة "[(٤)] ولما علم السلطان بيبرس الجاشنكير بالمراسلات التي بين الناصر محمد وأمراء الشام، أرسل كتابًا إلى الناصر محمد يهدده ويتوعده ويطلب كل ما لديه من الأموال والخيول" إن لم تنته وترجع عن مكاتبك إلى الأمراء، وترسل ما عندك من الأموال والخيول والمماليك وإلا جرى عليك كما جرى على أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري ونفيهم إلى القسطنطينية ووعده في الكتاب كل سوء"[(٥)]، فغضب الناصر محمد وأرسل إلى نواب بلاد الشام المحلفين له وقال لهم: " أنتم مماليك أبي وربيتموني فإما أن تردوه عني وإلا أسير إلى بلاد التتار"[(٦)] فانضم

(١) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٥٣.

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص١٢١.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ط ٢، ٨/ ٢٣٨.

(٤) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ط٢، ٨/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٥) ابن إياس: جواهر السلوك، ص١٦١.

(٦) المقريزي: السلوك، ٢/ ٤٣٢.

للناصر محمد عدد كبير من أمراء الشام،كما غادر مصر جماعة من المماليك السلطانية الناصرية، بلغ عددهم ثلاثمائة، قاصدين الناصر محمد في الكرك، لمساعدته في استعادة عرشه، وحاول السلطان المظفر بيبرس أن يحمي عرشه ويحتفظ به، فطلب من الخليفة العباسي المستكفي بالله أن يجدد له البيعة، ويأخذ العهود والمواثيق من الأمراء بوجوب طاعته[(١)] وأمر الخطباء بقراءة العهد على منابر مساجد القاهرة،لكن العامة في القاهرة رفضت استكمال هذه القراءة وأعلنت رفضها لحكم المظفر بيبرس[(٢)] وسار الناصر من الكرك إلى دمشق ودخلها في(١٢ شعبان سنة: ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م) وخرج أهل دمشق إلى لقائه، وزينت مدينة دمشق احتفالا بقدومه[(٣)] ونتيجة استقرار أمور الناصر محمد بدمشق وتقديم الأمير الأفرم الطاعة والولاة للناصر محمد، عفا عنه وخلع عليه وأقره على نيابة حلب [(٤)] وفي يوم الجمعة ٢٢ شعبان أقامت الخطبة للسلطان الناصر محمد، وانقطع اسم المظفر بيبرس الجاشكنير منها[(٥)] وخرج الكثير من عساكر مصر تريد اللحاق بالسلطان الناصر محمد، فلم يبق معه سوى مماليكه[(٦)]، ونظرا لهذا الوضع السيء أشار الأمير سلار نائب السلطنة ومعه جماعة من الأمراء، على السلطان المظفر بيبرس بأن يكتب إلى السلطان الناصر محمد يستعطفه وأن يطلب منه أن يمنحه الإقامة في مكان يختاره السلطان وقالوا له: " يا مولانا السلطان، إن غالب الأمراء والمماليك توجهوا إلى عند الملك الناصر، ووقع الاختيار على عودة، ومن الرأي أن ترسل إلى الملك الناصر تسأله في مكان تتوجه إليه أنت وعيالك فلعله يجيبك إلى ذلك، وإن لم

---

(١) سعيد عاشور: **العصر المماليكي في مصر والشام**، ص١٢٣، محمد طقوش: **تاريخ المماليك في مصر**، ص٢٥٧.

(٢) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ٢، ٨/ ٢٦٤.

(٣) ابن تغري بردي: **المصدر السابق**، ط ٢، ٨/ ٢٦٤، ٢٦٥.

(٤) محمد سرور: **دولة بني قلاوون في مصر**، ص٤٧.

(٥) ابن تغري بردي: **المصدر السابق**، ط٢، ٨/ ٢٦٧، ٢٦٨.

(٦) محمد طقوش: **المرجع السابق**، ص٢٥٧.

تبادر إلى هذا وإلا دهمتك العساكر ويهجموا عليك وأنت هنا "[١] فكتب المظفر بيبرس إلى الناصر محمد يطلب منه أن يمنحه الإقامة أما في الكرك أو صهيون أوحماة[٢]ثم خلع نفسه وفر هارباً مع مماليكه بعد أن استولى على خزائن الدولة قاصداً أطفيح، فلما علم العامة بهروبه لحقوا به وسبوه ورموه بالحجارة، فشق ذلك على مماليكه وهموا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم، فمنعهم المظفر وأمرهم بنثر المال لينشغلوا بجمعه عنه، فأخرج مماليكه حفنه من المال ونثروها، لكن العامة لم يلتفتوا لذلك وأخذوا في العدو خلفه وهم يسبون ويصيحون، فرجع مماليكه وشهروا سيوفهم في وجه العامة فانهزموا منهم، وأصبح الحراس بقلعة الجبل يوم الأربعاء ١٧ رمضان يصيحون باسم الملك الناصر، وخطب في يوم الجمعة ١٩ رمضان على منابر القاهرة باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأسقط اسم السلطان المظفر بيبرس[٣] وخرج السلطان محمد من دمشق يوم الثلاثاء (٩ رمضان سنة: ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م) للقاهرة يرافقه مماليكه[٤]، ووصل إلى غزة فقدمت إليه عساكر مصر ثم سار إلى القاهرة فدخلها في أول شوال[٥] واستقر السلطان محمد على سرير السلطنة في ٢ شوال وأقيمت الخطبة باسمه وحضر الخليفة وكافة الأمراء والقضاة وسار أهل الدولة لتهنئته[٦]وكان الناصر محمد في الخامسة والعشرين من عمره عندما تولى مقاليد السلطنة، أي: في سن تمكنه من أن يدير شؤون الحكم بنفسه، بدأ الناصر محمد بالثأر لنفسه من الأمراء الذين آذوه

---

(١) ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص٤٢٨.

(٢) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ،ط ٢، ٨/ ٢٧١.

(٣) ابن تغري بردي: **المصدر السابق**، ط ٢، ٨/ ٢٧١، ابن إياس: **المصدر السابق**، ١/ ق١: ص٤٢٩، ٤٣٠، محمد طقوش: **تاريخ المماليك في مصر**، ص٢٥٧،٢٥٨.

(٤) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٤/ ٤٧.

(٥) أبو الفداء: **المختصر**، ٤/ ٧٢.

(٦) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٤٤٣.

واستخفوا به[١] وأمر الناصر محمد الأمير قرا سنقر بالقبض على بيبرس الجاشنكير، فقبض عليه بالقرب من غزة وهو يحاول الفرار وأحضر إلى السلطان محمد، فحبسه ثم أمر بقتله[٢]

أما الأمير سلار فقد أعفاه السلطان الناصر محمد قلاوون من نيابة السلطنة وأمره بالتوجه إلى الشوبك، ولم ينسَ السلطان محمد تعاون سلار مع بيبرس، وكان سلار يخشى من السلطان محمد وعلى الرغم من المراسلات التي كانت بين السلطان وسلار يطلب منه الحضور، إلا أنه لم يحضر، ثم أمره السلطان التوجه إلى حماة ليكون نائب فيها بدل الشوبك إلا أن سلار هرب، ثم عاد ليطلب من السلطان محمد الأمان وأن يسمح له بأن يقيم في القدس فأجابه إلى طلبه، ثم بعد فترة طلب الناصر محمد من سلار الحضور، فوصل في سنة: (٧١٠هـ/ ١٣١٠م) إلى القاهرة، وبمجرد وصوله أمر السلطان بالقبض عليه وسجنه ومات في سجنه من شدة ألم الجوع والعطش[٣]

## ٣ – هروب الأمير قرا سنقر من السلطان الناصر محمد إلى المغول

وأشار الرحالة ابن بطوطة لهروب قرا سنقر ونهايته: " كان قرا سنقور من كبار الأمراء وممن حضر قتل الملك الأشرف أخي الملك الناصر وشارك فيه، ولما تمهد الملك للملك وقر به القرار واشتدت أواخي سلطانه جعل يتتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحداً واحداً إظهاراً للأخذ بثأر أخيه، وخوفاً من أن يتجاسروا عليه بما تجاسروا على أخيه. وكان قرا سنقور أمير الأمراء بحلب فكتب الملك الناصر إلى جميع الأمراء أن ينفروا بعساكرهم، وجعل لهم ميعاداً يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه، فلما فعلوا ذلك خاف قرا سنقور على نفسه، وكان ثمان مئة مملوك فركب فيهم وخرج على العساكر صباحاً، فاخترقهم وأعجزهم سبقاً، وكانوا في عشرين ألفاً،

---

(١) سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٢٣١، ٢٣٢.

(٢) أبو الفداء: المختصر، ٤/ ٧٣، المنصوري: التحفة الملوكية، ص٢١٢.

(٣) محمد الأشقر: سلار الأمير التترى المسلم، ص٦٤ – ٦٦.

وقصد منزل أمير العرب مهنا بن عيسى، وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قنص له، فقصد بيته ونزل عن فرسه، وألقى العمامة في عنُق نفسه، ونادى الجوار يا أمير العرب وكانت هنالك أم الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت له: قد أجرناك وأجرنا من معك، فقال: إنما أطلب أولادي ومالي. فقالت له: لك ما تحب فأنزل في جوارنا، ففعل ذلك وأتى مهنا فأحسن نزله وحكمه في ماله فقال: إنما أحب أهلي ومالي الذي تركته بحلب. فدعا مهنا بإخوته وبنى عمه فشاورهم في أمره، فمنهم من أجابه إلى ما أراد ومنهم من قال: كيف نحارب الملك الناصر، ونحن في بلاده بالشام؟ فقال لهم مهنا: أما أنا فأفعل لهذا الرجل ما يريده وأذهب معه إلى سلطان العراق، وفي أثناء ذلك ورد عليهم الخبر بأن أولاد قرا سنقور سيروا على البريد إلى مصر، فقال مهنا لقرا سنقور: أما أولادك فلا حيلة فيهم وأما مالك فنجتهد في خلاصه فركب فيمن أطاعه من أهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين ألفاً وقصدوا حلب فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها واستخلصوا منها مال قرا سنقور ومن بقي من أهله، ولم يستعدوا إلى سوى ذلك، وقصدوا ملك العراق، وصحبهم أمير حمص الأفرم ووصلوا إلى الملك محمد خدابنده سلطان العراق، وهو بموضع مصيفه المسمى قراباغ، وهو ما بين السلطانية وتبريز، فأكرم نزولهم وأعطى مهنا عراق العرب وأعطى قراسنقور مدينة مراغة من عراق العجم، وتسمى دمشق الصغيرة وأعطى الأفرم همدان، وأقاموا عنده مدة مات فيها الأفرم، وعاد مهنا إلى الملك الناصر بعد مواثيق وعهود أخذها منه، وبقي قراسنقور على حاله، وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة بعد مرة، فمنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه، ومنهم من يرمي بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسببه من الفداوية جماعة، وكان لا يفارق الدرع أبداً، ولا ينام إلا في بيت العود والحديد، فلما مات السلطان محمد وولى ابنه أبوسعيد وقع ما سنذكره من أمر الجوبان كبير أمرائه وفرار ولده الدمرطاش إلى الملك الناصر، ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين أبا سعيد واتفقا على أن يبعث أبوسعيد إلى الملك الناصر براس قرا سنقور ويبعث إليه الملك الناصر برأس الدمرطاش، فبعث الملك الناصر برأس

الدمرطاش إلى أبي سعيد، فلما وصله أمر بحمل قرا سنقور إليه، فلما عرف قرا سنقور بذلك أخذ خاتماً كان له مجوفاً في داخله سم ناقع فنزع فصه وامتص ذلك السم فمات لحينه، فعرف أبوسعيد بذلك الملك الناصر، ولم يبعث له برأسه"[١].

وعن أسباب هروب الامير قرا سنقر تذكر المصادر بعد عودة الناصرإلى الحكم، عمل على الانتقام من الأمراء الذين سلبوه كل سلطته، والتخلص منهم حتى يخلو له الجو من ناحية مناوئيه ويستطيع بذلك أن يدبر شئون دولته دون أن يتدخل في أمورها أحد، ولكي يكفل لنفسه النجاح في سياسته، أسند إلى خواصه الذين آزروه وناصروه مناصب الدولة الهامة، ففوض نيابة السلطنة بمصر إلى الأمير سيف الدين بكتمر، وقلد الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نيابة السلطنة بالشام، كما ولى جمال الدين أقوش الأفرم ولاية صرخد، وولى الأمير سيف الدين قفجق نيابة حلب وأسند ولاية طرابلس والبلاد الساحلية إلى سيف الدين بهادر الحاج، على أن السياسة التي اتبعها السلطان الناصر محمد بن قلاوون في تعين ولاته وقضائه على الأمراء الذين كانوا يفسدون عليه أمور دولته لم ترض مماليك الأشرف خليل، بل أثارت حقدهم علية ويتبين ذلك من العبارة التي قالها بعضهم[٢]: " أي ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم، وهذا الذى قتل استاذنا الملك الأشرف، ودمه الآن على سيفه ما خرج أثره، قد صار اليوم حاكم المملكة "(يعنى قراسنقر) فنقل ما قيل لقراسنقر فخاف على نفسه فعمل على الخروج من مصر، وطلب من السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن يأذن له بالذهاب لإلقاء القبض على بيبرس الجاشنكير، هو والأمير الحاج بهادر نائب طرابلس[٣]. فقبل الناصر محمد وسمح له بمغادرة مصر، ولم يمض وقت حيث سيق بيبرس الجاشكنير إلى القاهرة، فحبسه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثم قتله في

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٧٦- ٧٨.

(٢) محمد سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٥٠

(٣) المقريزي: السلوك، ٢/ ٤٤٨

سنة( ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م)، وبعد أن قضى الناصر محمد على بيبرس القى القبض على الأمير سلار وسجنه وظل في السجن حتى وفاته [(١)]، على أن ثائرة المماليك الأشرفية لم تهدأ في عهد الناصر محمد وظلوا يرددون اشتراك الأمير قرا سنقر في قتل أخيه الأشرف خليل مما أثار في نفس السلطان حب الانتقام منه، وأراد أن يأخذه على حين غرة، ففطن الأمير قرا سنقر لما يراد به، واوقع الرعب في قلوب نواب الشام من ناحية السلطان، وأخذ يؤلبهم عليه ولما وجد أن حياته في دمشق أصبحت معرضة للخطر طلب من السلطان أن يوليه حلب، فأجابه السلطان إلى طلبه وعينه على حلب نائباً[(٢)]، وفي ٦ شؤال سنة(٧١١هـ/ ١٤ فبراير ١٣١٢م)، أخذ فيها قراسنقر في التدبير لنفسه خوفا من أن يقبض عليه من قبل السلطان كما قبض على غيره من الأمراء فهادن العربان وصحب سليمان بن مهنا وأنعم عليه وعلى أخيه موسى، حتى صاروا من أنصاره، وقدم عليه الأمير مهنا إلى حلب وأقام عنده أيام وأفضى إليه بسره وأنه خائف من السلطان، وأطلعه على كتاب السلطان بالقبض على مهنا، وأنه لم يوافق على ذلك، فغضب مهنا وانصرف، وبعث قرا سنقر يسأل السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالخروج للحج، فأذن له السلطان وبعث إليه بألفي دينار وخلعة، وقد بلغ السلطان اجتماع قراسنقر بالأمير مهنا، فكتب السلطان إلى مهنا يطلب منه فرسا وأن يحضر إلى مصر، أما قراسنقر فجهز نفسه وخرج من حلب في نصف شؤال ومعه أربعمائة مملوك واستناب الأمير شهاب الدين قرطاي على حلب وترك عدد من مماليكة بحلب لحفظ أمواله، فلما عرف السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمسيرة قراسنقر من حلب كتب السلطان إلى الأمير قرطاي بالايمكن قراسنقر إذا عاد من حلب، وكتب إلى نائب كل من دمشق وغزة والكرك بالتصدي لقراسنقر، وقد اشتد خوف قراسنقر لما علم بما فعل السلطان وعاد من غير الطريق التي سلكها، فلم يستطيع نائب الكرك القبض

---

(١) محمد سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٥٠

(٢) محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر، ص٢٦١.

عليه فلما عرف السلطان كتب إلى الأمير قرطاي بمنعه من دخول حلب ومنع مماليكه من الخروج منها " وإن وجدت فرصة تقبض عليه "، فقدم قراسنقر حلب قبل وصول ماكتب به السلطان إلى الأمير قرطاي، فمنعه قرطاي من دخولها ومنع مماليكه من الخروج إليه، فكتب قراسنقر إلى الأمير مهنا بما جرى له، فكتب مهنا إلى الأمير قرطاي بأن يخرج كل أموال قراسنقر إليه وإلا هجم على المدينة، فخاف عند ذلك الأميرقرطاي وكتب إلى السلطان، كما بعث بعض من أموال قراسنقر إليه مع الأمير عز الدين فرج بن قراسنقر وانصرف قراسنقر عن حلب وقصد البرية، ثم جهز قراسنقر ولده فرج ونائبه عبدون إلى الديار المصرية مع بعض أمواله، فقدم فرج على السلطان الناصر محمد بن قلاوون في أواخر ذي الحجة، وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرة، وأقام فرج مع أخيه علاء الدين على بن قراسنقر في مصر، وقدم الأمير سليمان بن مهنا إلى قراسنقر، وأخذه حتى أنزله في بيت أمه، فاستجار بها قراسنقر من السلطان فأجارته وأتاه الأمير مهنا وأولاده، وقام بما يليق به، وكتب إلى السلطان الناصر محمد يخبره بنزول قراسنقر في أبياته وانه استجار بزوجته أم سليمان، وسأل العفو عنه، وبعث بالكتاب مع أحد أولاده للسلطان، فأجاب السلطان الناصر محمد بن قلاوون سؤاله وكتب إلى مهنا بأن يختار قراسنقر أي بلد من البلاد حتى يوليه عليها، وفي هذه الأثناء كتب قراسنقر إلى الأميرجمال الدين أقوش الأفرم نائب طرابلس يطلب حضوره، وكتب الأمير الأفرم إلى صهره الأمير عز الدين أيدمر الزرد كاش يأمره باللحاق به وبقرا سنقر، وأراد قرا سنقر خداع السلطان فكتب إليه مع مملوكه وكتب مهنا مع ولده بالدعاء والشكر للسلطان وأن قراسنقر قد أختار صرخد وسألا السلطان بأخراج مالقرا سنقر بحلب من الأموال وتمكينه منها، وعندما عادت أموال قرا سنقر إليه ، وقدم عليه الأمير الأفرم والأمير الزردكاش، قرروا الفرار إلى المغول،ثم فر قرا سنقر مع الأمير جمال الدين أقوش الأفرم والأمير عز الدين أيدمر

الزردكاش إلى المغول، ورحب بهم زعيم المغول خربندا وأقطع لقرا سنقر مراغة وللأمير جمال الدين الأفرم همذان[١] ولما بلغ السلطان محمد هروب قرا سنقر، اتهم بعض الأمراء بميلهم إلى قراسنقر، فلقى القبض على بيبرس المنصوري نائب السلطنة بمصر وسنقر الكمالى ولاجين الجاشكنير ومغلطاي المسعودي وسجنوهم[٢]، أما قرا سنقر فقد أرسل له السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة(٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، ثلاثين رجل من طائفة الحشاشين أو الفداوية لاغتياله، ولم تنجح المحاولة[٣] وقيل بأن هؤلاء الفداوية أو الحشاشين جاوا لقتل الملك أبي سعيد ووزيره على شاه وجوبان وقراسنقر وأمراء المغول، فخاف أبو سعيد وأحتجب في خيمته أحدى عشر يوماً، وأنكر جوبان على المجد إسماعيل سفير السلطان الناصر محمد هذه الموامرة وقال له: "ويلك، أنت كل قليل تحضر إلينا هدية، وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر، لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعلية" وهدده بالقتل، وسرعان ماتصالح الطرفان حيث قدم في نفس العام المجد السلامي من قبل الملك أبي سعيد بن خربندا في طلب الصلح[٤]، وأجمع السلطان الناصر محمد الأمراء وشاورهم في الصلح فاتفقوا

---

(١) المقريزي: السلوك، ٢/ ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٩،

وأما مهنا فكتب معهم كتاب إلى خربندا، فخلع خربندا على سليمان بن مهنا وجهز لمهنا معه أموالا جمة وخلعاً وأعطاه البلاد الفراتية، فلما بلغ الناصر ذلك غضب على مهنا وأعطى الإمرة لأخيه فضل، فتوجه مهنا إلى خربندا فأكرمه، واجتهد الناصر في طلب مهنا، ومهنا يمتنع عن الحضور للسلطان ويرسل إخوته وأولاده والناصر ينعم عليهم بالأموال والإقطاعات، وطالت الأيام على ذلك نحو ٢٢سنة إلى سنة(٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) توجه مهنا من نفسه إلى الناصر فأكرمه غاية الاكرام ورده إلى إمرته وظل بها إلى أن مات في ذي القعدة سنة (٧٣٥ هـ/ ١٣٣٤م)، العسقلاني: الدرر الكامنة، ٥/ ١٤٠، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ١١/ ٢٩٣.

(٢) المقريزي: المصدر السابق ، ٢/ ٤٨١، محمد سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٥١.

(٣) محمد سرور: المرجع السابق، ص٢٠٦.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ٣/ ٢٨، ٢٩.

على الصلح، وفي سنة(٧٢٨ هـ / ١٣٢٨م)، لما علم الأمير دمرداش بن جوبان نائب ملك المغول أبو سعيد في آسيا الصغرى بخبر مقتل أخيه دمشق خواجا على يد أبي سعيد ووقف على ما آل إليه مصير أبيه خشي أن يغدر به أبوسعيد، فالتجاء إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة(٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، وكان الأمير دمرداش قد استبد بالأمور في بلاد آسيا الصغرى وصار يضيق على أتباع الناصر محمد الذين يفدون إلى بلاده وفضلاً عن ذلك فإنه منع التجار وغيرهم من إرسال المماليك إلى مصر، فرأى الناصر محمد أن يلجا إلى سياسية المخادعة لعله يستطيع الحد من تعنت هذا الأمير فأخذ يترضاه ويهاديه وكان لهذه السياسية أثرها البالغ فتبادل الأمير دمرداش مع السلطان الناصر الهدايا والخلع وأعلن طاعته واستأذنه في القدوم عليه بعساكره على آسيا الصغري، فرد علية السلطان بكتاب يرحب فيه بقدومة، ورحل الأمير دمرداش إلى مصر، وأرسل السلطان الناصر محمد إلى نوابه في بلاد الشام بأن يحسنوا استقبال الأمير دمرداش، فتلقاه بدمشق نائب السلطنة الأمير سيف الدين تنكز بمظاهر الحفاوة والتكريم ووفر له سبل الراحة حتى رحل إلى القاهرة حيث قابل السلطان الناصر محمد الذي أنعم علية بالخلع المزركشة وخصص لإقامته جناحا وقرر له ولاتباعه رواتب، لكن السلطان الناصر محمد مالبث أن قبض على الأميرر دمرداش وذلك لعدة أسباب منها ماكتبه حاكم دولة بنى قرمان بدر الدين محمود عندما طلب منه السلطان الناصر محمد أن ينزل عن القلعة التي يقيم بها أبناء الدمرداش ويرسلهم مكرمين إلى مصر، بأن أولاد الدمرداش أثروا البقاء في بلادهم وأن الدمرداش هو الذي أمر أبنائه بعدم مغادرة بلادهم، وأنه ماقدم مصر إلا طمعا في امتلاكها [1]

ومن الأسباب الأخرى أنه كانت له في بلاده مائة ألف رأس من الغنم فلما وصلت أعطى الأمير بكتمر الساقي عشرين ألفا ووزع الباقي على بقية الأمراء حتى وزع جميع مامعه فلم يعجب ذلك الأمر السلطان الناصر محمد ، ودخل الأمير

---

(١) محمد سرور: دولة بنى قلاوون، ص٢٠٧، ٢٠٩- ٢١١.

الدمرداش يوما الحمام فأعطى الحمامي ألف درهم والحارس ثلاثمائة مما زاد أكثر في غضب السلطان الناصر محمد على الأمير دمرداش، وهناك سبب أخر وهو أن الأمير الدمرداش أخذ يوقع الخلاف بين الأمراء والخاصكية، ولما علم أبوسعيد بأمر الدمرداش بن جوبان، أرسل رسله إلى السلطان الناصر محمد، فوصلت رسله إلى الأبواب السلطانية في ١١ رمضان برسالة منه كان مضمونها تسليم دمرداش إليه في مقابل تسليم الأمير قرا سنقر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون فمال السلطان إلى ذلك الأمر، ثم عدل عنة وقرر قتل الأمير دمرداش فأخرجه من سجنه في البرج وأخرج وهو مقيد مغلول وشاهده رسل الملك أبي سعيد وهو على ذلك الحال ثم خنق دمرداش وقطع رأسه وأرسل إلى أبي سعيد ودفن الجسد بمكان قتله [(١)] أما مصير الأمير قراسنقر فيذكر المقريزي في حوادث سنة( ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨م)، بأن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري قدمات بمراغة من آذربيجان يوم السبت ١٧ شوال، فورد خبر موته للسلطان في ١١ ذي القعدة، فأنعم السلطان على أولاد قراسنقر الأمير علي بن قراسنقر بإمرة طبلخاناه على دمشق وعلى أخيه فرج بن قراسنقر بإمرة عشر ورسم بسفرهما من القاهرة إلى دمشق [(٢)]، ولم يذكر المقريزي خبر موت قراسنقر بشربه السم كما ذكر الرحالة ابن بطوطة، كما لم ترد في المصادر الأخرى [(٣)].

## اما أبرز الأحداث الخارجيه في عهد الناصر محمد:

### ١- لجوء سلطان إفريقيا أبو يحي زكريا بن أحمد بن أبي حفص إلى السلطان الناصر محمد

---

(١) المقريزي: **السلوك**، ٣/ ١١٠،١٠٩، ١١١.

(٢) المقريزي: **المصدر السابق**، ٣/ ١١٣.

(٣) انظر خبر وفاة قراسنقر في: الدواداري: **كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)**،٩/ ٣٤٩، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ٢،٩/ ٢٧٣، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٤/ ١٢١، العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٣/ ٣٣١.

وأشار الرحالة ابن بطوطة أثناء حديثه عن مدينة الإسكندرية إلى لجوء سلطان إفريقيا المخلوع أبي حفص إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقال: "وكان فيها أيضاً في ذلك العهد سلطان إفريقية المخلوع، وهو زكريا أبويحي بن أحمد بن أبي حفص المعروف باللحياني، وأمر الملك الناصر بإنزاله بدار السلطنة من الإسكندرية وأجرى له مئة درهم في كل يوم، وكان معه أولاده عبد الواحد ومصري وإسكندري وحاجبه أبو زكريا بن يعقوب ووزيره أبو عبد الله بن ياسين، وبالإسكندرية توفي اللحياني المذكور وولده الإسكندري وبقي المصري بها إلى اليوم"[(١)].

وزكريا بن أحمد بن أبي حفص استوزره ابن عمه المستنصر على بلاد المغرب مدة ثم أصبح ملك عليها في سنة(٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، ثم خلع فتوجه إلى الحج في سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، ثم قدم إلى القاهرة في أول سنة(٧١٠هـ/ ١٣١٠م) [(٢)] وطلب من السلطان الناصر محمد بن قلاوون تجهيز حملة عسكرية لاستعادة نفوذه بتونس، على أن يكون نائباً له بهذه الإمارة فجهز معه السلطان فريقاً من الجند ولما وصل طرابلس التف حوله جماعة من العربان والمغاربة، فاشتد بهم أزره، واستطاع أن يضم هذه المدينة إلى ملكه وأقام الخطبة فيها للناصر محمد[(٣)] ثم زحف إلى تونس في ٨جماد الأولى سنة(٧١١هـ/ ٢١ سبتمبر ١٣١١م)، فحاصرها وصاحبها أبو البقاء مريض ففتحها ودخلها زكريا وأشهد أبو البقاء على نفسه بالخلع، ولما استقر الأمر للأمير أبو يحي زكريا، قطع الخطبة للمهدي[(٤)] محمد بن تومرت، وأمر بالدعاء للسلطان الناصر محمد، وبذلك امتدت سلطنة الناصر محمد إلى برقة وطرابلس وتونس، وظلت الخطبة تقام باسم الناصر محمد بن قلاوون من سنة(٧١١هـ/ ١٣١١م) إلى سنة(٧١٧هـ/

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٢.

(٢) العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٢/ ٢٠٦.

(٣) محمد سرور: **دولة بني قلاوون في مصر**، ص١٤٢

(٤) العسقلاني: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٠٦.

١٣١٧م)، إلى أن حدث في سنة(٧١٧هـ/ ١٣١٧م) أن أبا بكر شقيق الأمير خالد المخلوع عن تونس، تمكن من دخول تونس فخرج منها أبو يحي زكريا إلى فاس ثم طرابلس حيث أبحر منها إلى الإسكندرية في سنة(٧١٩هـ/ ١٣١٩م)[١] ورفض الملك وعاش بها إلى أن توفي في سنة( ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) [٢]

## ٢- حرب الناصر محمد مع المغول:

أشار الرحالة ابن بطوطة إلى الحرب بين السلطان الناصر محمد وغازان حاكم المغول في معركة شقحب فقال: " لما وصل قازان ملك التتر إلى الشام بعساكره وملك دمشق ماعدا قلعتها، خرج الملك الناصر إلى مدافعته، ووقع اللقاء على مسيرة يومين من دمشق بموضع يقال له: قشحب، والملك الناصر إذ ذاك حديث السن لم يعهد الوقائع وكان الشيخ العريان في صحبته، فنزل وأخذ قيداً فقيد به فرس الملك الناصر لئلاً يتزحزح عند اللقاء لحداثة سنه، فيكون ذلك سبب هزيمة المسلمين، فثبت الملك الناصر وهزم التتر هزيمة شنعاء قتل منهم فيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليهم من المياه، ولم يعد التتر إلى قصد بلاد الإسلام بعدها " [٣]

أما عن مقدمات معركة شقحب فتشير المصادر أنه في سنة: (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) وردت الأنباء بمجيء غازان، وزحفه إلى بلاد الشام مرة ثانية، فوصل غازان إلى حلب وأصاب الذعر والخوف أهالي بلاد الشام ولما علم الناصر محمد، بعبور غازان نهر الفرات أخذ يستعد لمقابلة غازان فجهز حملة عسكرية وخرج على رأسها[٤]، ووصل السلطان الناصر محمد إلى غزة وبسبب كثرة هطول الأمطار وشدة البرودة عاد إلى القاهرة، أما غازان فقد وصل إلى حلب ومنها بعث بجيوشه إلى جبال

---

(١) محمد طقوش، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ص٢٦٩.

(٢) العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٢/ ٢٠٦.

(٣) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٥٣٩.

(٤) المنصوري: **التحفة الملوكية**، ص١٦٠.

إنطاكية وجبال السماق وبسبب هطول الأمطار الكثيرة والثلوج، هلك الكثير من جنود غازان ونفق الكثير من خيولهم ودوابهم، وعجز غازان عن مواصلة الزحف، فقرر الرجوع إلى بلاده بعد أن نهبت جنوده أنطاكيه وجبال السماق، وقتلوا الكثير من أهلها[١] وحاول غازان التحالف مع الدول الأوربية وطلب المساعد منهم لانتزاع بلاد الشام من أيدي المماليك وأرسل السفارات المغولية إلى ملكي إنجلترا وفرنسا، ولما أصاب اليأس غازان من مناصرة الدول الأوربية له اضطر غازان إلى طلب الهدنة من السلطان الناصر محمد[٢] فأرسل غازان في سنة: (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) رسالة إلى الناصر محمد حملها وفد مكون من الأمير ناصر الدين علي خواجا والقاضي كمال الدين موسى بن يونس ولم يسفر تبادل الرسائل بين الطرفين عن صلح[٣]، واستؤنفت الحرب من جديد، فقد قرر غازان غزوا بلاد الشام مرة أخرى، فقاد سنة: (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) جيشاً جرارا عبر به الفرات، ونزل في الحلة ثم بعد أن أمضى عدة أيام فيها رحل إلى الرحبة وحاصرها واستسلمت له المدينة ثم رحل عائداً إلى بلاده بعد أن ترك مهمة الاستيلاء على بلاد الشام لقائده قطلو شاه[٤] ووصل قطلو شاه إلى بلاد الشام مع جيش بلغ عدده ثمانين ألفاً،أما السلطان محمد فقد أرسل الأمير بيبرس الجاشكنير إلى بلاد الشام، فدخل دمشق في منتصف شعبان[٥] ثم كتب إلى السلطان الناصر محمد يستحثه على الخروج إلى بلاد الشام بعد سماعه خبر وصول المغول[٦] وأغار حوالي عشرة آلاف فارس من المغول على القريتين فأوقعوا بالتركمان، واجتمعت العساكر

---

(١) النويري: نهاية الإرب، ٣١/ ٢٥٨، محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر، ص٢٤٤.

(٢) وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ص٧٨.

(٣) النويري: المصدر السابق، ٣١/ ٢٦٥ - ٢٧٢.

(٤) محمد طقوش: المرجع السابق، ص٢٤٧، ٢٤٨.

(٥) المقريزي: السلوك، ٢/ ٣٥٥.

(٦) فايد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، ص١٦٦.

بحماة عند زين الدين كتبغا النائب واتفقوا على أرسال قوة عسكرية قدرت بألف وخمسمئة فارس لمقاتلة التتار فسارت القوات الإسلامية والتقت المغول في موضع يقال له عرض واقتتلوا قتالًا استمر من نصف النهار إلى العصر، واسفرت المعركة عن هزيمة المغول [١] ووقع ألف وثمانمئة من المغول في الأسر، وتم إنقاذ ستة آلاف من التركمان كانوا ممن وقع في أسر المغول[٢] وكان للانتصار الإسلامي في موقعة عرض أثره في رفع الروح المعنوية عند جيش المسلمين، فتشجعوا على قتال المغول بعد أن كانوا يئسوا من النصر بعد الهزيمة التي لحقت بهم من قبل في وادي الخازندار[٣]، واصل قطلو شاه زحفه باتجاه دمشق عندما علم بعدم خروج السلطان من مصر، في حين أن السلطان الناصر محمد خرج من القاهرة في ٣ شعبان ومعه الخليفة المستكفي بالله واستناب بمصر عز الدين أيبك البغدادي[٤] وكان الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير حسام الدين لاجين ومعه جماعة من الأمراء المماليك قد سبقوه إلى دمشق فطمأن الناس وقويت قلوبهم، ونتيجة تقهقر الجيش الحموي والحلبي إلى حمص أمام تقدم المغول خاف الناس في حلب وحماة وحمص، ووصل المغول زحفهم إلى حمص وبعلبك وعاثوا فساداً، وانتاب الناس القلق لأن الجيش الشامي مع القوات المصرية ليس لديها القدرة على الوقوف في وجه المغول لكثرتهم، فاجتمع الأمراء في الميدان وقرروا لقاء العدو وتوجه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة واجتمع معهم وأخبرهم بما تحالفوا عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، وحلفوا معهم، وخرجت العساكر الشامية فخيمت على الجسورة من ناحية الكسوة، ووصل المغول إلى قارة وانزعج الناس واضطربوا وعاثت اللصوص والحرافيش في المدينة،

---

(١) أبو الفدا: **المختصر**، ٤/ ٦١، المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٣٥٥.

(٢) محمد طقوش: **تاريخ المماليك في مصر**، ٢٤٨.

(٣) فايد عاشور: **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولي**، ص١٦٧.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٥.

ووصل السلطان الناصر فاطمأن الناس[١]، واجتمعت العساكر الشامية والمصرية في يوم السبت الثاني من شهر رمضان وقررا لقاء العدو بشقحب تحت جبل غباغب عند مرج الصفر[٢]، وبدأ الجيشان بالاستعداد للمعركة وتنظيم صفوفهما فاتخذ السلطان موقعه في القلب وإلى جانبه الخليفة وعدد من الأمراء كسلار وعز الدين الخزندار وسيف الدين بكتمر وجمال الدين آقوش نائب الشام وعن يمينه حسام الدين أستادار ومبارز الدين سوار وغيرهم وفي الجناح الأيمن الأمير قبجق بعساكر حماة والعربان وفي الجناح الايسر الأمير بكتاش الفخري والأمير قرا سنقر بعساكر حلب، وأخذ السلطان ومعه الخليفة يحثون الجيش على الجهاد ويشوقونهم للجنة[٣] والتقى الجيشان واشتد القتال، واستطاع المماليك الحاق الهزيمة بالمغول وقتل المسلمين عدد كبير منهم وأسروا بعضهم[٤]، وفر قطلوشاه مع من تبقى من جيشه فغرق بعضهم ومات البعض الآخر في الصحراء من الجوع والعطش[٥] ولما بلغ خبر الهزيمة غازان اغتم غماً عظيماً وخرج من منخريه دم كثير حتى قارب على الموت[٦] ودفع الحزن بغازان والغضب من أنزال العقاب بقادته فأمر بقتل قطلوشاه ثم تراجع عن الأمر بعد توسط الأمراء وعفا عنه، ونفاه إلى جيلان[٧] ومات غازان في سنة: (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) كمدا بسبب الهزيمة وقام بعده أخوه خربندا[٨] وتحسنت العلاقات في بداية عهده بين دولته وبين سلاطين المماليك في مصر فأوفد إلى الناصر محمد السفراء تؤكد له حرصه على توثيق

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٤/ ٢٢ - ٢٣.

(٢) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٣٥٦.

(٣) المنصوري: **التحفة الملوكية**، ص١٦٥، ١٦٦، المقريزي: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٦.

(٤) أبو الفداء: **المختصر**، ٤/ ٦٢.

(٥) محمد سرور: **دولة بني قلاوون في مصر**، ص١٩٧.

(٦) المقريزي: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٥٩.

(٧) محمد طقوش: **تاريخ المماليك في مصر**، ٢٥١، ٢٥٢.

(٨) عبدالله الشهري: **دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي**، ص١٦٥.

عرا الصداقة به وخاطب سلطان المماليك في خطابه بالأخوة وسأل إخماد الفتن وطلب الصلح كما بعث إليه هدية، فلبى السلطان طلبه وجهز له هدية مع بعض الرسل، وما لبث أن أظهر عداءه للمماليك السنيين بعد أن اعتنق مذهب الشيعة وعمل على نشر التشيع في الجهات الغربية من دولته وأرسل السفراء إلى البابا كلمنت الخامس وإدوارد الثاني ملك إنجلترا وفيليب الجميل ملك فرنسا يطلب منهم أن يساعدوه في الاستيلاء على بلاد الشام ومصر، لكنهم لم يعينوه بتحقيق رغبته[١]، وفي عهده قام المغول في سنة: (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) بحمله على بلاد الشام وحاصروا مدينة الرحبة، غير أنهم لم يلبثوا أن انسحبوا عندما علموا أن جيش المماليك يسرع إليهم، وفي سنة: (٧١٥هـ/ ١٣١٥م) حدث اشتباك بين جيش المغول وجيش المماليك عند ماردين استطاع فيه المماليك أن يهزموا الجيش المغولي، وبعد وفاة أولجاتيو سنة: (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) خلفه ابنه بوسعيد الذى رأى أنه من الحكمة أن يخطب ود المماليك فأوفد إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون وفداً عقد معه معاهدة صداقة وحسن جوار وكان من أثر هذا الصلح أن حل الوئام بين المغول والمماليك حتى وفاة بوسعيد سنة: (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)[٢].

## عصر السلطان الناصر حسن

لم يشر أحد من الرحالة المغاربة عن فترة حكم السلطان حسن غير ابن بطوطة الذي مر بمصر أثناء عودته لبلادة فذكر لنا الوباء الذي حدث في عهده فقال: " ثم سافرت إلى المحلة الكبيرة ثم إلى نحرارية، ثم إلى أبيار، ثم إلى دمنهور، ثم إلى الإسكندرية فوجدت الوباء قد خف بها بعد أن بلغ عدد الموتى إلى ألف وثمانين في اليوم، ثم سافرت إلى القاهرة، وبلغني أن عدد الموتى أيام الوباء انتهى فيها إلى واحد وعشرين ألفاً في اليوم، ووجدت جميع من كان بها من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا،

(١) محمد سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) حمدى حسين: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٩١، ١٩٢.

-رحمهم الله تعالى- "[١]

وبالعودة للمصادر التاريخية نجد أنه بعد وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون يوم الخميس(١٩ذي الحجة سنة: ٧٤١هـ/ ١٣٤١م) وأنزاله إلى المدرسة المنصورية ودفنه بها مع أبيه[٢]تولى الحكم بعده ابنه سيف الدين أبي بكر، الذي لقب بالمنصور وله من العمر نحو عشرين عاماً وهو أول من تولى السلطنة من أولاد الناصر[٣]، فحكم دولة المماليك من بعد وفاة الناصر سنة: (٧٤١هـ/ ١٣٤١م)وحتى سقوط دولة المماليك الأولى سنة: (٧٨٤هـ/ ١٣٨٣م)إثناعشر سلطاناً من أولاده وأحفاده، ثمانية من أولاده وأربعة من أحفاده[٤] وتولى هؤلاء الأبناء والأحفاد العرش أطفالاً صغاراً، فلم يكن لهم من الأمر شيء، بل كانت أمور الدولة كلها في أيدي كبار الأمراء فانشغلوا بالمؤامرات والمنافسات عن النظر في صالح البلاد والرعية، فساءت الأحوال الاقتصادية وعمت الفوضى، وانتهى الأمر بسقوط دولة بنى قلاوون في سنة: (٧٨٤هـ/ ١٣٨٣م)[٥] ومن هؤلاء الأبناء السلطان الناصر حسن، الذي أشار له ابن بطوطة أثناء مروره بالإسكندرية والقاهرة في طريق عودته إلى بلاده،تولى السلطان الناصر حسن السلطنة في مصر مرتين المرة الأولى وكان عمره إحدى عشر سنة وذلك في (يوم الثلاثاء ١٤رمضان سنة: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)[٦]وظل سلطاناً حتى سنة: (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) حيث وقع خلاف بينه وبين الأمراء فلقوا القبض عليه

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٦٥٤.

(٢) العليمي: **التاريخ المعتبر في أنباء من غبر**، ص١٧٠، ١٧١

(٣) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**،ط ١، ١٠/ ٣، العليمي: **المصدر السابق**، ص١٧١، ١٧٢.

(٤) محمد طقوش: **تاريخ المماليك في مصر**، ص٢٩٩.

(٥) حمدى حسين: **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص١٩٢.

(٦) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٥٩.

وسجنوه وولوا أخيه الصالح مكانه[١]، ومن أبرز الأحداث التي وقعت في فترة حكمه الأولى الوباء الذي حل بمصر في سنة: (٧٤٩هـ/ ١٣٤١م) مات بسببه الكثير من الناس، فيقول ابن إياس: " فكان يخرج من القاهرة في كل يوم أكثر من عشرين ألف جنازة وقد أحصى بعض الناس ما يخرج من أبواب القاهرة من الجنائز فبلغ عدتهم في شهر شعبان إلى شهر رمضان تسعمائة ألف ألف إنسان ولم يسمع بمثل هذا الطاعون "[٢] أما المرة الثانية التي حكم فيها، كانت سنة: (٧٥٥هـ/ ١٣٦٤م) بعد أن خلع الأمراء أخيه الصالح [٣]وظل على عرش مصر لمدة ست سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيام حكم فيها بنفسه، وانتهى أمره على يد مملوكه يلبغا الذي قبض عليه [٤]، ولم يوقف على خبر الناصر حسن فقيل أن يلبغا عاقبه عقوبة شديدة حتى مات ودفنه في مصطبة كان يركب عليها من داره، وقيل دفنه وأخفى قبره[٥]وبوفاته ينتهي عهد توليه السلاطين من أولاد الناصر ويأتي عهد السلاطين من أحفاد السلطان الناصر محمد[٦]، وكان أخر هؤلاء الأحفاد السلطان زين الدين أمير حاج، الذي تولى السلطنة في سنة: (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) وعمره في تسع سنين ولقب بالملك الصالح وعين برقوق أتابكاً له[٧]، وفي(١٩ رمضان سنة: ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) دعا برقوق الخليفة والأمراء والقضاة إلى اجتماع لخلع السلطان، فاتفقوا على خلع السلطان وتولية برقوق عرش السلطنة[٨]، وهكذا انتهى حكم أسرة قلاوون بعد أن حكموا مصر مئة وثلاث سنين، وتولى

(١) ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ٥/ ١٢٦، ابن إياس: **جواهر السوك**، ص١٩٣.

(٢) ابن إياس: **المصدر السابق**، ص١٩١، ١٩٢

(٣) ابن شاهين: **نيل الأمل في ذيل الدول**، ١/ ق١: ص٢٧٣.

(٤) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ٤١٩.

(٥) المقريزي: **السلوك**،٤/ ٢٥٣.

(٦) حمدى حسين: **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص١٧٣.

(٧) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط١،١١/ ١٦٩،١٦٨.

(٨) ابن تغري بردي: **المصدر السابق**، ط ١،١١/ ١٨١،ابن شاهين: **المصدر السابق**، ١/ ق٢: ص١٩٥.

بعدهم المماليك البرجية[1] ومن خلال ما سبق نجد أن الحياة السياسية في مصر في القرن السابع والثامن الهجري كانت مليئة بأحداث سياسية سواء داخلية (صراعات بين الأمراء المماليك على الحكم) أو خارجية (من حرب مع الصليبيين، وحرب مع المغول) ومع ذلك لم يقدم لنا الرحالة المغاربة غير إشارات بسيطة عن الحياة السياسة ويرجع السبب في ذلك إلى قصر فترة مكوث الرحالة المغاربة في مصر، وثانيا: لأن الرحالة في المقام الأول كحجاج يلفت نظرهم مدى اهتمام السلطان بالحجاج والخدمات المقدمة لهم.

(١) حمدى حسين: **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص١٧٣، ١٧٤.

# المبحث الثاني

## الوظائف الإدارية والمهام السلطانية من خلال كتابات الرحالة المغاربة

وصف الرحالة المغاربة خلال زيارتهم لمصر بعض الوظائف الإدارية كنائب السلطنة،الوزارة، نواب المناطق وإن كانوا لم يفصلوا في هذه المناصب إنما إشارات فقط ومن ذلك ذكر الرحالة ابن بطوطة أسماء بعض الأمراء ووظائفهم والعلماء.

### ١- نائب السلطنة:

ذكر ابن بطوطة أن الأمير أرغون الدودار(١)، نائب الملك الناصر ولم يفصل في ذلك فلم يذكر لنا مهامه والدور الذي لعبه في هذه النيابة للملك في السلطة(٢) وبالرجوع إلى عصر الأيوبيين نجد أن أول من استحدث هذه الوظيفة هو صلاح الدين الأيوبي وذلك بسبب انشغاله بجهاد الصليبيين مما أدى إلى كثرة تغيبه عن مصر، فلزم الأمر أن يترك شخصاً يعتمد عليه في حكم مصر وإدارة شؤونها أثناء غيابه بالشام لذلك استحدث صلاح الدين وظيفة نائب السلطنة، وظلت هذه الوظيفة

(١) الأمير أرغون الدودار: أصله من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، اشتراه ورباه، كان محباً للعلم وأهله، سمع صحيح البخاري بقراءة الشيخ أثير الدين أبي حيان، وكتب صحيح البخاري بخطه، برع في علم الفقه وأصوله، وقام بالتدريس والإفتاء، رقاه أستاذه السلطان الناصر محمد إلى أن جعله دوادارا بعد الأمير بيبرس، ثم ولاه نيابة السلطنة في مصر لمدة ستة عشرة سنة، ثم ولى بعد ذلك نيابة حلب عوضا عن الأمير الطنبغا الصالحى، فظل نائباً على حلب لمدة أربعة سنين، توفي في حلب يوم السبت(١٨ ربيع الأول وقيل: ربيع الآخر سنة: ٧٣١هـ/ ١٣٣١م)، ابن حبيب: **تذكرة النبيه**، ٢/ ٢١١، ٢١٢، ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ٢/ ٣٠٦ - ٣٠٨، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٢٦٠.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٣- ٤٤.

قائمة طوال عصري الأيوبيين والمماليك، ومن الواضح أن الهدف الأساسي من إنشاء هذه الوظيفة على أيام صلاح الدين هو أن ينوب هذا الموظف الكبير عن السلطان أثناء غيابه في إدارة شؤون البلاد، ولكن هذه الوظيفة تطورت تدريجياً في عصر سلاطين المماليك حتى غدت على نوعين[١] الأول باسم نائب الحضرة أو النائب الكافل وهو الذي ينوب عن السلطان أثناء وجوده وإقامته في مصر، والثاني: بمسمى نائب الغيبة وهو أقل درجة من النائب الكافل إذ ينوب عن النائب الكافل أو السلطان في حالة غيابهم فقط إمـا في الحرب أو الحج أو غير ذلك[٢] وصلاحيات (النائب الكافل) كانت واسعة فهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويعلم أي يوقع في التقاليد والتواقيع والمناشير على كل ما يُعلم ويوقع عليه السلطان[٣]، ويكاتبه جميع كبار نواب المماليك فيما يكاتبون فيه السلطان، ويراجعونه فيما يراجعون السلطان، بل إن له أن يستخدم الجند من غير مشاورة السلطان، ويعين أرباب الوظائف كالوزراء وكتاب السر وغيرهم، فهو كما ذكر لنا القلقشندي " سلطان مختصر بل هو السلطان الثاني"[٤].

٢- **الوزاره:** أشار الرحالة ابن بطوطة إلى كنية وزير السلطان الناصر محمد بن قلاوون والذي يعرف بالجمالي[٥]، دون ذكر اسمه كاملاً ولا أي تفصيلٍ عن نظام

(١) سعيد عاشور: **نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك**، ص٣٥٩- ٣٦٠.

(٢) سعيد عاشور: **العصر المماليكى في مصر والشام**، ص٣٦٢.

(٣) العمري: **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص٩٤.

(٤) القلقشندي: **صبح الأعشي في صناعة الإنشا**، ٤/ ١٧.

(٥) هو الأمير علاء الدين مغلطاي بن عبدالله الجمالي، كان من كبار مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأمير مئة ومقدم ألف بديار مصر واستادار، تولي الوزارة في سنة: (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) وظل بها إلى أن أبطل الناصر محمد بن قلاوون وظيفة الوزارة واستحدث بدلاً منها وظيفة ناظر الخواص، واستمر في الوزارة نحو سبع سنوات، وتوفي بطريق الحجاز وهو عائد إلى مصر في سنة: (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ١٩٥، ابن حبيب: **تذكرة النبيه**، ٢/ ٢٢٦، ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ١١/ ٢٥٧.

الوزارة المعمول به في عهده زمن السلطان الناصر[١].

والمعروف أن الوزير يلي نائب السلطنة في المرتبة، ومن الواضح أن إنشاء وظيفة نائب السلطان في العصر الأيوبي أدَّى إلى التقليل من أهمية الوزير، فبعد أن كان الوزير هو الرجل الثاني بعد الخليفة في العصر الفاطمي، و أصبح للخلفاء الفاطميين نوعان من الوزارات: وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ و أطلق على عصرهم،اسم عصر الوزراء العظام، وذلك عندما أصبح الوزراء هم أصحاب النفوذ والسلطة الفعلية في البلاد حتى حجر بعض وزراء الفاطميين على الخلفاء وأخضعوهم لمشيئتهم، ولكن إنشاء وظيفة نائب السلطنة في العصر الأيوبي جعل من نائب السلطان هو الرجل الثاني في الدولة، وترك الوزير بلا نفوذ أو سلطات، وإذا كان صلاح الدين قد اعتمد على وزيره القاضي الفاضل ووثق فيه وعهد إليه بكثير من الأمور، فإننا نسمع عن بعض خلفاء صلاح الدين بأنهم استغنوا في بعض الأحيان عن وظيفة الوزير، ومن ذلك أن السلطان العادل الأول أو الكبير استوزر الصاحب صفي الدين بن شكر[٢] ولكنه لم يلبث أن تغير عليه فأقاله من الوزارة وترك المنصب خالياً دون أن يعين فيه وزيراً حتى مات، وازدادت مكانة الوزير انحطاطاً في عصر سلاطين المماليك[٣]فعينوا في بعض الفترات وزيرين في وقت واحد، أحدهما: وزير الصحبة، ويعين من أرباب الأقلام،

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٣- ٤٤.

(٢) الوزير الكبير صفي الدين ابن شكر: ولد في الدميرة بين مصر والإسكندرية سنة: (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) وسمع من السلفي وابن عوف ومجموعة من العلماء، وري عنه مجموعة من العلماء، أصبح وزيراً للسلطان العادل الايوبي ثم غضب عليه العادل فنفاه فبقي بآمد حتى توفي السلطان العادل، فلما توفي العادل طلب منه السلطان الكامل القدوم إلى مصر، توفي في سنة: (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، أبو شامة: **الذيل على الروضتين**، ٣/ ٢٢١، ٢٢٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣/ ٩٩، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ٢٢/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) سعيد عاشور: **نظم الحكم والإدارة**، ص٣٦١،٣٦٠.

والثاني: وزير يعين من أرباب السيوف[١]: وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون لم يمكن وزراءه من معاونته في إدارة شئون الدولة لأنه أضعف نفوذهم[٢].

### ٣- النواب على المناطق:

اورد ابن بطوطة في رحلته الحديث عن نواب المناطق وذكر منهم نائب مدينة الكرك واسمه جمال الدين، ولم يفصل أيضًا عن وظيفته ومهامه[٣]

أما نواب السلطنة في تلك الفترة نيابات الشام، وهي: دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك، فناب كل منهم في وحدته الإدارية عن السلطان، واعتبر ممثلاً للسلطان في إدارتها، وفي الأمور والمسائل التي لا يستطيع أن يبت فيها النائب يرجع إلى السلطان أو إلى النائب الكافل في مصر. وبما أن النواب مسؤولين عن الدفاع عن إماراتهم ضد الأخطار الخارجية والداخلية في البلاد، لذا حرص السلاطين على اختيارهم دائماً من كبار الأمراء وأرباب السيوف المعروفين بشجاعتهم ومهاراتهم الإدارية [٤].

### ٤ - ناظر الجيش:

وذكر كذلك ابن بطوطة في رحلته وظيفة ناظر جيش الملك الناصر وكاتبه القاضي فخر الدين القبطي، وقد كان نصرانياً من القبط وأسلم وحسن إسلامه ووصفه ابن بطوطة بعدد من الصفات التي امتاز بها فقال فيه: " وله المكارم العظيمة، والفضائل التامة، ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر، وله الصدقات

---

(١) يذكر القلقشندي أن أصحاب السيوف يتولوا عدة وظائف منها الوزارة والحجابة وولاية المظالم ونقابة ذوي الأنساب، صبح الأعشي، ٣/ ٢٩٥-٢٩٧.

(٢) علي حسن: تاريخ المماليك البحرية، ص٢٩١.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٤٣

(٤) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص٣٦٢.

الكثيرة والإحسان الجزيل، ومن عادته أن يجلس عشي النهار في مجلس له بأسطوان داره على النيل، ويليه المسجد، فإذا حضر المغرب صلى في المسجد وعاد إلى مجلسه وأتى بالطعام ولا يمنع حينئذ أحداً من الدخول كائناً من كان، فمن كان ذا حاجة تكلم فيها فقضاها له، ومن كان طالب صدقة أمر مملوكاً له يدعى بدر الدين واسمه لؤلؤ، يصحبه إلى خارج الدار، وهنالك خازنه معه صرر الدراهم فيعطيه ماقدر له، ويحضر عنده في ذلك الوقت الفقهاء، ويقرأ بين يديه كتاب البخاري، فاذا صلى العشاء الأخير انصرف الناس عنه "[١].

وبالرجوع إلى القلقشندي وجدناه عرف لنا وظيفة ناظر الجيش بقوله: " نظر الجيش موضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه، وهي وظيفة جليلة رفيعة المقدار وديوانها أول ديوان وضع في الإسلام بعد النبي ﷺ في خلافة عمر رضي الله عنه"[٢]، فكانت مهمته كما وصفها القلقشندي هي النظر في أمر الاقطاعات الموهوبة للجند، والكشف عنها، والكتابة للسلطان بها، لذلك لزماً على متوليها أن يكون عارفاً بأحوال الجيش وترتيبه وأصناف الجند والأمراء والمستخدمين وترتيب مقاماتهم، والاطلاع على ديوانه وتحرير الكشوفات بأسماء من يموت من أرباب الإقطاعات، والنظر في أمر المنقطعين من الجند وغيرها من الوظائف المتعلقه بالجند وأحوالهم[٣].

ولم يشر أحد من الرحالة المغاربة غير ابن بطوطة إلى تلك الوظائف من وظيفة الوزارة ووظيفة نائب السلطنة، والنواب على مدن الشام كالكرك، ووظيفة ناظر الجيش، التي تحدثنا عنها وقد نعلل ذلك لعدم اختلاط هؤلاء الرحالة بأصحاب المناصب الإدارية هذه، فقد كان أكثر اختلاطهم مع العلماء لأخذ العلم وعقد

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٣- ٤٤.

(٢) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ٤/ ٣١.

(٣) حسن الباشا: **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، ص١١٩٣.

اللقاءات العلمية لذلك نجد عند ابن رشيد والتجيبي والبلوي ذكراً للوظيفة التي يتولاها العالم ألا وهي القضاء أو نيابة القضاء فيقدمو لنا وصفاً للعالم بهذه الوظيفة، فالوظيفة الإدارية التي وردت فيها إشارات للرحالة المغاربة الآخرين هي:

٢- القضاء

ذكر الرحالة ابن رشيد وظيفة نائب القاضي، وذلك عند زيارته لمدينة القاهرة للقاء العالم صفي الدين المراغي [(١)].

يقول ابن رشيد: "وممن لقيته أيضاً بالقاهرة المعزية الشيخ الفقيه المعمر الإمام العالم الزاهد الورع مفتي الإسلام بقية الإسلام بقية السلف الكرام صفي الدين أبوالصفاء خليل بن أبي بكر بن محمد بن صديق المراغى، نائب قاضي الحنابلة بالديار المصرية"[(٢)]، وذكر الرحالة التجيبي عند التعريف بالعالم تقي الدين ابن دقيق العيد بأنه تولى قضاء الشافعية بالديار المصرية[(٣)]كما ذكر الرحالة البلوي عند الحديث عن العالم عماد الدين أبي الحسين بن أبي بكير بن أبي الحسين الكندي المالكي[(٤)]أنه ولي رتبة

---

(١) العالم صفي الدين المراغي: هو فقيه حنبلي مقرئ، سمع من الحرستاني ومجموعة من العلماء، وقرأ القراءات على ابن باسويه، وقرأ أصول الفقه على السيف الآمدي ولازمه، وأقام مدة من الزمن بدمشق ثم توجه إلى الديار المصرية فقام بها إلى أن توفي، وتوالى القضاء بالقاهرة فحمدت سيرته، توفي في ذي القعدة سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٤٣٦، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٥١.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٢١١.

(٣) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص١٦

(٤) أبو الحسين بن أبي بكر الكندي: قاضي الإسكندرية، شيخ العلماء وحيد عصره، حدث عن الدمياطي واشتغل بالعلم خصوصاً العربية وانتفع به الناس وجمع تفسيراً في عشر مجلدات، ولد سنة: (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) وتوفي في سنة: (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، الداوودي: **طبقات المفسرين**، ١/ ١٦٤، السيوطي: **المصدر السابق**، ١/ ٣٩٦ الزركلي: **الأعلام**، ٢/ ٢٣٤.

القضـــاء الأعلى ببلـــد الثغر الإسكندراني [(١)].

كما ذكر الرحالة ابن بطوطة: أن لكل مدينة من مدن مصر قاضياً ووالياً، ففي مدينة الإسكندريةذكر العالم فخر الدين بن الريغي وهو قاضي الإسكندرية الذي اشتهر بالفضل من أهل العلم،وذكر كذلك من قضاتها وجيه الدين الصنهاجي المشهور بالفضل والعلم[(٢)].

وذكر من مدن الصعيد مدينة تروجة التى كان بها قاض ووال وناظر أثناء وصول ابن بطوطه إليها"ووصلت قرية تروجة، قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر، صحبت قاضيها صفي الدين، وخطيبها فخر الدين، وأضافني ناظرها زين الدين بن الواعظ"، وذكر ابن بطوطة قاضي مدينة دمنهور: " فوصلت دمنهور، وكان قاضيها في ذلك العهد فخر الدين بن مسكين من فقهاء الشافعية، وتولى قضاء الإسكندرية لما عزل عنها عماد الدين الكندي [(٣)].

كما ذكر ابن بطوطة قاضي مدينة المحلة الكبيرة وكان في وقت زيارته لها على فراش المرض، فقام بزيارته وسمع منه: " ولهذه المدينة قاضي القضاة ووالي الولاة. وكان قاضي قضاتها أيام وصولي إليها في فراش المرض ببستان له على مسافة فرسخين من البلد، وهو عز الدين بن الأشمرين، فقصدتُ زيارته صحبة نائبه الفقيه أبي القاسم بن بنون المالكي التونسي، وشرف الدين الدميري قاضي محلة منوف وأقمنا عنده يوماً وسمعت منه "[(٤)]، ويصف لنا ابن بطوطة ترتيب القضاء في مصر فيذكر في وصفه بأن قاضي القضاء الشافعية[(5)]هو الأعلى منزلة، والأكبر قدراً من قضاة المذاهب الأخرى،

---

(١) البلوي: **تاج المفرق**، ٢/ ٤٢.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٣، ٢٤.

(٣) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٢٩.

(٤) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٣١.

(٥) يذكر السيوطي بأن السلطان الظاهر بيبرس هو أول من جعل القضاة على المذاهب الأربعة، شافعي =

وإليه تعود آليه ولاية القضاة بمصر وعزلهم.

ثم عدد لنا ابن بطوطة بعض أسماء قضاة مصر من المذاهب الأربعة وهم:

**أ- من قضاة الشافعية:**

القاضي بدر الدين بن جماعة[1] وابنه عز الدين، وكان ابنه متولي قضاء الشافعية أثناء زيارة ابن بطوطة لمصر.

**ب- قضاة المالكية:**

تقي الدين الإخنائي[2] ولم يذكر أيَّ تفصيلاً عنه.

**ج- قضاة الحنفية:**

العالم شمس الدين الحريري وعنه يقول ابن بطوطة: " وكان شديد السطوة لا تأخذه في الله لومة لائم، وكانت الأمراء تخافه، ولقد ذكر لي أن الملك الناصر قال يوماً لجلسائه: إني لا أخاف من أحد إلا من شمس الدين الحريري.

= وحنفي وحنبلي ومالكي، ويذكر سبب ذلك بقوله: " وكان سبب ذلك أنه سأل القاضي تاج الدين في أمر فامتنع من الدخول فيه، فقيل له: مر نائبك الحنفي، وكان القاضي هو الشافعي يستنيب من شاء من المذاهب الثلاثة، فامتنع عن ذلك، فجرى ماجرى " السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ١٤٢.

(١) العالم بدر الدين ابن جماعة: ولد بحماة سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) وسمع من عدد من العلماء، وكان عارفاً بالتفسير والفقه وأصوله، تولي قضاء القدس ثم قضاء مصر ثم قضاء دمشق ثم أعيد مرة أخرى لقضاء مصر بعد وفاة العالم ابن دقيق العيد، ولما عاد السلطان الناصر محمد من الكرك عزله لمدة سنة ثم أعيد مرة أخرى للقضاء وظل بها إلى أن كبر ومرض فعزل من القضاء، توفي سنة: (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) وعمره ٩٤ عاماً، الشافعي: **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، ٦/ ٢٠٥، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) العالم تقي الدين الأخنائي: هو قاضي الديار المصرية، فقيها صالحاً سمع من الدمياطي، وله عدد من المؤلفات وهو من عدول القضاء وخيارهم ولد سنة: (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، وتوفي سنة: (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، السيوطي: **المصدر السابق**، ١/ ٣٩٧، السخاوي: **الضوء اللامع**، ١١/ ١٨٣.

**د- قضاة الحنبلية:**

عز الدين ولم يذكر اسمه بالتفصيل وفي ذلك يقول ابن بطوطة " لا أعرفه الآن إلا أنه كان يدعى بعز الدين "[١].

**المهام السلطانية:**

ومن المهام التي يتولاها السلطان في الدولة:

**١ - النظر في المظالم:**

وصف لنا ابن بطوطة أن الناصر كان يقعد للنظر في المظالم وترفع إليه قصص المتشكيين وذلك كل يوم اثنين وخميس، ويقعد القضاة الأربعة عن يساره، وتقرأ القصص بين يديه، ويعين من يسأل صاحب القصة عنها ويقول في ذلك: " وقد سلك مولانا أمير المؤمنين[٢] ناصر الدين أيده الله في ذلك مسلكاً لم يسبق إليه، ولا مزيد في العدل والتواضع عليه، وهو سؤاله بذاته الكريمة لكل متظلم وعرضه بين يديه المستقيمة، أبى الله أن يحضرها سواه، أدام الله أيامه "[٣] ولم يشر أحد من الرحالة المغاربة بالحديث إلى النظر في المظالم غير الرحالة ابن بطوطة وبالرجوع إلى المؤرخ المقريزي نجد أن أول من جلس للنظر في المظالم في مصر كان السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، وكان يجلس يومي الاثنين والخميس لإقرار العدل، ثم لما تولى المعز أيبك التركماني السلطنة جلس في المدارس الصالحية بين القصرين ومعه نواب دار العدل ليرتب أمور الدولة وينظر في المظالم، ثم لما تولى السلطان الظاهر بيبرس حكم مصر بنى دار العدل وجلس فيها للنظر للمظالم، فلما تولى حكم مصر السلطان الناصر محمد جلس للنظر في المظالم كما ذكر ابن بطوطة في يومي الاثنين والخميس

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٤- ٤٥.

(٢) يقصد ابن بطوطة بكلمة أمير المومنين السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

(٣) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٤٥.

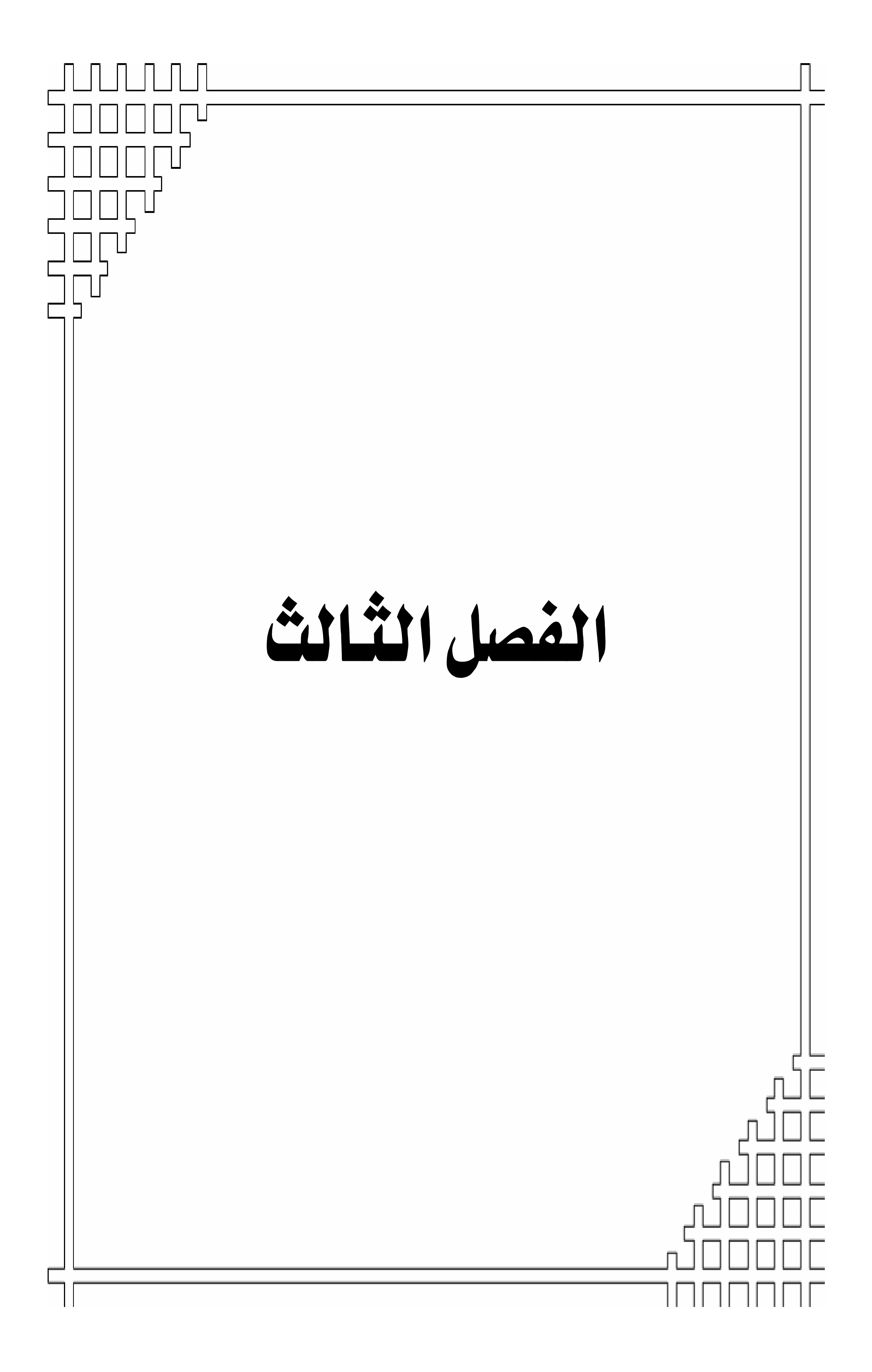
من كل أسبوع [(١)].

كما وضح لنا ابن بطوطة هيئة جلوس القضاة في ديوان النظر في المظالم " وكان رسم القضاة المذكورين أن يكون أعلاهم منزلة في الجلوس، قاضي الشافعية، ثم قاضي الحنفية، ثم قاضي المالكية، ثم قاضي الحنابلة، فلما توفي شمس الدين الحريري وولي مكانه برهان الدين عبدالحق الحنفي، أشار الأمراء على الملك الناصر بأن يكون مجلس المالكي فوقه، وذكروا أن العادة جرت بذلك قديماً إذ كان قاضي المالكية زين الدين بن مخلوف يلي قاضي الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد، فأمر الملك الناصر بذلك فلما علم به قاضي الحنفية غاب عن شهود المجلس أنفة من ذلك، فأنكر الملك الناصر مغيبه، وعلم ما قصده، فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاجب بيده وأقعده حيث نفذ أمر السلطان مما يلي قاضي المالكية واستمر حاله على ذلك وبهذا الوصف الدقيق ينقل لنا ابن بطوطة أهمية العلماء ومدى احترام السلطان لهم ومكانتهم التي بلغوها في عصر دولة المماليك الأولى، ووصف موضع جلوس كل قاضي في مجلسة " [(٢)].

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ٣٦٣.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٥.



# الفصل الثالث

# الفصل الثالث

## الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتابات الرحالة المغاربة

**وفيه مبحثـــان:**

- **المبحث الأول : الحياة الاجتماعية في مصر .**
- **المبحث الثاني : الحياة الاقتصادية في مصر.**

# المبحث الأول

## الحياة الاجتماعية في مصر

**وفيه أربعة مطالب:**

- المطلب الأول: المجتمع المصري .
- المطلب الثاني: الملبس والمأكل والمناسبات .
- المطلب الثالث: الاحتفالات الدينية .
- المطلب الرابع : الأوقاف.

* *    * ** *    * *

## التمهيد

ذكر الرحالة المغاربة الحياه الاجتماعية والاقتصادية داخل مصر، أقسام المجتمع المصري، عاداتهم التي أعتدوا عليها، ملابسهم ومأكلهم والمناسبات التي تعود المجتمع المصري على الاحتفال بها، والاحتفالات الدينية التي يحتفل بها المصريين كل عام ومنها الاحتفال بالمحمل ورؤية هلال رمضان، والأوقاف التي أوقفها سلاطين وأمراء مصر، الصناعات القائمة في مصر والتجارة مع الدول الأخرى والضرائب المفروضة والعملات المتداولة في مصر، لذا سنكتفي بما ذكره الرحالة المغاربة مع ما ذكره المؤرخون والباحثون.



## المطلب الأول: المجتمع المصري

قبل الحديث عن عادات المجتمع المصرى في مصر لابد لنا أن نلقى نظرة على تقسيمه والتعرف عليه وذلك من خلال ما اشتملت عليه كتب الرحالة المغاربة، فيذكر التجيبي السكان في مدينة القاهرة بقوله: " وهذه المدينة المعزية حافلة الأسواق عظيمة الترتيب تشتمل من المخلوق على عدد لا يحصيهم إلا خالقهم ورازقهم جل وتعالى الذي أحصى كل شيء عددا، ما رأينا قط مدينة أكثر ناسا منها، ولا بلغنا أن في المعمورة مدينة على قدر فيها من البشر قدر ما في هذه ولا ما يقارب ذلك الأمر في كثرة ناسها ونزلائها واختلاف أجناسهم وبلدانهم أكثر مما يقدر " ويعلل سبب ذلك العدد الكبير من سكان القاهرة بقوله: " وسبب ذلك،-والله أعلم- أنها لما كانت مستقر الخليفة العباسي وقيمة-أعزهما الله تعالى-، حلها الأمراء والأجناد وأرباب الصنائع، وأهل الأموال والبضائع والذخائر واستقر بها الفضلاء، وحلها النبلاء وصارت دارا ومقراً للراحة، يقصدها أرباب القوافل من كل جهة ومكان والتجار وذوو اليسار وكثر علمائها وفضلائها وأعانهم على طلبهم واجتهادهم تعظيم أرباب الأمر لهم، فهم يحترمونهم، ويقيمون هممهم"[1].

وبالرجوع إلى المؤرخ المقريزي نجده يقسم فئات المجتمع في مصر إلى سبعة أقسام:

القسم الأول: أهل الدولة، والقسم الثاني: أهل اليسار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية، والقسم الثالث: الباعة وهم صغار التجار، والقسم الرابع: الفلاحون وأهل الزرع وسكان القرى والأرياف، والقسم الخامس: هم الفقراء ويشمل الفقهاء وطلاب العلم، والقسم السادس: أصحاب الصنائع والمهن، والقسم

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٣.

السابع: هم ذوي الحاجة والمسكنة الذين يطلبون الناس ويعيشون على عطائهم [(١)].

وعلى الرغم من شمول التقسيم إلا انه غفل ذكر المشتغلين في الوظائف الديوانية من المسلمين والذميين، كما أغفل ذكر طوائف الأعراب التي سكنت مصر[(٢)].

أما المؤرخ ابن خلدون فقسم البلاد إلى سلطان ورعية ويقول في ذلك: " فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان "[(٣)] فالمقصود بالسلطان هو الجهاز الحاكم أما الرعية فهم الشعب المصري بجميع طوائفه وفئاته[(٤)]. وعلى ضوء ذلك ينقسم المجتمع المصري إلى عدة طوائف وهم:

### ١- المماليك:

وهم طبقه عسكرية ممتازة استأثروا بالحكم وشؤون البلاد ونظروا إلى فئات المجتمع المصري وطبقاته بأنهم أقل منهم درجة، فلا ينبغي لهم أن يشاركوهم في شؤون الحكم، وإذا سمح لهم بمشاركتهم فيكون على نطاق ضيق ومحدود[(٥)] وتثبت الشواهد التاريخية أن المماليك لم يكونوا جميعاً من أصل واحد فالسلطان قطز[(٦)] هو ابن أخت ملك خوارزم جلال الدين منكوبرتي الذي قضت عليه جيوش

---

(١) **إغاثة الأمه بكشف الغمة**، ص٦٩.

(٢) سعيد عاشور: **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، ص١٥

(٣) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، ص١٥٣.

(٤) قاسم عبده قاسم: **بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك**، ص٢٨٥.

(٥) سعيد عاشور: **العصر المماليكى في مصر والشام**، ص٣١٨.

(٦) السلطان قطز: تولي السلطنة في يوم السبت ١٤ ذي الحجة سنة: (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) وقام السلطان قطز بصد الاجتياح المغولي ووقف امتداده على مصر والعالم الإسلامي بالانتصار على المغول في معركة عين جالوت سنة: (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، وتوفي مقتولاً على يد جماعة من المماليك يقودهم بيبرس البندقدارى في سنة: (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، ومدة سلطنته على مصر سنة، ابن تغري بردي: **مورد اللطافة في من ولي** ⇐=

جنكيز خان [١] والسلطان المنصور قلاوون من القفجاق من القبيلة المعروفة ببرج أغلى [٢]، والسلطان العادل كتبغا أصله من المغول، الذين أسروا في موقعة حمص سنة: (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) [٣] وغير ذلك من الجنسيات التي حملها تجار الرقيق إلى مصر. وقد شجعت الأموال الطائلة التي يجنيها التجار من تجارة الرقيق على مزاولة تلك التجارة [٤] وإذا اشترى السلطان المملوك، ينزل كل مملوك في طبقة جنسه ويسلم للطواشي [٥]، فأول ما يتعلمه المملوك هو القران الكريم، ويكون لكل طائفة فقية يحضر كل يوم ويعلمهم القرآن الكريم والخط وآداب الشريعة [٦] وعندما يبلغ المملوك سن الرشد، يخرج من الطباق [٧]، وتقرر له جامكية تتدرج من ثلاثة دنانير إلى خمسة ومن سبعة إلى عشرة [٨] ومن السلاطين الذين أكثر من شراء المماليك نذكر المنصور قلاوون حيث أسكنهم أبراج قلعة الجبل وأطلق عليهم المماليك البرجية [٩] ويلاحظ أن

---

= **السلطنة والخلافة**، ٢/ ٣٠-٣٢، الملطي: **نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**، ص٧٣.

(١) سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص١٥

(٢) الدوادار: **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، ص١٧٥.

(٣) ابن تغري بردي: **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، ٢/ ٤٨.

(٤) سعيد عاشور: **العصر المماليكى في مصر والشام**، ص٣١٨.

(٥) الطواشي: أطلقت في العهد المملوكي على الخدم الخصيان الذين استخدموا في الطباق السلطاني وكذلك في قسم الحريم في القصر السلطاني، وكانت لهم حرمة وكلمة نافذه، يراسهم شيخ يطلق عليه " شيخ الطواشية " يعتبر من أعيان الناس، حسان حلاق: **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية**، ص١٤٧.

(٦) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ٣٧٢.

(٧) **الطباق**: جمع طبقة وهي ثكنات جيوش المماليك بالقلعة، وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد، محمد أحمد دهمان: **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ص١٠٥.

(٨) سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص٢١.

(٩) سحر السيد: **تربية الأطفال وأثرها على المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك**، ص١٠.

المماليك ظلوا طبقة منفصلة عن سائر السكان العامة في مصر والشام فلم يتزوجوا منهم واختاروا زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم اللاتي جلبهن التجار، ولاشك أن هذه العزلة أوجدت فجوه بين الحاكم والمحكومين فلم يهتم المجتمع المصري بالأحداث الداخلية أو الخارجية لمصر. [١]، وأشار الرحالة ابن بطوطه فقط إلى طائفة المماليك عند حديثه عن أصل المنصور قلاوون: " وكان قلاوون يعرف بالألفي؛ لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً وأصله من قفجق" [٢].

## ٢- العلماء أو أهل العمامة:

فقد كانوا في النصف الأول من القرن الثامن الهجري مكان احترام من قبل السلاطين المماليك، ومثال على ذلك دخول العالم فتح الدين بن سيد[٣]على السلطان حسام الدين لاجين، الذي لم يدعه يقبل الأرض على حسب العادة المتبعة وكان يقول له "أهل العلم منزهون عن هذا " وأجلسه بجواره[٤]، وقد نقل لنا الرحالة ابن بطوطة عن عظمة المكانة التي وصل لها العلماء في زمن الناصر محمد بن قلاوون فمثلاً أورد أن العالم شمس الدين الحريري[5]كان لا تأخذه في الحق لومة لائم فكان يعارض السلطان

---

(١) سعيد عاشور: **العصر المماليكي في مصر والشام**، ص٣٢٠.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٣.

(٣) هو فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحى بن سيد الناس الربعي اليعمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس ولد(١٠ ذي الحجة سنة: ٦٧١هـ/ ٢٧ يونيو ١٢٧٣م) وسمع من الكثير من العلماء وأجازوا له الرواية عنهم، دخل دمشق سنة: (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) فسمع من العلماء واشتغل بالعلم وبرع في كثير من العلوم كعلم الحديث والفقه والنحو وعلم السير والتواريخ وغير ذلك، كان معلم للحديث في المدرسة الظاهرية بمصر، وخطب بجامع الخندق، توفي يوم السبت(١١ شعبان سنة: ٧٣٤هـ/ ١٦ أبريل ١٣٣٤م)، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٤/ ١٤٤، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ٢، ٨/ ١٠٨.

(٥) هو محمد بن صفي الدين عثمان بن زكي الدين أبي الحسن بن عبدالوهاب الأنصاري الحنفي المعروف =

من أجل الحق ويقول عنه السلطان: "إني لا أخاف من أحد إلا من شمس الدين الحريري "(١) على أن هذه المكانة التي تمتع بها المعممون في عصر المماليك لم تمنع بعض السلاطين والأمراء من التعرض لهم بالنقد والتهكم، ولم يرض المماليك أن تشاركهم فئة السكان ركوب الخيل، فاشترط الأمراء المماليك على السلاطين حرمان المعممين من ركوبها(٢) ويذكر المقريزي عن أحداث سنة: (٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م) " وفيه نودي في القاهرة ومصر لا يركب أحد من المتعممين فرسا سوى الوزير وكاتب السر وناظر الخاص فقط ومن عداهم فإنه يركب البغال " (٣) ويتضح من كلام الرحالة ابن بطوطة مقدار ما تمتع به العلماء في زمن السلطان الناصر محمد من مكانة وتقدير واحترام، بينما تلاشى ذلك كله في فترة دولة المماليك الثانية كما يتضح من كلام المؤرخ المقريزي.

### ٣- التجار:

أما فئة التجار فقد أصبحوا من أهم طبقات المجتمع المصري في العصر المملوكي، فازدهار النشاط التجاري في مصر بين الشرق والغرب أدى إلى ثراء التجار وجعلهم طبقة ممتازة، وعمد السلاطين المماليك إلى تقريب بعض التجار وأصبحوا ندماء لهم وأصحاب، و تقلد البعض منهم مناصب دينية ودنيوية في الدولة منها وظيفة أمير طبلخاناه، بل أن كثرة ثرواتهم جعلتهم دائما مطمع سلاطين المماليك ففرضوا عليهم الرسوم وصادروا أموالهم، وإذا احتاج السلطان إلى الأموال لإعداد

---

= بابن الحريري ولد في(١٠ صفر٦٥٣هـ/ ٢٠ مارس ١٢٥٥م) سمع الحديث، وألقى الدروس في أماكن كثيرة بدمشق، وتولي القضاء في دمشق مدة، ثم تولي بعد ذلك قضاء الحنفية في مصر، وألقى الدروس في مدارس مصر، توفي جمادى الآخر سنة: (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) ودفن بالقرافة الصغرى، النويري: **نهاية الإرب**، ٣٣/ ١٩٦، ١٩٧، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٤/ ١٢٢، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٤٠٤، ابن العماد: **شذارت الذهب**، ٦/ ٢٤٨.

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٥.

(٢) سعيد عاشور: **العصر المماليكى في مصر والشام**، ص٣٢١.

(٣) المقريزي: **السلوك**، ٥/ ٢٩٨.

الجيوش استدان منهم [1] وأشار الرحالة التجيبي إلى طائفة التجار الكارميه وذلك عند نزوله بالفندق المكرم بمدينة قوص دون تفصيل لدورهم التجاري ومكانتهم التي وصولوا لها في العصر المملوكي [2].

**٤- أهل الذمة:**

ومن عناصر المجتمع أهل الذمة من اليهود والنصارى [3] فقد وصف الرحالة ابن سعيد المغربي أهل الذمة بقوله عن مدينة القاهرة: " وأكثر ما يتعيش بها اليهود و النصارى في كتابة الخراج والطب " [4].

ولم تقتصر المهن التي شغلها أهل الذمة على مهنه كتابة الخراج و مهنة الطب كما وصفهم ابن سعيد بل شغلوا مهن أخرى على سبيل المثال نجد ابن مماتي المصري كان نصرانيا وأسلم. تولى منصب النظر على الدواوين المصرية، وألف كتاباً عن نظام الدواوين في مصر وقوانينها في عصر الدولة الأيوبية [5] وأيضاً عمل أهل الذمة من النصارى زمن الأيوبيين في المجال الصناعي وخاصة صناعة النسيج والزيت [6]. أما في العصر المملوكي نجد أن اليهود كانت لهم صناعات يعيشون منها فقد وجد لهم مطابخ للسكر يملكونها، كما وجد لهم أسواق خاصة بهم في القاهرة [7] فعملوا في

(١) سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ٤١، ٤٢،

(٢) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص١٧٣.

(٣) **أهل الذمة**: مصطلح يطلق على من يجوز عقد الذمة معهم وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى كما اعتبر المجوس من أهل الذمة وأخذت منهم الجزية واعتبر السامرة والصابئة أهل ذمة بشرط أن يوافقوا اليهود والنصارى في أصل عقيدتهم، قاسم عبده قاسم: **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص٢٣.

(٤) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٨.

(٥) سعيد عاشور: **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، ص١٤٩

(٦) محمد أحمد محمد: **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص١٥٩.

(٧) قاسم عبده: **المرجع السابق**، ص١٤٨.

حرفة الصياغة وصناعة الحلى من الذهب والفضة وصناعة الأمشاط وصناعة الحلوى والكعك وصناعة الحرير والسكر ومهنة التنجيم وصناعة النسيج بالإضافة إلى بعض المهن المتعلقة بالمال كالإقراض بالربا وأعمال الصرافة[١]، أما النصارى فكان لهم أثرهم في النشاط التجاري فقد أورد ابن بسام في كتابه من أن بعض الموازين كانت تحمل كتابة عربية على أحد وجهيها بينما كانت تحمل كتابة قبطية على الوجه الآخر[٢]وقد تمتع أهل الذمة في مصر بقدر من الحرية والاحترام وعملوا في العديد من الوظائف، إلا في أوقات الاضطرابات والفتن فكانت تفرض قيود على ملابسهم، أويسرحوا من الوظائف الديوانية، أو تهدم كنائسهم، ففي سنة: (٧٠٠هـ/ ١٣٠١م) مثلاً على أيام الناصر محمد بن قلاوون " وجمع النصارى واليهود بالقاهرة ومصر وظواهرها، ورسم ألا يستخدم أحد منهم بديوان السلطان ولا بدواوين الأمراء وألا يركبوا خيلاً ولا بغالا، وأن يلتزموا سائر ما شرط عليهم ونودي بذلك في القاهرة ومصر "[٣].

و في سنة: (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) زمن الصالح إسماعيل فرضت قيود على ملابس أهل الذمة[٤] و في سنة: (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) هدمت كنائس للنصارى[٥]فقاموا النصارى كردة فعل على هدم كنائسهم في سنة: (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) بحرق أحياء القاهرة وبعض مساجدها إلا أننا بإمكاننا أن نقول أن أهل الذمة تمتعوا في عصر المماليك بكل ما تمتع به إخوانهم المسلمون من حقوق وامتيازات وشغلوا العديد من الوظائف[٦]، حتى صارت دورهم تعلو على دور المسلمين ومساجدهم، وصاروا

---

(١) محاسن الوقاد: **اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة**، ص١٧٠.

(٢) ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٣٧٣

(٣) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٣٣٨.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٥/ ٢٠٢.

(٥) المقريزي: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٦ - ٣٩.

(٦) سعيد عاشور: **المجتمع المصرى**، ص٥٥.

يدعون بالنعوت التي كانت للخلفاء ويكنون بكناهم فمن نعوتهم الرشيد ويكنون بأبي الحسن وأبي الفضل كما " ركبوا مركوب المسلمين ولبسوا أحسن لباسهم "(١) ومن خلال كلامنا السابق نجد بأن مهن أهل الذمة لم تقتصر كما وصف رحالتنا ابن سعيد المغربي على مهنة الطب والخراج بل عملوا في الكثير من الوظائف سواء في العصر الأيوبي او المملوكي كالصناعة والتنجيم وأعمال الصرافة والتجارة والنظر في الدواوين وتمتعوا بكل الحقوق والامتيازات التي تمتع بها المسلمون.

٤- **العوام:** واكتظت المدن في مصر على عصر المماليك بجمهور كبير من الباعة والسوقة والسقائين والمكارين والمعدمين أو أشباه المعدمين وألحقت بهم طائفة الزعر والحرافيش (٢)وقد وصف ابن بطوطة الحرافيش بقوله: " وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة "(٣)وقد اتخذ بعض الحرافيش التسول مهنة لهم، فيذكر السبكي أن كثيراً من الحرافيش " يقعدون على أبواب المساجد يشحذون المصلين ولا يدخلون للصلاة معهم "(٤)، ولم تكن فئة الحرافيش فئة مستضعفه في العصر المملوكي بل كان لهم ثقلهم السياسي، فيذكر لنا ابن بطوطة دورهم عندما سجن السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير طشتمر المعروف بحمص أخضر(٥)، فاجتمع آلاف من الحرافيش

---

(١) ابن الأخوة: **معالم القربة**،ص ٤٧، ٤٨.

(٢) سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص٤٤.

ويشير الدكتور محمد النجار بأن الحرافيش كانوا في الأصل فرقه عسكريه قتاليه زمن الأيوبيين، وكان لهم دور كبير في الصراعات الداخلية بين الأمراء الأيوبيين لكن بعد زوال الدولة الأيوبية فقدوا دورهم القتالي وانضموا زمن المماليك إلى زمرة العاطلين والعوام الذين اكتظت بهم القاهرة، محمد النجار: **الشطار والعيارين**، ص١٣٥.

(٣) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٤.

(٤) السبكي: **معيد النعم ومبيد النقم**، ص١١٢،

(٥) هو طشتمر بن عبدالله الساقي الناصري المعروف بطشتمر حمص أخضر، تولى عدة وظائف، ولي نيابة صفد ثم نيابة حلب ثم نيابة السلطنة بمصر إلى أن أمسك وقتل بالكرك، على يد السلطان الناصر أحمد في =⇦

ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد " يا أعرج النحس " (يعنون الملك النـاصر) أخرجه فاستجاب لهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأخرجه من سجنه(١) وبرغم أن هذا الأمير كان ممقوتاً من السلطان الناصر محمد فإنه كان محبوب من عـوام القـاهرة بسبب عطفه عليهم وإحسانه الدائم إليهم(٢) وعن ذلك يقول ابـن بطوطـة: " كـان مـن خيار الأمراء وله الصدقات الكثيرة على الأيتام مـن كسوة ونفقـة وأجـرة لمـن يعلمهـم القـرآن ولـه الإحسان العظيـم للحـرافيش "(٣) ويرجـع سـبب كثـرة فئـة الحـرافيش في القاهرة إلى وجود عدد مـن الفلاحـين لا يملكـون أرضـا فلجـؤوا إلى القـاهرة ونتيجـة للأوبئة والمجاعات وتدهور الوضع الاقتصادي في الصناعات الحرفية فأصبحوا عبئا على القاهرة وكثيرًا ما صدرت أوامر مـن قبـل الـسلاطين برجـوعهم إلى بلادهـم لكـن دون جدوى(٤).

وكان الـسلاطين يـشملون الحـرافيش بعطفهـم ونـذكر مـا فعلـه الظـاهر بيـبرس عندما وقع الغـلا وشـح النيـل في سـنة: (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م) فـأمر بجمـع الحـرافيش، وبلغ عددهم ألفين وخمسائة، فأخـذ منهم جـزء وفـرق بقيـة الحـرافيش عـلى الأمـراء، ورسم لهم برطل خبز ورطل لحم كل يوم(٥). كـما كـان الـسلطان حـسام الـدين لاجـين

---

= أول محرم سنة: (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ١/ ٣٦٢، الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ٢/ ٥٨٦،٥٨٧.

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٤٣، ٤٤، وقد ذكر ابن أياس حبس الأمير طشتمر المعروف بحمص أخضر في حوادث سنة: (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، ابـن إيـاس: بـدائع الزهـور، ١/ ق١: ص٤٥٧، ويـذكر المقريزي حادثة حبس الأمير طشتمر أخضر مرتين في سنة: (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) و أفرج عـن طـشتمر مـن يومه وفي سنة: (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) وأفرج عنه السلطان، المقريزي: السلوك، ٣/ ٦٦، ٩٧.

(٢) علاء طه رزق: عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، ص٦٣.

(٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص٤٣، ٤٤.

(٤) محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص١٦٤.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ١/ ق١: ص٣١٩.

محبوبا من قبل الحرافيش فيذكر ابن تغرى بردي أن يد السلطان قد كسرت أثناء لعب الكرة ولما شفي زينت القاهرة فرحاً بشفاء السلطان " وفرح الناس بعافيته فرحاً شديداً خصوصاً الحرافيش "[١] وفي عهد السلطان الأشرف شعبان بن قلاوون عندما اشتد الغلاء في سنة: (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) رسم إلى الأمير منجك نائب السلطنة بأن يفرق الحرافيش على الأمراء وكبار التجار وأعيان الناس[٢].

## ٥- الصناع وأرباب الحرف:

اكتظت المدن المصرية في عصر سلاطين المماليك بطائفة كبيرة من العمال والصناع وأصحاب المهن الخاضعين لنظام النقابات السائد بين أفراد كل حرفة فأهل الحرفة الواحدة يكونون نقابة لها نظام ثابت يحدد عددهم ومعاملتهم فيما بينهم بعضهم ببعض وفيما بينهم وبين الجمهور، ويكون لهم رئيس أو شيخ يرأسهم ويفض مشاكلهم، ويرجعون إليه في كل ما يهمهم، لاسيما في الوساطة بينهم وبين الحكومة ولما كان دخول أي فرد جديد في حرفة من الحرف من شأنه أن ينافس أصحابها الأصليين، فإنهم كانوا لا يمرنون أحدا على طرق صناعتهم إلا أن يكون من أبنائهم ولا يسمحون لأي شخص بمشاركتهم إلا أن يكون أتى ليحل محل أحدهم وفي هذه الحالة يقبل بشروط خاصة[٣]وأشار كل من الرحالتين التجيبي والبلوي لأصحاب الحرف والصناع، فالرحالة التجيبي يذكر لنا بأن تنوع الصناعات في مدينة القاهرة أدى إلى استقرار أصحاب الصنائع والحرف، كانت القاهرة نتيجة تنوع الصناعات مكانا لاستقرار أرباب الصنائع فيها ، وازداد استقرار أهل الصنائع أكثر بعد إحياء الخلافة العباسية مرة اخرى في القاهرة [٤] أما الرحالة البلوي فذكر لنا من أصحاب

---

(١) ابن تغرى بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ١، ٨/ ٨٨.

(٢) ابن إياس: **جواهر السلوك**، ص٢١٨.

(٣) سعيد عاشور: **المجتمع المصرى**، ص٤٣.

(٤) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٣.

الحرف،السقائيين واحصى عدد دكاكينهم المعدة للسقي بالقاهرة: " فبلغت ستين ألف دكان ماعدا السقائين الذين بالأكواز والأكواب في الطريق والأسواق وغيرها "[(١)].

## ٦ – الفلاحون:

أما الفلاحون فقد كانوا يشكلون فئة عظيمة من المجتمع المصري ولم يكن نصيبهم في عصر المماليك على وجه الخصوص سوى الإهمال والاحتقار[(٢)] ويقول ابن خلدون عنهم بصفة عامة " ولذلك لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب ولا من المترفين، ويختص منتحله بالمذلة " فقد وصف بذلك ابن خلدون الفلاحة بأنها مهنة المستضعفين المختصين بالمذلة [(٣)]، وقد فرض عليهم الولاة دفع الضرائب، كما لم يسلموا من أذى العربان وبطشهم فتعرضت القرى والمزارع لغارات العربان بين حين وآخر، وفي كل مره يغير العربان على الفلاحيين ينهبون محصولاتهم الزراعية ومواشيهم ويفرضون عليهم دفع مبالغ مالية[(٤)] ولم يخفف عن الفلاحيين سوى أن يصادف مرور السلطان ببعض القرى للنزهة أو الصيد فيتقدموا إليه بالشكوى من جور الولاة أو أذى العربان[(٥)] وذكر المقريزي حادثة وقعت سنة: (٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) تدل على استجابة السلاطين إلى شكاوي الفلاحين في بعض الأوقات، فقد قبض السلطان برقوق على الأمير ناصر الدين محمد بن محمد ابن أقبغا آص وضرب لأن الفلاحين شكوا منه أمور قبيحة " من أخذ نسائهم وأولادهم وفجوره بهم " ثم سلم إلى وآلى القاهرة ليستخرج منه أموال الفلاحين فضربه الوالي بحضرة خصومة[(٦)] ولم

(١) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢١٨.

(٢) سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٥٦.

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص٣١٩.

(٤) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص٣٢٣.

(٥) سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٥٩.

(٦) المقريزي: السلوك، ٥/ ٣٣٦.

يشير الرحالة لهذه الفئة المستضعفة على الرغم من أنهم يشكلون جزء كبير من المجتمع المصري، وربما يعود السبب لعدم مرورهم على قراهم.

## ٧- الطوائف الأجنبية:

بالإضافة إلى العناصر السكانية التي ذكرنا، وجدت طوائف أجنبية فقد قدر بعض الكتاب عدد الأجانب في الإسكندرية وحدها في القرن السابع الهجري / الرابع عشر الميلادي بثلاثة آلاف تاجر مسيحي، يشمل المسيحيون الغربيون اللاتينيون، والمسيحون الشرقيون الروم، هذا عدا الوافدين من جورجيا والحبشة وأرمينية وغيرها من البلاد(١).

## نقد الرحالة للمجتمع المصري:

أما نقد المجتمع المصري فنجد رحالتين من الرحالة المغاربة قد نقد أخلاق المجتمع المصري وأنا أرى في ذلك تحاملاً من قبل الرحالتين فكل مجتمع يوجد به من يتحلى بأخلاق إسلامية حميدة ومنهم من يتحلى بأخلاق ذميمة، لكن التعميم من قبل الرحالتين للمجتمع المصري سواء كان في مدينة القاهرة أو الإسكندرية فهذا لا يقبله عاقل، ولكن ربما لأن بيئة الرحالتين تختلف عن طبيعة المجتمع المصري وعن الظروف السياسية والاقتصادية التى مروا بها (٢).وربما لأن الرحالتين من بيئة ثقافية تترفع عن تصرفات بعض أفراد المجتمع المصري.

---

(١) سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٦٤.

(٢) ويمكن الرجوع إلى الفصل الثاني مبحث الحياة السياسية في أثناء وجود الرحالة، فقد كانت فترة حافلة بالصراعات في العصر المملوكي بين الأمراء المماليك على السلطة، وصد خطر الصليبيين والمغول، وتعرض مصر في فترة السلطان العادل كتبغا والسلطان الناصر حسن إلى نقص نهر النيل وحدوث الغلا والأوبئة والمجاعات فانعكس أثر ذلك كله على المجتمع المصري.

### ١- نقد الرحالة ابن سعيد:

و قول ابن سعيد عند نقده للمجتمع في القاهرة: " ولا ينكر فيها إظهار أواني الخمر. والآلات الطرب ذوات الأوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب "[(١)].

وهذا ما سنوضحه في الصفحات القادمة من بعض الظواهر السلبية التى انتشرت بين بعض أفراد المجتمع المصري وبعض عاداتهم التى اعتادوا عليها وتعليق الرحالة المغاربة عليها ونقلهم لها.

### ٢- نقد الرحالة العبدري:

أما الرحالة العبدري فنرى كمية تحامل في نقده على المجتمع المصري سواء كان ذلك في الإسكندرية أو القاهرة فيقول العبدري عن أهل الإسكندرية: " بيد أنها الآن بلد زادت صورته على معناه واستأثر بالفضائل مغناه فهو كجسم حسن لا روح فيه أوبرد مفوف خلا من ملتحفه أو غمد مرقش اندق الصارم الذي كان يخفيه أكثر أهلها رعاع ضرر بلا انتفاع مع سوء أخلاق ومرارة مذاق وقلوب رباها الضغن تربية الأولاد، وجفاها الخير والصلاح لما عمرها من الشر والفساد، الخير فيهم فعل لا يتصرف والغريب بينهم نكرة لا تتعرف أن رأوه زادوا الوجوه جهامة "[(٢)]، وفي موضع آخر يقول العبدري عن أهل الإسكندرية: " ولا تلقى فيهم فئة رأفة ولاعصابة، ولا ينفع الغريب في معاملتهم أن يقول لا خلابة، حسبك ببلد أربى في الحسن على البلاد وله من الفضيلة كل طارف وتلاد" ويشير العبدري بأن وجود أهل الفضل فيهم قليل " وليس به من أهل الفضل الاّ آحاد قلو عددا واتحدوا كل الاتحاد،

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٣١.

(٢) العبدري: **رحلة العبدري**، ص٩٢.

فهم فيهم أقل من التوفيق غرباء بينهم في كل معنى وطريق "[١] .

ولم يكتف العبدري بنقد المجتمع المصري في الإسكندرية؛ بل نجد انتقاده يشمل مجتمع القاهرة أيضاً فيقول بعد وصف كبر مدينة القاهرة وعدد السكان الذي يحاكي عدد الرمل على قوله: " وحسبها شرًا أنها جرين لحثالة العباد، ووعاء لنفاية البلاد، ومستقر لكل من يسعى في الأرض بالفساد من أصناف أهل الشقاق والعناد والإلحاد، استولي الحسد على قلوبهم، واستوى الغش في جيوبهم، فنار الحسد مضطرمة في الجوانح وسهم الغش ممزوج في عسل النصائح " وبعد ذلك وصف العبدري المجتمع بعدد من الصفات عن أخلاقهم فقال: " وما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم ولا بإفريقية وأرض برقة والحجاز والشام فريقا من الناس أرذل أخلاقا وأكثر لؤما وحسدا ومهانة نفوسًا وأضغن قلوبا، وأوسخ أعراضا، وأشد دمامة وخيانة وسرقة وقساوة، وأجفى للغريب من أهل هذه المدينة المؤسسة على غير التقوى "[٢] .

## عادات المجتمع المصري:

وقد تطرق الرحالة المغاربة لعادات المجتمع المصري وهي عادات تعود عليها المجتمع في مصر وإن حمل بعضها طابع غير لائق فمن عاداتهم الخروج للمتنزهات ويقول ابن سعيد عن أرض الطبالة[٣]في القاهرة " وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطبالة، لاسيما أيام القرط والكتان " [٤]" وكانت ملح القاهرة وبهجتها " وقد أصاب أرض الطبالة الخراب في سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) عندما حدث الغلاء

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص٩٣.

(٢) العبدري: **المصدر السابق**، ص١٢٦ – ١٢٧.

(٣) أرض الطبالة تنسب إلى امرأة مغنية تسمى نسب مغنية الخليفة المستنصر سألت بأن يعطيها الأرض المجاورة للمقس فوهبها هذه الأرض،المقريزي: **الخطط**، ٣/ ٢٢٥.

(٤) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٥.

في عهد السلطان العادل كتبغا وظلت خراباً حتى عمرت في عهد السلطان الناصر محمد سنة: (٧١١هـ/ ١٣١١م) فبنى الناس الدور وبنيت الأسواق والحمامات والجوامع وكانت من أماكن النزهة للمصريين أيام الاحتفال بوفاء النيل[(١)]

وفي موضع آخر يقول ابن سعيد: " والمكان الذى يعرف في القاهرة" بين القصرين" هو من الترتيب السلطاني، لأن هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجون مابين القصرين "[(٢)].

ويصف ابن سعيد ما يحدث في خروج المجتمع المصري رجالهم و نسائهم من بعض التصرفات السيئة عند دخولهم للخليج الذي بين القاهرة والفسطاط بقوله: " فرأيت فيه من ذلك العجائب، وربما وقع فيه قتلُ بسبب السكر فيمنع فيه الشرب، وذلك في بعض الأحيان وهو ضيق عليه في الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالفة، حتى إن المحتشمين والرؤساء لايجيزون العبور به في مركب. وللسرج في جانبيه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر "[(٣)] وأن كان ما وصفه الرحالة ابن سعيد يحدث في المجتمع المصري إلاأنه كانت هناك أوامر بمنع حدوث هذه الحوادث في المنتزهات سواء في عهد الأيوبيين أو المماليك ففي سنة: (٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) " نهى عن ركوب المتفرجين في المراكب في الخليج وعن إظهار المنكر، وعن ركوب النساء مع الرجال، وعلق جماعة من روساء المراكب بأيديهم " وفي سنة: (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) " رسم الأميران بيبرس وسلار بمنع الشخاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكمي والتفرج فيه، بسبب ما يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتي تجمع آلات الملاهي، والنساء المكشوفات الوجوه المتزينات بأفخر زينة.... ورسم الأميران لمتولي الصناعة بمصر، أن يمنع المراكب من دخول الخليج

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/ ٢٢٦.

(٢) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص٢٤.

(٣) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص٣١ - ٣٢.

إلا ما كان فيه غلة أو متجراً وما ناسب ذلك "[١] ويوجد في مصر العديد من المنتزهات غير ما ذكره الرحالة ابن سعيد، نذكر منها جزيرة الروضة التي كانت من أهم المتنزهات أيام الفاطميين وموضع يعرف بالسبع همايل بالقرب من شبرا على بحر النيل وكوم الريش وقناطر الأوز وميدان اللهو الذي يقصده المتنزهون رجالا ونساء ويتبعهم الباعة فيختلط الناس من غير حجاب[٢].

ومن عادات المجتمع المصري التي أعتاد عليها، خروجهم لزيارة المقابر والمزارات والمشاهد، فيذكر ابن بطوطة في الإسكندرية بعد ذكر أبوابها أن الباب الأخضر يخرج الناس منه إلى زيارة القبور[٣]وفي موضع آخر يذكر ابن بطوطة مزاراً خارج مدينة دمياط وهو معروف بمزار بشَطَا وهو كما يقول ابن بطوطة: " ظاهر البركة يقصده أهل الديار المصرية، وله أيام في السنة معلومة لذلك "[٤] ويصف ابن بطوطة الحياة داخل القرافة الكبرى وبناء المصريين داخلها من البيوت والمدارس والزوايا " وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور ويبنون بها البيوت، ويرتبون القراء يقرأون ليلاً ونهاراً بالأصوات الحسان ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة إلى جانب التربة " كما يصف لنا ابن بطوطة خروج المصريين كل جمعة للمبيت في المقابر بأولادهم ونسائهم " ويخرجون في كل ليلة جمعة إلى المبيت بها بأولادهم ونسائهم ويطوفون على الأسواق بصنوف المآكل "[٥].

أما زيارة المشاهد فيذكر الرحالة خالد البلوي عند حديثه عن مدينة القاهرة وذكر زيارة الناس في القاهرة لمشهد الحسين بن علي-رضي الله عنهما- فيقول:

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/ ٢٥٥.

(٢) لطفى نصار: وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، ص٢٨٨ - ٢٩٠.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٠.

(٤) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص٣٥.

(٥) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص٣٩.

"والناس من الازدحام على هذا المشهد الكريم والإحداق به والانكباب عليه والتبرك به والتضرع لديه كل مرئى هائل عظيم، والأمر فيه كبير يفوت التقدير، ولكنا اختصرنا القليل من الكثير ووقفنا موقف العجز والتقصير"(١).

ومن عادات المجتمع المصري والتى انتقدها الرحالة العبدري أكل الناس في القاهرة في الأسواق فيقول: " ومن المألوف عندهم الأكل في الأسواق والطرقات والمحافل" وفي موضع آخر يقول العبدري: " وكنت نزلت بالمدرسة الكاملية منها في علو مشرف على السوق فكنت قلما أرقد إلا منغصا لصياح الباعة وهم يبيعون طول الليل وقلما يكون طعام الشريف منهم والوضيع إلا من السوق والضغط على ذلك " (٢) وهذه العادة ليست غريبة على المجتمع المصري فقد اعتاد الناس في مصر في تلك العصور على عدم طهي الطعام في منازلهم، وإنما يشترون ما يلزمهم من طعام من الباعة(٣) وفي ذلك يقول المقريزي إن أهل مصر كانوا " يتناولون أغذية كل يوم من الأسواق بكرة وعشيا"(٤) ويرجع سبب الأكل في الأسواق وشراء الطعام لقلة الوقت لأنهم في عملهم طوال النهار ومع جزء من بداية الليل، فضلا عن أن أغلب النساء المصريات يعملن لاكتساب أرزاقهن، إلى جانب أن الغالبية العظمى من سكان القاهرة في العصر المملوكي كانوا لا يكلفون أنفسهم عناء إعداد الطعام في المنزل، بل يقومون بشراء ما يحتاجون إليه من الأطعمة من الأسواق صباحاً أو مساء (٥).

وإلى جانب وجود المطابخ في الأسواق لبيع الطعام وجدت طائفة من الطهاة يرسل إليهم الناس ما يريدون طهوه من الطعام، فيطهونه ويخلطونه بالتوابل والأفاوية ثم يرسلونه في القدور المغطاة إلى البيوت، "تيسير على إخوانه المسلمين من غير أن

---

(١) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢٢١- ٢٢٢.

(٢) العبدري: رحلة العبدري، ص١٢٨- ١٢٩.

(٣) سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٦٨

(٤) المقريزي: الخطط، ١/ ٩٣.

(٥) محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص١٣٤، ١٣٥.

يتكلفوا محاولة ذلك لأنفسهم " و عرفت تلك الفئة من الطهاة باسم " الشرايحية " وانتشرت حوانيتهم في جميع أسواق مصر[١].

فإذا كان الرحاله العبدري قد استنكر هذه العادة لدى المصريين ربما يكون ذلك بسبب عدم وجود هذه العادة لدى المغاربة في بلادهم وربما بسبب أصوات الباعة التي منعته من النوم.



(١) قاسم عبده: **بعض مظاهر الحياة اليومية**، ص٣٠١، ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات**، ٤/ ٣٧٨. وقد فصل لنا ابن الحاج ما يجب على الشرائحي عند طبخ الطعام للناس.

## المطلب الثاني: الملبس والمأكل والمناسبات

### ١- ملابس أهل الذمة:

اما الملبس فيصف الرحالة ابن سعيد ملابس مخصصة لأهل الذمة في القاهرة فيقول: " والنصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم، واليهود بعلامة صفراء في عمائمهم، ويركبون البغال: ويلبسون الملابس الجليلة "[(١)].

وقول ابن سعيد يتفق مع ما جاء في كتب الحسبة عن الشروط العمرية والتي حددها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لملابس أهل الذمة فقد كان على النصارى أن يشدوا الزنانير في أوساطهم فوق الثياب، واليهود أن يضعوا علامة على رؤوسهم باللون الأصفر، أما نساء النصارى فتشد الزنار تحت الإزار كالرجل ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام، كما فرض عليها أن تنتعل خفين أحدهما أسود والآخر أبيض للتميز به عن النساء المسلمات، كما فرضت على أهل الذمة شروطًا أخرى، منها: عدم ركوبهم الخيول إنما يركبون البغال والحمير بالأكف عرضاً أي من جانب واحد، كما حرم عليهم حمل السلاح أو التقييد بالسيوف، بالإضافة إلى عدم تعلية دورهم على دور المسلمين وإذا دخلوا إلى الحمام يكون في عنقهم صليب أو طوق من حديد أو نحاس أورصاص[(٢)]. ونجد أن أهل الذمة في مصر تمتعوا بقدر من الحرية في ممارسة حياتهم ولم تفرض عليهم قيود في الملبس إلا في أوقات معينه، أوقات الاضطرابات أو الفتن، ففي عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أُلزم الذميون من النصارى بتعليق الصلبان في أعناقهم والزم اليهود بتعليق خشبة على شكل تمثال رأس العجل[(٣)]، وأمر

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٣١.

(٢) عبدالرحمن الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص١٠٦، ١٠٧، ابن الإخوة: **معالم القربة في أحكام الحسبة**، ص٤٦، ٤٧، ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٣٨٠، ٣٨١.

(٣) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨.

بأن تكون مراكبهم غير مزينة، عليها أخشاب وجلد أسود مدبوغ، وحرم عليهم لبس الخواتم في يدهم اليمنى، فإن خالفوا شيئاً من ذلك تعرضوا للعقاب[1]، وفرضت القيود أيضاً في سنة: (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عندما قدم وزير ملك المغرب يريد الحج فزار مصر وشاهد ما يتمتع به أهل الذمة من ترف و"بينا هو تحت القلعة إذا برجل راكب فرسا وحوله عدة من الناس مشاة في ركابه يتضرعون له ويسألونه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم لا يعبأ بهم؛ بل ينهرهم ويصيح في غلمانه بطردهم، فقيل للمغربي: إن هذا الراكب نصراني فشق عليه، واجتمع بالأميرين بيبرس وسلار وحدثهما بما رآه، وأنكر ذلك وبكى بكاء كثيراً وشنع في أمر النصارى وقال لهم: كيف ترجون النصر والنصارى تركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض، وتذل المسلمين وتشبههم في خدمتكم، وأن الواجب إلزامهم بالعهد الذي كتبه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثر كلامه عليهم وطالبوا القضاء وبطرك النصارى، وحضر القضاء وبطرك النصارى وكبار قساوستهم وديان اليهود، وطلبوا منهم أن يذعنوا إلى الشروط العمرية وألزموا النصارى بلبس العمائم الزرق واليهود بلبس العمائم الصفر، ومنعوا من ركوب الخيل والبغال، وحرم على النصارى مخالفة ذلك أو شيء منه وكذلك حرم على اليهود مخالفة هذا الأمر والالتزام بالشروط العمرية"[2] ويزيد ابن خلدون على هذه الشروط بأن تلبس نساء أهل الذمة لباس يميزهن عن نساء المسلمات، وأن لا يركبوا فرساً ولا يحملوا سلاحاً، بل يركبوا الحمير ويلتزموا وسط الطريق، وأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت المسلمين و لا ترتفع منازلهم على منازل جيرانهم من المسلمين [3]. وفي سنة: (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) تجددت

---

(١) ا.س ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ص١٣٣، ١٣٤.

(٢) المقريزي: السلوك، ٢/ ٣٣٧، ٣٨٨، حياة الحجى: العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري، ص١٠، ١١، وكذلك انظر: قاسم عبده: أهل الذمة في مصر، ص١٥٧، ١٥٨.

(٣) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٥/ ٤٠٦.

القيود على النصارى لقيامهم بحرائق متعمدة في القاهرة ويقول المقريزي عن ذلك " نودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمة ومن وجد من النصارى راكباً باستواء حل دمه، وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق وألا يركبوا فرساً ولا بغلاً، وأن يركبوا الحمير عرضاً ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس في أعناقهم، ولا يتزيوا بزي المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم "[١] وتجددت القيود على الملابس مرة أخرى سنة: (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) حيث ألزمت النصارى بألا يزيدوا عمامتهم الزرقاء عن عشرة أذرع فما دونها، وكذلك اليهود لا يزيدوا عمامتهم عن ذلك، ويمنع تشبه نساؤهم بنساء المسلمين فضلا عن بعض القيود الأخرى التي فرضت على أهل الذمة[٢]. ومما سبق يتضح لنا أسباب التشديد على أهل الذمة

فأولاً: أنها مما عهد به عمر بن الخطاب ﷺ، وثانياً: بسبب الشغب الذي أحدثوه في مصر شدد عليهم.

## ٢- ملابس العلماء في كتب الرحالة:

ولم يصف الرحالة الآخرين ملابس العلماء ماعدا الرحالة ابن بطوطة، فوصف لنا عمامة العالم عماد الدين الكندي، وهو أحد علماء الإسكندرية وقضاتها فيقول: "وكان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم لم أر في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها، رأيته يوماً قاعداً في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب "[٣].

ويشير ماير في كتابه الملابس المملوكية أن العمامة لم تكن الجزء المكمل لزي القضاة حتى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وأن القلنسوة كانت

---

(١) المقريزي: السلوك، ٣/ ٣٩ - ٤٤، ماير: الملابس المملوكية، ص١١٨.

(٢) المقريزي: المصدر السابق، ٤/ ٢٠٢، قاسم عبده: أهل الذمة في مصر، ص١٥٨، ١٥٩.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٣.

تستخدم حتى ذلك العهد[(١)] وصارت العمامة بعد ذلك من لوازم أصحاب المناصب الدينية وأصبحت من الأزياء المألوفة وتدل على سمو مقام القاضي وعلو منزلته في العصر المملوكي[(٢)].

ويذكر القلقشندي بأن من القضاء والعلماء يلبسون العمائم من الشاشات الكبار للغاية: "ومنهم من يرسل بين كتفه ذؤابة تلحق قربوس سرجه إذا ركب " ومن دون ذلك تكون عمامته ألطف وأصغر[(٣)]ويلبس العلماء والقضاء الطرحة التي تستر العمامة وتنسدل على الظهر وهم يشتركون في هذا الزي مع الخليفة وأرباب الوظائف الدينية مثل الوزير[(٤)]وقد طلب قضاة القضاء الحنفية من السلاطين أن يلبسوا الطرحة في المناسبات والمواكب أسوة بقضاة الشافعية ولم يتحقق هذا الأمر إلا في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[(٥)].

وفي موضع آخر يصف لنا ابن بطوطة عندما رحل إلى مدينة فوة ملبس الشيخ أبي عبدالله المرشدي بأن عليه جبّة صوف سوداء[(٦)].

ويصف ابن بطوطة في القاهرة ملبس للعالم قوام الدين الكرماني الذي كان يسكن سطح الجامع الأزهر بأن عليه عباءة صوف خشنة وعمامة صوف سوداء [(٧)].

---

(١) ماير: **الملابس المملوكية**، ص٨٩.

(٢) حسن البطاوي: **أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك**، ص١٣٤.

(٣) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ٤/ ٤٣، ٤٤.

(٤) عبدالمنعم ماجد: **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، ٢/ ٨٤.

(٥) حسن البطاوي: **المرجع السابق**، ص١٣٤.

(٦) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٩.

(٧) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٤٦.

## المأكل والمشرب في مصر:

فقد وصف كل من الرحالتين ابن سعيد المغربي والرحالة ابن بطوطة ما يأكلوه أهل القاهرة والبرلس ونسترو ودمياط، بينما أشار فقط الرحالة ابن سعيد لما يشربه أهل القاهرة، ولم يتطرق الرحالة الآخرين للمأكل والمشرب في مصر، فيصف لنا ابن سعيد أن مأكل أهل القاهرة الدميس والصّير والصّحناة والبَطارخ[(١)].

ويذكر لنا ابن بطوطة أن أكل أهل البُرُلس ونَسْتَرَوْ الطير البحريّ والحوت المعروف بالبُوريّ[(٢)].

وكذلك يذكر ابن بطوطة أن مدينة دمياط تشتهر بأكل الطير البحري والحوتُ البوريُ والألبان الجاموسية فيقول في ذلك: " والطيرُ البحريّ بهذه المدينة كثير مُتناهي السمن، وبها الألبانُ الجاموسية التي لا مثل لها في عذوبة الطعم وطيب المَذاق، وبها الحوتُ البوري يُحمل منها إلى الشام وبلاد الروّم ومصر "[(٣)].

ويذكر ابن سعيد المغربي شراب أهل القاهرة العنب والتين والمزر الأبيض[(٤)] ونورد قول ابن سعيد في ذلك: " وأما العنب فقليل غال " ويعلل ذلك " ولكثرة ما يَعْصرون العنب في أرياف النيل لا يصل منه إلا القليل. ومع هذا فشرابه عندهم في غاية الغلاء ".ويذكر شراب العامة من المجتمع المصري " وعامتها يشربون المزر الأبيض المتخذ من القمح حتى أن القمح يطلع عندهم سعرهُ بسببه، فينادي المنادي

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٨، والصير: السمكات المملوحة التى تعمل منها الصحناة، والصيروالصحناة أشبة بالملوحة والفسيخ، أما البطارخ: بيض السمك، ابن سعيد المغربي: **هامش النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، تحقيق حسين نصار، ص٢٨.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٢.

(٣) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٣٣.

(٤) **المزر**: نوع من الخمر يصنع من الذرة أو الشعير أو الحنطة، محمد أحمد دهمان: **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ص١٣٧.

من قبلَ الوالى بقطعه وكسر أوانيه "[١].

## المناسبات في مصر:

اما المناسبات فلا نجد غير ما ذكره ابن بطوطة من احتفال أهل مصر بمناسبة شفاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون من كسر أصاب يده ويقول في ذلك: " وأهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو، شاهدتُ بها مرة فرجة بسبب بُرء الملك الناصر من كسر أصاب يده فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوانيتهم الحُلل والحُلي وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياماً "[٢].

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٣١.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٧.

## المطلب الثالث: الاحتفالات الدينية

إن من أهم احتفالات المسلمين وأعيادهم الاحتفال بروية هلال شهر رمضان وإحياء ليالي رمضان، ثم الاحتفال بعيد الفطر في نهاية شهر رمضان ويأتي بعد ذلك الاحتفال بعيد الأضحى المبارك وعلى مدار السنة الهجرية كانت هناك مواسم ومناسبات دينية حرص المسلمون على إحيائها واتخذ بعضها شكل الاحتفال العام مثل دوران المحمل والمولد النبوى(1).

### ١ - الأحتفال بروية هلال رمضان:

و قد وصف لنا ابن بطوطة روية هلال رمضان في مدينة أبيار ومدى اهتمام سكانها كبيرهم وصغيرهم بهذه المناسبة فيقول في ذلك: " ولقيتُ بأبيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي، حضرت عنده مرة يوم الركْبة، وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان، وعاداتهم فيه أن يجتمع فقهاء المدينة ووجهائها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي، ويقف على الباب نقيب المتعممين، وهو ذو شارة وهيئة حسنة، فإذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب ومشى بين يديه قائلاً: بسم الله سيدنا فلان الدين، فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له، ويجلسه النقيب في موضع يليق به، فإذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب من معه أجمعين " ويصف من يتبع ركب الفقهاء والقاضي من أهل المدينة " وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان، وينتهون إلى موضع بالبسط والفرش، فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال، ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع، ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون، هكذا فعلهم كل سنة " (2) أما إذا حدث ارتباك

---

(١) قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ص٢٩٠.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣١.

بسبب رؤية الهلال في بعض الجهات وعدم رؤيته في البعض الآخر، فإن الحاضرين يكتفون بشهادة اثنين من الرجال[1] وبعد ثبوت رؤية الهلال يوقد أهل الحوانيت الشمع بحوانتهم كما أخبر ابن بطوطة[2]، وتكثر الأنوار في الطرقات والدروب والمساجد، وبذلك يتحول الليل نهارًا طيلة شهر رمضان [3]، وقد ذكر لنا ابن الحاج أن من عادات المصريين تعليق الفوانيس " التي جعلوها علماً على جواز الأكل والشرب مادامت معلقة موقودة "[4] ولا تطفأ القناديل إلا قبيل الفجر لاعتماد أهل القاهرة عليها في تحديد موعد السحور، والإمساك عن الطعام والشراب [5].

وتزدهر أسواق القاهرة خلال شهر رمضان فقد لاحظ الرحالة سيمون سيجولى أن محلات الطعام والمطابخ تظل مفتوحة طوال ليالى شهر رمضان [6] ومن أشهر الأسواق التي تزدهر في رمضان سوق الحلاويين وتصنع فيه حلوى من السكر على هيئة خيول وسباع وقطط وغيرها، وعرفت تلك الحلوى بمسمى العلاليق؛ لأنها تعلق بخيوط على أبواب الحوانيت وتزن مابين عشرة أرطال إلى ربع رطل يشتريها الناس لأطفالهم[7]. وسوق الشماعين الذي يزدهر في شهر رمضان فتعلق الفوانيس على حوانيت السوق " فتصير رؤيته في الليل من أنزه الأشياء " وتباع في هذا السوق خلال موسم رمضان الكثير من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منها عشرة أرطال، وكانت بعض الشموع تباع وتؤجر لاسيما الشموع الضخمة التي يصل وزن إحداها

---

(١) سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص٢٠٤.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣١.

(٣) سعيد عاشور: **المرجع السابق**، ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٤) ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات**، ٢/ ٤١٧.

(٥) محاسن الوقاد: **الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية**، ص٢٢٣.

(٦) سعيد عاشور: **المرجع السابق**، ص٢٠٥.

(٧) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ١٨١، قاسم عبده: **أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك**، ص٩، ١٠.

إلى قنطار فأكثر وتحمل على عجلات، وذلك من أجل خروج الصبيان لصلاة التراويح في موكب "يعجز البليغ عن حكاية وصفة "(١)، وأما التسحير في شهر رمضان فقد اعتاد أصحاب الأرباع وغيرهم في القاهرة ومصر أن يطوفوا على البيوت ويضربون عليها،أما الإسكندرية فكانوا يدقون الأبواب على أصحاب البيوت" وينادون عليهم: قوموا كلوا "(٢).

وقد اهتم سلاطين المماليك بالتوسع في الإحسان والصدقة طيلة شهر رمضان فنذكر منهم السلطان برقوق الذي كان يذبح طوال أيام سلطنته في كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة يتصدق بها بعد طبخها ويوزع معها آلاف الأرغفة على أهل الجوامع والخوانق والربط والسجون، بحيث يعطي كل فرد رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة فكان يعطى في كل يوم لكل زاوية خمسون رطل وعدد من الأرغفة ومنهم من يعطى أكثر من ذلك على حسب حالهم(٣)، وأيضًا السلطان الظاهر بيبرس الذي شمل المساكين والمعدمين والفقراء في شهر رمضان بعطفه وصدقاته فأعد لهم مطبخاً لإطعامهم، وقد بلغ عدد المطعمين في هذه المطابخ خمسة آلاف نفس في كل يوم من أيام شهر رمضان(٤)فيذكر المقريزي أنه في رمضان سنة: (٦٦٢هـ/ ١٢٢٥م) أجرى السلطان الظاهر الصدقات إلى الفقراء " فكان يصرف في كل ليلة من ليالى رمضان جملة كبيرة من الخبز واللحم المطبوخ "(٥).

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ١٧٥، قاسم عبده: **أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك**، ص١٣.

(٢) ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال**، ٢/ ٤١٥، سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص٢٠٥، قاسم عبده: **عصر سلاطين المماليك**، ص٢٩٢.

(٣) المقريزي: **السلوك**، ٥/ ٤٤٦، سعيد عاشور: **المرجع السابق**، ص٢٠٧.

(٤) سعيد عاشور: **الظاهر بيبرس**، ص١٧٤.

(٥) المقريزي: **المصدر السابق**، ٢/ ٩، وقد ورد خبر صدقات الظاهر بيبرس على الفقراء والمساكين في شهر رمضان عند كل من ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط ٢، ٧/ ١٨١، الدوادار: **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، ص٨٩.

## ٢- الاحتفال بعيد الفطر:

أمـا صـلاة العيد فيـصف الرحالـة العبـدري الاحتفـال بها في مدينـة القـاهرة "وكان وصولنا إلى هذه المدينة في أخريـات رمـضان فأتممنـا الـشهر بهـا وصـلينا معهـم صلاة العيد، وهم يصلون في المساجد وبعضهم في سـاحة تحت القلعـة وسـط البلـد ولا يـبرزون لهـا كمـا وردت بـه الـسنة "[١] ولم يفـصل لنـا الرحالـة العبـدري مظـاهر احتفال المصريين بعيد الفطر، فقد كان بعض الناس ليلة عيـد الفطـر يـسهرون لتجهيـز ملابسهم الجديدة حتى الصباح، على حين يسهر الأتقياء مـنهم في الاسـتماع إلى القـرآن الكريم والأذكار، وعند طلوع النهار يتوجه الرجال لأداء صلاة العيد في موكـب كبـير وهم يهللون ويكبرون حتى يصلوا إلى المسجد، ثم تتبـادل البيـوت التهنئة بالعيـد، كـما يتبـادلون أطبـاق الكعـك الـذى كـان تجهيـزه يـتم خـلال الأيـام الأخـيرة مـن شـهر رمضان[٢]، وقد اعتاد بعض الناس على شراء الكعك من الأسواق جاهزاً، وقـد عـاب ابن الحاج على الناس شراء الكعك الذي يبيعه اليهود الـذين كـانوا يبخُّونـه بـماء الـورد بأفواههم ففضلاً عن أن أفواههم نجسة فهذا الفعل مستقذر [٣].

كما كان الناس في مصر يتهادون فيما بينهم بالحلوى وأطبـاق أخـرى مـن الطعـام ومنها: الأسماك بأنواعهـا ممـا يـصيب الـبعض بالتخمـة والاضـطرابات المعويـة بـسبب أكثارهم من الأكل خاصة بعد شهر رمضان، وقد يحتـاجون إلى بعـض الأدويـة لعـلاج ذلك[٤]، ومن العادات التي تعود عليها المصريون غير أكل الكعك والأسماك في العيـد الخروج للقبور فتحدث بعض المنكرات من قبل النساء كالتي ذكرهـا ابـن الحـاج منهـا المشي بالليل مع الرجـال في زيـارة القبـور وكـشف الوجـه، ومحادثـة الرجـال الأجانـب

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٢٨.

(٢) قاسم عبده: **عصر سلاطين المماليك**، ص٢٩٢.

(٣) ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال**، ١/ ٢٠٧.

(٤) علاء طه رزق: **عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك**، ص١٤١.

بالإضافة إلى المزح واللعب وكثرة الضحك مع الغناء، وبالإضافة إلى الاختلاط كان الوعاظ يلقون خطبهم والمحدثون قصصهم في المقابر، وكما كان القراء يقرؤون القرآن بالترجيع والزيادة والنقصان ورفع الأصوات، وقد عاب عليهم ابن الحاج هذا الفعل[١].وأصدر بعض السلاطين المماليك أوامر بمنع النساء من الخروج لزيارة المقابر وركوب المركب والخروج إلى التنزهة في النيل طوال العيد، ومن فعل ذلك توسط[٢]هو والمكاري وأحرقت المركبة فلم يجرؤ أحد على الخروج إلى المقابر أو الترب[٣].

ولم يكتف المصريون بالاحتفال برؤية هلال رمضان وعيد الفطر كما ذكر لنا الرحالتين العبدري وابن بطوطة، بل لهم مناسبات دينية حرصوا على الاحتفال بها نذكر منها على سبيل المثال: الاحتفال ببداية السنة الهجرية فيقتصر احتفالهم على تبادل التهانى وتوزيع العطايا على الفقراء[٤].

ومن العادات التي اعتاد عليها المصريون في بداية السنة هو شراؤهم اللبن في أول ليلة من شهر محرم، تفاؤلاً منهم بأن تكون سنتهم كلها بيضاء[٥].

ومنها الاحتفال بيوم عاشوراء، وقد اعتاد الناس في هذا اليوم بالتوسيع على الأهل والأقارب والأيتام والمساكين وذبح الدجاج وطهى الحبوب وزيارة القبور،

---

(١) ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال**، ١/ ١٩٣، قاسم عبده: **عصر سلاطين المماليك**، ص٢٩٢، محاسن الوقاد: **الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية**، ص٢٢٥.

(٢) **التوسيط**: شكل من أشكال القتل في العصر المملوكي، وطريقته بأن يعري الشخص من الثياب، ثم يشد إلى خشبة مطروحة على الأرض ويضرب بالسيف تحت سرته بقوة تقسم جسمه نصفين فتنهار أمعاؤه إلى الأرض، محمد أحمد دهمان: **معجم الالفاظ التاريخية**، ص٤٨.

(٣) المقريزي: **السلوك**، ٥/ ٣١١، ابن الفرات: **تاريخ ابن الفرات**، ٩/ ١: ٢٦٦، سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص٢٠٩، محاسن الوقاد: **المرجع السابق**، ص٢٢٥.

(٤) قاسم عبده: **المرجع السابق**، ص٢٩٣.

(٥) ابن الحاج: **المصدر السابق**، ١/ ٢٠٠.

بالإضافة إلى شراء البخور والتبخر به، وكانوا يعتقدون أن السجين إذا بخر بهذا البخور خرج من السجن ويمنع من الحسد والعين، كما اعتادوا على دخول جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه فيمكثون فيه من أول النهار حتى الزوال ويتمسحون بالمصحف وبالمنبر والجدران وتحت اللوح الأخضر[١].

والاحتفال بأول شهر رجب فيشتري المصريون على اختلاف مستوياتهم، لأطفالهم حلوى مصنوعة من السكر على هيئة خيول وسباع وقطط [٢].

والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، كان الناس يحرصون على الاحتفال بها في أكبر مساجد القاهرة وتعلق فيها القناديل والفوانيس ويفرشون البسط والسجاجيد داخل المساجد، بالإضافة إلى الأباريق التي امتلأت بالمشروبات، كما حرصوا في هذه ليلة على سماع آيات القرآن الكريم[٣].

والاحتفال بالمولد النبوى يبدأ به مع مطلع شهر ربيع الأول ويستمر حتى الثاني عشر منه، فكان الناس يحتفلون بهذه المناسبة في بيوتهم أو أمامها، فيبدأ الاحتفال أولاً بسماع القران الكريم، ثم يسمعون بعد ذلك الأناشيد والقصائد في مدح النبي ﷺ[٤]. أما النساء فكانت تقيم حلقات ذكر داخل منازلهن احتفالاً بهذه المناسبة الدينية، وتلتف النساء حول الواعظه لسماع حديثها الديني [٥].

---

(١) ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال**، ١/ ٢٠٨، ٢٠٩، قاسم عبده: **عصر سلاطين المماليك**، ص٢٩٣، ٢٩٤، محاسن الوقاد: **الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية**، ص٢٢٦، ٢٢٧، سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص١٩٦.

(٢) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ١٨١، قاسم عبده: **المرجع السابق**، ص٢٩٤

(٣) محاسن الوقاد: **المرجع السابق**، ص٢٢٧

(٤) قاسم عبده: **المرجع السابق**، ص٢٩٥.

(٥) قاسم عبده: **بعض مظاهر الحياة اليومية**، ص٣١٣، ٣١٤.

ولم يكتف المصريون بالاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية؛ بل يشاركون أهل الذمة في أعيادهم، وإن كانت احتفالات بعض أهل الذمة احتفالاتهم قاصرة على طوائفهم كاليهود[(١)].

أما النصارى فقد كانت لهم أربعة عشر عيداً في كل سنة منها سبعة أعياد كبار وسبعة أعياد صغار[(٢)]وقد شارك المصريون المسلمون النصارى في أعيادهم من ذلك أنه في عيد الميلاد (مولد عيسى عليه السلام) كانوا يصنعون عصيدة ويزعمون أن من لم يفعلها أو يأكل منها أصابه البرد في تلك السنة [(٣)].

وكذلك في عيد الغطاس يشاركون المسلمون النصارى عيدهم ويوسعون على أولادهم في النفقة وإدخال الفرح والسرور عليهم، بل ذهب بعضهم أن يفعلون كما يفعل النصارى فيغطسون في الماء [(٤)].

ومن الأعياد نذكر المسمى بخميس العدس والذي تخرج فيه نساء المسلمين إلى الأسواق لشراء البخور ويتبخرن به وأهلهم، وذلك اعتقاداً منهم بأن ذلك يمنع عنهم العين والكسل والمرض، وكذلك يستعملون العدس المصفى و يفعلون كما يفعل النصارى، ومن لم يستعمله يصيبه التشوش هو وأهله[(٥)]ولقد كان هذا العيد المسيحي

---

(١) قاسم عبده: **عصر سلاطين المماليك**، ص٢٩٧، وقد ذكر المقريزي خمسة أعياد لليهود وهي عيد الفطير، وعيد الأسابيع، وعيد رأس السنة وعيد صوماريا، وعيد المظلة، المقريزي: **تاريخ اليهود وآثارهم في مصر**، ص١٣٩- ١٤٢، كذلك يمكن الرجوع في أعياد اليهود إلى قاسم عبده: **اليهود في مصر**، ص٧٤ - ٧٧.

(٢) المقريزي: **تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي**، ص٢٣١، قاسم عبده: **أهل الذمة في مصر**، ص١٢٠- ١٢٣. وكذلك يمكن الرجوع في أعياد النصارى بالتفصيل إلى ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال**، ٢/ ٢٦١- ٢٧١، المقريزي: **الخطط**، ٢/ ٤٤٣ - ٤٤٥

(٣) ابن الحاج: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٧٠.

(٤) ابن الحاج: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٧١.

(٥) ابن الحاج: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٦٧، ٢٦٨.

من أهم المواسم زمن دولة المماليك، وكانت تباع في الأسواق كميات كبيرة من البيض الملون فيغري الصبيان والعبيد لشرائه والمقامرة به، فينتدب المحتسب لعقابهم على هذا الفعل [(١)].

## ٣- الاحتفال بدوران المحمل:

ومن الاحتفالات التي اعتاد عليها أهل مصر الاحتفال بيوم دوران المحمل وهو يوم مشهود كما وصفه ابن بطوطة ونذكر قوله في ذلك: " يوم دوران المحمل، يوم مشهود، وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب، وقد ذكرنا جميعهم، ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرّؤساء وأرباب الدولة، ويقصدون جميعاً بابَ القلعة، دار الملك النّاصر، فيخرج إليهم المحمل على جمل وأمامه الأمير المُعين لسفر الحجاز في تلك السنة، ومعه عسكره، والسقاؤون على جمالهم، ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالمحمل، وجميعُ من ذكرنا معه بمدينة القاهرة ومصر، والحُداة يحدون أمامهم، ويكون ذلك في رجب، فعند ذلك تهيج العزمات، وتنبعث الأشواق، وتتحرك البواعث، ويُلقي الله-تعالى- العزمات على الحج في قلب من يشاء من عباده فيأخذون في التأهب لذلك والاستعداد"[(٢)].

ولم يشير الرحالة الآخرون عن يوم دوران غير الرحالة ابن بطوطة، ولم يعرف المحمل في العصر الأيوبي فلا توجد أيّ إشارة في المصادر العربية عنه، أما في عصر المماليك فقد كان المحمل يحدث مرتين في السنه الأولى: في شهر رجب في النصف الثاني منه، والمرة الثانية: في شهر شوال[(٣)].

---

(١) قاسم عبده: **عصر سلاطين المماليك**، ص٣٠٢.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٦ - ٤٧.

(٣) القلقشندي: **صبح الأعشي** ٤/ ٥٩، سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص٢٠٠، محاسن الوقاد: **المحمل المصري في العصر المملوكي الأول (٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٢م)**، ص١٩.

ويرى البتنوني أن المحمل قديم منذ عهد الرسول-صلي الله عليه وسلم-ويطلق لفظه على الجمل الذي يحمل الهدايا إلى الكعبة المكرمة، وقد سيره الرسول ﷺ إلى مكة المكرمة حاملاً هدايا إلى البيت العظيم(١).

وتؤكد بعض المصادر بأن أول من استحدثها في مصر كان السلطان الظاهر بيبرس سنة: (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م)(٢)، وكان الغرض من دوران المحمل في هذا الوقت المبكر من السنة هو إعلام الناس بأن الطريق من مصر إلى الحجاز آمن ومن أراد الحج فلا يتأخر ولا يتخوف من الطريق(٣).

"فعند ذلك تهيج العزمات، وتنبعث الأشواق "وتتحرك مشاعر الناس إلى البيت العتيق الذي بمكة كما ذكر ابن بطوطة (٤).

ويصحب دوران المحمل وخروجه بعض الاستعدادات،في رجب ينادى بدوران المحمل ثلاثة أيام، ثم يدور في اليوم الرابع، وفي أثناء الأيام الثلاثة يقوم الناس بالاستعداد ليوم الدوران، ويقوم أصحاب الحوانيت التي سيمر بها المحمل بتزيين حوانيتهم، وهناك يبيت النسوة والرجال والأطفال حتى يتمكنوا من مشاهدة المحمل

---

(١) البتنوني: **الرحلة الحجازية،** ص١٤٠.

(٢) السيوطي: **حسن المحاضرة،** ٢/ ٢٦٠، ابن إياس: **بدائع الزهور،** ١/ ق١: ص٣٣٦، ابن كثير: **البداية والنهاية** ١٣/ ٢٤٢.وذكر الجزيري بأن الظاهر بيبرس هو أول من أدار المحمل وذلك عند حديثه عن حج الظاهر بيبرس سنة: (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة،** ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣، وكذلك ذكر ابن شداد المحمل عند حديثه عن كسوة الكعبة في سنة: (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) فيقول: " انتهت الكسوة برسم الكعبة الشريفة وطيف بالمحمل يوم الخميس حادي عشر شوال "،**تاريخ الملك الظاهر،** ص١٨٦، سعيد عاشور: **المجتمع المصري،** ص٢٠٠، محاسن الوقاد: **المحمل المصري في العصر المملوكي الأول** (٦٤٨ - ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ - ١٣٨٢م)، ص١٩.

(٣) سعيد عاشور: **المرجع السابق،** ص٢٠٠، محاسن الوقاد: **المرجع السابق،** ص١٩.

(٤) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة،** ص٤٧، علاء طه رزق: **عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك،** ص١٤٢.

في صباح اليوم التالي، وتكون الحوانيت قد تجهزت بالحرير وألوان الزينة، وقد جرت العادة على أن يكون دوران المحمل في يوم الإثنين أو الخميس من الأسبوع، وعلى طول الطريق تحتشد جموع الناس لمشاهدة موكب المحمل وهو يشق طريقه من باب النصر، ويسير جمل المحمل وهو يتهادى، وعليه أثواب الحرير الملون و فوقه المحمل مغطى بالأقمشة الحريرية تعلوه قبة فضية، وأمام هذا الموكب تركض كوكبة من فرسان المماليك المتسلحين بالرماح بملابس الميدان الزاهية، على حين تخطف معداتهم وأسلحتهم أبصار المتفرجين ببريقها، وتعلو صيحات الإعجاب من جماهير العامة المحتشدين على جانبي طريق الموكب[1].

ويظل الموكب يتهادى في طريقه حتى يصل إلى القلعة حيث ينظر عليه السلطان ومعه القضاء الأربعة ونوابهم وكبار رجال الدولة وجميع عامة المصريين، ثم يلعب المماليك برماحهم أمامه ثم ينصرف المحمل بعد ذلك إلى الفسطاط ثم يعود تحت القلعه [٢].

وقد ذكر السيوطي أن أول من أحدث اللعب بالرمح عند دوران المحمل هو السلطان المنصور قلاوون ويقول في ذلك: " وفي سنة إحدى وثمانين (وستمئة) في شعبان طافوا بكسوة الكعبة ولعبت مماليك الملك المنصور أيام الكسوة بالرماح والسلاح، وهو أول ما وقع ذلك بالديار المصرية، واستمر ذلك إلى الآن يعمل سنين ويبطل سنين "[٣].

ويؤكد ذلك أيضاً ابن تغرى بردي وذلك عند حديثه عن احتفالية المحمل سنة: (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) فيقول: " وأظن هذا هو أول ابتداء سوق المحمل المعهود

---

(١) قاسم عبده: **بعض مظاهر الحياة اليومية**، ص٣١٥.

(٢) القلقشندي: **صبح الأعشي**، ٤/ ٥٩، ابن ظهيرة: **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة**، ص١٩٩، ٢٠٠، سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص٢٠١.

(٣) **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٦١.

الآن فإننا لم نقف فيما مضى على شئ من ذلك مع كثرة التفاتنا إلى هذا المعنى، ولهذا غلب على ظني من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن ولم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا وأنما ازداد بحسب اجتهاد المعلمين، كما وقع ذلك في غيره من الفنون والملاعيب والعلوم، فإن مبدأ كل أمر ليس كنهايته، وإنما شرع كل معلم في اقتراح نوع من أنواع السوق إلى أن انتهى إلى مانحن عليه الآن، ولا سبيل إلى غير ذلك، يعرف ماقلته من له إلمام بالفنون والعلوم إذا كان له ذوق وعقل وعلى هذه الصيغة أيضاً اللعب بالرمح فإن مماليك قلاوون هم أحدثوه "[(١)] إلا أن السلطان جقمق[(٢)] أبطل عادة اللعب بالرماح عند دوران المحمل فعظم أمر أبطاله على الناس؛ لأنه كان من أعظم الاحتفالات التي ينتظرها الناس للفرجة، ولم يستمر هذا الأمر فترة طويلة فسرعان ما عاد اللعب بالرماح في المحمل في عهد السلطان خشقدم[(٣)] سنة: (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م) وذلك عند خروجه إلى القرافة الكبرى ومعه جماعة من كبار الأمراء، ولعبت الرماحة أمامه، وقام الأمير قايتباي[(٤)] الظاهري أحد أمراء الألوف بسوق الرماحة، ولعبهم بين

---

(١) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ٧/ ٣١١.

(٢) الملك الظاهر أبو سعيد جمقق، تولي مقاليد السلطنة في مصر(١٩ ربيع الأول سنة: ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) استمر في السلطنة حتى خلع نفسه لمرض ألم به، وكان حسن السيرة لكرمه وحبه فعل الخيرات خاصة للأيتام، كان محب للعلماء ومكرم لهم، عاف عن المنكرات، توفي في ليلة الثلاثاء(٤ صفر عام ٨٥٧/ ١٣ فبراير ١٤٥٣م) ودفن في تربة أخيه، ابن تغري بردي: **الدليل الشافي**، ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) هو خشقدم بن عبدالله الناصري ثم المؤيدي شيخ، تدرج في المناصب الادارية في دولة المماليك فكان في بداية عهده خاصكي ثم ساقي ثم حاجب الحجاب إلى ثم أمير سلاح حتى أصبح أتابك العساكر في أيام حكم المؤيد أحمد بن إينال، إلى أن تولي السلطنة في مصر، يوم الأحد(١٩ رمضان في سنة: ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)، ولقب بالملك الظاهر، واستمر في الحكم حتى توفي في(١٠ ربيع الأول سنة: ٨٧٢هـ/ ٨ أكتوبر ١٤٦٧م)، ابن تغري بردي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٨٦، الملطي: **نزهة الأساطين**، ص١٤٠.

(٤) قايتباي: اشتراه السلطان برسباي واعتقه الظاهر جمقق وإليه ينسب، تولي السلطنة ٦ رجب سنة: (٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م) وبلغت مدة حكمه في مصر ثلاثين سنة إلا ثمانية أشهر، وكان محمود السيرة اتصف =

يدي السلطان خشقدم فخلع عليه السلطان[(١)].

وهكذا يكون دوران المحمل في " يوم مشهور تجتمع فيه أهل الديار المصرية والصادر والوارد وتلعب فيه الرماحة "[(٢)].

ويخرج المحمل ويكون تحت قيادة أحد كبار أمراء المماليك الذي يعرف بأمير الحج، ويخرج كل من يريد الحج من الفقراء والضعفاء ويضم المحمل معهم الأطباء والكاحلين والمجيرين والإدلاء والأئمة و الموذنين، وكذلك الأمراء والجنود والقاضي والشهود والدواوين وحتى المغسلون للموتى[(٣)] وبمرور الزمن تطور المحمل فزيد في عدد الجمال التي تحمل كسوة الكعبة حتى بلغ عددها ثمانية وعشرين جملاً وفي ذلك نورد قول الجزيري " وعدة الجمال ثمانية وعشرين جملاً ماهو لحمل المحل الشريف جمل واحد، ولحمل الكسوة والماورد أربعة جمال، وللسقائين ستة، ولحمل ثوب المحمل ضمن (حوائج خاناه) جمل، وللقاضي وللشاهدين جملان و(لشاد) المحمل جمل، وللحكيم والمزين جمل، وللرقية والمنفرين ستة جمال، وللضوئية عن مشاعل الساقة، والمحمل والدليل أربعة، ولحمل الشتل واحتياج الفراش جمل ونصف جمل)"[(٤)].



= بالشهامة والهيبة، بنى المدارس و الأربطه في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وبمصر والشام وغزة، توفي في ذي القعدة سنة: (٩٠١هـ/ ١٤٩٦م)، القرماني: **أخبار الدول**، ص٣١٨- ٣٢٠، الملواني: **تحفة الأحباب**، ص١٤٥، ١٤٦، الشرقاوي: **تحفة الناظرين**، ص١١٠.

(١) محمد الحداد: **السلطان المنصور قلاوون**، ص٥٩، ٦٠.

(٢) الظاهري: **زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك**، ص١٦٧.

(٣) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٧٣، قاسم عبده: **عصر سلاطين المماليك**، ص٢٩٧، عبدالمنعم ماجد: **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، ص١٤٧.

(٤) الجزيري: **الدرر الفرائد**، ١/ ١٨٦، عائشة العبدلي: **إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية**، ص٦٣.

## المطلب الرابع: الأوقـــاف

قد وصف لنا الرحالة المغاربة الأوقاف(١)التي أوقفها السلاطين والأمراء على المدارس الكبيرة في مصر،فيصف الرحالة التجيبي ذلك بقوله: " وبنى فيها الأمراء والملوك وذوو اليسار المدارس المنيفة الهائلة، المزخرفة بالذهب الإبريز، المفروشة بالرخام المجزع البديع الصنعة ".

ويصف ما رتب السلاطين والأمراء على الأوقاف:

" ورتبوا أرزاقا جمة من أوقاف عظيمة وقفوها من عقار وغيره، يعيش منها أهل العلم على طبقاتهم، واختلاف مذاهبهم ومعلوماتهم" ويعلل التجيبي كثرة الأوقاف على المدارس بقوله: " فبسبب ذلك أيضا كثر طلاب العلم بها، والله تعالى يزدهم كثرة ونماء "(٢).

ومن أشهر السلاطين الذين أحيوا سنة الوقف العلمي السلطان صلاح الدين الأيوبي، فمن أهم أوقافه في مصر أنه " بنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الإمام الحسين بن علي-رضي الله عنهما-، وجعل على ذلك وقفاً جيداً، وجعل دار عباس بن السلار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد أيضاً، والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وقفاً على الشافعية وقفاً جيداً أيضاً(٣)وأنشا صلاح الدين أيضاً

(١) **الوقف في اللغة:** هو الحبس، ويراد به التحبيس والتسبيل، ومعناه لغة: المنع من الحركة.أما في الاصطلاح فيعرف الوقف بأنه حبس العين وزوال ملك الواقف إلى الله تعالى والتصدق بالمنفعة على الفقراء أو على جهة من سبيل الخيرات، عامر نجيب: **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي**، ص١٢٧، إسماعيل البدوي: **الوقف مفهومة وفضلة وشروطه وأنواعه**،ص ٤٥.

(٢) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٣ - ٤.

(٣) اليافعي: **مراة الجنان وعبرة البقظان**، ٣/ ٣٥١، راغب السرجاني: **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، ص١١٢- ١١٨.

مدرسة للمالكية وأوقف عليها الأوقاف وهي المدرسة القمحية، حيث أوقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر وضيعة بالفيوم تعرف بالحنبوشية [(١)].

ومن السلاطين المماليك الذين انشأوا المدارس وأوقفوا عليها الأوقاف نذكر من خلال المصادر التاريخية السلطان الناصر محمد بن قلاوون فعندما أنشأ المدرسة الناصرية أوقف عليها الأوقاف الكثير، ويذكر النويري أنه حين " حصل الشرع في عمارتها، وعين لها من الأملاك السلطانية ما يوقف عليها، وكان المعين لذلك قاضي القضاة زين الدين المالكي وهو يومئذ ناظر الأملاك السلطانية التي ورثها السلطان عن والده وإخواته، والمبتاعة من أجر أملاكه وكانت أجرتها في كل شهر بالقاهرة وظواهرها خاصة تزيد على ثمانية ألف درهم، ولما عزم السلطان على الحركة إلى الشام للقاء غازان وحزبه عند طروقة الشام وقف القبة والـمدرسة، ووقف على مصالحها من أملاكه ما يذكر، وذلك في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وستمئة قبل استقلال ركابه الشريف إلى الشام بيومين " وقد أخذ النويري يعدد لنا ما تم وقفه على المدرسة الناصرية من القيسارات وحوانيت وحمامات وخانات[(٢)] وكل ذلك يستخدم في الصرف على تعمير المدرسة ومرتبات أرباب الوظائف الدينية والتعليمية بها وجملة ما تدره هذه الأوقاف على المدرسة الناصرية يزيد على (٨٤٠٢) درهم في السنة[(٣)].

ويقول المقريزي عن أوقاف المدرسة الناصرية: " ووقف هذه المدرسة قيسارية أمير علي بخط الشرابشيين من القاهرة، والربع الذي يعلوها، وكان يُعرف بالدهيشة، ووقف عليها أيضاً حوانيت بخط باب الزهومة من القاهرة ودار الطعم خارج مدينة

---

(١) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٠١.

(٢) النويري: نهاية الإرب، ١٥/ ٤٢- ٥٠.

(٣) حياة الحجى: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، ص١٠٨.

دمشق " (١).

وكانت بعض أوقاف المدارس في العصر المملوكي تتكون من قطع صغيرة من البساتين والمزارع، أو من قرى بأكملها، مثال ذلك: مدرسة السلطان الناصر حسن الذي أوقف منية صرد وقها ومحلة الخادم على مدرسته (٢).

ويقول السيوطي عن ما أُرصد من مصروف للإنفاق عليها " وأرصد لمصروفها في كل يوم عشرين ألف درهم منها نحو ألف مثقال ذهباً "(٣).

وقد وصف التجيبي الأوقاف على الترب في مدينة القاهرة ويقول في ذلك: "وبهذه المدينة روضات الملوك العظيمة البناء، البديعة الشكل، كتربة الملك الأجل نجم الدين أيوب(٤) الملقب بالصالح ابن الأجل أبي المعالي محمد، الملقب بالكامل، ابن أبي بكر ابن الأجل نجم الدين أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، وغيره

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٢٣٠.

(٢) ابن الجيعان: **التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية**، ص١٣، عامر نجيب: **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص١٣١

وانظر: أيضاً عن مدرسة الناصر حسن وعمارتها: الإسحاقي: **لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**، ص٣٠٧، ٣٠٨، حسنى نويصر: **العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك**، ص٢٠٣ - ٢١٩.

(٣) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٣٦.

(٤) هذه التربة بجوار المدرسة الصالحية بنتها شجرة الدر من أجل مولاها الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما توفي وهو يقاتل الفرنجة من جهة المنصورة في نصف شعبان سنة: (٦٤٧ هـ) وقد رتبت عليها القراء على ماشرطت في كتاب وقفها وجعلت النظر فيها للصاحب بهاء الدين علي بن حنا وذريته وكانت موجودة إلى زمن المؤرخ المقريزي بأيديهم، المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢١٨، عبدالناصر ياسين: **الفنون الزخرافية الإسلامية في العصر الأيوبي**، ص٢٥٣، أحمد فكري: **مساجد القاهرة ومدارسها**، ص٤١، وقد فصل كل من الدكتور أحمد فكري والدكتور عبدالناصر ياسين عن شكل الضريح الذي يضم جسد الملك الصالح نجم الدين أيوب وتحدث الدكتور ياسين عن الزخارف المرسومة على الضريح.

من الملوك-رحمهم الله تعالى-"، ويصف التجيبي ما على الترب "ولكل تربة منها قومة وقراء يتلون فيها كتاب الله تعالى ولهم أرزاق نفع الله واقفيها" ووصف مدى اعتناء أهل البلاد بالأوقاف: "ولأهل هذه البلاد في الاعتناء والأوقاف على وجوه البر عادة جميلة، وشرف دائم وفخر مستمر"[(١)].

ويذكر لنا المقريزي أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند بناء المدرسة الناصرية بنى بجوارها قبة، ولما كمل بناء القبة نقل إليها أمه بنت سبكاي بن قراجين ولما توفي ابنه أنوك من الخاتون طغاي في يوم الجمعة السابع عشر ربيع الأول في سنة: (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) وعمره ثمانية عشرة سنة دفنه بهذه القبة وعمل عليها وقفاً يختص بها وهو باقي إلى زمن المؤرخ المقريزي يصرف على القراء بها[(٢)]، وكذلك المدرسة الحجازية والتي شيدتها خوند تتر الحجازية ابنة الناصر محمد وزوجة الأمير بكتمر الحجازي كانت بجوارها قبة لتدفن تحتها وفي ذلك يقول المقريزي: " وأنشأت بجوارها قبة داخلها لتدفن تحتها، ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون[(٣)]قراءة القرآن الكريم ليلاً ونهاراً، وأنشأت بها مناراً عالياً من حجارة ليؤذن عليه " وعندما دفنت خوند تتر الحجازية بهذه القبة أخذ " يجلس عدة من الطواشية، ولا يمكنون أحداً من عبور القبة التي فيها قبر خوند الحجازية إلا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة "وفي أوقاف المدرسة والقبة التي دفنت فيها خوند تتر الحجازية يقول المقريزي: "وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية"[(٤)].

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٣ - ٤.

(٢) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٣٠.

(٣) المقريزي: المصدر السابق،٤/ ٢٣٠، ٢٣١، حياة الحجي: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، ص١١٩.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ٤/ ٢٣١، حياة الحجي: المرجع السابق، ص١١٩.

وصف التجيبي أيضاً الأوقاف على تربة المنصور قلاوون[(١)] بعد وصف البيمارستان فقال: " وعن يمين الداخل إليه روضة عظيمة، وضع فيها قبة سامية في الهواء، مزخرفة بالذهب الإبريز، ورتب فيها طائفة من القراء، وجملة وافرة من أرباب العلوم وأجرى لجميعهم أرزاقا جمة، من أوقاف عظيمة وقفها عليها "[(٢)]، وقد أوقف الأشرف خليل بعد أن تولى مقاليد الحكم بعد وفاة والدة المنصور قلاوون على القبة المنصورية التي بناها والده بين القصرين من قرى عكا الكابرة وتل الميشوح وكردانة، ومن ساحل صور معركة وصريفين[(٣)].

وكذلك ضمت القبة وقف الصالح وذلك أن الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون أراد بناء مدرسة ولكنه توفي قبل أن يتمها، فقام الأمير أرغون العلائي زوج أمه في وقف قرية تعرف بدهمشا الحمام من الأعمال الشرقية عن أم الملك الصالح، ورتب ماقرره الملك الصالح إسماعيل في حياته لو بنى المدرسة وهو وقف جليل بلغ مقدار ما يتحصل منه في كل سنة نحو الأربعة آلاف دينار ذهباً[(٤)].

ولم يقتصر وصف التجيبي على ذكر الأوقاف على المدارس والترب بل ذكر الأوقاف على البيمارستان وذلك عند ذكر بيمارستان الملك المنصور قلاوون: " وبهذه القاعدة العليّة مارستان عظيم القدر شهير الذكر، يقصر عنه أعظم قصر من قصور الملوك، معد للمرْضَى وذوي العاهات، ابتناه الملك الأجل المجاهد قلاوون

---

(١) وهذه القبة التي تضم تربة المنصور قلاوون تجاه المدرسة المنصورية، والمدرسة والقبة جميعاً داخل باب المارستان المنصوري، وهي من أعظم المباني المملوكية وأجلها قدراً، وبها قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون، المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٢٢٦.

(٢) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٥.

(٣) حياة الحجي: **السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده**، ص١٠٩.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٢٧.

الصالحي، الملقب بالمنصور-رحمه الله-ووقف عليه أموالا عظيمة "[١]، ولما كمل بناء البيمارستان المنصوري في أحد عشر شهرا وأيام وتمت في ربيع الآخر سنة: (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) فركب السلطان إلى البيمارستان[٢]، وجلس به ومعه الأمراء والقضاة والعلماء، واستدعى قدحا من الشراب فشربه وقال: " قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني " وأوقفه السلطان المنصور قلاوون على الملك والمملوك والجندي والأمير والوزير والكبير والصغير والحر والعبدوالذكر والأنثى[٣]كما أوقف السلطان على البيمارستان الكثير من أملاكه من القياسر والحوانيت والحمامات والفنادق وغير ذلك من الضياع بالشام، وبلغ ريع أوقافه في كل شهر جملة كثيرة جعل معظمها لمصاريف البيمارستان[٤].

## الأوقاف على الجوامع.

ولم يقتصر الوقف على المدارس والترب والبيمارستان؛ بل شمل الخوانق والزوايا والأربطة والجوامع ونذكر مثال ذلك الجامع الأزهر، فقد كان له نصيب من الأوقاف لتغطية مصاريف المعلمين والفقهاء فيه والطلاب والفقراء الواردين إليه فأوقفت الكثير من أراضي مصر لخدمته وأوقف الأمير عز الدين أيدمر الحلي أوقافاً كثيرة لتأمين مصاريفه[٥]وكذلك فعل الأمير سعد الدين بشير الجامدار الناصري في عهد السلطان حسن، فقد رتب فيه دروسًا للفقهاء من الحنفية وأوقف على ذلك

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٤-٥.

(٢) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص١٥٩.

(٣) النويري: نهاية الإرب، ٣١/ ٧١، المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٦٩، محمد أمين: المرجع السابق، ص١٥٩، أحمد عيسي: تاريخ البيمارستان في الاسلام، ص٨٦.

(٤) محمد أمين: المرجع السابق، ص١٥٩.

(٥) محمد النهار: الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك، ص٤.

أوقاف جليلة[١].

ويقول المقريزي عن أوقاف الأمير سعد الدين الجامدار على الجامع الأزهر " ووقف على ذلك أوقافاً جليلة باقية إلى يومنا هذا "[٢].

ومن الخوانق الموقوفة نذكر خانقاة سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين في سنة: (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) فقد أوقف عليها بستان الحبانية بجوار بركة الفيل وقيسارية الشراب وناحية دهمرو من البهنساوية[٣]وكذلك خانقاة ركن الدين بيبرس الجاشنكير أوقف عليها الأمير ركن الدين عدة ضياع بدمشق وحماة ومنية المخلص بالجيزة من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحري والربع والقيسارية بالقاهرة[٤].

## أوقاف أخرى:

ولم يقتصر الوقف على المدارس والترب والبيمارستان والجوامع والخوانق بل وجدت بعض الأوقاف لتغسيل موتى الفقراء وتكفينهم ودفنهم ومن أشهر هذه الأوقاف وقف الطرحاء الذي أنشأه السلطان الظاهر بيبرس[٥]وبعد أن ذكر التجيبي أنواع الأوقاف ومدى اعتناء السلاطين والأمراء بإنشاء الأوقاف نجد الرحالة ابن بطوطة يذكر أن الأوقاف كانت بيد القضاة[٦]، وذلك عند ذكره لقاضي مدينة أسيوط

---

(١) محمد أمين: **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، ص٢٦١

(٢) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٥٦.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٨٢، محمد أمين: **المرجع السابق**، ص٢٠٥.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٥) محمد أمين: **المرجع السابق** ، ص١٠٥.

(٦) ويشرف صاحب هذه الوظيفة على أموال الجوامع والمساجد والأربطة والزوايا والمدارس وغير ذلك مما يكون موقوفاً على سبيل الصدقات كما ان القاضي يشرف على الأوقاف الخاصة والعامة التي تصرف في هذه المجالات، سماح باحويرث: **الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك**، ص١١٠، ١١١.

شرف الدين بن عبدالرحيم الملقب (بحاصل ما ثم) لقب اشتهر به ويعلل سبب ذلك بقوله: " وأصله أن القضاة بديار مصر والشام بأيديهم الأوقاف والصدقاتُ لأبناء السبيل،فإذا أتى فقير لمدينة من المدن قصد القاضي بها فيعطيه ما قُدر له فكان هذا القاضي إذا أتاهُ الفقير يقولُ له: حاصل ما ثم، أي لم يبق من المال الحاصل شئ، فلقب بذلك ولزمه "[١].

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٥٠.

# المبحث الثاني

## الحياة الاقتصادية في مصر

**وفيـه خمسـة مطالـب:**

- المطلب الأول: الزراعة.
- المطلب الثاني: التجارة.
- المطلب الثالث: الصناعات والحرف .
- المطلب الرابع: الضرائب .
- المطلب الخامس : العملة والمكاييل والموازين.

* *    * ** *    * *

## المطلب الأول: الزراعة

تمثل الزراعة مصدر مهم من مصادر الاقتصاد في مصر كالصناعة والتجارة وقد ذكر الرحالة المغاربة ما تتمتع به القاهرة ومدن الصعيد في مصر من محصولات زراعية.

فيذكر لنا ابن سعيد المغربي كثرة زراعة الأزهار في القاهرة فيقول: " وفي القاهرة أزهار كثيرة غير منقطعة الاتصال "[١] وتزرع بمصر الرياحين والأزهار على أختلاف أنواعها كالورد، وهو على عدة أصناف: الأحمر والأبيض والأزرق والأصفر الذي كان كثير ما كان يغرس بحدائق الإسكندرية، والنرجس والبنفسج، ومن بين الأزهار التي انتشرت زراعتها في مصر اللينوفر ويكثر في الأماكن المنخفضة التي يقف فيها الماء[٢] كما تشتهر القاهرة بزراعة الكثير من الثمرات والفواكه كالرمان والموز والتفاح والقليل من الإجاص والخوخ، ويعلل ابن سعيد قلة زراعة الإجاص والخوخ بارتفاع سعره: " وأما الإجاص فقليل غال وكذلك الخوخ " وكذلك توجد بمصر زراعة النرجس والنسرين والليمون بأنواعه، وهو كثير وكذلك توجد زراعة النارنج والبطيخ الأخضر والأصفر، كما توجد بمدينة القاهرة زراعة العنب والتين ولكن بكميات قليلة وهو لنفس السبب الذي ذكره ابن سعيد عند ذكر الإجاص والخوخ (ارتفاع سعر العنب والتين)، ولسبب آخر وهو لكثرة عصر العنب في أرياف النيل فلا يصل منه إلاَّ القليل[٣]، وتزرع في مصر أيضاً الخضروات كالباذنجان والخيار والفجل

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٣٠- ٣١.

(٢) محمد سرور: **دولة بني قلاوون في مصر**، ص٢٨٣، وكذلك انظر عن الأزهار وأنواعها السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٣٤٩- ٣٨٣.

(٣) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٣٠- ٣١.

واللفت والخس والكرنب والكروم[١] وأنواع البقول المختلفة كالثوم والبصل والكراث وغيرها[٢] وأنواع الحبوب كالشعير والذرة والحمص والبازلاء واللوبيا والسمسم والقرطم والخشخاش والخروع وبزر الكتان والبرسيم وغير ذلك [٣].

ونجد ابن بطوطة يصف لنا ما تتمتع به مدينة فوة[٤] من البساتين الكثيرة والفوائد الخطيرة الأثيرة، وهذا مما يدل على مدى اهتمام مدن الصعيد بالزراعة وإن لم يصف ابن بطوطة أنواع ما تضمنته هذه البساتين من محصولات زراعيه [٥].

وتزرع في مدينة أشمون الرمان[٦] فاكهة الرمان وكما يقول ابن بطوطة: "ونسبت إلى الرمان لكثرته بها"[٧].

كما تزرع في مدينة دمياط[٨] أنواع مختلفة من الثمار ومنها زراعة الكثير من الموز والذي يحمل ثمرُه إلى مصر في المَراكب[٩] كما تزرع في مدينتى بُوش ودلاص[١٠] الكتان

---

(١) علي حسن: **تاريخ المماليك البحرية**، ص٤١٦.

(٢) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ٣/ ٣٤٤.

(٣) القلقشندي: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٤) فوة: بلدة على شاطي النيل من نواحي مصر قرب رشيد بينها وبين البحر نحو خمسة أوستة فراسخ وهي ذات أسواق ونخيل كثير، الحموي: **معجم البلدان**، ٦/ ٤٤٩.

(٥) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٩.

(٦) أشمون هي كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل ذات بساتين ونخل كثير سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح، الحموي: **المصدر السابق**، ١/ ١٦٣

(٧) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٣٥.

(٨) دمياط: هي مدينة قديمة بين تنس ومصر على زواية بين بحر الروم الملح والنيل مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق وهي ثغر من ثغور الإسلام، الحموي: **المصدر السابق**، ٤/ ٣١٤.

(٩) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٣٣.

(١٠) **بوش**: كورة ومدينة بمصر من نواحي الصعيد الأدنى في غربي النيل بعيدة عن الشاطئ، الحموي: **المصدر السابق**، ٢/ ٤٠٠.

=⇦

الكتان بكثرة كما يقول ابن بطوطة: " ثم سرت إلى مدينة بُوش وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كتاناً "وفي مقطع آخر يقول ابن بطوطة عن مدينة دَلاص: " ثم سافرت منها فوصلت إلى مدينة دلاص، وهذه المدينة كثيرة الكتان أيضاً كمثل التي ذكرنا قبلها "[١] ويعتبر الكتان من أهم مزروعات مصر في عصر المماليك فقد حرصت الأقطار المجاورة على استيراد مقادير وفيره منه لسد حاجة سكانها من المنسوجات الكتانية[٢].

كما اشتهرت مصر بزراعة قصب السكر، لاسيما في مناطق ملوى وقفط ونجع حمادى [٣] ويصف ابن بطوطة كثرة البساتين في مدينةالبهنسا بعد وصف كبر المدينة[٤].

كما يصف لنا الرحالة البلوي ما تمتعت به المدن التى مرَّ بها من الإسكندرية حتى دخوله للقاهرة في سنة: (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) من المزروعات دون ذكر أنواع المحاصيل الزراعية في تلك المدن وهنا نورد قول البلوي: " فخرجنا من الإسكندرية في يوم الثلاثاء ثامن يوم من رجب المذكور، وسرنا في بسيط من الأرض عريض مراده لا يخترقه النسيم بمسراة، ويكاد البصر يقف عند مداه، بين مدائن عليها نضرة النعيم وبساتين اعتمارها من التعميم، وسرحات مونقة، ودوحات مورقة، ونخلات طلع، وخامات زرع تموج بدائعها موج البحر، وتلوح طلائعها بين كتائب الزهر من لم يرأرض مصر في أوان ربيعها وإبان زروعها، لم ير منظرا نظيرًا" [٥]وكما اشتهرت مدينة

---

= **دلاص**: كورة بصعيد مصر على غربي النيل أخذت من البر تشتمل على قرى وولاية واسعة، ودلاص مدينتها معدودة في كورة البهنسا، الحموي/ **معجم البلدان**، ٤/ ٣٠٤.

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٧.

(٢) محمد سرور: **دولة بنى قلاوون في مصر**، ص٢٨٢

(٣) سعيد عاشور: **العصر المماليكى في مصر والشام**، ص٢٨٦.

(٤) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٤٧.

(٥) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢١٥.

القاهرة وضواحيها بكثرة البساتين. منها: بستان السراج في أرض باب اللوق وبستان الجمال محمد بن جن حلوان التاجر في ثمار البساتين، وبستان الفرغانى الذي انتقلت ملكيته إلى الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وبستان ابن ثعلب بظاهر اللوق وكان يغرس به النخيل والكروم والنرجس والورد والياسمين والخوخ والكمثرى والنارنج والليمون التفاحي والجميز والقراصيا والرمان والزيتون والتوت الشامي والمصري والتمر حنا [1].

ويصف لنا البلوي ما تتمتع به مدينة القاهرة من زراعة الأزهار والأشجار بعد دخوله لها بقوله: " وفتحت لى راحة القلب أبواب النزهة، فأطلقت عنان طرف الطرف نحو الجهة فرأيت فيها الأزهار والأشجار الباهرة "[2].

وصف لنا الرحالة الثلاثة ابن سعيد وابن بطوطه والبلوي، ما تمتعت به مصر من محصولات زراعة متنوعة في مدنها، ككثرة زراعة الأزهار، وزراعة الرمان والموز والتفاح، والليمون والبطيخ بأنواعه، والكتان، وقلة زراعة الخوخ والإجاص والتين والعنب لارتفاع سعره، وكثرة زراعة البساتين، في حين لم يشير الرحالة المغاربة الآخرون لما تحتويه مصر من محصولات زراعية متنوعة.

---

(١) محمد سرور: دولة بنى قلاوون في مصر، ص٢٨٤.

(٢) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢١٦.

## المطلب الثاني: التجـــارة

ازدهرت تجارة مصر في عصر الدولة الأيوبية، وبلغت أوج ازدهارها في دولة المماليك خاصة، وأصبحت محطة الكثير من الناس بعد قيام الخلافة العباسية فيها.

ونورد قول الرحالة المغربي ابن سعيد والذي زار مصر في سلطنة الصالح نجم الدين الأيوبي عام (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)حيث كانت التجارة الخارجية مزدهرة في تلك الفترة، ففي مدينة القاهرة كانت صناعة الأنطاع وهو نوع من أنواع البسط المصنوع من الجلد والتي تصدر من القاهرة إلى بلاد الشام، ومن أنواع التجارات الأخرى التي تصدر من القاهرة للشام أنواع الكمرانات وخرائط الجلد والسيور.

ويعلل ابن سعيد ازدهار التجارة في القاهرة زمن الأيوبيين لكثرة من يفد عليها من الخلق، من الشرق والغرب والشمال والجنوب الذين لا يعلم عددهم إلا خالقهم جل وعلى [(١)].

كما يورد ابن سعيد مقارنة بين مدينة القاهرة والفسطاط، فيصف لنا ازدهار التجارة في مدينة الفسطاط أكثر من القاهرة، وذلك للموقع الجغرافي للفسطاط وقرب المدينة من النيل، مما ترتب عليه نزول المراكب التجارية المحملة بالخيرات في الفسطاط، ويباع ما فيها من البضائع بالقرب من المدينة وهذا لا وجود له في القاهرة، لبعد القاهرة عن ساحل النيل [(٢)].

أما التجارة في عصر المماليك فقد بلغت من الإزدهار درجة كبيرة فلم تقتصر التجارة على مدن مصر الكبرى؛ بل شملت مدن الصعيد حيث تمتعت بنشاط تجاري مزدهر، ففي مدينة أشمون الرمان والتي ازدهرت فيها زراعة الرمان كما ذكرنا سابقاً

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٩.

(٢) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢٧.

ازدهرت فيها أيضاً تجارة الرمان والتي كانت تحمل من أشمون إلى الفسطاط، وهي مدينة عتيقة كبيرة على خليج من خلج النيل كما وصفها ابن بطوطة، وكانت لها قنطرة ترسوا المراكب عندها، فإذا كان وقت العصر رفعت تلك الخشب لكي تعبر المراكب البحريه صاعدة ومنحدرة [١].

كما تمتعت مدينة دمياط بالتجارة سواء الداخلية أو الخارجية، فقد اشتهرت بزراعة فاكهة الموز كما ذكرنا سابقا والتى تحمل كتجارة إلى الفسطاط في المراكب، أما تجارتها الخارجية فنجد أن الحوت البوري الذي عُرفت به دمياط يحمل منها إلى الشام وإلى بلاد الروم وداخليا إلى الفسطاط[٢].

ويحمل من مدينتي بُوش ودلاص الكتان والذي اشتهر بكثرته فيهما إلى سائر مدن مصر وإلى إفريقية[٣]كالمغرب وغرب ووسط إفريقية وشرقها حيث أقبلت إفريقية على الكتان المصري لجودته، كما استوردت السودان من مصر السنبل والمحلب والسكر الأبيض وكذلك استوردت دول إفريقية من مصر السكر الأبيض النقي الخالي من الشوائب، ويعتبر السكر من أهم المنتجات المستوردة من مصر في السودان؛ لأنه يباع بأضعاف ثمنه، وثانياً؛ لأنه يقدم كنوع من أنواع الهدايا للعظماء والنساء [٤].

ولم تقتصر التجارة الداخلية في مصر على ما وصفه الرحالة المغاربة؛ بل كانت مصر تصدر وتستورد من البضائع التجارية فيُذكر أن مصر على أيام المماليك كانت تصدر البضائع المستوردة من الشرق إلى أوربا كالعطور والبخور والصموغ العطرية والتوابل كالفلفل والزنجبيل والسكر[٥]، والموالح والبلسم والقطن والكتان، وكان

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٥.

(٢) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٣٣.

(٣) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٤٧.

(٤) شوقي حبيب: **التجارة بين مصر وإفريقية في عصر سلاطين المماليك**، ص١٠٨، ١١٠.

(٥) توفيق اليوزبكي: **تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي**، ص٩٣.

السكر الأبيض من أكثر البضائع التي يكثر عليها الطلب في أوربا [١].

واستوردت مصر من الهند التوابل وجلود الحيوانات المدبوغة والأغطية المطرزة بخيوط الذهب والفضة والياقوت الأحمر والصندل الأبيض، ومن الصين الحرير والخزف والسروج وبعض العقاقير والمنسوجات المختلفة، ومن اليمن العقيق واللؤلؤ والفلفل والعنبر والخيول العربية[٢]، واستوردت مصر من أوربا الأخشاب لصناعة أثاث المنازل والسفن [٣].

و كما ذكرنا لم تقتصر التعاملات التجارية في مصر سواء الداخلية أو الخارجية على المسلمين أو مدن الهند والصين واليمن فقط؛ بل كان هناك تعاملا مع أوربا ومع التجار النصارى، ومما يدل على ذلك ما ذكره الرحالة ابن بطوطة من حادثة وقعت بين المسلمين و التجار النصارى في الإسكندرية سنة: (٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) وهو بمكة، حيث وقع شجار بين المسلمين وتجار نصارى في الإسكندرية، إنحاز فيها وآلى الإسكندرية إلى حماية التجار النصارى، فأغلق أبواب المدينة في وجه أهلها من المسلمين مما أدي إلى ثورتهم، فكسروا أبواب المدينة، وثاروا على الوالي وحاصروه في منزله، فأرسل يستنجد بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون فبعث الأمير الجمالي والأمير طوغان، فدخلا الإسكندرية وقبضا على كبار أهلها وأعيان التجار، وأخذا منهم الكثير من الأموال، وقتلا من أهل المدينة سته وثلاثين رجلًا[٤]ويفهم من القصة التي أوردها الرحالة ابن بطوطة وجود علاقات تجارية بين المماليك والدول الأوربية ومدى حرص الدولة المملوكية على حماية التجار النصارى وحسن معاملتهم، وإن كان

---

(١) حصة المباركي: **النـاصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية في عصره**، ص١٧٨.

(٢) توفيق اليوزبكي: **تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي**، ص٩٤.

(٣) نعيم زكي فهمي: **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق و الغرب أواخر العصور الوسطى**، ص٢٤٩.

(٤) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٧ - ٢٨.

على حساب المسلمين.

كما بلغت التجارة بين مصر والدول الأوربية في عصر المماليك قمة الازدهار خاصة في عصر السلطان الظاهر بيبرس، فقد جدد الظاهر بيبرس المعاهدات التجارية مع كل من شارل صاحب أنجو، وألفونس أمير إشبيلية، وجميس ملك أرجونه[١]. وقد حذا السلطان المنصور قلاوون حذو الظاهر بيبرس فقام بتأمين طرق التجارة داخل مصر حتى تصل البضائع سليمة من مواني البحر الأحمر إلى موانئ البحر المتوسط، وأمر نوابه في الثغور بحسن معاملة التجار وملاطفتهم والتودد إليهم حتى يعودوا للتجارة مرة أخرى في مصر[٢].

كما عقد عدة معاهدات تجارية مع كل من جنوة، ومنح البنادقة عدة امتيازات سهلت عليهم المتاجرة مع مصر وتعهد لهم بحماية رعاياهم وأموالهم كما جددت الامتيازات مع جنوة في زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومنح البنادقة في عهد السلطان الصالح إسماعيل امتيازات جديدة[٣].

وامتازت مدن مصر بأنها محطات اقتصادية خصوصاً القاهرة عاصمة مصر في ذلك الوقت، فقد استقر بها أهل البضائع والذخائر وأصحاب القوافل التجارية من كل جهة ومكان، كما قصدها التجار، وذلك بسبب أستقرار الخلافة العباسية في مصر في تلك الفترة، كما أشرنا سابقا عند الحديث عن المجتمع المصري [٤].

(١) محمد سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص٣٣٩.

(٢) محمد حمزة الحداد: السلطان المنصور قلاوون، ص٦٩.

(٣) محمد سرور: المرجع السابق، ص٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢.

(٤) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٣.

## المطلب الثالث: الصناعات والحرف

امتازت مدن مصر الكبيرة بالصناعات المتنوعة منهامدينة القاهرة والتي كانت تصنع بها النيدة، وهي حلوى مصنوعة من القمح وتصنع أيضًا بغيرها من مدن مصر، كما يصنع بمصر السكر فقد وجد في القاهرة مطابخ للسكر[١].

كما يصنع في القاهرة الأنطاع وهو نوع من البسط المصنوعة من الجلد و التي تنتقل من القاهرة إلى بلاد الشام كنوع من أنواع التجارة، كما تصنع في القاهرة أيضاً الشروب الدمياطية[٢] وأنواعها، أما مدينة الفسطاط فقد اشتهرت بصناعة الورق المنصوري[٣].

كما ازدهرت في العصر صناعة السكر الأيوبي، فكانت مصر في ذلك الوقت تنتج كميات كبيره منه بعضها يستهلك داخل مصر والباقي يصدر خارج مصر، واتبعت الحكومة الأيوبية سياسية الاحتكار في عصر قصب السكر فأمرت المشتغلين بصناعة عصر قصب السكر بعصره في معاصرها المنتشرة في كافة أقاليم مصر[٤].ومن الصناعات التي ازدهرت في عهد الأيوبيين صناعة الصابون فتستخرج الزيوت من السمسم والخردل والكتان والقنب[٥]والخس، ويستعمل البعض منها في صناعة

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٩.

(٢) الشروب: جمع شرب وهو نوع عظيم الرقة والنفاسة من النسيج، ابن سعيد المغربي: **هامش النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، تحقيق حسين نصار، ص٢٩.

(٣) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٩.

(٤) سعيد عاشور: **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، ص١٤١.

(٥) **القنب**: هو نبات حولى زراعي ليفي تفتل لحاؤه حبالاً وأوراقة مركبة، وثماره تأكلها بعض العصافير ويستخرج منها زيت صناعي، اما القنب الهندي: نوع من القنب يستخرج منه المخدر الضار المعروف بالحشيش والحشيشة الذي يستعمل عن طريق التدخين، أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ١/ ١٨٦٠.

الصابون، وتعتبر من أهم مراكز صناعة الصابون[١].

كما ازدهرت صناعة الألبان في العصر الأيوبي وذلك لوفرة المرعى والثروة الحيوانية، كما ازدهرت صناعة المنسوجات الكتانية بشكل كبير في عصر الأيوبيين وذلك لوفرة مزارع الكتان في كثير من أقاليم مصر[٢].

كما اشتهرت مدن الصعيد بالصناعة في العصر المملوكي، فمدينة أبيار اشتهرت بصناعة الثياب والتى وصفها ابن بطوطة: "بأنها ثياب حسان، تعلو قيمتها بالشام والعراق ومصر وغيرها "، وتصنع مدينة النحرارية الثياب، ولكنها غير مستحسنة عند أهلها [٣]، وقد ازدهرت صناعة المنسوجات في مصر، حتى أصبحت من أهم الصناعات واشتهرت مصر بصناعة أنواع معينة من المنسوجات مثل قماش الفستيان نسبة إلى الفسطاط، والقماش الدبيقي نسبة إلى دبيق[٤].

فضلا عن مدينة شطا التي تنسب إليها الثياب الشطوية، واشتهرت مدينة تنيس بصناعة قماش رقيق سمى القصب صنعت منه ملابس وعمائم للرجال وملابس للنساء، وكذلك اشتهرت مدينة دمياط بصناعة أقمشة من التيل الأبيض، ويصنع بها أقمشة تسمى أبا قلمون[5].

ولم تقتصر صناعة النيدة على مدينة القاهرة؛ بل نجد مدينة منفلوط [٦]اشتهرت بصناعه النيدة أو النيدا على وصف ابن بطوطة وهو شبه العسل يباع بأسواق مصر،

---

(١) الباز العريني: **الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون)**، ص٢٠٠.

(٢) محمد أحمد: **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص١٥٠، ١٥١.

(٣) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣١.

(٤) سعيد عاشور: **العصر المماليكى في مصر والشام**، ص٢٩٠.

(٥) محمد سرور: **دولة بنى قلاوون في مصر**، ص٢٩٤.

(٦) منفلوط هي من مدن الصعيد الأوسط بعد مدينة أسيوط، وغرب النيل بها مسجد جامع، أبو الفداء: **تقويم البلدان**، ص١١٣.

كما وجدت في مدينة منلوي إحدى عشرة معصرة لصناعة السكر [١].

ويذكر المقريزي بأن في مدينة سمهود سبعة عشر معصرة لعصر قصب السكر، كما ذكر بأن مدينة ملوى توجد بها عدة معاصر لعصر قصب السكر[٢]وآخر من بهذه البلدة أولاد فضيل الذين بلغت زراعتهم لقصب السكر أيام الناصر محمد ألف وخمسمئة فدان من القصب، وعندما تمت مصادرة ما في خزانتهم سنة: (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) وجد في مخازنهم اثنين وثلاثين ألف قنطار من القند [٣].

وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون بلغ راتب السكر في شهر رمضان ألف قنطار من السكر، ثم تزايد حتى بلغ في شهر رمضان سنة: (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) ثلاثة آلاف قنطار[٤]وما ذكره المؤرخ المقريزي يوافق ما ذكره الرحالة ابن بطوطة من كثرة معاصر السكر وازدهار صناعة السكر في مصر، كما يدل على كثرة استهلاك المصريين للسكر خاصة في رمضان لصناعة الحلوى احتفالا بهذه المناسبة الدينية.

وعرفت مراكز صناعة السكر بالمعاصر والمطابخ والمسابك وانتشرت في مختلف مدن مصر وخصوصاً في أماكن زراعته كالفسطاط والمنيا والفيوم وأسيوط وقفط[٥] ويذكر المقريزي أنه حتى بعد سنة: (٧٠٠هـ/ ١٣٠١م) وجدت في قفط أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب [٦].

ويقول المقريزي عن بيع السكر في سوق الحلاويين: " وشاهدت بهذا السوق

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ٤٩ - ٥٠.

(٢) المقريزي: الخطط، ١/ ٣٧٦.

(٣) المقريزي: المصدر السابق، ١/ ٣٧٦، محمد سرور: دولة بنى قلاوون في مصر، ص٣١٩، القند: هو عسل قصب السكر إذا جمد، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص٧٦٢ .

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ٣/ ٤٠١.

(٥) أحمد العبادي: الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، ص٣٤٦.

(٦) المقريزي: المصدر السابق، ١/ ٤٢٩.

السكر ينادي عليه كل قنطار بمئة وسبعين درهما "[١] وكان يكثر استخدام المصريين للسكر في شهر رجب والنصف من شعبان لصناعة حلوى على أشكال قطط وسباع وخيوط[٢].

ولا تزال هذه العادات باقية إلى وقتنا الحاضر في مصر، حيث يحتفل المصريون بشهر رمضان والعيد بصناعة الحلويات والكعك، وقد وصف البلوي المصانع في القاهرة عند وفوده عليها بقوله: " وفتحت لى راحة القلب أبواب النزهة، فأطلقت عنان الطرف نحو الجهة فرأيت فيها المصانع الناصعة" وهذا يدل على تنوع الصناعات وتعدد المصانع في القاهرة[٣].

ومن الصناعات المتنوعة في مصر على عصر المماليك نذكر صناعة المعادن فاستخدموا النحاس لصنع الثريات والأواني المنزلية والأباريق والصحون، كما تطور استخدام النحاس في عصر المماليك فغطى به بعض أبواب المساجد والقصور، ويكون على هيئة صفائح رقيقة مقسمة إلى أشكال هندسية بديعة[٤].

وراجت في مصر واشتهرت صناعة التكفيت على عصر المماليك وقامت في بداية أمرها على أيدي فنانين من الموصل استقروا في القاهرة ثم نبغ فيها الصناع المصريين[٥].

ويقول المقريزي عن صناعة التكفيت: " وهو ما تطعم به أواني النحاس من الذهب والفضة، وكان لهذا الصنف من الأعمال رواج عظيم وللناس في النحاس المكفت رغبة عظيمة، أدركنا من ذلك شيئاً لا يبلغ وصفه واصف لكثرته، فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت، ولابد أن يكون في شورة

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ١٨١.

(٢) محمد سرور: **دولة بني قلاوون في مصر**، ص٣٢٠.

(٣) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢١٦.

(٤) سعيد عاشور: **العصر المماليكى في مصر والشام**، ص٢٩١.

(٥) زكي محمد حسن: **فنون الإسلام**، ص٥٥٣.

العروس دكة نحاس مكفت "[١].

وازدهرت أيضاً في العصر المملوكي صناعة الزجاج و من أهم مراكز صناعتها الفسطاط والفيوم والأشمونين والإسكندرية، والتي تميزت بأشكال جميله متقنة الصنع[٢].

وعلى الرغم من أن صناعة الحديد لم تكن من الصناعات المهمة في مصر في عصر المماليك لكنهم برعوا في صناعة الأسلحة والسيوف والدروع من الحديد[٣].

وكانت القاهرة نتيجة تنوع الصناعات مكانا لاستقرار أرباب الصنائع فيها، وازداد استقرار أهل الصنائع أكثر بعد إحياء الخلافة العباسية مرة اخرى في القاهرة [٤]، ومن الصناع والحرفيين الذين ذكرهم الرحالة السقائيين فقد ذكر البلوي عدد السقائيين ودكاكينهم عند وصفه لنهر النيل: " وأحصى دكاكين السقائين المعدة للسقي بالقاهرة فبلغت ستين ألف دكانًا ماعدا السقائين الذين بالأكواز والأكواب في الطريق والأسواق وغيرها "[٥].

وكل حرفة تخضع لنقابات لها نظام ثابت يحدد عددهم ومعاملتهم فيما بينهم بعضهم البعض، وفيما بينهم وبين المشترين، ويكون لكل حرفة رئيس أو شيخ يرأسهم ويفض مشاكلهم [٦].

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/ ١٩٠.

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكى في مصر والشام، ص٢٩٢.

(٣) محمد سرور: دولة بنى قلاوون في مصر، ص٣٠٨.

(٤) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٣.

(٥) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢١٨.

(٦) سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٤٣، وللمزيد عن الحرف الموجودة في مصر يمكن الرجوع إلى: علاء طه رزق: عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، ص٩٣ - ١١٥، محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص١٣١ - ١٥٣.

## المطلب الرابع: الضرائـــب

أما الضرائب فقد بث عدد من الرحالة شكواهم لسوء تعامل رجال الضرائب في أخذها منهم، وفي ذلك نذكر قول الرحالة ابن سعيد المغربي: " وسائر الفقراء لايعترضون بالقبض للأسطول إلا المغاربة، فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر. فقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم، ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها حالتين: إن كان المغربي غنيا طُولب بالزكاة وضيقت عليه أنفاسه حتى يفر منها، وإن كان مجرد فقيرا جعل في السجن حتى حين وقت الأسطول " ويصف ابن سعيد أكثر معانة المغاربة في تشدد رجال الضرائب في أخذها منهم: " ولقد تكلمت في مغربي فأطلق من الأسطول. وخرج على بابها متوجهاً إلى بلبيس فأخذ وسيق إلى السجن فكتب إلى ورقة وهو يقول: " كيف الإقامة في بلدة يحكم على الإنسان بها في نفسه، ويُمسك في كل داخلها وخارجها كاللص، ويسكن السجن دون ذنب؟ لاحول ولا قوة إلا بالله ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[1] "[2]، ومن الرحالة المغاربة الذين أصابهم السخط على ما يفعله رجال الضرائب العبدري وفي ذلك يقول: "ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينهم وأعرب أنهم يعترضون الحجاج ويجرعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج، ويأخذون على وفدهم الطرق الفجاج يبحثون عما بأيدهم من مال ويأمرون بتفتيش النساء والرجال، وقد رأيت من ذلك يوم وردنا عليهم ما اشتد له عجبي وجعل الانفصال عنهم غاية أربي وذلك أنه لما وصل إليها الركب جاءت شرذمة من الحرس لا حرس الله مهجتهم الخسيسة، ولا أعدم منهم لأسد الآفات فريسة، فمدوا في الحجاج أيديهم، وفتشوا الرجال والنساء وألزموهم أنواعا من المظالم، وأذاقوهم ألوانا من الهوان، ثم استحلفوهم وراء ذلك كله، وما رأيت في الناس أقسى قلوبا ولا أقل مروة وحياءً ولا أكثر إعراضا عن الله

---

(١) سورة المؤمنون، الآية١٠٧.

(٢) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص٢٩، ٣٠.

وجفاءً لأهل دينه من أهل هذا البلد نعوذ بالله من الخذلان فلو شاء لاعتدل المائل وانتبه الوسنان " ثم أورد العبدري ما أخبره به نور الدين أبوعبدالله بن زين الدين أبي الحسن يحي بمدرسة جدة، عن ما حدث للرحالة ابن جبير بثغر الإسكندرية سنة: (٦١١هـ/ ١٢١٤م) من قبل رجال الضرائب من أنه "ورد الإسكندرية في ركب عظيم من المغاربة برسم الحج فأمر الناظر على البلد بمد اليد فيهم للتفتيش والبحث عما بأيدهم، ففتش الرجال والنساء، وهتكت حرمة الحرم ولم يكن فيهم ابقاءً على أحد قال فلما جاءتني النوبة وكانت معي حرم وذكرتهم بالله ووعظتهم فلم يعرجوا على قولي ولا التفتوا إلى كلامي وفتشوني كما فتشوا غيري، فاستخرت الله ونظمت هذه القصيدة ناصحا لأمير المسلمين صلاح الدين يوسف بن أيوب ومذكرا له بالله في حقوق المسلمين ومادحا له " ثم اورد العبدري القصيدة في نصح ابن جبير للسلطان صلاح الدين[١].

وهذا لا يمنع من أن بعض السلاطين سواء كانوا الأيوبيين أو المماليك قد اسقطوا المكوس عن الحجاج، ومن ذلك ما فعله السلطان حسام الدين لاجين من إسقاط الضرائب عن الحجاج، اهتماما بهم " ومآثره جليلة ومفاخره عظيمة، فمنها أنه اعتنى بالحجّاج اعتناء تاما، وسهل طريقهم، وأمر بإسقاط ما كان يؤخذ منهم في جميع بلاده من الوظائف والضرائب، وأنفذ بذلك كتبا إلى بلاده وعماله وولاته، وقرئت على المنابر، ونحن نسمع طائفة منها، وأكد في ذلك غاية التأكيد، ووعد من تعرض لهم بما يسوؤهم بالعقاب الشديد نفعه الله تعالى "[٢].

ولم يقتصر التذمر من فرض الضرائب على الحجاج على الرحالة المغاربة، فكما ذكر الرحالة العبدري عند ذكر أخذ الضرائب من الحجاج المغاربة عند ثغر الإسكندرية فقد سبقهم الرحالة ابن جبير بالشكوى من ذلك عند زيارته لمصر زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي.

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص٩٣- ٩٥.

(٢) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٧ – ٨.

ويقول ابن جبير عن إسقاط صلاح الدين الضرائب عن الحجاج: " وهم يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في أهل الذمة قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها، ينتهبونهم انتهابا، ويسببون لاستجلابهم ما بأيديهم استجلابا، فالحاج معهم لايزال في غرامة ومؤنة إلى أن يسر الله رجوعه إلى وطنه، ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده ولا يلين شديده، فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عوض ذلك مالا وطعاما يأمر بتوصيلهما إلى مكثر أمير مكة "(١).

ويقول ابن إياس في ذلك أيضاً: " وأبطل في أيامه ما كان يؤخذ من حجاج المغاربة من المكوس، لأمير مكة وعوضه عن ذلك أشياء كثيرة وأبطل ذلك عنهم"(٢).

وذكر لنا المؤرخ المقريزي مقدار ما أبطله صلاح الدين من ضرائب على الحجاج وتعويض أمير مكة عن الضرائب المأخوذة من الحجاج في سنة: (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) ويقول عن ذلك: " وفيها أبطل السلطان المكس المأخوذ من الحجاج في البحر إلى مكة على طريق عيذاب وهو سبعة دنانير مصرية ونصف على كل إنسان وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب أو بجدة، ومن لم يؤد ذلك منع من الحج وعذب بتعليقة بأنثيه، وعوض أمير مكة عن هذا المكس بألفي دينار، وألف أردب قمح، سوى إقطاعات بصعيد مصر وباليمن، وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف آردب قمح تحمل إليه إلى جدة "(٣).

وفي موضع آخر ذكر المقريزي بأن صلاح الدين كتب إلى وآلي قوص بإبطال الضرائب التي ارهقت الحجاج وتجار اليمن وانزعجوا منها(٤).

ولم يقتصر أمر إلغاء الضرائب على عصر صلاح الدين فعند الرجوع إلى المصادر يذكر المقريزي بأن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس قد ألغى ضرائب فرضت

---

(١) ابن جبير: **رحلة ابن جبير المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**، ص٧٦.

(٢) ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص٢٤٩.

(٣) المقريزي: **السلوك**، ١/ ١٧٤.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ١/ ١٨٦.

على الحجاج والتجار سنة: (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م) ورتب فيها رواتب لأمراء مكة عشرين ألف درهم كل عام " ألا يؤخذ بمكة من أحد مكس ولا يمنع أحد من زيارة البيت، ولا يتعرض لتاجر، وأن يخطب باسم السلطان في الحرم والشارع، وتضرب السكة باسمه، وكتب لهما تقليدا بالإمارة وسلمت أوقاف الحرمين التي بمصر والشام لنوابهما"[(١)].

ولم تكن الضرائب مفروضة فقط على الحجاج؛ بل فرضت أيضاً في داخل مصر زمن المماليك عدة ضرائب، فقد عدد لنا ابن إياس ما أبطله السلطان المنصور قلاوون من ضرائب، منها ما كان يأخذه "ناظر الزكوات " فقد كان يأخذ ممن له مال زكاة في كل سنة حسب ما هو مكتوب في الدفاتر وإن مات صاحب المال أخذ من أولاده وأولاد أولاده وأقاربه، ومنها ما كان يأخذه المبشر من أهل مصر إذا بشر بفتح حصن أو أحراز نصر في معركة أو سلامة الحجاج فيأخذ المبشر من أهل مصر على حسب طبقاتهم الاجتماعية، ومنها ما كان يؤخذ عند البشارة بوفاء النيل[(٢)].

ومن خلال العرض السابق لكلام الرحالة وما سيق من أمثلة نجد أن الضرائب المأخوذة من الحجاج كانت تؤخذ سواء في عصر دولة الأيوبيين أو المماليك وعندما يعلم السلطان بالظلم الواقع على الحجاج يصدر أوامر بإلغاء ما فرض عليهم، وإن الضرائب المفروضة لا تقتصر على الحجاج الوافدين على مصر؛ بل فرضت عدة ضرائب على الموجودين داخل مصر من أهلها.

---

(١) المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٥٩.

(٢) ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص٣٦٣.

## المطلب الخامس: العملة والمكاييل والموازين

كانت العملة السائدة في مصر من خلال ما ذكره الرحالة على أيام الدولة الأيوبية والمملوكية الدرهم ونورد قول الرحالة ابن سعيد المغربي الذي زار مصر على أيام سلطانها الصالح نجم الدين أيوب عن الدراهم: "ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء، كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصري، وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء، ومخاصمة مع الفريقين، وكان بها في القديم الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت إلى الآن مقطوعة منها"[(١)].

أما الدراهم في عصر الدولة الأيوبية فعندما تولى صلاح الدين حكم مصر بعد زوال دولة الفاطميين وبعد موت الملك نور الدين أمر سنة: (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) بأن تبطل الدراهم السود وتسك الدراهم الناصرية، وجعل نصفها من الفضة ونصفها من النحاس[(٢)]، وكانت هذه الدراهم رديئة فأضرت بالناس ضرراً بليغاً حتى لقبوها بالزيوف أي: الدراهم المزيفة[(٣)].

أما السلطان الكامل فأمر سنة: (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) بضرب دراهم مستديرة وألا يتعامل بالدراهم الناصرية التي يسميها أهل مصر بالورق، فترك أهل مصر التعامل بها، وعرفت عملة الكامل بالدراهم الكاملية نسبة له وجعلها ثلثان من الفضة وثلث من النحاس [(٤)].

أما في العصر المملوكي فنجد الرحالة ابن بطوطة يذكر عملة مصر في أكثر من موضع فقد ذكر ما أجراه السلطان الناصر محمد بن قلاوون على سلطان إفريقية

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٨.

(٢) المقريزي: **النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود**، ص٢٩.

(٣) رأفت النبراوي: **النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري**، ص٩٥.

(٤) المقريزي: **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، ص٦٤.

المخلوع أبويحي من العملة وذلك اثناء حديثه عن مدينة الإسكندرية: "وكان فيها أيضاً في ذلك العهد سلطان إفريقية المخلوع، وهو زكريا أبويحي بن أحمد بن أبي حفص المعروف باللحياني، وأمر الملك الناصر بإنزاله بدار السلطنة من الإسكندرية وأجرى له مئة درهم في كل يوم "(١).

وفي موضع اخر يذكر ابن بطوطة مقدار جباية قرية تروجة بالعملة " ووصلت قرية تروجة وأضافني ناظرها زين الدين بن الواعظ وسألني عن بلدي وعن مجباه؟ فأخبرته أن مجباه نحو اثني عشر ألفا من دينار الذهب فعجب وقال لي: رأيت هذه القرية، فإن مجباها اثنان وسبعون ألف دينار ذهباً، وإنما عظمت مجابي ديار مصر لأن جميع أملاكها لبيت المال"، ويذكر ابن بطوطه في موضع آخر ما أنفقه القاضي فخر الدين بن مسكين من العملة على الإسكندرية أثناء ولايته للقضاء فيها " وأخبرني الثقة أن ابن مسكين أعطى خمسة وعشرين ألف درهم، وصرفها من دنانير الذهب ألف دينار، على ولاية القضاء بالإسكندرية "(٢).

بل يذكر ابن بطوطة ما أعطاه العلماء والولاة من العملات أثناء رحلته فذكر ما زوده العالم برهان الدين الأعرج من العملة أثناء لقائه به في الإسكندرية: " ولما ودعته زودني دراهم لم تزل عندي محوطة ولم أحتج بعد إلى إنفاقها إلى أن سلبها مني كفار الهنود فيما سلبوه لي في البحر "(٣).

وذكر في موضع آخر ما أعطاه إياه وآلي دمياط من العملات: " وكان بدمياط أيام إقامتي بها وآل يعرف بالمحسني من ذوي الإحسان والفضل" وبعد سرد ما شيده الوآلى من مدرسة يذكر: " ثم سافرتُ إلى مدينة فارسكور، وهي مدينة ساحل النيل، ونزلتُ بخارجها ولحقني هنالك فارس وجهه إلى الأمير المحسني فقال لي: إن الأمير

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٢.

(٢) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٢٩.

(٣) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٢٤ – ٢٥.

سأل عنك وعرف بسيرتك، فبعث إليك بهذه النفقة، ودفع إلي جملة دراهم، جزاه الله خيراً "[(١)].

وفي كل الوقائع التي ذكرها ابن بطوطة نجد أن العملة السائدة في مصر زمن المماليك كانت الدراهم، ولكن الأوضاع في مصر ظلت مضطربة بعد سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية، فاختل النقد واضطرب على الرغم من أن سلاطين المماليك كشجر الدر والمعز أيبك والمنصور علي بن أيبك والمظفر قطز سكوا نقود بأسمائهم ولم يستقر الوضع إلا في عهد السلطان الظاهر بيبرس فأمر بضرب دراهم سماها الدراهم الظاهرية[(٢)].

ولم تزل الدراهم الظاهرية والكاملية يتعامل بها في مصر حتى تعرضت للفساد وذلك عندما انتشرت الدراهم الحموية التي ضربها المماليك في حماة في عهد السلطان برقوق سنة: (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) [(٣)]، وتذمر الناس من الدراهم الحموية لزيادة نسبة النحاس فيها حتى بلغت الثلثين، مما قلل من الإقبال عليها وازداد استخدام الفلوس النحاس[(٤)].

اما المكاييل والموازين فقد أشار ابن بطوطة وهو يتحدث عن مقارنة أسعار مصر بأسعار بلاد المغرب: "وإذا تأملت أسعاره مع أسعار ديار مصر والشام ظهر لك الحق في ذلك ولاح فضل بلاد المغرب، فأقول: إن لحوم الأغنام بديار مصر تباع بحساب ثماني عشرة أوقية بدرهم نقرة، والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب، وبالمغرب يباع اللحم إذا غلا سعره ثماني عشرة أوقية بدرهمين وهما ثلث النقرة " وفي موضع آخر يذكر ابن بطوطة عند حديثه عن الخضر والفواكه التي تباع

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٥.

(٢) سعيد عاشور: **العصر المماليكي في مصر والشام**، ص٣١٤.

(٣) توفيق اليوزبكي: **تاريخ تجارة مصر البحرية**، ص١٠٣

(٤) سعيد عاشور: **المرجع السابق**، ص٣١٦.

بمصر فذكر المكاييل المستخدمة في بيع العنب " وأما الخضر فهي أقل الأشياء ببلاد مصر، وأما الفواكه فأكثرها مجلوبة من الشام، وأما العنب فإذا كان رخيصاً بيع عندهم ثلاثة أرطال من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلهم اثنتا عشرة أوقية "[١].

وذكر الرحالة العبدري عند حديثه عن الإسكندرية أن الباعة فيها اعتادوا على تطفيف المكيال والموازين فيقول عن ذلك بعد نقده لأخلاق المجتمع: " وتواصوا على تطفيف المكيال والميزان فإن عاملهم غريب لم يلق منهم إلا ما يريب، يتخذونه هدفا ولكل منهم فيه سهم مصيب، حتى يخرج من ماله بغير نصيب، لا ترجا منهم فئة إنابة ولا تلقى فيهم فئة رأفة ولا عصابة، ولا ينفع الغريب في معاملتهم أن يقول لا خلابة، حسبك ببلد أربى في الحسن على البلاد وله من الفضيلة كل طارف وتلاد وليس به من أهل الفضل إلا آحاد قلوا عددا واتحدوا كل الاحاد فهم فيهم أقل من التوفيق غرباء بينهم في كل معنى وطريق "[٢].

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٦٥٨.

(٢) العبدري: **رحلة العبدري**، ص٩٢- ٩٣.



# الفصل الرابع

# الفصل الرابع

## الحياة العلمية لمصر في القرنين السابع والثامن من خلال كتابات الرحالة المغاربة

**وفيه ثلاثة مباحث :**

- المبحث الأول : المؤسسات العلمية.
- المبحث الثاني : المناهج وأساليب التعليم .
- المبحث الثالث : العلوم والعلماء.

# المبحث الأول

## المؤسسات العلمية

**وفيـه ثلاثـة مطالـب:**

- المطلب الأول: المدارس .
- المطلب الثاني: المساجد .
- المطلب الثالث: الزوايا والأربطة .

* *    * ** *    * *

## المطلب الأول: المـــدارس

رغم أن المسجد كان هو المركز الأول في التعليم زمن الرسول ﷺ وزمن الصحابة ﷺ، ولم يعرف مكان آخر للتعليم غيره، إلا أنه وجد من الصحابة ﷺ من لم يكتف بالتدريس بالمسجد فقط؛ بل درسوا في منازلهم، فالصحابي الجليل عبدالله بن العباس -رضي الله عنهما-[1] عندما انتقل إلى الطائف اتخذ من منزله مكاناً لتدريس العلم[2]ثم بدأت بعد ذلك فكرة إنشاء المدارس، وكانت المدارس في أول أمرها إنما أنشئت بمجهود فردي من قبل العلماء، كمدرسة أبي علي الحسيني المتوفي سنة: (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) لتعليم الحديث، كالمدرسة التي أسسها ابن فورك [3] بنيسابور، وكالمدرسة التي أسسها أبوحاتم البستى، ثم كثر إنشاء المدارس في القرن الخامس الهجري، ومن أشهر المدارس في نيسابور: المدرسة البيهقية، والمدرسة السعيدية[4]

---

(١) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم -رضي الله عنهما -، ابن عم رسول الله ﷺ، كُني بابن العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، كان يلقب بلقب البحر والحبر وترجمان القرآن، دعا له الرسول ﷺ: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))، ولي إمارة البصرة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-، وكان ممن شهد معركة صفين، توفي- رضي الله عنه- في الطائف سنة: (٦٨ هـ وعمره سبعين سنة)، كتاب: ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ٣/ ٢٩١ - ٢٩٥، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١/ ٢٩٤ - ٢٩٦، ابن الجزري: **غاية النهاية**، ١/ ٣٨١، ٣٨٢، ابن الجوزي: **مرآة الزمان**، ٥/ ٤٢١ - ٤٣٠.

(٢) عفاف صبره: **المدارس في العصر الأيوبي**، ص١٤١.

(٣) هو العالم أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، درس بالعراق مدة من الزمن ثم توجه إلى الري ثم توجه بعدها إلى نيسابور بعد مراسلة أهلها له، وبنوا له مدرسة وداراً يلقي فيها دروسه، وله مؤلفات كثيرة في أصول الفقه ومعاني القرآن نحو مئة كتاب، توفي سنة: (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) مسموماً ودفن في مدينة الحيرة، ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، ٤/ ٢٧٢، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٧/ ٢١٤، ٢١٥، ابن العماد: **المصدر السابق**، ٥/ ٤٢، ٤٣.

(٤) عبداللطيف حمزة: **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**، ص٨١، المدرسة السعيدية =⇦

ثم بعد ذلك انتشرت المدارس المدعومة من قبل الدولة فأنشأ الوزير نظام الملك[1] المدرسة النظامية في بغداد سنة: (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م) وقرر بها للمدرسين والفقهاء رواتب مخصصة لهم (معاليم) وسار على نهجه الكثير من الناس في خراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد الجزيرة وديار بكر [2].

وفي مصر اهتم السلاطين الأيوبيون بإنشاء العديد من المدارس فالسلطان الناصر صلاح الدين هو أول من بنى المدارس في مصر واقتدى به من جاء بعده من السلاطين وفي ذلك يقول المقريزي: " فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام مالك واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي "ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر، وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمراؤه "[3].

---

= بناها الأمير نصر بن سبكتكين أبو المظفر، عندما كان والي على نيسابور في سنة: (٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) وأنفق الأموال الكثيره وجعل عليها أوقاف تنفق على من يدرس فيها، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٢٣، محمد الفاجالو: **الحياة العلمية في نيسابور**، ص٣٢٧.

(١) أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الطوسي، ولد في سنة: (٤٠٨هـ/ ١٠١٧م)، حفظ القران وتعلم النحو وتعلم الفقه على مذهب الشافعي عمل في الديوان السلطاني وخدم في الدواوين بخراسان وغزنة ثم أصبح وزير للسلطان السلجوقي ألب آرسلان ثم لابنه ملكشاه، وأنشأ المدرسة النظامية في بغداد ومدرسة أخرى بنسابور، توفي مقتول، قتله أحد الباطنية في صدره بسكين في(١٠ رمضان سنة: ٤٨٥هـ/ ١٣ أكتوبر ١٠٩٢م)،ابن الاثير: **الكامل في التاريخ**، ٨/ ٤٧٨ - ٤٨١، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ١٩/ ٩٤، ٩٥، السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ٤/ ٣٠٩- ٣٢٩، الذهبي: **العبر**، ٢/ ٣٤٩.

(٢) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ١٩٩، وشرع الوزير نظام الملك في بناء المدرسة النظامية في سنة: (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م) واكتمل بناؤها في سنة: (٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) ودرس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وظل يدرس بها حتي توفي،السيوطي: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٢٣، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**،١٩/ ٩٤.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٠٠.

وقد بلغ عدد المدارس في عهده في مدينة القاهرة وحدها خمس مدارس وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة لتستمر في أداء رسالتها[(١)].

واتبع السلاطين المماليك أسيادهم الأيوبيين في الاهتمام بإنشاء المدارس ووقف العديد من الأوقاف عليها، وفي ذلك يقول المقريزي: " ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم إلى يومنا هذا "[(٢)].

فيذكر الرحالة ابن سعيد المغربي أن مدينة القاهرة أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط وذلك بسبب كثرة المدارس فيها، ويعلل ابن سعيد ذلك لأنها كانت مقر للسلطنة الأيوبية وبسبب قربها من قلعة الجبل، ثم إنه بسبب بناء السلطان الصالح نجم الدين أيوب قلعة الجزيرة التي أمام الفسطاط عظمت عمارة الفسطاط وانتقل إليها الكثير من الأمراء [(٣)].

وقد عظم شان المدارس في العصر المملوكي، فابن بطوطة الذي زار مصر في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أشاد بكثرة المدارس في مصر فقال: " وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها [(٤)].

وأشاد كذلك الرحالة البلوي باهتمام المماليك بالمدارس، وذلك عند زيارته لمدينة القاهرة فقال: " وفتحت لى راحة القلب أبواب النزهة، فأطلقت عنان طرف الطرف نحو الجهة فرأيت فيها... المدارس الأنيقة "[(٥)].

وأشار الرحالة ابن بطوطة بالاهتمام من قبل المماليك ببناء المدارس حتى في

---

(١) سعيد عاشور: مصر في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٣٨١.

(٢) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٠٠.

(٣) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة، ص٢٧.

(٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٩.

(٥) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢١٦.

القرافات أي بجوار المدافن، وذلك عند حديثه عن القرافة الكبرى فقد قال: "ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة إلى جانب التربة "(١).

ولم يقتصر بناء المدارس على السلاطين فقط؛ بل نجد بعض الأمراء والولاة اهتموا بإنشاء عدد كبير من المدارس، فقد ذكر ابن بطوطة بأنه نزل بمدرسة على شاطئ النيل، بناها والي دمياط المسمى بالمحسني (٢).

**ونستعرض فيما يلي أهم المدارس التي ذكرها الرحالة:**

**مدارس القاهرة:**

**١- المدرسة الصالحية النجمية:**

والمدرسة الصالحية هذه تم بناؤها في زمن السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وقد شيدت في مدينة القاهرة بين القصرين وكان موقعها في جملة القصر الكبير الشرقي، وروي بأن بداية الشروع في بنائها في ثالث عشر من ذي الحجة سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) حيث تم تمهيد المكان وقطع ما به من أشجار النخيل وتم الانتهاء من بنائها سنة: (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)(٣).وقد ذكر المقريزي بأن السلطان الصالح نجم الدين أيوب استخدم الكثير من الأموال و أسرى الفرنجة في تشييدها (٤)وقد أوقفها السلطان الصالح نجم الدين أيوب على المذاهب السنية الأربعة، ورتب فيها دروساً لفقهاء المذاهب الأربعة سنة: (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، وهي أول مدرسة في مصر تضم

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٩

(٢) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٣٥.

(٣) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٣٠، المقريزي: **الخطط**، ٢/ ٢١٧، ابن أيبك: **كنز الدرر** (الدر المطلوب في أخبار ملوك بنى أيوب)، ٧/ ٣٤٧ حيث قال عند ذكر حوادث سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) " وفيها شرع الملك الصالح في عمارة المدارس بالقاهرة "، شوكت الأترشي: **الحياة الفكرية في مصر**، ص٣٥١.

(٤) عبدالغنى عبدالعاطى: **التعليم في مصر**، ص٦٤.

دروس المذاهب الأربعة في مكان واحد [١].

وممن تولى التدريس في المدرسة الصالحية خلال العصر الأيوبي والمملوكي نذكر: الفقية عز الدين بن عبدالسلام[٢] وكان قدومه إلى مصر سنة: (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) فحظي باهتمام وتكريم السلطان الصالح نجم الدين أيوب ففوض إليه تدريس الفقه الشافعي بمدرسته، ومن شيوخ المدرسة الصالحية نذكر أيضاً القاضي أبي عبدالله محمد بن عبدالملك، والفقيه شرف الدين يحي بن فضل الله، والفقيه عبدالرحمن بن أبي الحسن بن يحي الدمنهوري[٣]، والفقيه عبدالوهاب بن خلف بن بدر المعروف بابن بنت الأعز[٤]، كما ألقى فيها الدروس الفقية المالكي شرف الدين عمر بن عبدالله السبكي[٥] أما من الحنابلة فنذكر قاضي القضاة شمس الدين أبوبكر محمد ابن العماد إبراهيم بن عبدالواحد علي بن سرور المقدسي الحنبلي الصالحي[٦].

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٢/ ٢١٧.

(٢) هو أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم ابن الحسن ولد سنة: (٥٧٧ أو ٥٧٨هـ/ ١١٨١ أو ١١٨٢م) تفقه على يد مجموعة من العلماء وبرع في الفقه، و العربية والحديث والتفسير، وألف عددًا من المؤلفات، وروى عنه الدمياطي وابن دقيق العيد، ولي الخطابة بدمشق، والقضاء بمصر زمن الصالح نجم الدين أيوب،ثم عزل نفسه من القضاء وتفرغ لتدريس طلاب العلم، توفي سنة: (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، الذهبي: **العبر**، ٣/ ٢٩٩،السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٢٧١، ٢٧٢، العسقلاني: **رفع الأصر عن قضاة مصر**، ١/ ٣٥٠-٣٥٣، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٥/ ٤٣٩، ٤٤٠.

(٣) عماد الدين عبدالرحمن بن أبي الحسن بن يحي الدمنهوري فقيهاً فاضلا، ولد في ذي القعدة سنة: (٦٠٦هـ/ ١٢١٠م) وتوفي في رمضان سنة: (٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)، السيوطي: **المصدر السابق**، ١/ ٣٦١.

(٤) عالم فاضل امتاز بالنزهة والصلاح وصواب العقل، ولي الوزارة والنظر في الدواوين، كما ولي قضاء الديار المصرية وتدريس الشافعية والصالحية، توفي في(٢٧ رجب من سنة: ٦٦٥هـ/ ٢٢ إبريل ١٢٦٧م) ودفن بسفح المقطم، السيوطي: **المصدر السابق**، ١/ ٣٥٧، الأسنوي: **طبقات الشافعية**، ٢/ ٧٧، ابن العماد: **المصدر السابق**، ٥/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٥) شوكت الأترشي: **الحياة الفكرية في مصر**، ص٣٥١.

(٦) ولد (١٤ صفر سنة: ٦٠٣هـ/ ١٩ سبتمبر١٢٠٦م) وأخذ العلم على يد مجموعة من العلماء منهم الكندي =⇐

وهو أول من درس من الحنابلة إذ لم يسبق أن أقيمت لهم مـدارس سواء خاصـة أو مشتركه مع غيرهم من المذاهب[(١)].

وذكر الرحالة ابـن رشـيد أنـه قـرأ كتـاب الأربعـين الـسباعيات المستخرجة مـن مسموعات الإمام ظهير الـدين القـشيري عـلى العـالم خليـل بـن ابي بكـر بـن محمـد بـن صديق المراغي بالمدرسة الصالحية النجمية بإيوان الحنابلة يـوم الإثنـين الخـامس عـشر من رجب سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) [(٢)].

وكذلك التقى الرحالة ابن رشيد بالعالم تقي الـدين ابـن دقيـق العيـد في المدرسـة الصالحية[(٣)].

**٢- المدرسة الظاهرية:**

المدرسة الظاهرية تنسب إلى " الملك الظـاهر بيـبرس البندقـداري شرع في بنائهـا سنة: (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م) وتم بناؤها في أوائل سنة: (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)[(٤)]. وبعد أن تم بناء المدرسة احتفل بافتتاحها احتفالا كبيرًا وفق ما جرى به العرف في ذلك العصر، فنزل السلطان إلى المدرسة في جمع من أمرائه في حين اجتمع الفقهاء والقضاة والأعيـان

---

= والحرستاني وموفق الدين، رحل إلى بغداد وأقام بها مدة من الزمن وأخذ العلم مـن علمائهـا ودرس الفقـه فيها وبرع في علوم شتى، ثم رحل إلى مصر وظل بهـا إلى أن تـوفي، وتـولى في مـصر مـشيخة خانقـاه سـعيد السعداء، وقضاء الحنابلة إلى أن عزله السلطان الظاهر بيبرس وقام بالتدريس في المدرسة الصالحية، وتوفي سنة: (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣/ ٢٤٧، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٧، ابن تغرى بردي: **النجوم الزاهرة**،ط ١، ٧/ ٢٣٧.

(١) المقريزي: **الخطط**، ٢/ ٢١٧، عبدالغنى عبدالعاطى: **التعليم في مصر**، ص٦٥.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٢١١.

(٣) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ٢٤٥.

(٤) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٣١.

في صحن المدرسة، حيث مدّ سماط[1] زاخر بمختلف ألوان الأطعمة من لحوم وطيور فضلا عن الحلوى والفواكة، فأكل جميع المدعوين وسرق العامة بقية السماط. وبعد أن خلع السلطان على كل من أسهم في بناء المدرسة، عين لها موظفيها من المدرسين والفقهاء والمؤذنين والقراء والفراشين وغيرهم[2].

وعين لتدريس الشافعية تقى الدين ابن رزين، وللحنفية مجد الدين عبدالرحمن بن كمال الدين عمر بن العديم[3]، ولتدريس الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطى[4]، ولإقراء القراءات بالروايات كمال الدين القرشي، ووقف بها خزانة كتب[5]، تشتمل على أمهات الكتب في العلوم المختلفة، وبنى بجانبها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله-تعالى-، وأجرى لهم الأرزاق والكسوة، كما أوقف عليها ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين زويلة وباب الفرج[6].

---

(١) **السماط**: هو ما يمد من الموائد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها وهم على سماط واحد، نظام واحد، أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ١/ ١١٠٧ .

(٢) سعيد عاشور: **الظاهر بيبرس**، ص١٤٩،١٤٨.

(٣) سمع من مجموعة من العلماء منهم ثابت بن مشرف وأبا محمد بن الأستاذ وعدد من العلماء، امتاز بعدد من الأخلاق منها الهيبة والحشمة وعلو الهمة والتدين، والعلم وتولى قضاء دمشق مع التدريس بها، واستمر في قضاء دمشق إلى أن توفي سنة: (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) عن عمر أربع وستين سنة، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ١٢، ابن تغرى بردي: **النجوم الزاهرة**،ط١، ٧/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤) العالم شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف التوني الدمياطي، ولد بدمياط في أواخر سنة: (٦١٣هـ/ ١٢١٧م) وتلقى تعليمه بها وطلب الحديث فرحل إلى الكثير من البلدان، وسمع من الكثير من العلماء، سمع منه عدد من التلاميذ، وروي عنه عدد من الحفاظ منهم المزى والسبكي وابن سيد الناس وغيرهم، صنف العديد من المؤلفات، توفي في(١٥ذي القعدة سنة: ٧٠٥هـ/ ٢٨ مايو ١٣٠٦م)، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٣٠٨، ابن العماد: **المصدر السابق**، ٦/ ١٤٨، ١٤٩.

(٥) السيوطي: **المصدر السابق**، ٢/ ٢٣١، المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٢٢٥.

(٦) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٢٦.

وجاء ذكر المدرسة الظاهرية عند كل من الرحالة ابن رشيد والتجيبي والعبدري فقرأ الرحالة ابن رشيد على العالم ضياء الدين أبي الهدى عيسى بن يحي بن أحمد بن محمد بن مسعود السبتي[(١)] نزيل مصر بالمدرسة الظاهرية يوم الاثنين الثامن لشهر رجب سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[(٢)].

وقرأ الرحالة التجيبي على العالم شرف الدين أبومحمد عبدالمؤمن التوني الأجزاء العشرة المحتوية على الفوائد العوالي المنتقاة من أصول سماعات الشيخ أبي عبدالله القاسم بن الفضل الثقفي[(٣)]وفي موضع آخر يذكر الرحالة التجيبي العالم شرف الدين التوني حيث يقول: " قرأت على الشيخ الفقيه الإمام العلامة النسابة الرحالة في كتب الحديث، الجماعة له الطلابه أعجوبة زمانه في علم الأنساب عمدة المشائخ والأصحاب، خاتمة المسندين، شرف الدين أبى محمد عبدالمؤمن بن أبي القاسم التوني رضي الله عنه وأرضاه وأثابه الجنة برحمته، بمدرسة الملك الظاهر بيبرس بين القصرين من مدينة القاهرة المعزية في العشر الأول لجمادى الأولى من سنة: (٦٩٦ هـ/ ١٢٩٧م)"[(٤)].

وقرأ أيضاً التجيبي على يد عدد من العلماء في المدرسة الظاهرية، ومنهم العالم أبوالهدى عيسي بن يحي بن أحمد بن محمد السبتى الصوفي[(٥)]والعالم ضياء الدين أبي محمد عيسى بن سليمان بن رمضان المصري الشافعي جزءاً فيه أحاديث أبي عبدالله

---

(١) العالم ضياء الدين السبتي: ولد في سنة: (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، قدم مع أبيه للحج، وسمع وقرأ على الصفراوي وابن المقير، وغيرهم من العلماء ولبس خرقة التصوف من السهروردي، توفي بالقاهرة في رجب سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م، وعمره ٨٣ سنة)، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٣٣٣، الذهبي: **العبر**، ٣/ ٣٨٧، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ١٠٧.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٣٧٤.

(٣) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٥٠.

(٤) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٥٣.

(٥) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٩١.

محمد بن يحي الذهلي[(١)].

وقرأ أيضا على العالم شجاع الدين أبومحمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن خلفيات القاهري[(٢)].

وقد أخبر العالم نور الدين أبوالحسن القرشي في المدرسه الظاهرية الرحالة التجيبي أبيات شعرية عن أبي عبدالله محمد بن عبدالقدوس الشافعي بظفار في جمادى الأول سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م).

أقسم بالله وآياته ومشعر الخيف ومرقاته
إن الحريري حري بأن تكتب بالتبر مقاماته[(٣)]

وقد ذكر الرحالة العبدري المدرسة الظاهرية عند الحديث عن العالم شرف الدين الدمياطي فقال: " ولم أر بهذه المدينة على كثرة الخلق بها أمثل وأقرب إلى الإنسانية، وأجمل معاملة من الشيخ الفقيه المحدث الرواية المسند المفتي الثقة، الضابط شرف الدين ذي الكنيتين أبو محمد وأبو أحمد عبدالمؤمن بن خلف أبي الحسن الدمياطي المحدث بالمدرسة الظاهرية "[(٤)].

### ٣- المدرسة الكاملية:

المدرسة الكاملية بناها السلطان الأيوبي الكامل[(٥)]، وكان السلطان الكامل بن

---

(١) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص١١٣.

(٢) التجيبي: **المصدر السابق**، ص١٣٢.

(٣) التجيبي: **المصدر السابق**، ص١٣٩، ١٤٠.

(٤) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٣٢، ١٣٣.

(٥) الكامل محمد بن العادل: ولد في سنة: (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) حكم مصر أربعين سنة منذ أيام والده، كان عاقلا مهيباً، كبير القدر، شهما شجاعا، حسن التدبير،فقيها فاضلاً سمع الحديث ورواه، وكان محب للعلم وأهله، أنشأ في القاهرة دار الحديث وعمر قبة على ضريح الشافعي، حارب الفرنجة في دمياط وانتصر عليهم، توفي الكامل في دمشق سنة: (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)، الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ⇦=

العادل شغوفاً بسماع الحديث الشريف، كما كان معظماً للسنة وأهلها، راغباً في نشرها فأنشأ بالقاهرة أول دار لتدريس الحديث: وهي المدرسة الكاملية وذلك في سنة: (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)[(١)].

ويذكر المقريزي بأن السلطان الكامل أوقف هذه الدار على المشتغلين بالحديث النبوي، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية[(٢)]. وأول من تولى التدريس في هذه الدار الحافظ أبوالخطاب ابن دحية [(٣)]وكان من المقربين للملك الكامل، ورتب فيها السلطان الكامل الأوقاف اللازمة لها للصرف على المدرسة وطلابها وأساتذتها، وأنشأ فيها منازل لسكنى طلاب العلم والمدرسين، كما أوجد فيها خزانة للكتب[(٤)].

وأشار للمدرسة كل من الرحالتين ابن رشيد والعبدري، فالرحالة ابن رشيد قرأ على العالم قطب الدين أبي بكر محمد ابن كمال الدين القسطلاني[(٥)] بالمدرسة

---

= ٢٢/ ١٢٩-١٣١، الغساني: **العسجد المسبوك**، ص٤٨٢، ٤٨٣.

(١) عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي: **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد**، ص٢٨٠، ٢٨٣.

(٢) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٢١٩.

(٣) هو الحافظ ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسين بن محمد الجميل بن فرح بن خلف السبتى، روى عن أبي عبدالله بن زرقون وابن بشكول، واهتم بعلم الحديث، تولى القضاء في دانية ثم عزل فرحل إلى أصبهان والعراق، وعاد إلى مصر في زمن السلطان الكامل فكان مكان اهتمام السلطان الكامل فعيينه شيخ دار الحديث بالقاهرة، وتوفي سنة: (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٥/ ٢٦٠، السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ص٥٠١، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢/ ١٤٣، ١٤٤.

(٤) عفاف صبره: **المدارس في العصر الأيوبي**، ص١٥٥.

(٥) العالم قطب الدين القسطلاني:، ولد سنة: (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) في مصر ونشأ في مكة، وسمع من عدد من العلماء منهم الشهاب السهروردى، تفقه في مذهب الإمام الشافعي، ورحل في طلب الحديث سنة: (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) وسمع الحديث في بغداد ومصر والشام والموصل وكان عابداً، زاهداً، كريم النفس كثير الاثيار، حسن الأخلاق،استقر في مكة ثم طلب إلى القاهرة، لتولي مشيخة دار الحديث الكاملية، وظل بها إلى أن توفي سنة: (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)، الكتبي: **فوات الوفيات**، ٣/ ٣١١،٣١٠، اليافعي: **مرآة** =

الكاملية في شهـر رجب سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[١].

وبينما الرحالة العبدري ذكر المدرسة الكاملية عند حديثه عـن العـالم تقـي الـدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد بقوله: "صاحب المدرسة الكاملية "[٢].

**٤- المدرسة الفارقانية:**

والمدرسة الفارقانية تقع في حارة الوزيرية في القاهرة، فتحت في يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة: (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م) وبها درس للطائفة الشافعية ودرس للطائفة الحنفية، أنشاها الأمير شـمس الـدين آق سـنقر الفارقـاني الـسلاحدار [٣]، كـان مملوكاً للأمير نجم الدين أمـير حاجـب، ثـم انتقـل إلى الملـك الظـاهر بيـبرس فترقـى عنـده في الخدم حتى صار أحد الأمراء الأكابر وولاه الأستادارية[٤].

وسمع الرحالة التجيبي فيها من العالم أبي محمـد الحـسن بـن عـلي بـن عيـسي بـن الحسن بن علي اللخمي الشافعي المعروف بابن الصيرفي[٥] ويقول في ذلك: "وسمعت

---

= الجنان، ٤/ ١٥٢، ١٥٣، الـذهبي: الأعـلام بوفيـات الأعـلام، ٢/ ٤٦٥، ابـن العـماد: شـذرات الـذهب، ٦/ ٥٩.

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ٤١٩.

(٢) العبدري: رحلة العبدري، ص١٣٨.

(٣) أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف حاكم الشام، ثم أصبح من مماليك السلطان الظاهر بيبرس وتقدم عنده، وجعله أستادارا، وكان كثير الوثوق به في أموره، وكان ينيبه في غيابه عن مصر ويقدمه على عساكره، وبعد وفاة السلطان بيبرس، جعله ابنه السعيد بركة نائباً لـه بعد وفاة الأمير بيليك الخازندار، انتهى أمره بالقبض عليه من قبل الخاصكية وسجنوه وظل في السجن إلى أن توفي في جماد الأول سنة: (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، ابن تغرى بـردي: النجوم الزاهرة، ط١، ٧/ ٢٣٨، ابن العماد: المصدر السابق، ٦/ ١١.

(٤) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٠٩.

(٥) هوالعالم الحسن بن علي بن عيسي الصيرفي كان من محدثي الحديث وأحد من عنى بالحديث وتدريسه، ولى مشيخة المدرسة الفارقانية، روي عن مجموعه من العلماء، وتوفي في ذى الحجه سنة: (٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م)، =

من لفظه بالمدرسة الفارقانية من القاهرة المعزية جزءًا لطيفا اقتبسه لنا من نهزة الخاطر ونزهة الخاطر من الفوائد المنتقاة الأحاديث العوالي، الموافقات والأبدال والتساعيات، والمصافحات، والأناشيد المستحسنات من تاليفه-رحمه الله تعالى-، وكتبه لنا بخط يده المباركة كافاه الله وجازاه خيرًا "(١).

٥- **المدرسة الفاضلية:**

والمدرسة الفاضلية بناها القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني(٢)، بجوار داره في سنة: (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية (٣)، وخصص إحدى قاعاتها لإقراء القرآن الكريم وتعلم علم القراءات على الإمام القاسم أبي محمد الشاطبي، وأوقف على هذه المدرسة عددًا كبيرًا من الكتب قيل: إنها بلغت مئة ألف كتاب، وجعل إلى جانبها كتّابا وقفه على تعليم الأيتام(٤).

ويقول المقريزي عنها: " وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة

---

= السيوطي: حسن المحاضرة، ١/ ٣٣٣، الذهبي: العبر، ٣/ ٣٩٨، ابن العماد: شذرات الذهب، ٦/ ١٢١.

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص١٢٠.

(٢) هو عبدالرحيم بن علي بن الحسن اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل، ولد(١٥ جمادي الآخرة سنة: ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م)، وتولى قضاء بيسان فلذلك نسب إليها، وقدم إلى القاهرة وعمل ككاتب للوزير العادل ابن الصالح بن رزيك، ولما تولي أسد الدين شيركوه الوزارة جعله صاحب الديوان، فلما أصبح صلاح الدين حاكم مصر جعله كاتب ووزيراً، توفي(١٧ ربيع الآخر سنة: ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م)، وكان كثير العبادة والصدقة والصلة بنى بالقاهرة إلى جانب داره مدرسة ومكتباً للأيتام ووقف جميع كتبه عليها، وبلغ عدد كتبه مئة ألف مجلد، الذهبي: المصدر السابق، ٣/ ١١٣، الأسنوي: طبقات الشافعية، ٢/ ١٣٧، ١٣٨.

(٣) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٠٤، نيل دى. ماكنزى: القاهرة الأيوبية دراسة طبوغرافية، ص١٩٧.

(٤) عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي، ص٢٨٢، ٢٨٣.

وأجلها، وقد تلاشت لخراب ماحولها "[١]، وسمع ابن رشيد فيها من العالم جمال الدين أبي صادق محمد بن الإمام رشيد الدين أبي الحسين القرشي الأربعين حديثاً المروية بالأسانيد المصرية بالمدرسة الفاضلية بزقاق القناديل من مصر المحروسة في السادس عشر من شهر صفر سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)[٢].

٦- **المدرسة الطيبرسية:**

تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر في القاهرة، وأنشاها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش في دولة الناصر محمد بن قلاوون وجعلها مسجد الله تعالى زيادة في الجامع، وقرر بها دروس للفقهاء الشافعية[٣] وقد أبدع في عمارة المدرسة، حيث كسا جدرانها بالرخام و ذهب سقوفها وانتهت عمارتها في سنة: (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) ثم تداولت أيدي نظار السوء على أوقافها فخربت أجزاء منها[٤].

إلتقى ابن رشيد مع صاحبه ورفيقه الوزير الكامل بدر الدين أبي عبدالله بن الحكيم فيها بالعالم شرف الدين محمد بن عمران الكركي[٥].

٧- **المدرسة الصلاحية "الشافعية"**[٦].

والمدرسة الصلاحية بناها السلطان صلاح الدين بجوار الإمام الشافعي

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٢٠٥.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٥/ ٣١٩.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٣١، محمد عبد السلام إبراهيم: **التراث المعمارى في مصر الإسلامية**، ١/ ١٦٢.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٣١، ٢٣٢، نوف الحازمي: **أثر الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحياة العلمية في عهد المماليك الجراكسة في مصر**، ص٢٧٣.

(٥) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣٤٣.

(٦) لم يذكر الرحالة البلوى اسم المدرسة ولكن اكتفي عند الحديث عن ضريح الإمام الشافعي ومسجده بالإشارة إليها فقد.

ﷺفي سنة: (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م). ويصفها السيوطي بقوله: " تاج المدارس وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي " [(١)].

ويقول فيها الرحالة البلوي: "وبإزاء هذا المسجد العظيم (مسجد الإمام الشافعي ﷺ) مدرسة مختلفة الصنعة سامية المنية" ووصفها البلوي بقوله: "أعظم المدارس اتساعا، وأعلاها سموا وارتفاعا، فيها من المنازل الرفيعة والرواتب الموقفة، والمياه الجارية،مايقر بالعين ويملأ اليد بالمين، ويريك ذوائب الذهب في سبابيك اللجين"[(٢)].

٨ - **المدرسة الناصرية:**

المدرسة الناصرية ابتدأها السلطان العادل كتبغا، ولم يتم عمارتها. ولما عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الحكم للمرة الثانية سنة: (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) أمر بإتمام عمارتها، فكمل البناء فيها سنة: (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)[(٣)].

وعند إتمامها رتب فيها السلطان الناصر محمد بن قلاوون دروس لتدريس المذهب المالكي والحنبلي والشافعي والحنفي، وقرر عند كل مدرس منهم عدداً من الطلبة، وأجرى عليهم رواتب مخصصة لهم، وألحق بها خزانة تحوي كتباً جليلة، ويقول المقريزي عن المدرسة الناصرية: " وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة إلى الغاية، يجلس بدهليزها عدة من الطواشية، ولا يمكن غريب أن يصعد إليها"[(٤)]، وقد سمع فيها الرحالة البلوي وأخذ من العالم أبي الأصبغ **عيسي بن مخلوف المغيلي**[(5)]ويقول في ذلك:

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ٢٢٥.

(٢) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) السيوطي: المصدر السابق، ٢/ ٢٣٢، المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٢٩.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ٤/ ٢٣٠.

(٥) كان من فضلاء المالكية وأعيانهم في مصر ولي قضاء المالكية فيها، فحمدت سيرته توفي سنة: (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، السيوطي: المصدر السابق، ١/ ٣٩٧، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٢٨٤، =⇦

"ومما سمعت منه وأخذت عنه الشيخ العالم الأوحد أبوالأصبغ عيسى بن مخلوف المغيلى" وبعد وصفه بعدد من الصفات يقول البلوي "لقيته بالمدرسة الناصرية من القاهرة المعزية فسمعت فوائد من لفظه وقيدت شوارد من حفظه"[١].

## ومن مدارس الإسكندرية:

### ١- المدرسة الزكوية:

ذكر ابن رشيد المدرسة الزكوية التي قرأ بها العالم جمال الدين أبوعبدالله محمد بن حسن ابن علي المعروف بابن التونسي على الفقيه أبو زيد عبدالرحمن المقري[٢].

### ٢- المدرسة النبيهية[٣]:

سمع ابن رشيد على العالم أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدالمحسن الغرافي[٤] بدار الحديث النبيهية بثغر الإسكندرية ثلاثيات الإمام أبي عبدالله البخاري، وذلك سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[٥].

### ٣- مدرسة ابن الأبزاري:

قرأ ابن رشيد على العالم تاج الدين أبي الحسن علي ابن الإمام أبي العباس الغرافي

---

= ابن القاضي: **درة الحجال**،٣/ ١٨٨، التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ١/ ٣٢٥.

(١) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٣٦.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ١٣، ١٤.

(٣) والمدرسة النبيهية عرفت تارة بالمدرسة النبيهية وتارة باسم دار الحديث النبيهية، وكانت مخصصة لتدريس علم الحديث، أمال رمضان عبد الحميد: **الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي**، ص٢٩٤.

(٤) والغرافي من محدثي الإسكندرية، روى عن مجموعه من العلماء، تفرد ورحل إليه الكثير من طلاب العلم، توفي في ذي الحجة سنة: (٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م) وقد بلغ عمره ٧٦ سنة،كان فقيهًا، عالمًا، ثقة، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٣٣٤، الذهبي: **ذيول العبر**، ٤/ ١١.

(٥) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ٧٨.

بثغر الإسكندرية بمدرسة ابن الأبزاري في منتصف جماد الآخر من سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[١] ومن أشهر من ألقى دروس فيها، الفقيه المحدث ناصر الدين محمد بن عبدالوهاب بن عطية الإسكندراني حيث تولى مهنة قاري الحديث[٢].

**ومن مدارس مدينة قوص.**

**١- المدرسة السابقية في مدينة قوص.**

فقد قرا الرحالة التجيبي وسمع من العالم أبي القاسم هبة الله بن عبدالله بن سيد الكل القفطي المعروف بالبهاء[٣] بالمدرسة السابقية في قوص جميع اختصار السير، وبعض نزهة الأنوار، وبعض الأنباء المستطابة، وبعض المقالة الموضحة لمبادئ الأنوار في ثلاثين جمادي الثاني سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)[٤].

ومن خلال ما تم عرضه سابقاً يقدم لنا الرحالة معلومات عن دور المدارس في ازدهار الحركة العلمية في مصر وكثرة إقبال طلاب العلم من مختلف أقطار الأرض لتلقي العلم على يد كبار علمائها وفي مدارسها، كما وضح لنا الرحالة مدى استفادتهم من الدراسة فيها على يد كبار علمائها.



(١) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٨٢.

(٢) الصفدي: **أعيان العصر وأعوان النصر**، ٤/ ٥٥٦، أمال رمضان عبد الحميد: **الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي**، ص٢٩٥.

(٣) العالم هبة الله القفطي: ولدفي سنة: (٦٠٠/ ١٢٠٣ م وقيل: ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) نزيل إسنا، قرأ على العالم مجد الدين علي بن وهب القشيري الفقه والأصول والعربية، وقرأ الأصول على العالم شمس الدين محمد الأصبهاني بقوص، ودخل القاهرة واستفاد من العالميين عز الدين بن عبدالسلام والزكي المنذري ثم رجع إلى بلده، ولي قضاء أسنا وتدريس المدرسة المعزية، توفي بإسنا في سنة: (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، ابن تغرى بردى: **المنهل الصافي**، ١٢/ ٤٤، ٤٥، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ١١١.

(٤) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص١٧٧، ١٧٨.

## المطلب الثاني: المساجـــــد

ذكر عدد من الرحالة المساجد الموجودة في مصر ومنها جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه[(١)] وجامع أحمد بن طولون[(٢)] وجامع الحاكم بأمر الله[(٣)] والجامع الأزهر[(٤)]. وكذلك قدموا لنا معلومات عن المساجد الموجودة في مدن الصعيد في مصر. فالرحالة ابن بطوطة وصف لنا مدينة أبيار[(٥)] وقال عنها في وصفه: بأنها كثيرة المساجد وكذلك وصف لنا مدينة قوص بأنها كثيرة المساجد وكذلك وصف مدينة أسنا بكثرة الجوامع[(٦)] وفي مصر وجدت في القرافات المساجد وفي ذلك يقول البلوي: " ثم قصدتُ القرافة وهى ما بين مصر والقاهرة بلدة منفردة بنفسها مستقلة بأسواقها ومساجدها وهي إحدى العجائب بما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء-صلوات الله عليهم-وأهل البيت -رضوان الله عليهم-والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنبياء الغربية-نفعنا الله تعالى-بحبهم وأفاض علينا من بركاتهم بمنه " [(٧)].

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٧، البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٢٠، ٢٢١، ابن رشيد: **ملء العيبه**، ٣/ ٩٩.

(٢) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢١، ٢٢، التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٦، البلوى: **المصدر السابق**، ١/ ٢١٥، ٢١٦.

(٣) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٥، ٦.

(٤) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٤٦، التجيبي: **المصدر السابق**، ص٥، ٦.

(٥) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٣١، و **أبيار**: اسم قرية بجزيرة بني نصر بين مصر والإسكندرية، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ١/ ٧٧

(٦) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٥٢.

(٧) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٢٣.

## ١- مسجد ابن طولون:

أما عن الحياة العلمية داخل المساجد فقد قدم لنا الرحالة التجيبي وصفاً لمدى اهتمام السلاطين بالدراسة داخل المساجد، فرتبوا فقهاء يعلمون الناس ويفقهونهم ويلقنون العلم للصبيان.

نورد في ذلك قول الرحالة التجيبي عن جامع ابن طولون ومدى اهتمام السلطان لاجين به فقال: " ورتب فيه ثلاثين نفساً يتفقهون على مذهب الإمام مالك-رحمه الله-، وشيخا يتفقهون عليه، ومثلهم على مذهب الإمام الشافعي، وكذلك على مذهب الإمام أبي حنيفة ومثلهم على مذهب الإمام أحمد-رحمهم الله أجمعين-ومثلهم محدثين، وعشرة من الأطباء يقرئون الطب، وشيخا يقرؤون عليه، وطائفة من القراء ومن يلقن الصبيان الأيتام، إلى غير ذلك من وجوه البر وأجرى لجميعهم أرزاقا جمة ووقف لجميع ذلك أموالا عظيمة-نفعه الله تعالى- "[(١)].

وبعد عهد السلطان حسام الدين لاجين، في سنة: (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) اهتم الأمير يلبغا العمري الخاصكي[(٢)] بجامع ابن طولون فجدد فيه دروساً للحنفية وعيّن به سبعة من المدرسين، وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهما وأردب قمح[(٣)].

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٧.

(٢) يلبغا بن عبدالله العمري الناصري الأتابكي الخاصكي: كان أستاذ للسلطان الظاهر برقوق، اشتراه الناصر حسن وأعتقه، وتولى يلبغا عدة وظائف في عهد الناصر حسن (أمير عشرة، طبلخاناه) إلى أن أصبح من كبار الأمراء في دولة السلطان الناصر حسن ومن المتمكنين في دولة المماليك، وقد كانت نهاية السلطان الناصر حسن على يده،حيث قتل يلبغا أستاذه الناصر حسن وسلطن بعده السلطان المنصور محمد بن المظفر حاجي، ثم خلعه وسلطن بعده أخيه الأشرف شعبان وأصبح هو المتحكم في دولة المماليك أما السلطان فليس له في السلطنة سوى اسمه، ولما ازداد ظلمه انتهى أمره بسجنه وقتله على يد مماليكه بتأيد من السلطان الأشرف شعبان سنة: (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)،ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ١٢/ ١٥٧ - ١٦٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ٦/ ٤٠٩، ٤١٠

(٣) المقريزي: الخطط، ٤/ ٤٤، عبدالغنى عبدالعاطي: التعليم في مصر، ص١٧٥.

## ٢ - مسجد عمرو بن العاص:

وأعطى العلماء الدروس داخل المساجد، كمسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه والجامع الأزهر وجامع ابن طولون، وفي ذلك يذكر لنا ابن رشيد أنه التقى بالعالم شرف الدين محمد بن الرشيد الشافعي السعدي في جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه وسأله الإجازة فأجاز العالم السعدي لابن رشيد لفظاً، وكتب له بخطه الإجازة أكثر من مرة[١]، ويذكر ابن رشيد أنه لما وصل إلى مصر استصحب معه إلى المسجد الأعظم مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه أحد الفقراء ليدلّه على الطريق وأخذ يطوف في المسجد بعد صلاة العصر فوجد فيه حلقات لقراءة القرآن وبعضها للعلم، فدنا من إحدى الحلقات فكانت للعالم محمد بن إبراهيم المشهور بابن النحاس[٢].

وجامع عمرو ابن العاص رضي الله عنه يعدّ من أقدم المعاهد العلمية في مصر وبدأت الدارسة فيه سنة: (٣٦هـ/ ٦٥٦م)ولكنها لم تكن على هيئة حلقات علم إنما كانت دروس وعظ وتفقيه للناس في أمور دينهم، وشرح للقرآن والسنة، لكن بدأت حلقات العلم تظهر وتنمو أكثر مع ظهور المذاهب السنية في مصر واتخاذ كل مذهب أماكن له للتدريس في الجامع، فعندما حضر الإمام الشافعي-رحمه الله- إلى مصر سنة: (١٨٢هـ/ ٧٩٨م) وجد بها ثمانية زوايا، فدرسّ في واحدة منها عرفت به، و في سنة: (٣٢٦هـ/ ٩٣٧م) وجد بها ثلاث وثلاثون حلقه منها خمس عشرة حلقة للشافعية وأخرى للمالكية وثلاث حلقات للحنفية[٣]. وامتاز النشاط العلمي في داخل جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه بكثرة الزوايا التي رتبها كبار الفقهاء وجلة العلماء وأوقفوا عليها

---

(١) ابن رشيد: **ملء العيبه**، ٣/ ٩٩.

(٢) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ١٠٧، ١٠٩،: والعالم محمد بن إبراهيم المعروف بابن النحاس، هو شيخ العربية في مصر، روى عن عدد من العلماء منهم الموفق بن يعيش وابن اللتى وغيرهم، اتصف بالذكاء فكان من أذكى أهل زمانه، توفي جماد الأول سنة: (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) وعمره ٧١ سنة، الذهبي: **العبر**، ٣/ ٣٩٢، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ١١٤.

(٣) عبدالغنى محمود عبدالعاطى: **التعليم في مصر**، ص١٦٠.

الأوقاف الجليلة، نذكر منها الزاوية المجدية بصدر الجامع، رتبها مجد الدين أبوالأشبال الشافعي، وقرر في تدريسها قريبه قاضي القضاة وجيه الدين عبدالوهاب البهنسي[(١)] وأوقف على هذه الزواية عدة أوقاف في مصر والقاهرة، ومنها الزاوية الصاحبية، رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين بن حنا ورتب بها للتدريس مدرسيْن أحدهما مالكي والآخر شافعي، وأوقف عليها وقفاً بظاهر القاهرة بخط البراذعيين. ومنها الزاوية الكمالية، رتبها كمال الدين السمنودي وأوقف عليها فندقاً بمصر. إلى غير ذلك من الزوايا، ويذكر المقريزي أن النشاط العلمي استمر في جامع عمرو بن العاص ﷺ حتى سنة: (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) قبل الوباء الذي حل بمصر زمن السلطان الناصر حسن، فقال: فوجدت " بضعاً وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه "[(٢)].

## ٣- مسجد الأقمر:

فيذكر ابن رشيد تدريس العالم محمد بن إبراهيم المشهور بابن النحاس في مسجد الأقمر[(٣)] فقد كان الشيخ يأتي إلى مصر ليدرس يومين في كل جمعة، ويقول ابن رشيد عن حلقاته: " فبكرت في يوم الاثنين إلى المجلس المذكور الذي تقدم الوعد إليه فألفيت جمعاً من صدور أهل العلم قد اجتمعوا بين يديه من شيوخ وكهول وشبان وسمعت مآخذ ومذاكرة ومناظرة أقوى مما سمعت بالأمس فطال المجلس وأردت الانصراف، فأشار بالجلوس إلى أن يتم المجلس، فلما أراد القيام قام التلاميذ معه وأحدقوا به يقرؤون عليه في الطريق إلى منزله، ما بقي من دولهم، فدرسهم طول

---

(١) الوجيه البهنسي عبدالوهاب بن الحسن، كان إماماً كبيراً في الفقه، ديناً ولي قضاء الديار المصرية، وتوفي سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٣٦٠.

(٢) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٢٢.

(٣) أنشا الأمير المأمون بن البطايحي جامع الأقمر بناء على أوامر الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي سنة: (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) واشترى له حمامًا ودارًا وأوقفها على سدنته، ووقود مصابيحه ومن يتولى أمره ويؤذن فيه، المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٧٩.

الطريق إلى أن وافى منزله، فدخل معه فريق وانفض فريق "[١].

ومن أشهر الدروس التي ألقيت في جامع الأقمر دورس في الفقه الشافعي ودورس في النحو، ومن العلماء الذين ألقوها خلال العصر الأيوبي[٢]نذكر القاضي أبا عمرو عثمان بن محمد بن أبي علي بن عمر بن محمد بن موسي الكردي الحميدي الشافعي قدم إلى مصر وتولى القضاء بدمياط ثم عاد إلى القاهرة وناب عن قاضي القضاة عبدالملك بن عيسي الماراني ودرس بجامع الأقمر والمدرسة السيفية مدة[٣]، ومنهم الفقيه: أبوالقاسم خلف بن أبي المجد الأنصاري الشافعي تصدر للتدريس بالجامع الأقمر مدة[٤]، وكذلك الفقيه الجليل أبوعمرو عثمان بن سعيد بن كثير الصنهاجي الفاسي الذي تولى التدريس في جامع الأقمر إلى وفاته[٥].

### ٤- مسجد الأزهر:

اتخذ بعض العلماء الجوامع مكان للسكن وإعطاء الدروس داخله، مثل العالم قوام الدين الكرماني[٦]، وفي ذلك يقول ابن بطوطة: " ومنهم قوام الدين الكرماني وكان سكناه على سطح الجامع الأزهر، وله جماعة من الفقهاء والقراء يلازمونه

---

(١) ابن رشيد: **ملء العيبه**، ٣/ ١١٠.

(٢) شوكت الأتروشي: **الحياة الفكرية في مصر**، ص٣٢٨.

(٣) المنذري: **التكملة لوفيات النقلة**، ٣/ ٩٧، الأسنوي: **طبقات الشافعية**، ٢/ ١٨٦.

(٤) المنذري: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٩٠.

(٥) المنذري: **المصدر السابق**، ٣/ ٥٧٨.

(٦) العالم قوام الدين الكرماني: ولد في سنة: (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، تفقه ببلاده ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى القاهرة في سنة: (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، فانقطع بسطح الجامع الأزهر، ودرس وأفتى وبرع في الفقه وأصوله والعربية، توفي في شوال سنة: (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٥/ ١١٦، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٣٣٩.

ويدرسون فنون العلم، ويفتي في المذاهب"[(١)].

والنشاط العلمي في الجامع الأزهر ظل قائماً في عصر الأيوبيين فقد تفرغ لمهمة التعليم وتخريج الطلاب على الرغم من أن صلاح الدين قد ألغى الخطبة فيه، واكتفى بإقامة الخطبة في جامع الحاكم بأمر الله لأنه أوسع مكاناً[(٢)].

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس سنة: (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) أعيدت الخطبة إلى الجامع الأزهر وأقيمت الجمعة فيه وذلك برعاية الأمير عزالدين أيدمر الحلي الذي قام بترميم وإصلاح الجامع وساعده الأمير بيلبك الخازندار فعمل بالجامع مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه الشافعي، ورتب أيضاً محدثاً ليسمع الحديث النبوي والرقائق ورتب به سبعة لقراءة القرآن، وأوقف عليها الأوقاف[(٣)].

وقام بعض الأمراء ببناء مدارسهم بجوار الجامع الأزهر، من ذلك بناء الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش فبنى مدرسته الطيبرسية بجوار الجامع الأزهر وقرر بها دروساً للفقهاء الشافعية[(٤)]. وكذلك أنشأ الأمير علاء الدين أقبغا عبدالواحد المدرسة الأقبغاوية بجوار الجامع الأزهر وقرر فيها دروساً للشافعية ودروساً للحنفية، وقرر بها طائفة من القراء يقرؤون القرآن وأوقف عليها حوانيت وقرية بالوجه القبلي[(5)]، وعلى الرغم من الاهتمام ببناء المساجد سواء في المدن الكبيرة في مصر أومدن الصعيد وحتى في القرافات، وعلى الرغم من حرص السلاطين على الاهتمام بأن تبقى المساجد منارة للعلم بترتيب فقهاء وعلماء يعطون الدروس لطلاب العلم، إلا أننا نجد الرحالة العبدري يعيب على المجتمع المصري عدم الاهتمام

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٦.

(٢) شوكت الأترشي: **الحياة الفكرية في مصر**، ص٣٢٦.

(٣) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٥٥.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٣١.

(٥) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٢٣٢، ٢٣٣.

بالمساجد والجوامع وإهمالها، وفي ذلك يقول: " ومن الغرائب عندهم تضييع المساجد والجوامع وإهمالها وقلة التحفظ فيها، حتى تصير مثل المزابل، وتسود حصرها وحيطانها من الأوساخ وقد صليت الجمعة في بعض المساجد وجوامعها فرأيت فيه أكواما من أنواع الكناسات وهم يعتقدون نجاسة مساجدهم وجوامعهم وهي كذلك. فلا يأتي من مصليهم شخص الا بحصير أو ثوب يصلي عليه وقد رأيتهم يفرشون في المحراب ما يصلي عليه الإمام. فما أكثر جفاءهم، وما أقل من الله حياءهم، ولولا لطف الله في تملك الأتراك لهم ما أمكن المقام بها مسلما " [1].

وهنا نجد الرحالة العبدري ينفرد وحده دون الرحالة الآخرين بوصف حالة المساجد في مصر من حيث نظافتها وأهمالها حتى أصاب السواد حصرها واتسخت حيطانها، في حين أغفل العبدري الإشارة بدور المساجد التعليمي من التقاء العلماء والدروس المقامة في تلك المساجد كما وضحنا في العرض السابق.

(١) العبدري: رحلة العبدري، ص١٢٧، ١٢٨.

## المطلب الثالث: الزوايا والأربطة

لقد أعطنا الرحالة ابن بطوطة وصفاً للزوايا التي في الصعيد والحياة داخلها ولا نجد الرحالة الآخرين يذكرون لنا الزوايا غير ابن بطوطة.

ومن الزوايا التي ذكرها ابن بطوطة زاوية العالم أبي عبدالله المرشدي(١)المنقطع بمنية بني مرشد وفي ذلك يقول: " أنه منقطع بمنية بني مرشد له هنالك زاوية هو منفرد فيها لا خديم له، ولا صاحب، ويقصده الأمراء والوزراء وتأتيه الوفود من طوائف الناس في كل يوم فيطعمهم الطعام، وكل واحد منهم ينوي أن يأكل عنده طعاماً أو فاكهة أو حلوى، فيأتي لكل واحد بما نواه وربما كان ذلك في غير إبانه. ويأتيه الفقهاء لطلب الخطبة فيوّلي ويعزل وذلك كله من أمره مستفيض متواتر. وقد قصده الملك الناصر مرات بموضعه "

ثم يصف لنا ابن بطوطة من لقي عند وصوله لزواية أبي عبدالله المرشدي وما فعله العالم أبوعبدالله المرشدي عند رؤية ابن بطوطة: " فلما وصلت المدينة تعديتها ووصلت إلى زاوية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر، وسلمت عليه، ووجدت عنده الأمير سيف الدين يلملك وهو من الخاصكية والعامة تقول فيه الملك فيخطئون ونزل هذا الأمير بعسكره خارج الزاوية لما دخلت على الشيخ-رحمه الله-، قام إليّ وعانقني وأحضر طعاماً فواكلني " (٢).

---

(١) محمد المرشدي: أقام بالقاهرة مدة من الزمن وتعلم بها الفقه، ثم رحل إلى قرية منية بنى مرشد وانقطع بها حتى توفي واشتهر أمره بين الناس وزراه الأمراء، توفي رمضان سنة: (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) ودفن بزاويته بمنية مرشد قرب فوة، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٤/ ١٥٣، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ط١، ٩/ ٢٢٩، المناوي: **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، ٤/ ٥٤٥، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٢٨٧.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢٨، ٢٩.

وذكر لنا أيضا زواية الشيخ مرزوق في مدينة البرلس ونسترو: "وبها قبر الشيخ مرزوق صاحب المكاشفات، فقصدت تلك البلاد ونزلت بزواية الشيخ المذكور " كما نزل ابن بطوطة في زواية الشيخ شمس الدين القلوي[١].

وذكر لنا زاوية أخرى بخارج مدينة دمياط بجزيرة البرزخ " وبخارجها جزيرة بين البحرين والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية، لقيت بها شيخها المعروف بابن قفل وحضرتُ عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من الفقراء الفضلاء المتعبدين الأخيار قطعوا ليلتهم صلاة وقراءة وذكر "، وذكر كذلك زاوية الشيخ جمال الدين الساوي في مدينة دمياط "وبها زواية الشيخ جمال الدين الساوي قدوة الطائفة المعروفة بالقرندرية، وهم الذين يحلقون لحاهم وحواجبهم. ويسكن الزاوية في هذا العهد الشيخ فتح التكروري "[٢]، وكذلك ذكر لنا زاوية أخرى خارج مدينة دمياط في موضع يعرف بالمنية فيه الشيخ المعروف بابن النعمان[٣].

وبعد أن ذكر أسماء الزوايا التي مر بها ذكر لنا ابن بطوطة كثرة الزوايا في مصر وتنافس الأمراء في بنائها وخدمة الفقراء فيها وقدم لنا وصفاً للحياة داخل الزوايا " وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق، واحدتها خانقة والأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا، وكل زواية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الأعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف. ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب، ومن عوائدهم في الطعام أنه يأتي خديم الزاوية إلى الفقراء صباحاً فيعين له كل واحد ما يشتهيه من الطعام فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل إنسان خبزه ومرقة في إناء على حدة لا يشاركه فيه أحد، وطعامهم مرتان في اليوم، ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهماً للواحد في الشهر إلى عشرين، ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة، والصابون لغسل أثوابهم، والأجرة لدخول الحمام

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٢.

(٢) ابن بطوطة: المصدر السابق،، ص٣٣، ٣٤.

(٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص٣٥.

والزيت للاستصباح وهم أعزاب، وللمتزوجين زوايا على حدة. ومن المشترط عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية واجتماعهم بقبة داخل الزاوية ومن عوائدهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به، وإذا صلوا صلاة الصبح قرؤوا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم، ثم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم، مجزأة فيأخذ كل فقير جزءًا ويختمون القرآن ويذكرون ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر، ومن عوائدهم مع القادم أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة وبيمناه العكاز وبيسراه الإبريق فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه، فيخرج إليه ويسأله من أي البلاد أتى وبأى الزوايا نزل في طريقه ومن شيخه، فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به، وأراه موضع الطهارة، فيجدد الوضوء ويأتي إلى سجادته فيحل وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم، ومن عوائدهم أنهم إذا كان يوم الجمعة أخذ الخادم جميع سجاجيدهم فيذهب بها إلى المسجد ويفرشها لهم هنالك ويخرجون مجتمعين ومعهم شيخهم فيأتون المسجد ويصلي كل واحد سجادته، فإذا فرغوا من الصلاة قرؤوا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين إلى الزاوية ومعهم شيخهم "[(١)].

وذكر لنا ابن بطوطة نزوله في زاوية الشيخ أبي العباس بن عبدالظاهر في مدينة أخميم[(٢)]، وعاداتهم في الزاوية بعد صلاة الجمعة " ومن عادتهم أن يجتمعوا جميعاً بعد صلاة الجمعة ومعهم الخطيب نور الدين المذكور وأولاده وقاضي المدينة الفقيه مخلص وسائر وجوه أهلها، فيجتمعون للقرآن، ويذكرون الله إلى صلاة العصر، فإذا صلوها قرؤوا سورة الكهف ثم انصرفوا "[(٣)].

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٧، ٣٨، ٣٩.

(٢) **أخميم**: بلد بالصعيد تقع على شاطئ النيل، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ١/ ١٠٥.

(٣) ابن بطوطة: **المصدر السابق**، ص٥١.

أما الرباط فقد ذكر لنا الرحالة رباط الصاحب تاج الدين بن حناء [١] بدير الطين أثناء سفره من مصر على طريق الصعيد وما توفر في هذا الرباط للواردين عليه " ثم كان سفري من مصر على طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف، فبت ليلة خروجي في الرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حناء بدير الطين، وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه، وهي قطعة من قصعة رسول الله ﷺ، والميل الذي يكتحل به والدرفش، وهو الإشفاء الذي يخصف به نعله، ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده رضي الله عنه ويقال: إن الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمئة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدام تلك الآثار الشريفة" [٢] وهنا نجد الرحالة ابن بطوطة يمدنا بمعلومات عن كثرة الزوايا بمصر في مدن الصعيد ودمياط ومدى تنافس الأمراء في بناء الزوايا والحياة داخل الزوايا من تخصيص مرتب شهري وطعام وكسوة في الصيف وفي الشتاء للمقيمين فيه، كما أمدنا بمعلومات عن الرباط من تقديم الطعام للواردين عليه في حين أن الرحالة الآخرين لم يمدونا بمعلومات عن الزوايا أو الأربطة في مصر.

---

(١) الصاحب تاج الدين بن حنا: كان محتشما، عادلا، شاعراً، من رجال الكمال، وزير ابن وزير، انتهت إليه رئاسة مصر، وكان كثير الصدقات والتواضع، توفي في مصر سنة: (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، الذهبي: ذيول العبر، ٤/ ١٥، الشافعي: قلادة النحر، ٦/ ٣٩، ٤٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ٦/ ١٥٣

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٤٧.

# المبحث الثاني

## المناهج وأساليب التعليم

ورد الحديث عن جوانب من أساليب التعليم من خلال كتب الرحالة ونذكر منها

١- **السماع من الشيخ والقراءة عليه:**

فقد ذكر الرحالة ابن رشيد السماع من العديد من علماء المحدثين مثل العالم أبي عبدالله محمد بن عاصم بن عبدالله بن محمد بن إدريس القيسيى الأندلسي فقد سمع منه الأربعين حديثاً المروية بالأسانيد المصرية [(١)].

وذكر الرحالة العبدري القراءة والسماع من العالم زين الدين علي بن محمد المعروف بابن المنير الذي أجازه وقال عنه: "وله على التأليف حسن اقتدار، وفي إجادة التصنيف مكانة تدل على أنه لراية المجد ذو ابتدار، بدأ على البخاري شرحا مؤسس المبانى، محقق المعانى، زانه حسن العبارة، في التصريح والإشارة،أن قضى الله له بالتمام كان مفتاحا يعول في كل مشكلات المشروح عليه ومصباحا يلجأ في إزاحة ظلام الشكوك إليه. قرأت عليه بعضه وسمعت منه مواضع قصد قرءاتها علي وأجازني ما نجز منه "[(٢)].

ويذكر الرحالة العبدري القراءة على العالم ابن المنير الأربعين حديثا البلدانية للإمام الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد السلفي، وصدر الموطأ برواية يحيي بن يحيي،

---

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٥/ ٣١٩.

(٢) العبدري: رحلة العبدري، ص١٠٠-١٠٧.

وبعض الجزء الثاني من مختصر الفقيه الإمام العالم أبى عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب في الفقه على مذهب مالك، وسمع العبدري من العالم ابن المنير فصلاً من كلام أخيه ناصر الدين في ذكر بعض مناهل الحج ونقله العبدري من خط أخي العالم ابن المنير ناصر الدين [(١)].

والرحالة التجيبي قرأ على العالم شرف الدين التوني المائة التساعية في الموافقات والأبدال العلية، وكتاب فضل إتباع صوم رمضان بست من شوال، والجزء الأول من الأربعين الكبرى المتباينة الإسناد والأربعين الصغرى المتبانية الإسناد، وكتاب كشف المغطى، وكتاب أخبار الخزرج بن حارثة ومافيها من القبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والفضائل ومن فيها من الصحابة والتابعين، وكتاب العقد المثمن والمجلس الثامن والثلاثون بعد المائة من أمالي الحافظ أبى القاسم علي بن عساكر الدمشقي وسمع منه أحاديث من صحاح الإمام مسلم[(٢)].

والرحالة البلوي قرأ على العالم تقى الدين أبي التقى صالح بن مختار الأسندي جميع الأربعين حديثا لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، وسمع على العالم تقى الدين الأسندي جميع الأربعين حديثاً البلدانية للحافظ أبي طاهر السلفى، وكذلك قرأ البلوي على العالم أثير الدين ابن حيان الأندلسي بعض القرآن العظيم بالقراءات السبع بقراءة الإمام أبي عمرو الدانى وبالإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء وبقراءات يعقوب الحضومي، وسمع جميع الجزء الذي أملاه في الفوائد والفرائد المنتقاة والغرائب عن الشيوخ العوالى وقرأ عليه كثيراً من ديوان شعره ومن رسائلة ونثره[(٣)].

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٠٠-١٠٧.

(٢) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٣٧-٥٠.

(٣) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٢٦-٢٣٠.

## ٢- إملاء العالم على الرحالة[1]:

وقد ذكر ابن رشيد إملاء العالم تقي الدين ابن دقيق العيد عليه " إملاء وأنا أسمع من لفظه وأكتب بين يديه وسماعا أيضا عليه بقراءة غيري بالقاهرة المعزية في العاشر لصفر إثر قفولي من الحج عام خمسة وثمانين " ثم بعد ذكر رواة الحديث ذكر الحديث عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الفطرة خمس: الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط"[2].

وفي موضع آخر يذكر ابن رشيد إملاء الأديب جمال الدين محمد بن الجابي البزار أبيات شعرية " أنشدني لنفسه وأملاه علي يخاطب شمس الدين أبا عبدالله بن النعمان – رحمه الله-.

عرج بباب المنحنَى وقبابه ... وأسال أهيل الحي عن أعرابه

وانشد فؤاد متيم قلق الحشا ... يشكو الجفا والبعد من أحبابه

واقرأ السلام على الحبيب وقل له ... صلْ والهاً تحظ غدا بثوابه

إلى آخر القصيدة[3].

---

(١) **الإملاء**: يعتبر هذا الأسلوب من أقدم الأساليب التعليمية في التعليم، كان المتكلمون والمحدثون يمارسونه منذ القرن الثالث الهجري، وخاصة في علم الحديث واستمرهذا الأسلوب حتى أواخر دولة المماليك، وكانت حلقات الإملاء تعقد في مجالس حاشدة، يجتمع لها الألوف من طلبة العلم، وعلى راسهم الأستاذ المملي الذي يملي عليهم ما حفظه عادة، وربما يتضاءل عدد الذين يكتبون الإملاء حتى يصل إلى شخص واحد، فيملي واحد على الآخر، علي النباهين: **نظام التربية في عصر المماليك في مصر**، ص٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٣) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٤٠٣، ٤٠٤.

**كذلك من أساليب التعليم التي وردت عند الرحاله الإجازة وهي:**

**٣- الإجازة وهي على ثلاثة أنواع:**

**أـ الإجازة[١] كتابة:**

أجاز العالم ابن دقيق العيد الرحالة العبدري بكل مسموعاته وجميع ما ألفه وصدر منه وكتب له بذلك. وفي ذلك يقول العبدري "وقد أجاز لي جميع ماحدث به من مسموعاته وجميع ما صدر منه من نظم ونثر وكذلك أجاز ولدي محمد وفقه الله وقيد لي بذلك خط يده " [٢].

**ب – الإجازة لفظاً:**

فقد لقي ابن رشيد في جامع عمرو بن العاص ﵁ العالم شرف الدين أبي عبدالله محمد بن الرشيد السعدي الشافعي سأله ابن رشيد الإجازة فأجازه لفظا[٣].

**ج – الاجازة للأطفال:**

لم يتطرق الرحالة لأساليب تعليم الأطفال ولكن بعضهم قد أخذ الإجازة له ولولده وأخواته، منهم الرحالتين العبدري وابن رشيد، فقد أخذ العبدري الإجازة له ولولده محمد وأخواته الصغار من العالم شرف الدين الدمياطي وفي ذلك يقول: " ولما استجزته لي ولولدي محمد هداه الله ووقف على الاستدعاء لذلك قال لي: ألك ولد

---

(١) **الإجازة:** الإجازة العلمية هي شهادة شخصية يمنحها أحد العلماء لأحد تلاميذه، ويشهد فيها أن التلميذ المذكور قرأ كتاب كذا، قراءة فهم ومعرفة وتدبر، أو أنه أصبح ماهراً في الفقه، فيكون أهلاً للفتيا وأنه أجازه بها أى: صرح له بمزاولتها أو أنه برع في الأدب وأصبح كفأ لرواية كتاب فيه أو ديوان، أو أنه سمع عنه جملة من أحاديث الرسول ﷺ ورواها بسندها وحفظها بالسند، وأنه أجاز له روايتها عنه باعتباره حافظاً جديداً من حفظها، علي النباهين: **نظام التربية في عصر المماليك في مصر**، ص٣٧٧.

(٢) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٣٩.

(٣) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٩٩.

غيره؟ فقلت: نعم ثلاثة، فقال: ولم لم تستجز لهم جميعاً؟ فقلت لأنهم صغار وهذا الذي استجزت له قد حفظ القرآن، فقال لي: أنا أكتب لك ولهم جميعا، فكتب الإجازة بكل ما يحمل وكل ماله من تأليف وتخريج لي ولجميع الأولاد -وفقهم الله- وكنى أحمد المحمدين أبا علي والآخر أبا بكر وقيّد خطه بذلك في الاستدعاء. وهو مليح الخط ما رأيت بديار مصر أملح منه خطاً "[1].

ولقي الرحالة ابن رشيد العالم زين الدين أبا بكر محمد بن إسماعيل الأنصاري المعروف بابن الأنماطي[2] في القاهرة وسمع عليه وأجاز له ولأبناء ابن رشيد محمد وعائشة وأمة الله وكتب ذلك بخطه[3].

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٣٨.

(٢) والعالم محمد بن إسماعيل المعروف بابن الأنماطي: ولد سنة: (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) وسمع من الكندي وروى عن الحرستاني وابن ملاعب، توفي بالقاهرة في ذي الحجه سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٦م)، الذهبي: **العبر**، ٣/ ٣٥٤، ابن القاضي: **درة الحجال**، ٢/ ٦، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٤٩.

(٣) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ١٣٧.

# المبحث الثالث

## العلوم والعلماء

---

**وفيه ثلاثة مطالب:**

- المطلب الأول: العلوم النقلية.
- المطلب الثاني: العلوم العقلية.
- المطلب الثالث: أشهر العلماء ومصنفاتهم.

* * *** * *

## التمهيـــــد

أغلب العلوم التي حوتها كتابات الرحالة هي علوم نقلية دينية وهذا سمت معظم الرحالة ربما كان بسبب هدف رحلاتهم فإنهم قدموا من بلاد المغرب للحج، والسبب الآخر هو اهتمام الأيوبيين ومن بعدهم من المماليك بالعلوم النقلية وخاصة علوم الدين من حديث وفقه وعلوم القرآن والقراءات، كما أن الغالب على أهتمام الرحالة هذة العلوم.



## المطلب الأول: العلوم النقلية

### أ- علم الحديث:

احتوت كتب الرحالة المغاربة على الكثير من أسماء علماء الحديث الذين التقوا بهم سواء في القاهرة أو الإسكندرية أو الفسطاط وأخذوا منهم الأحاديث سواء بالقراءة أو السماع أو الأخبار وحصلوا منهم على إجازات سواء لفظاً أو كتابةً بخط العالم.

و التقى الرحالة ابن رشيد بالعالم ضياء الدين علي بن محمد الخزرجي بثغر الإسكندرية وسمع منه حديث: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))(١).

و كذلك سمع الرحالة العبدري من العالم تاج الدين الغرافي حديث عبدالله بن عمرو " الراحمون يرحمهم الرحمان " وهو أول حديث يسمعه منه بسند متسلسل، وغيرهم من العلماء الذين أخذ عنهم الرحالة الحديث(٢).

**ومن أشهر كتب الحديث التي ذُكرت في كتابات الرحالة نذكر مثلاً:**

١- ثلاثيات البخاري(٣)

٢- الأربعون حديثاً البلدانية للإمام الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي(٤)

---

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ٤٣، ٤٥.

(٢) العبدري: رحلة العبدري، ص١٠٩، ١١٠

(٣) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ١٩٧، العبدري: المصدر السابق، ص١٠٩، البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢٢٩

(٤) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ١٢، العبدري: المصدر السابق، ص١٣٤، التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٥٠، البلوي: المصدر السابق، ٢/ ٢٤

٣- موطأ مالك [١]

٤- سنن الشافعي[٢]

٥- صحيح مسلم[٣]

٦- سنن أبي داود[٤]

٧- جامع الترمذي[٥]

٨- صحيح البخاري[٦]

٩- سنن ابن ماجة[٧]

١٠ - سنن النسائي [٨]

١١- سنن الدارمي[٩]

١٢- مسند عبدبن حميد المسمى بالمنتخب[١٠]

---

(١) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٢٩٨، ٥/ ٣٤٧، العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٣٤، التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ١٣٨، ١٧٦، البلوي: **تاج المفرق**، ٢/ ٣٨

(٢) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ٥٧، ٢٩٢، ٣٢٧، العبدري: **المصدر السابق**، ص١٣٣.

(٣) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣١٥، ٣٤٧، البلوي: **المصدر السابق**، ٢/ ٢١، ٣٨،٤٤.

(٤) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣١٦، التجيبي، **المصدر السابق**،ص ٤٦

(٥) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣١٦، التجيبي: **المصدر السابق**، ص٤٦، البلوي: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٨.

(٦) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣١٥، التجيبي: **المصدر السابق**، ص٤٥، ٥٠، ٨٩.

(٧) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣١٧، التجيبي: **المصدر السابق**، ص١٥٠

(٨) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣١٦

(٩) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٩٠

(١٠) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٥٥.

١٣- الأجزاء المعروفة بالغيلانيات [(١)]

١٤- العمدة في الحديث [(٢)]

١٥- الكفاية في معرفة أصول الرواية[(٣)]

١٦ - إحكام الأحكام في شرح كتاب العمدة في أحاديث الأحكام[(٤)]

١٧ - الأربعون الزاهرة في الأحاديث النبوية الفاخرة المخرجة من روايات الشيخ أبي الحسن علي ابن المقير[(٥)]

١٨ - المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع [(٦)]

١٩ - الأربعون المروية بالأسانيد المصرية [(٧)]

٢٠ - جامع الأصول في حديث الرسول لابن الأثير[(٨)]

٢١ - الثقفيات (هي مجموعة من أجزاء الحديث للحافظ أبي عبدالله القاسم بن الفضل الثقفي الأصبهاني الكشف) [(٩)]

٢٢ - التاريخ الكبير للبخاري[(١٠)]

---

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ١٨٩

(٢) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٢٥٩.

(٣) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٢٧٠

(٤) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٢٦٠

(٥) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٣٩٣.

(٦) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٤٢٢.

(٧) ابن رشيد: المصدر السابق، ٥/ ٣٢٣.

(٨) ابن رشيد: المصدر السابق، ٥/ ٣٤٨.

(٩) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٢١.

(١٠) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٦٠.

٢٣ - سنن الدارقطني [(١)]

ب - علم الفقه:

وقد أورد الرحالة ابن رشيد مسالة فقهية عن حكم البسملة في قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة عرضت على العالم ابن دقيق العيد، وذلك عندما التقى به في المدرسة الصالحية بالقاهرة سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وجواب العالم عن ذلك[(٢)].

كذلك أورد الرحالة العبدري أنه عندما التقى بالعالم زين الدين في الإسكندرية عرض عليه مسألة البيع بالإشارة وجواب العالم زين الدين على هذه المسألة الفقهية[(٣)].

ومن كتب الفقه التي ذكرت في كتابات الرحالة المغاربة نذكر:

١- المحصول في علم الأصول للإمام فخر الدين[(٤)]

٢- الأحكام الصغرى لأبي محمد عبدالحق[(٥)]

٣- الكاشف عن المحصول في علم الأصول شرح به كتاب المحصول للإمام فخر الدين ابن الخطيب[(٦)]

٤- التهذيب لابن سعيد البرادعي [(٧)]

٥- فضل صوم سته من شوال بعد العيد[(٨)]

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٤٦.

(٢) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ٢٤٥.

(٣) العبدري: رحلة العبدري، ص١٢٣.

(٤) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٢٦١.

(٥) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٢٦١.

(٦) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٣٥١.

(٧) البلوي: تاج المفرق، ٢/ ٣٨

(٨) التجيبي: المصدر السابق، ص٤٧.

٦- كتاب فضل الخيل وما يستحب وما يكره من ألوانها وشياتها، وما جاء في كراهية أكل لحومها وإباحتها وما ورد في سباقها وسهامها وصدقاتها تأليف الحافظ شرف الدين أبي محمد عبدالمومن ابن خلف بن أبي الحسن الدمياطي[(١)]

**ج - علم التفسير:**

لقي ابن رشيد أثناء رحلته لمصر في الفسطاط أحد علماء التفسير في جامع عمرو بن العاص، وهو العالم عبدالكريم بن علي بن محمد الشافعي المعروف بعلم الدين العراقي[(٢)] وعنه يقول ابن رشيد: " أحد المتصدرين المشهورين بالديار المصرية في علم التفسير والبيان وأصول الدين والفقه وأصوله، وله وضع حسن في علم البيان على كتاب الكشاف للزمخشري وهو فيما بلغني في مجلدين "[(٣)].

**ومن ضمن كتب التفسير التي ذكرت في كتابات الرحالة المغاربة:**

١- كتاب البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، لابن حيان الأندلسي[(٤)].

**د - علم القراءات:**

فقد قرأ الرحالة البلوي على العالم أثير الدين بن حبان بعض القرآن العظيم بالقراءات السبع بقراءة الإمام أبي عمرو الداني، وبالإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء، وبقراءات يعقوب الحضومي جمعا بين روايتي روح ورويس[(٥)].

---

(١) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٤٧، البلوي: **تاج المفرق**، ٢/ ٤٣.

(٢) العالم علم الدين العراقي: ولد بمصر سنة: (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)، قدم أبوه من الأندلس إلى مصر فولد فيها، مهر في الفقه وأصوله والعربية، ودرس التفسير بالمنصورية بعد بهاء الدين بن النحاس، توفي في صفر سنة: (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م وعمره ٨٠ عاما)، العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٣/ ١٣، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ١/ ٣٦٣.

(٣) ابن رشيد **ملء العيبة**، ٥/ ٣٣٥.

(٤) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٣٠.

(٥) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٢٨.

**ومن كتب القراءات التي حوتها كتابات الرحالة المغاربة:**

١- كتاب التيسير، للحافظ أبي عمر الداني(١)

٢- القصيدة اللامية المسماة (العقد اللآلي) في القراءات السبع العوالي(٢)

٣- القصيدة اللامية الشاطبية المسماة بحرز الأماني (٣).

**هـ - العلوم العربية (الأدب والنحو والشعر):**

فقد حوت كتب الرحالة العديد من قصائد الشعر تراوحت بين بيان فضل علم الحديث والتقوى من الله، ومدائح نبوية واشتياق لزيارة الرسول ﷺ.

**ونذكر من ذلك:**

ما سمعه العبدري من العالم ابن المنير قصيدة نبوية نظمها أثناء سفره إلى الحجاز وقد كتبها العبدري وقرأها عليه، وراجع العبدري العالم ابن المنير في بعض الألفاظ في القصيدة ليصلحها، فأذن له العالم ابن المنير في إصلاحها

**ونذكر بعض النصوص من الأشعار التي ذكرها الرحالة منها:**

أجب دعوة الرحمن ياصاح تسعد ... وبادر لفرض الحج غير مفند

ولذ بالمتاب الآن وازدد من التقى ... فإن اتقاء الله خير التزود

ودع خاطر التسويف والخوف جانبا ... وسلّم لأمر الله أمرك في غد

فكم ذي صدى مابين أهل ومنهل ... وريان ماء بين فقر وفدفد

وكم قاطن في موطن غير آمن ... وراكب أخطار يفوز بمقصد

وكم ذي سرى سّرى سراه همومه ... وأعقبه مرءاة قبر محمد

(١) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢٢٩.

(٢) البلوي: المصدر السابق، ١/ ٢٢٩.

(٣) البلوي: المصدر السابق، ٢/ ٤٦.

أياد لأيدي العيس أن تبدو يثرب | وكم منه فيها علي وكم يد
تبلغنا مثواك ياسيد الورى | وتشهدنا منه مقر التعبد
فنمحو خطايانا بدمع إنابة | ونظفر بالغفران والعفو في غد[(١)]

وكذلك التقى ابن رشيد بالإسكندرية بالشيخ الأديب يوسف بن عبدالعالي بن هلال التميمي القماح وأنشده بعضاً من شعره:

ولما اعتدى دهري عليّ وخانني | علمتُ وأيم الله أن له نبا
فحاربته حتى عدمت تجلدي | وجردت سيف الصبر في وجه نبا[(٢)]

وانشده أيضاً إمام النحو العالم بهاء الدين أبوعبدالله محمد بن إبراهيم المعروف بابن النحاس، يرثي العالم جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك النحوي المتوفي سنة: (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م).

قل لابن مالك إن جرت بك أدمعي | حُمرا يحاكيها النجيع القاني
فلقد جرحت القلب حين نُعيت لي | فتوقفت بدمائه أجفاني
لكن يهون ما أجن من الأسى | علمي بنقلته إلى رضوان[(٣)]

**ومن أهم الكتب التي ذكرت في كتابات الرحالة:**

١- الأرجوزة الألفية في علم العربية[(٤)]

٢- القصيدة البائية الشهيرة من نظم الإمام شمس الدين الخيمي[(٥)]

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٠٢، ١٠٣.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٥١

(٣) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ١٢٩، ١٣٠.

(٤) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٢٩.

(٥) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٢٩.

٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب في النحو[(١)]

٤- جميع المقدمة في النحو التي سماها الشذرة لابن حبان [(٢)]

٥- مقامات الحريري[(٣)]

٦ - كتاب الجزولية في النحو[(٤)]

٧- كتاب سيبويه (إمام النحاة أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث ابن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد الملقب بسيبويه) [(٥)]

و - **علم التاريخ و الأنساب:**

أما علم التاريخ فقد أورد الرحالة ابن رشيد عند لقائه العالم جمال الدين أحمد بن محمد الظاهري في القاهرة، أنه سمع منه كتاب تاريخ أصبهان للإمام الحافظ أبي نعيم الأصبهاني[(٦)]

**ومن كتب التاريخ التي ذكرت في كتابات الرحالة المغاربة في السيرة:**

١- كتاب خير البشر بخير البشر ﷺ تأليف: محمد ابن أبي محمد بن ظفر المكي.

٢- اختصار السير، لأبي الحسين بن فارس وهو المسمى بكتاب رائع الدرر ورائق الزهر في أخبار خير البشر ﷺ.

---

(١) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٣٠.

(٢) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٣٠.

(٣) البلوي: **المصدر السابق**، ٢/ ٤٤.

(٤) البلوي: **المصدر السابق**، ٢/ ٤٤.

(٥) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ١٠٨، التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٨٤.

(٦) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٧٩، ٣٨١.

٣- الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة.

٤- المنتخب من الأنباء في مناقب الأربعة الخلفاء.

٥- ثناء القربة على الصحابة وثناء الصحابة على القرابة[1].

أما علم الأنساب فقد التقى الرحالة التجيبي بالعالم شرف الدين التوني في القاهرة وقال عنه: " وقد اشتهر في الأقطار بالإحاطة بعلم الأنساب ".

**ومن كتب الأنساب التي ذكرها التجيبي:**

١- كتاب أخبار بني المطلب بن عبدمناف رهط أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب.

٢- كتاب أخبار بني عمهم نوفل بن عبدمناف.

٣ - كتاب أخبار بني سهم وأنسابهم[2].

٤- كتاب أخبار بنى لحج وأنسابهم.

٥ - كتاب أخبار الخزرج وما فيها من القبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والفضائل ومن فيها من الصحابة والتابعين.

٦ - كتاب ذكر أزواج النبي ﷺ وأولاده وأسلافه[3].



(١) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص١٧٧.

(٢) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٤٧.

(٣) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٤٧.

## المطلب الثاني: العلوم العقلية

لم يتطرق الرحالة المغاربة إلى ذكر العلوم العقلية إلا ما ذكروه عن علمي الطب والمنطق، ويرجع سبب ذلك إلى أن الرحالة المغاربة هم طلاب علم شرعي همهم الأول الحصول على أكبر قدر من العلوم الدينية كالحديث والفقه والقراءات والتفسير وإن كان علم الحديث يأتي في المقام الأول لديهم.

### ١-علم المنطق:

فقد أنكر الرحالة العبدري اشتغال أهل مصر بعلم المنطق وفي ذلك يقول: " ومن الأمر المنكر عليهم والنكر المألوف لديهم تدارسهم لعلم الفضول وتشاغلهم بالمعقول عن المنقول في أكبابهم على علم المنطق، واعتقادهم أن من لا يحسنه لا يحسن أن ينطق " [1].وفي موضع أخر يقول العبدري: " أما هؤلاء فقد جعلوه من أكبر المهمات واتخذوه عدة للنوائب والملمات فهم يكثرون فيه الأوضاع، وينفق في تحصيله العمر المضاع ويحهم! أما سمعوا قول داعي الهدى لمن أمه حين رأى عمر كتب التوراة في لوح من فضة فغضب وقال مفهماً للحافظ الواعي: (لوكان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي) وإذا لم يوسعه عذراً في الكتاب الذي جاء به موسى نورا فما ظنك بما وضعه المتخبطون في ظلام الشرك وافتروا فيه كذبا وزورا فيا الله للعقول المنحرفة غرقت في بحور ظلال الفلسفة "[2] ويذكر العبدري موقف العالم شرف الدين الدمياطي من المشتغلين بعلم المنطق فيقول: " ولله در شيخنا شرف الدين الدمياطي فإنه مباين لهم في ذلك منزه لنفسه عن تلك المسالك وقد أنشدني في هذا المعنى لنفسه:

وما العلم إلا في كتاب وسنة      وما الجهل إلا في كلام ومنطق

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٣١.

(٢) العبدري: **المصدر السابق**، ص١٣٢.

وما الخير إلا في سكوت بحسبة          وما الشر إلا من كلام ومنطق[(١)]

## ٢ - علم الطب:

أما علم الطب فقد أشار إلى ذلك الرحالتان العبدري والتجيبي فقط. فقد ذكر العبدري أنه بعد رجوعه من الحج في العودة إلى بلاده مر على مدينة القاهرة، ونزل عند العالم شرف الدين الدمياطي بالمدرسة الظاهرية، وقد مرض فكان العالم الدمياطي يبعث طبيب يعالجه ويقول عن ذلك: " وكان يبعث لي شخصا من فضلاء الأطباء يتفقدني ويعالجني وهو الحكيم الفاضل، أبوالطاهر إسماعيل المقدسي، فتًى حدث السن رصين العقل نافذ الفهم، وما رأيت أحفظ منه للطب ولا أحسن منه تصرفا فيه، ولا أذكر منه لنصوص كتب أبقراط، ومازال يتفقدني مدة من سبعة أيام حتى تماثلت واشتهيت الطعام "[(٢)].

كما ذكر الرحالة التجيبي عند وصفه لجامع أحمد بن طولون ومدى اعتناء السلطان حسام الدين لاجين به، أنه رتب فيه دروساً للعلم، ومن ضمنها ترتيب عشرة من الأطباء لتدريس الطب[(٣)].

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٣١.

(٢) العبدري: **المصدر السابق**، ص٢٣٤.

(٣) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٧.

## المطلب الثالث: أشهر العلماء ومصنفاتهم

وقد التقى الرحالة المغاربة كالعبدري، وابن رشيد، والتجيبي والبلوي عدداً من العلماء فذكروا أسماءهم ومؤلفاتهم وما أخذوه منهم من العلم، وبعض الرحالة أورد لنا أسماء للعلماء فقط كابن بطوطه والبعض الآخر لم يورد في رحلته أي اسم لعالم كالرحالة ابن سعيد المغربي، وفي ذلك نورد أسماء بعض العلماء، وذلك لاحتواء بعض الرحلات كرحلة ابن رشيد على عدد كبير من العلماء بلغ حواليْ الخمس وأربعين عالماً نذكر منهم:

### ١- مكين الدين الأسمر:

مكين الدين أبومحمد عبدالله بن منصور بن علي، ويلقب بالمكين الأسمر(١). أحد الصلحاء الفضلاء، وهو الشيخ المقري المجود، المتصدر لإقراء القرآن بالإسكندرية، ولقيه ابن رشيد بدكان منزله وذلك يوم السبت (٢١ جمادي الآخر سنة: ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وقرأ عليه جميع المجالس الخمسية السلماسية التي أملاها الحافظ أبوطاهر السلفي / بسلماس سنة: (٥٠٦هـ/ ١١١٣م) في عشرة ذي الحجة، وقد أجاز المكين الأسمر له ولبنيه وأخواته جميع ما تجوز له روايته، وكتب خطه بذلك، وسمع ابن رشيد من العالم المكين حديث: " اللهم بارك لأمتي في بكورها "(٢).

### ٢- تاج الدين الغرافي

تاج الدين أبوالحسن علي بن أحمد بن عبدالمحسن، ويرجع نسبه إلى الحسين بن

---

(١) العالم المكين الأسمر: شيخ القراء بالإسكندرية، أخذ القراءات عن أبي القاسم بن الصفراوى وعن السلفى، توفي سنة: (٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، اليافعي: **مراة الجنان**، ٤/ ١٦٦، الشافعي: **قلادة النحر**، ٥/ ٤٤٣، ٤٤٤، ابن القاضي: **درة الحجال**، ٣/ ٤٥.

(٢) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٢٧، ٢٨.

علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- وقد وصفه ابن رشيد بالشيخ الأجل وقال عنه: " وممن لقيناه بثغر الإسكندرية وحقه أن يقدم ولكن أردنا أن نجعله لمن لقيناه بالإسكندرية مسك الختام ودليل التمام "، كتب عنه من الأسانيد سنده في التاريخ الكبير للبخاري. وقرأ ابن رشيد على العالم الغرافي السداسيات والخماسيات المخرجة لأبي محمد ابن عتاب والجزء المعروف بجزء أبي صالح محمد بن أبي الأزهر المعروف بابن زنبور، والجزء الأول من الفرائد المنتقاة الغرائب العوالي عن الشيوخ الثقات برواية أبي طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص، وسمع عليه ثلاثيات الإمام أبي عبدالله البخاري، ومما أذن لابن رشيد لروايته عن العالم الغرافي مسند الإمام الشافعي[(١)] وقد التقى به أيضاً الرحالة العبدري في الإسكندرية، ووصفه بعدد من الصفات وذكر روايته ورحلته ومن سمع منهم، وقد أخذ منه العبدري الأحاديث والشعر[(٢)].

وفي ذلك يقول العبدري عن العالم الغرافي: " الشيخ الأجل الرواية المحدث الشريف الأوحد، ذا الحسب الباهر والشرف الظاهر، والأخلاق المعربة عن الكمال والعزة الفاضلة التي تدل عليه من غير سؤال سليل بيت النبوة وحليف الفضل الظاهر والمروة "[(٣)] وقرأ الرحالة التجيبي على العالم الغرافي في الإسكندرية بدار الحديث النبيهية في شهر ربيع الآخر من سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)[(٤)].

## ٣- ابن خطيب المزة:

هو العالم شهاب الدين أبوالفضل عبدالرحيم بن العلم يوسف بن يحي بن يوسف بن أحمد بن سليم الدمشقي المشهور بابن خطيب المزة[(5)] لقيه ابن رشيد في

---

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ٥٣-٨٢.

(٢) العبدري: رحلة العبدري، ص١٠٩.

(٣) العبدري: المصدر السابق، ص١٠٩.

(٤) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٩٣.

(٥) العالم شهاب الدين عبدالرحيم بن يوسف بن يحي الموصلي، ثم الدمشقي، نزيل القاهرة ومسندها، سمع =

مدينة القاهرة ويقول عنه: " سمع الكثير وأجيز له وهو أحد الشيوخ الفضلاء الثقات الخيار وتفقه على مذهب الإمام الشافعي -رحمه الله-" وذكر مسموعات العالم ابن خطيب المزة، ومن أجاز له، فقد سمع سنن أبي داوود على الدارقزي، ومسند أحمد ابن حنبل على حنبل بن سعادة الرصافي، وسمع من ابن طبرزد وأجاز له[(١)].

## ٤- ابن الخيمي:

هو أبوعبدالله محمد بن أبي محمد عبدالمنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن أحمد اليماني، الأنصاري، المشهور بابن الخيمي لقيه ابن رشيد بالقاهرة بإيوان مشهد الحسين بن علي -رضي الله عنهما- وقد قال عنه ابن رشيد: " الأديب البارع الإمام العالم الصوفي الفاضل المعمر الحسن السمت والصمت "[(٢)].

## ٥ - المراغي:

أبوالصفاء خليل بن أبي بكر بن محمد بن صديق المراغي، التقى به ابن رشيد بالقاهرة، قال عنه: " الشيخ الفقيه المعمر الإمام العالم الزاهد الورع مفتي الإسلام بقية السلف الكرام نائب قاضي الحنابلة بالديار المصرية، أحد الشيوخ المسندين، قديم السماع "، وقرأ عليه ابن رشيد يوم الاثنين الخامس عشر من رجب سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) الأربعين السباعيات المستخرجة من مسموعات الإمام ظهير الدين القشيري بالمدرسة الصالحية النجمية، بإيوان الحنابلة، وذكر ابن رشيد مسموعات العالم المراغي، فقد سمع من أبي محمد ابن قدامة المقدسي كتاب التوابين، وسمع من أبي الفتوح محمد بن ابن عمرك النيسابوري، ومن أبي الحسن السخاوي وأجاز له رواياته،

---

= من مجموعة من العلماء وكان فاضلاً ديناً ثقة، توفي في(٩رمضان سنة: ٦٨٧هـ/ ٦ اكتوبر ١٢٨٨م)، الذهبي: **العبر**، ٣/ ٣٦٤، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٦٤.

(١) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ١٥٩، ١٦٠

(٢) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ١٩١.

ومن أبي نصر الجيلي، ومن أبي المنجى[1].

## ٦ - ابن دقيق العيد:

هو تقي الدين أبوالفتح محمد بن مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب القشيري المشهور بابن دقيق العيد، لقيه ابن رشيد في القاهرة بالمدرسة الصالحية، ووصفه بعدة صفات: " الإمام الأوحد العالم العلامة المجتهد مفتي الإسلام، ذو التصانيف الجليلة والمباحث الدقيقة، مدرس المذهبيين المالكي والشافعي، بقية العلماء الأعلام " وأجاز العالم ابن دقيق العيد لابن رشيد في كتابه الاقتراح في بيان الاصطلاح، وأجازه أكثر من مرة، ولأولاده محمد وعائشة وأمة الله[2] ولقيه ابن رشيد مرة أخرى أثر عودته من الحج وسمع منه وذلك في سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)[3]. والتقى الرحالة العبدري أيضاً بالعالم ابن دقيق العيد في القاهرة، وقد ذكر تفننه في علوم متنوعة وأخذه العلم من جماعة من الأعلام. وقد أسهب العبدري في وصف العالم ابن دقيق العيد فقال عنه: " له تفنن في فنون العلوم، وتسلط عليها بذهن يردّ المجهول إلى المعلوم، وقل مايلفى له في سعة المعارف نظير أو يوجد من يماثله في صحة البحث والتنقير، وله في البلاد ذكر شهير، وصيت مستطير، وخطر خطير، يضرب في كل فن بسهم مصيب ويحظى منه بأوفر نصيب ولقي جماعة من الأعلام فأخذ عنهم وحصل، ومازال يوصل نفسه في المعارف حتى تأصل فهو الآن قطب مصر وعلمّها "[4].

والتقى الرحالة التجيبي أيضاً بالعالم ابن دقيق العيد في مدينة القاهرة في السادس من جمادى الأولى سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) وأخذ منه عدد من الأحاديث، وأنشده العالم ابن دقيق العيد عدد من القصائد الشعرية، وقد أسهب أيضاً الرحالة

---

(١) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٢١١ - ٢٢٢

(٢) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ٢٤٥، ٢٥٧، ٢٦١.

(٣) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣٢٥.

(٤) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٣٩،١٣٨.

التجيبي في وصف العالم ابن دقيق العيد كالرحالة السابقين فقال: " أحد أئمة المسلمين، المجتمع على إمامته وتقدمه في المعارف كلها بلغ درجة الاجتهاد أو كاد، حاز السبق في معرفة الفقه والأسانيد والمتون، ووعى جميع الفنون، وأفتى في المذهبين المالكي والشافعي وأقرأ الحديث بالكاملية، وتولى قضاء الشافعية بالديار المصرية فحمدت سيرته، وشكرت طريقته، وحصل الحظ الوافر من المعقولات والأدبيات وغير ذلك "

وذكر لنا الرحالة التجيبي مؤلفات العالم ابن دقيق العيد، وهذا ما لم يذكره الرحالة السابقون، فمن مؤلفاته كتاب الإمام في معرفة أحاديث الأحكام، المختصر المسمى الإلمام في معرفة أحاديث الأحكام، وشرح العالم ابن دقيق العيد هذا المختصر، وكتاب الاقتراح في معرفة الاصطلاح، وما أضيف إليه من الأحاديث المعدودة في الصحاح، وكتاب التشديد في الرد على غلاة التقليد، وكتاب طبقات الحفاظ وهو في مجلدين، وكتاب إحكام الأحكام في شرح كتاب العمدة الذي ألفه الحافظ عبدالغني في الأحكام وهو في مجلدين، وشرح كتاب أبي عمرو عثمان ابن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب المالكي، وديوان خطب جمعية، والأمالي التي أملاها بدار الحديث السابقية بقوص[1].

٧- أم الفضل زينب بنت أبي محمد البغدادي:

هي أم الفضل زينب[2] ابنة الإمام أبي محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، لقيها ابن رشيد في مدينة القاهرة، وقرأ عليها جزء من حديث أبي

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص١٦ - ٣٧.

(٢) هي زينب بنت العالم موفق الدين عبداللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي، سمعت الكثير من والدها، وروت عنه، وأخذ عنها مجموعة من العلماء منهم البرزالي والفخر ابن الظاهري، وابن سيد الناس، (توفيت ٢٢ شعبان سنة: ٦٨٦هـ/ ١ اكتوبر ١٢٨٧م) ودفنت بالقرافة، البرزالي: المقتفي على كتاب الروضتين، ٢/ ١٢٢، الذهبي: تاريخ الاسلام، ١٥/ ٥٦٩،٥٧٠.

إسحاق إبراهيم بن الحسين ابن ديزيل الهمذاني، وكان ذلك في يوم التاسع والعشرين من رجب سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) في منزلها، وأجازت له العالمة أم الفضل ولجميع من معه في الاستدعاء[1].

## ٨- أبو المكارم الأصبهاني:

هو أبو المكارم وأبو المعالي محمد بن محمود بن محمد الأصبهاني الشافعي[2]، لقيه ابن رشيد في القاهرة، وقد وصفه بعدة صفات: " الإمام الأوحد رئيس النظار المتأخرين شمس الملة والدين ناصر السنة فخر الأئمة تاج الملة كبير المتكلمين حكيم المتناظرين، إمام وقته في النظريات والعلم بالخلافيات والقواعد الصوفيات له التصانيف البديعة والدقيقات الرفيعة "، وتفقه ابن رشيد على العالم الأصبهاني في بعض أجزاء كتابة القواعد الكلية في خمس من الفنون العلمية: علم الفقه، وعلم المنطق وعلم الخلاف وعلم أصول الفقه، وعلم أصول الدين[3].

## ٩- جمال الدين الظاهري:

هو جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله الظاهري[4] لقيه ابن رشيد

---

(١) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) العالم المكارم الأصبهاني: ولد في أصفهان سنة: (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) ورحل من أصفهان إلى العراق فتعلم الفقه من العالم سراج الدين الهرقلي ثم رحل إلى دمشق وناظر الفقهاء وسمع الحديث، ثم رحل إلى مصر، وتولي قضاء قوص ودرس بمشهد الحسين والشافعي ورحل إليه الطلاب وأخذوا منه، توفي في(٢٠ رجب سنة: ٦٨٨هـ/ ٨ أغسطس ١٢٨٩م)، وعمره ٧٢ عاماً، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣/ ٢٨٠، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٧٠.

(٣) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٥١، ٣٥٢.

(٤) العالم جمال الدين الظاهري: أحد العلماء الذين أعتنوا بعلم الحديث وكتب الحديث عن سبعمائة شيخ في الشام والجزيرة ومصر، وحدث عن جماعة من العلماء، توفي بزاويته بالمغس في القاهرة في ربيع الأول سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) وعمره ٧٠ عاماً، الذهبي: **دول الاسلام** ٢/ ٢٢٥، السيوطي: **حسن** ⇐

في القاهرة في منزله وفي أماكن أخرى، وتكررت زيارات ابن رشيد له، وكان العالم الظاهري يسكن في رباط ويحتوي على مكتبة له تحوي الكثير من الكتب بخطه، وكان عارفاً بالتفسير وفقه على مذهب أهل الرأي، وقد وصفه الرحالة ابن رشيد بعدة صفات " الشيخ المحدث، الإمام الفاضل، أحد الجلة الفضلاء ديناً وخلقاً " وقد سمع منه ابن رشيد تاريخ أصبهان للإمام الحافظ أبي نعيم الأصبهاني، وقرأ عليه في الثالث والعشرين من رجب سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) جميع الأحاديث المئة المجموعة من مسموعات أبي محمد عبدالرحمن بن أبي شريح وتعرف بالمئة الشريحية، وأجاز العالم الظاهري للرحالة ابن رشيد ولأولاده محمد وعائشة وأمة الله وأخواته[(١)].

**١٠- قطب الدين القسطلاني:**

هو قطب الدين أبوبكر محمد بن كمال الدين أبي العباس أحمد بن أمين الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن الميمون الميموني القسطلاني، لقيه ابن رشيد في القاهرة، ووصفه بعدة صفات: " الشيخ المحدث الصوفي الأديب المصنف المفتي المشهور الذكر الذي أنجد ذكره وأغار، وطار وطبق الأقطار" وقرأ عليه ابن رشيد في المدرسة الكاملية في الرابع والعشرين من رجب سنة: (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وسمع عليه، وأجازه وأولاده وأخواته وكتب ذلك بخطة، وذكر ابن رشيد أن من مؤلفات العالم قطب الدين المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع، وله تاليف في مناسك الحج وفي العقيدة سماها لسان البيان عن اعتقاد الجنان، وشرع في تأليف مؤلف سماه المحاسن الخالدة في فضائل الوالد والوالدة لم يفرغ منه عند لقاء ابن رشيد به[(٢)].

---

= المحاضرة،١/ ٣٠٧، ابن العماد: شذرات الذهب، ٦/ ١٠٥وانظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ،٢/ ١٨٠، ١٨١.

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ٣٧٩،٣٩٠، ٣٨١.

(٢) ابن رشيد: المصدر السابق، ٣/ ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣.

## ١١- عز الدين الحراني:

هو عز الدين أبوالعز عبدالعزيز بن عبدالمنعم بن علي بن نصير بن منصور بن هبةالله الحراني، لقيه ابن رشيد في الفسطاط (مصر) ووصفه بعدة صفات: " الشيخ المحدث المسند المعمر الثقة الفاضل "، وذكر ابن رشيد أسماع العالم الحراني ومن أجاز له، فقد تفرد في الديار المصرية بإسماع مشيخة قاضي المارستان أبي بكر ابن عبدالباقي، ومشيخة ابن حسنون، وسمع صحيح البخاري على العالم أحمد بن يحي الخازن المعروف بابن البيع، وأجاز له العالم أبوالفرج ابن الجوزي، وأبويعلي حمزة ابن القبيطي وأبوأحمد عبدالوهاب ابن سكينة، وأبوالبركات داود بن ملاعب، وأبوبكر الجيلي وغيرهم [(١)].

## ١٢- الشريف الكركي:

هو أبوعبدالله محمد بن عمران بن موسى بن عبدالعزيز بن محمد بن حزم بن حمير بن سعيد بن عبيد بن إدريس بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، ويعرف بالشريف الكركي، لقيه ابن رشيد في المدرسة الطيبرسية مع صاحبه ورفيقه الوزير بدر الدين أبي عبدالله بن أبي القاسم بن الحكيم، وسمع منه بقراءة صاحبه المرشدة المسمى باللمحة المسددة في شرح المرشدة، وذلك في آخر صفر سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وقد أجاز جميع رواياته لابن رشيد ولأولاده أبي القاسم وعائشة وأمة الله، وولد العالم الكركي بفأس وتفقه في المغرب على الشيخ أبي محمد صالح، وفي مصر على يد الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، وأقام بالكرك مدة حتى صارت شهرته بمصر تعرف بالكركي، ثم انتقل إلى مصر في سنة: (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) "وأقام يدرس ويفتي بالمذهبين ويلقي الدروس في كل فن: العربية واللغة والأصلين، وعلم الحساب وغير ذلك من العلوم"، وقد روى العالم

---

(١) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٣/ ٤١٥، ٢٥٧،٢٦١.

الكركي صحيح مسلم بن الحجاج أخذه عن شرف الدين بن أبي الفضل المرسي، الموطأ برواية الليثي، والشجرة عن مؤلفها العز بن عبدالسلام، واختصار الرعاية للمحاسبي، والمعجم المترجم عن مؤلفه الحافظ العبقوي، وجامع الأصول في حديث الرسول لابن الأثير، ورسالة التصوف للقشيري[(١)].

**١٣- ابن حيان الجياني الغرناطي:**

هو أثير الدين أبوحيان محمد بن حيان الجياني[(٢)]، لقيه ابن رشيد في القاهرة، وعند التعريف به وصفه بقوله: " صاحبنا الأديب النحوي المتفنن المحدث "، وقد أخذ عنه الكثير من القصائد الشعرية[(٣)]. وكذلك التقى الرحالة التجيبي بالعالم أثير الدين في القاهرة سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) وسمع منه مجموعة من القصائد الشعرية ووصفه بعدد من الأوصاف فقال عنه: " أحد الفضلاء المعروفين بعلم العربية والتحقيق لغوامضها، والتفنن فيها، مع المشاركة في فنون من الأدب ممن يقرض الشعر ويجيده مع براعة الخط، وطيب النفس "[(٤)].

وذكر ابن بطوطة اسمه من ضمن من ذكرهم من علماء مصر دون أن يذكر، هل أخذ من العالم ابن حيان، وهل أجاز له فيقول ابن بطوطة: " ومنهم أثير الدين

---

(١) ابن رشيد: **ملء العيبة**، ٥/ ٣٤٣- ٣٤٨.

(٢) أثير الدين ابن حبان الأندلسي: ولد في شوال سنة: (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) بمطخشارش من غرناطة، أخذ بالأندلس عن جماعة من العلماء وسمع الحديث في جزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وثغر الإسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل على الإجازات من الشام والعراق وبلغ عدد شيوخه بالسماع خمسمائة عالم، تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والإقراء بجامع الأقمر، أخذ منه كبار العلماء كالعالم تقي الدين السبكي، له مؤلفات عديده في التفسير والقراءات والنحو، توفي ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، الصفدي: **نكت الهيمان في نكت العميان**، ص٢٩٣- ٢٩٧، الواد آشي: **برنامج الوادي آشي**، ص٧٤، ٧٥، ابن العماد: **شذرات الذهب**،٦/ ٣٢٤- ٣٢٦.

(٣) ابن رشيد: **المصدر السابق**، ٥/ ٣٧٣ - ٣٧٩.

(٤) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص١٤٠-١٤٢.

أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي، وهو أعلمهم بالنحو "[١].

والتقى به أيضاً الرحالة البلوي ووصفه بعدد من الصفات، وقرأ عليه القرآن بالقراءات السبع بقراءة الإمام أبي عمر الداني، وبالإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء وبقراءات يعقوب الحضومي[٢] جمعا بين روايتي روح ورويس عنه، وقرأ عليه كتاب التيسير للحافظ أبي عمرو الدانى والأرجوزة الألفية في علم العربية وثلاثيات الإمام البخارى، وأجازه العالم أثير الدين وكتب ذلك بخطة، كما أنشده عدداً من القصائد الشعرية[٣].

١٤ - **شرف الدين الدمياطي**:

هو شرف الدين عبدالمؤمن بن وفي الدين أبي القاسم خلف بن أبي الحسن العفيف شرف بن الخضر بن موسى التوني الدمياطي[٤] التقى به الرحالة العبدري في مدينة القاهرة، وأثنى عليه ووصفه بعدد من الصفات، كما أخذ منه العبدري عدداً من الأحاديث الشريفة وأنشده العالم شرف الدين عدد من القصائد، وفي ذلك يقول العبدري: " ولم أر بهذه المدينة على كثرة الخلق بها أمثل وأقرب إلى الإنسانية وأجمل معاملة من الشيخ المحدث الرواية المسند المفتي الثقة الضابط شرف الدين ذي الكنيتين أبى محمد وأبى أحمد عبدالمؤمن بن خلف أبي الحسن الدمياطي، المحدث بالمدرسة-حفظه الله-، وهو شيخ وسيم أبيض ذو صورة مقبولة وهيئة حسنة وركانة وحسن خلق وسراوة سمت، راوية جماعة مقيد ضابط حافظ، رحل في طلب العلم ولقي من أهله أعداداً، وجمع وألف وروى حتى صار أوحد وقته في ذلك، له معجم في أسماء شيوخه ومن لقيه، وأخذ عنه في أي فن كان، كبير في أربعة أسفار، وسمعته

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٤٦.

(٢) البلوى: تاج المفرق، ١/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) البلوى: المصدر السابق، ١/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٤) التجيبي: مستفاد الرحلة، ٣٧.

يقول أنهم ينيفون على ألف ومائتين وسبعين "[١].

و التقى أيضاً الرحالة التجيبي في القاهرة وقال عنه: "أحد أئمة الحفاظ المشهورين بالثقة والضبط والاتقان، ذاكر للأسانيد والمتون بصير بتعديل الرجال وتجريحهم ومواضعهم من البلدان وغيرها، محيط بمتشابه أنسابهم، عارف بالأسماء والكنى والتواريخ والمواليد والوفيات وأحسبه في زمانه كالدراقطني في زمانه"[٢].

وذكر الرحالة التجيبي بأن العالم شرف الدين الدمياطي رحل في طلب الحديث وسماعه إلى الحجاز والجزيرة وبغداد والشام والفسطاط والإسكندرية، وعدد التجيبي من سمع منهم العالم شرف الدين الدمياطي ومن أجازه في المدن التي رحل لها، فنذكر منهم مثلاً، أحمد بن أبي السعود البغدادي، أحمد بن أبي الخير الحنبلي، أبوعمرو عثمان بن عبدالرحمن ابن الصلاح وغيرهم[٣].

وذكر التجيبي مرويات العالم شرف الدين، ومؤلفاته نذكر منها: الأربعين حديثاً المتباينة، الإسناد المخرجة على الصحيح من حديث دار السلام ببغداد، ومختصر الأربعون الصغرى، الأربعون الموافقات العوالي، والأربعون التساعيات الإسناد والإبدال، والمائة التساعية في الموافقات والأبدال العالية، والتساعيات المطلقة التي ليس فيها بدل ولاموافقة، والأربعون الحلبية في الإحكام النبوية، وكتاب كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى، وكتاب فضل صوم ستة الأيام من شوال بعد العيد،

---

(١) العبدري: رحلة العبدري، ص١٣٢، ١٣٣.

(٢) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٣٧.

(٣) فقد ذكر التجيبي عدداً كبيراً من العلماء الذين سمع منهم العالم شرف الدين الدمياطي في سبع صفحات ويقول عن معجم العالم شرف الدين الدمياطي الذي يحوي أسماء العلماء: " ومعجم مشايخه الذين لقيهم، وأخذ عنهم بالحجاز الشريف والشام والجزيرة والعراق وديار مصر وغيرها من سائر الآفاق أربعة وأربعون جزءا، يحتوي على ألف شيخ وثلاثمائة شيخ ونيف وثلاثين شيخاً " التجيبي: المصدر السابق، ص٣٨، ٤٤.

والعقد المثمن فيمن تسمى بعبدالمؤمن، وأخبار بنى عبدالمطلب بن عبدمناف رهط الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب، وأخبار بنى عمهم نوفل بن عبدالمطلب، و أخبار بنى سهم وأنسابهم، وأخبار بنى لحج وأنسابهم، وأخبار الخزرج وما فيها من القبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والفضائل ومن فيها من الصحابة وغيرها من المؤلفات، كما سمع التجيبي منه الأحاديث وقرأ عليه، وأجازه العالم شرف الدين الدمياطي جميع ماتجوز عنه، وله روايته وكتب ذلك بخطه وسمع منه بعض القصائد الشعرية(١).

### ١٥- ابن المنير:

التقى العبدري بالعالم ابن المنير(٢) في الإسكندرية وقد وصفه بصفات أثنى عليه فيها بحسن الخلق وغزارة العلم وحسن حفظه وذكائه وفي ذلك يقول: " ومنهم الشيخ الجليل الفاضل الفقيه العالم الكامل الرئيس الأوحد القاضي العادل شرف الفقهاء والمفتين، واسطة قلادة المدرسين، صدر البلغاء ورأس الكتاب والناظمين وحيد العلماء، وبحر المصنفين ذو المآثر السنية والمفاخر العلية زين الدين أبوالحسن علي بن محمد بن منصور المالكي، يعرف بابن المنير حفظ الله مجادته، ومكن سعادته لقيت منه بحر علم تفيض أمواجه وغيث سماح لا يغيض ثجاجه له تصرف في صنوف العلم وفنونه وتحقق بتمييز أبكاره وعونه وتسلط بثاقب ذهنه على استنباط عيونه وما رأيت أحدا اجتمع له من حسن الحفظ وجودة اللفظ وذكاء الفهم ما اجتمع له، ولا رئيسا جعل العلم قيد همته، كما وقد استظهر دواوين من العلم في صغره ولم يتغير حفظه لها

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٤٤ - ٧٩، ذكر التجيبي ترجمة مطولة للعالم شرف الدين الدمياطي في رحلته من صفحة ٣٧ إلى صفحة ٨٢.

(٢) العالم علي بن محمد بن منصور بن المنير الملقب زين الدين: ولي قضاء الإسكندريةبعد وفاة أخيه ناصر الدين، وقرأ الفقه على أخيه وعلى أبي عمرو بن الحاجب، له شرح على البخاري، لم يعرف تاريخ وفاته، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٣٠٧، السيوطي: حسن المحاضرة، ١/ ٢٧٣.

في زمان كبره، وقد منح من حسن الخلق وجميل العشرة وكمال الانصاف ما يعيى ببعض أوصافه اللسان الوصاف ومايكل دون شأوه طرفا البيان ما خص به طلاقة الوجه واليد واللسان، وله على التأليف حسن اقتدار وفي إجادة التصنيف مكنة تدل على أنه لراية المجد ذو ابتدار "(١).

## ١٦ - بهاء الدين النحاس:

هو محمد بن إبراهيم بن محمد ابن أبي نصر الحلبي المشهور بابن النحاس ويلقّب ببهاء الدين، لقيه ابن رشيد في الفسطاط، وقد وصفه بعدة صفات وفي ذلك يقول: " أحد أعلام علماء الديار المصرية، إمام في العربية والآداب والخلاف وله نظم رائق ونثر فائق، وكرم ذات، وفضل أدوات، ومروءة ظاهرة، وخلق طاهرة، ورواء وبهاء " وحضر ابن رشيد المجلس العلمي للعالم بهاء الدين في جامع عمرو بن العاص ﷺ وفي الجامع الأقمر، وقرأ عليه في منزله قطعة انتقاها في جزء من الثلاثيات والموافقات وذلك في يوم الخميس(٢٥ رجب سنة: ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)(٢).

كما ألتقاه أيضاً الرحالة التجيبي في مدينة القاهرة سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) وقال عنه: " شيخ البلاد المشرقية قاطبة في علم اللسان والمقّر له في ذلك بالإجادة والإحسان، سابق غايات العلوم، وسائق رايات المنثور والمنظوم حالب درر فصاحة اللسان، وخالب درر ملاحة البيان، الذي لم أر بالحجاز الشريف والشام والثغر والمصر والقاهرة والصعيد الأعلى وكثير من بلاد الإسلام من يقاربه في التحقيق لصناعة العربية والتدقيق لغوامضها والاستبحار في علم اللسان العربي "، قرأ عليه التجيبي جميع جزء أم عزى وأم الفضل بيبي بنت عبدالصمد بن علي الهرثمية، ومسند أبي بكر الصديق ﷺ، وكتاب إمام النحاة أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، وأخبر العالم

(١) العبدري: رحلة العبدري، ص١٠٠.

(٢) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ١٠٧، ١١١.

بهاء الدين التجيبي بعدد من الأحاديث، كما أجازه وكتب له بذلك[(١)].

١٧- **عيسي بن يحي السبتي:**

هو أبوالهدى عيسي بن يحي بن أحمد بن محمد بن مسعود السبتي الصوفي، لقيه الرحالة التجيبي في القاهرة في سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) وعنه يقول: " كان رحمه الله تعالى شيخًا فاضلاً مقتصداً، سليم الصدر، حسن اللقاء والبشر، تبدو عليه سيماء الخير، وكان كثير الحفظ للأحاديث النبوية على قائلها-الصلاة والسلام-، خصوصاً لما في جامع الترمذي، يقال: إنه كان يستحضر أكثره " وذكر التجيبي العلماء الذين سمع منهم العالم عيسي السبتي الصوفي، وهم أبا الحسن علي بن أبي الفضائل هبة الله بن سلامة الشافعي، وأبا الرضى علي بن زيد التسارسي، ومحمد بن الحسن ابن عبدالسلام المالكي[(٢)].

وذكر التجيبي مروياته وهي: صحيح البخاري، ومسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وجامع الترمذي، وسنن الدارمي، والنسائي، وأخذ التجيبي من العالم عيسي السبتي الصوفي عدداً من الأحاديث، كما أجازه في جميع مروياته لفظاً وذلك في شهر جمادى الأولى سنة: (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)[(٣)].

١٨- **محمد بن أحمد الخرسي التلمساني:**

هو أبوعبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخرسي، التلمساني، المنعوت بالموفق المشهور بالخراساني، لقيه الرحالة التجيبي في القاهرة، وذكر من مروياته صحيح مسلم، ومن مؤلفاته الكافية في طريق أهل العافية في مجلدين، واللباب في تاريخ العلماء بداية من الهجرة حتى سنة ستمئة وهو في أربع مجلدات، وقد قرأ عليه

---

(١) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٨٢ - ٨٨.

(٢) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٨٨، ٨٩.

(٣) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٩٠ - ٩٧.

التجيبي، وسمع منه عدداً من الأحاديث، وأجازه في جميع ما تجوزت روايته عنه(١).

**١٩ - الحسن بن علي بن عيسي اللخمي:**

هو أبومحمد الحسن بن علي بن عيسي بن الحسن بن علي اللخمي الشافعي المعروف بابن الصيرفي، وصفه التجيبي عند التعريف به: " الشيخ الأجل، الصالح الثقة، الضابط، المتفنن، المفيد الكامل وذكر شيوخه ومن أجازه فمنهم أبوالحسن علي ابن هبة الله المعروف بابن ابنة الجميزي، وأبويعقوب الشاوي، وأبوالقاسم محمد بن ابي عبدالله الجياب، وأبوعبدالله محمد بن مقبل النهرواني المعروف بابن المني وغيرهم وقرأ عليه التجيبي جزءاً فيه عوالي وأبدال وموافقات، منتقاة من حديث أبي عبدالله محمد بن يحي الدهلي عن شيوخه تحتوي على أربعة وعشرين حديثاً، وسمع منه جزءا مقتبس من نهزة الخاطر ونزهة الخاطر من الفوائد المنتقاة الأحاديث العوالي والموافقات والإبدال، والتساعيات، والمصافحات، كما سمع التجيبي من العالم الحسن اللخمي عدداً من الأحاديث والأبيات الشعرية وحصل على أجازه منه (٢).

**٢٠- أبوالأصبغ عيسي بن مخلوف المغيلى:**

لقيه الرحالة البلوي في القاهرة وعند التعريف به وصفه بقوله: " أحد الأعلام الجلة وعلماء الإسلام والملة إمام الأنام وعلم الأعلام سيما في الفروع والأصول وعلم الكلام "، لقيه في المدرسة الناصرية وقرأ عليه بعض مختصر التفريع لابن الجلاب اختصار قاضي القضاء ببغداد عز الدين حسين بن أبي القاسم النيلي وهو المختصر الأكبر وأذن له في روايته(٣).

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٩٧ - ١٠٨.

(٢) التجيبي: المصدر السابق، ص١١٩ - ١٣٢.

(٣) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢٣٦.

**٢١- تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي**(١):

لقيه الرحالة البلوي بمنزله في القاهرة، ووصفه بقوله: " إمام من أئمة الشافعية وعالم من كبار علماء الديار المصرية ومن يعترف له بالرتبة العلية، ويرشح للخطة الكبيرة القاضوية، له عدالة الأصل وأصالة العدل وإصابة النقل ورزانة العقل وجزالة القول والفعل ومتانة الدين والفضل، إلى تحصيل وتفنن وتأصيل في المنقولات والمعقولات وتمكن ونظر راجح وحفظ راسخ وتقدم في التحديث والرواية"، وسمع منه الأحاديث وحصل على إجازة من العالم تقي الدين السبكي مكتوبة بخطه (٢).

**٢٢- أبوالعباس أحمد بن محمد القرشي الحجازي**:

إلتقى به الرحالة البلوي في منزله في الفسطاط وسمع منه عدداً من الأحاديث وسمع منه بعضاً من صحيح مسلم وكتاب الشفاء للقاضي أبي الفضل عياض رحمه الله، وأخذ منه الإجازة مكتوبة بخطه(٣).

**٢٣- علم الدين بن عبدالله بن أبي القاسم الشافعي**:

لقيه الرحالة البلوي مرتين الأولى في دمنهور والثانية في الفسطاط، وسمع منه

---

(١) العالم تقي الدين السبكي ولد بسبك في صفر سنة: (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) وتفقه على يد والده، و دخل القاهرة فأخذ العلم من مجموعة من العلماء، فأخذ النحو من ابي حيان والتفسير من العلم العراقي والقراءات من التقي الصائغ والحديث من الدمياطي، ورحل في طلب الحديث إلى الشام والإسكندرية والحجاز وأخذ من علمائها، تولى في القاهرة التدريس بالمنصورية وجامع الحاكم، وانتهت اليه رياسة المذهب الشافعي في مصر وتولى في دمشق القضاء والخطابة بالجامع الأموي والتدريس بدار الحديث الأشرفية، توفي في القاهرة في جمادي الآخر سنة: (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، السبكي: **طبقات الشافعية الكبري**، ١٠/ ١٣٩- ٣٣٨، العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٣/ ١٣٤- ١٤١، ابن العماد: **شذرات الذهب**،٦/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٣٧.

(٣) البلوي: **المصدر السابق**، ٢/ ٢١.

حديث الرحمة المسلسل بشرطه، وبعض مرويات العالم علم الدين الشافعي، وقرأ عليه في المرة الثانية جميع الأربعين حديثاً البلدانية للحافظ أبي طاهر السلفي، وحصل منه على أجازه بخطه[١].

**٢٤- شرف الدين محمد بن فخر الدين القمنى الأنصارى:**

لقيه الرحالة البلوي في الإسكندرية، وسمع منه جميع كتاب الأربعين المخصوصة بالتعيين لرواية سيد المرسلين عن رب العالمين لشرف الدين المقدسي وكتاب الأربعين في فضل الدعاء والداعين لشرف الدين المقدسي وقرأ عليه حديث الرحمة وحصل منه البلوي على إجازة[٢].

**العلماء عند الرحالة ابن بطوطة:**

لم يذكر الرحالة ابن بطوطة ترجمة مطولة أو مختصرًا عن العلماء الذين أخذ منهم في مصر ولم يذكر هل أخذ منهم العلم وحصل على إجازات، إنما اكتفى بذكر أسماء أهم العلماء في مصر وهذا مما يدل على مكانتهم العلمية، فذكر من العلماء:

شمس الدين الأصبهاني إمام الدنيا في المعقولات، وشرف الدين الزواوي المالكي، وبرهان الدين ابن بنت الشاذلي نائب قاضي القضاء بجامع الصالح، وركن الدين بن القوبع التونسي من الأئمة في المعقولات، وشمس الدين بن عدلان كبير الشافعية[٣].

---

(١) البلوي: تاج المفرق،، ٢/ ٢٢-٢٤.

(٢) البلوي: المصدر السابق، ٢/ ٣٨-٤٠.

(٣) هو العالم شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم الكناني، ولد بمصر في صفر سنة: (٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م)، إمام في الفقه، عارف بعلم النحو والقراءات، من أفقه علماء الشافعية،امتاز بالذكاء والفصاحة، وتوفي في ذي القعدة سنة: (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، السيوطي: حسن المحاضرة، ١/ ٣٦٨، السخاوي: وجيز الكلام،١/ ٣٧.

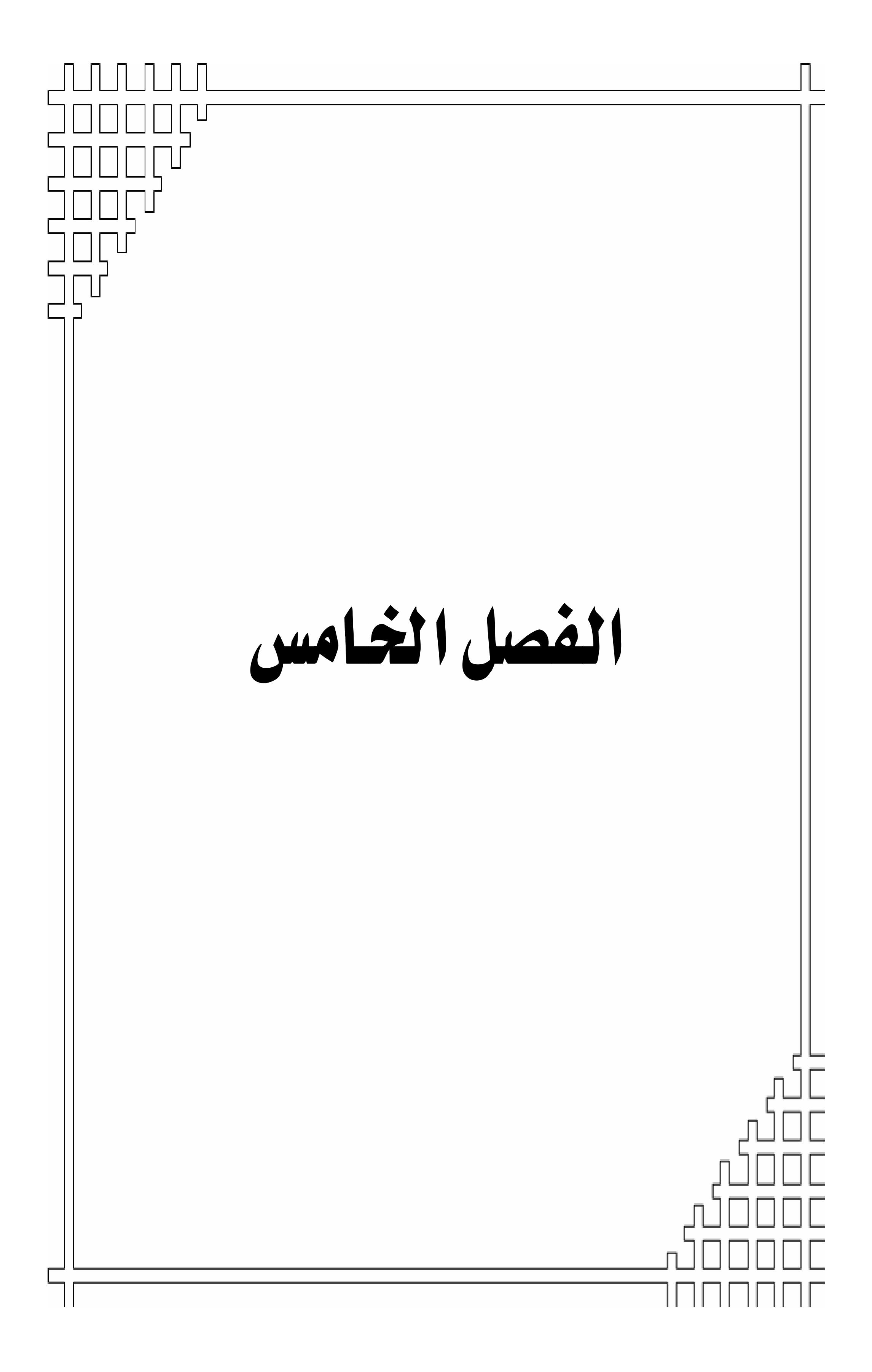
وبهاء الدين ابن عقيل فقيه كبير، وبدر الدين عبدالله المنوفي، وبرهان الدين الصفاقسي[(١)]، وذكر أيضاً العالم قوام الدين الكرماني وقد فصل في ذكره الشئ اليسير فقال عنه: " وكان سكناه على سطح الجامع الأزهر، وله جماعة من الفقهاء والقراء يلازمونه ويدرسون فنون العلم " وذكر ابن بطوطة من العلماء شمس الدين ابن بنت الصاحب تاج الدين بن حناء، وشيخ شيوخ القراء بديار مصر مجد الدين الأقصرائي جمال الدين الحويزائي، وبدر الدين الحسيني، والمدرس بقبة الإمام الشافعي مجد الدين بن حرمي، والمحتسب نجم الدين السهرتي[(٢)].

ومما سبق يتضح لنا من خلال كتابات الرحالة مدى ازدهار الحياة العلمية في عهد دولة المماليك، واهتمام السلاطين بإنشاء المدارس الكثيرة ليس في المدن فقط حتي في القرافات، وكذلك مساهمة الأمراء في إنشاء المدارس، وكثرة الزوايا في مصر، وكثرة حلقات العلم والعلماء، كما وضحوا لنا دور المراة العالمة في نشر العلم وتعليم الحديث.

---

(١) هو العالم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي السفاقسي أبو إسحاق، برهان الدين فقيه مالكي تفقه في بجاية وحج فأخذ عن علماء مصر والشام، وأفتى ودّرس سنين له مصنفات منها " المجيد في إعراب القرآن المجيد " ويسمى إعراب القرآن، و" شرح ابن الحاجب " في أصول الفقه، توفي سنة: (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٦/ ٩٠، الزركلي: **الأعلام**،١/ ٦٣.

(٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٦.



# الفصل الخامس

# الفصل الخامس

## المعالم الدينية والمدنية والعسكرية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتابات الرحالة المغاربة

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: المعالم الدينية.
- المبحث الثاني: المعالم الجغرافية والمدنية.
- المبحث الثالث: المعالم العسكرية.

# المبحث الأول

## المعالم الدينية

**وفيـه أربعـة مطالـب:**

- المطلب الأول: جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه.
- المطلب الثاني: جامع أحمد بن طولون .
- المطلب الثالث: الجامع الأزهر.
- المطلب الرابع : جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي .

* * * ** * * *

## المطلب الأول: جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه

بالرجوع إلى كتب المؤرخين والباحثين، كان جامع عمرو بن العاص[(١)] عند بنائه يحيط به الطريق من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص رضي الله عنه في الجهة الشمالية التي كان يفصلها عنه طريق عرضه سبعة أذرع أي: حوالي أربعة أمتار، وبابان في غربة، وبابان في جنوبه، وكان سقفه مطأطأ ولا صحن له ولا مئذنة، أما محرابه فلم يكن مجوفاً[(٢)].

وقد وقف على إقامة قبلة المسجد ثمانون صحابياً منهم الزبير بن العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضي الله عنهم[(٣)] ومع ذلك جاء مائلا في اتجاه الشرق[(٤)] وقد اتخذ عمرو بن العاص رضي الله عنه له منبراً وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بذلك فأمره بكسره وقال له: " أما يحسبك أن تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك" فكسره، وتتابعت الزيادة على جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه خلال العصور المتوالية على مصر إلى العصر المملوكي نذكر من ذلك زيادة مسلمة بن مخلد الأنصاري[(5)] وإلى مصر على أيام معاوية بن أبي سفيان سنة:

---

(١) جامع عمرو بن العاص هو أول مسجد أنشاه عمرو بن العاص- رضي الله عنه-بعد فراغه من فتح الإسكندرية سنة: (٢١هـ/ ويقع على شاطي النيل وكان في غاية البساطة شغل مساحة طولها(٥٠ × ٣٠)ذراعاً أي ما يقرب من(٢٩ × ١٧م)، المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٦، أحمد عبدالرازق أحمد: **تاريخ وآثار مصر الإسلامية**، ص٦٨

(٢) أحمد عبدالرازق أحمد: **المرجع السابق**، ص٦٩.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٧، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢٠٩.

(٤) أحمد عبدالرازق أحمد: **المرجع السابق**، ص٦٩.

(٥) مسلمة بن مخلد: ولي مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهم- في سنة: (٤٧هـ/ ٦٦٧م) وظل والي على مصر حتى عهد يزيد بن معاوية وتوفي في مصر(٢٥ رجب سنة: ٦٢هـ/ ١٨ إبريل ٦٨٢م)، واستمرت ولايته على مصر خمس عشرة سنة وأربعة أشهر، الكندي: **الولاة وكتاب القضاة**، ⇐=

(٥٣هـ/ ٦٧٣م) وذلك عندما ضاق المسجد على أهلة فشكوا إلى مسلمة بن مخلد فكتب إلى معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- يخبره بالأمر، فكتب إليه معاوية يأمره بالزيادة فزاد من الجهة الشرقية مما يلي دار عمرو بن العاص، وأضاف له رحبة كان الناس يصيفون فيها، ولاطه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه[١]وجعل له أربع صوامع في أركانه الأربعة نقش عليها اسمه وأمر مؤذني الجامع أن يؤذنوا الفجر إذا مضى نصف الليل وألا يضرب بناقوس عند أذان الفجر، وفرشه بالحصر بعد أن كان مفروشاً بالحصباء[٢].

أما في زمن عبدالعزيز بن مروان وكان والي مصر من قبل أخيه عبدالملك بن مروان فقام بهدمه سنة: (٧٩هـ/ ٦٩٨م) وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة[٣]التي أضافها مسلمة بن مخلد للناس، ومن الملاحظ أنه لم يستطع أن يوسع الجامع من جانبه الأيسر أو الشمالي الشرقي وذلك لوجود دار عمرو بن العاص ﵁ عند هذا الجانب[٤].

وأمر عبدالله بن عبدالملك في أثناء ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد بن عبدالملك برفع سقف الجامع وكان مطأطأ سنة: (٨٩هـ/ ٧٠٧م)[٥].

وتعاقبت الزيادات على جامع عمرو بن العاص ﵁ خلال العصر العباسي أيضاً ففي سنة: (١٣٣هـ/ ٧٥٠م) زاد والي مصر صالح بن علي الوالي من قبل أبي العباس السفاح أربعة أساطين في مؤخرة الجامع، وأدخل في الجامع دار ابن الزبير وباب

---

= ص٣٨، ٤٠.

(١) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٨.

(٢) أحمد عبدالرازق أحمد: **العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**، ص٢٣.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٩، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢١٠.

(٤) حسن الباشا: **القاهرة تاريخها فنونها آثارها**، ٤٠٨

(٥) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٩، القلقشندي: **صبح الإعشى**، ٣/ ٣٨٣.

الكحل في هذه الزيادة[(١)].

كما زاد والي مصر موسى بن عيسي[(٢)] من قبل الرشيد في سنة: (١٧٥هـ/ ٧٩١م) رحبة في مؤخرة الجامع أي! عند الجانب المواجه لجانب القبلة وقد أحدثت هذه الزيادة إلى ضيق الطريق أمام الجامع فأخذ الوالي الدار المواجهة للجامع ووسع بها الطريق [(٣)].

وفي سنة: (٢١٢هـ/ ٨٢٧م) أمر عبدالله بن طاهر[(٤)] أمير مصر من قبل الخليفة المأمون بالزيادة في المسجد الجامع فزاد فيه من الغرب ونصب اللوح الأخضر وأصلح بنيان السقف وبنى سقاية في الحذائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب[(٥)]

أما في العصر الطولوني فقد أصاب الجامع حريق دمر معظم عمارة عبدالله بن طاهر والرواق الذي عليه اللوح الأخضر فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته سنة: (٢٧٥ / ٨٨٨م) على يد أحمد بن محمد العجيفي، فأعاده كما كان عليه وأنفق فيه

---

(١) سعاد ماهر محمد: **العمارة الإسلامية على مر العصور**، ١/ ٢٧٢.

(٢) ولي موسى بن عيسي مصر مرتين من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد المرة الأولى في سنة: (١٧١هـ/ ٧٨٧م) ثم عزل من قبل الخليفة عن ولاية مصر في(١٥ رمضان سنة: ١٧٢هـ/ ١٥ فبراير ٧٨٩م)، فكانت مدة ولايته الأولى سنة وخمسة أشهر ونصف، أما المرة الثانية تولى ولاية مصر في ٨ صفر سنة: (١٧٥هـ/ ١٥ يونيو ٧٩١ م)وظل على ولاية مصر حتي عزل في ٢٨ صفر سنة: (١٧٦هـ/ ٢٣ يونيو ٧٩٢م) وكانت مدة ولايته الثانية سنة واحدة، الكندي: **الولاة وكتاب القضاة**، ص١٣٢، ١٣٤.

(٣) حسن الباشا: **القاهرة تاريخها فنونها آثارها**، ص٤١٢.

(٤) عبدالله بن طاهر: تولى ولاية مصر من قبل الخليفة العباسي المأمون(٣ ربيع الأول سنة: ٢١١هـ/ ١٢ يونيو ٨٢٦م)، ولم تستمر ولايته لمصر أكثرمن سنة ونصف، حيث عاد من مصر إلى العراق بأمر الخليفة المأمون في ٢٥ رجب سنة: (٢١٢هـ/ ١٩ أكتوبر ٨٢٧م) وتوفي في سنة: (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، وعمره ٤٨ عاما،الكندي: **المصدر السابق**، ص١٨٣، ١٨٤، الذهبي: **دول الإسلام**، ١/ ١٩٨.

(٥) سعاد ماهر محمد: **المرجع السابق**، ١/ ٢٧٣.

ستة آلاف وأربعمائة دينار[(١)].

كما زاد الوزير يعقوب بن كلس[(٢)] بأمر العزيز بالله الفوارة التي تحت قبة بيت المال وعمل للجامع مساقف الخشب المحيطة به وذلك في سنة: (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) كما جدد بياض المسجد الجامع وقلع شيئاً كثيراً من الفسيفساء الذي كان في أروقته، وبيض مواضعه[(٣)].

وفي سنة: (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بعمل رواقين في صحن المسجد وقد أقيم هذان الروقان على عمد من حجر بدلا من عمد من خشب كان قد نصبها أبوأيوب أحمد بن شجاع في سنة: (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) بناء على أمر أحمد بن طولون وجعل عليها ستائر لتقي الناس من حرارة الشمس[(٤)].

وكان الحاكم قد أمر بأن تدهن هذه العمد الخشب بدهن أحمر وأخضر، فلم يثبت عليها ثم أمر بقلعها وجعلها بين الرواقين[(٥)]، وإلى جانب ذلك اهتم الحاكم بأمر الله بتأثيث الجامع فأمر سنة: (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) بأن ينزل إليه من القصر بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفاً ما بين ختمات وربعات منها ماهو مكتوب بالذهب

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ١٢، ابن دقماق: **الانتصار**، ١/ ٦٧، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ٣/ ٣٨٤.

(٢) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، كان يهوديًا من أهل بغداد، وأسلم، عمل تاجراً لكنه فقد تجارته، فهرب إلى مصر وتاجر لكافور الأخشيدي، فلما رأى فطانته جعله وزيرا له، ثم هرب إلى المغرب فاتصل بالمعز الفاطمي وأطلعه على أوضاع الدولة الإخشيديه وزين له حكم مصر، ولما تولى المعز حكم مصر جعله وزيراً له، وظل في الوزارة حتى وفاته في عهد المعز الفاطمي سنة: (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) وعمره ٦٢ عاماً، **الذهبي**: **سير أعلام النبلاء**، ١٦/ ٤٤٢، ٤٤٣، **ابن تغري بردي**: **النجوم الزاهرة**، ط ٤،١/ ١٦١.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ١٣، ابن دقماق: **المصدر السابق**، ١/ ٦٨.

(٤) حسن الباشا: **القاهرة تاريخها فنونها آثارها**، ص٤٢٠.

(٥) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ١٣، ابن دقماق: **المصدر السابق**، ١/ ٦٨.

وقد مكن الناس من القراءة فيها [١].

كما أرسل إلى الجامع تنوراً لأنارة الجامع من الفضة بلغت قيمته مائة ألف درهم فضة، واجتمع الناس ولم يتمكن من إدخالها إلى الجامع إلا بعد أن قلعت عتبتا الباب حتى أدخل به[٢].

أما في العصر الأيوبي فقد جدد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة: (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) صدر الجامع والمحراب الكبير ورخّمه ورسم عليه اسمه وهذا يتفق مع ما ذكره الرحالة البلوي عند حديثه عن محراب جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه[٣].

ولم يحظ جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه بعناية كبيرة خلال عصر الأيوبيين [٤] ونقلاً عن المقري فإن الرحالة ابن سعيد المغربي زار جامع عمرو بن العاص أيام الصالح نجم الدين أيوب ووصف ما كان عليه الجامع حيث وجده جامعاً قديم البناء غير مزخرف يتخذه أهل الفسطاط مكاناً لتناول الطعام فيه ويطوف عليهم الصبية بأواني الماء، والباعة يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وغير ذلك، والأهالي رجال ونساء يتخذونه طريقاً لهم للعبور من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق، والصبيه يلعبون صحنه، وأهمال الأيوبيون في أواخر دولتهم جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه لم يمنع الجامع من أن تقام فيه دروس العلم، فقد ذكر ابن سعيد أن الجامع كان عامراً بحلقات العلم من قراءة القرآن وتدريس الفقه والنحو [٥]. أما في العصر المملوكي

---

(١) حسن الباشا: **القاهرة تاريخها فنونها آثارها**، ص٤٢٠.

(٢) سعاد ماهر محمد: **العمارة الإسلامية على مر العصور**، ١/ ٢٧٤.

(٣) ابن دقماق: **الانتصار**، ١/ ٦٩، الرجوع إلى ماذكره الرحالة البلوي عن جامع عمرو بن العاص ص٣٠٩.

(٤) لقد جدد السلطان صلاح الدين مقدمته ولكن بسبب أنشغال السلاطين الأيوبيين بعده بالحروب الصليبية ومشاكلهم الداخلية لم يتابعوا العناية به.

(٥) المقري: **نفح الطيب**، ٢/ ٣٤٠، ٣٤١.

فتوالت الإصلاحات في جامع عمرو بن العاص ﵁، فقد أمر السلطان الظاهر بيبرس في سنة: (٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) بعمارة الجامع " فهدم الجدار البحري من مقدم الجامع، وهو الجدار الذي فيه اللوح الأخضر، وحط اللوح وأزيلت العمد والقواصر العشر، وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمد والقواصر كما كانت وزيد في العمد أربعة قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الأخضر، والصف الثاني منه وفصل اللوح الأخضر أجزاء وجدد غيره وأذهب وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر، وجليت العمد كلها وبيض الجامع بأسره "[(١)]، وفي عهد السلطان المنصور قلاوون أصاب السوء جامع عمرو بن العاص ﵁ سنة: (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، فكلف السلطان المنصور قلاوون الأمير عز الدين الأفرم[(٢)] بتجديده وإصلاحه، فكلف الأمير أحد رجال الدولة بعمارته فأجرى إصلاحات طفيفة لم تنل القبول لدى الناس من ذلك أنه جرد نصف العمد التي بالجامع فصار العمود نصفه الأسفل أبيض وباقيه أسمر[(٣)] وفي عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة: (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، حدثت زلزلة أدت إلى تشعث الجامع. فتولى الأمير سلار عمارته، واعتمد على كاتبه بدر الدين بن الخطاب " فهدم الحد البحري من سلم السطح إلى باب الزيادة البحرية والشرقية وأعاده على ما كان عليه، وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية، وأضاف إلى كل عمود من الصف الأخير المقابل للجدار الذي هدمه عموداً آخر تقوية له وجرد عمد الجامع

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ١٦.

(٢) الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي النجمي، من كبار مماليك الصالحية، تولى أمير جاندارية للسلطان الظاهر بيبرس والسلطان السعيد بركة والمنصور قلاوون ونيابة السلطنة في بعض الأوقات، ولما تسلطن الأشرف خليل حبسه وبعد قتل الأشرف خليل أخرجه أخوه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأعاده إلى مكانته، وظل بها إلى أن توفي سنة: (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)، وكان كثير الخير والإحسان، عمر المدارس والمساجد،الصقاعي: **تالي وفيات الأعيان**،ص ١٣، ابن تغري بردي: **الدليل الشافي**، ١/ ١٦١، **النجوم الزاهرة**، ط٢، ٨/ ٨٠، النويري: **نهاية الإرب**، ٣١/ ١٩٤.

(٣) حسن الباشا: **القاهرة تاريخها فنونها آثارها**، ص٤٢٤.

كلها وبيض الجامع بأسره، وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين، وبلّط سفل ما أسقف منها، وخرب بظاهر مصر وبالقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها ليرخم بها صحن الجامع، وقلع رخام الجامع الذي كان تحت الحصر كثيراً من الألواح الطوال، ورصّ الجميع عند بـاب الجامع المعروف بباب الشرارين، فنقل من هناك إلى حيث شاء، ولم يعمل منه في صحن الجامـع شئ البته "[١].

وفي عهد السلطان برقوق تشعث الجامع، فعمره رئيس التجار برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي[٢]، فأزال اللوح الأخضر وجدد لوحاً آخر بدله وانتهت عمارته في سنة: (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)[٣]وأما ما ذكره الرحالة عن الجامع فقد أشار ابن بطوطة إلى مدى ما يتمتع به جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه من قدر عظيم حيث تقام فيه صلاة الجمعة: " ومسجد عمرو بن العاص مسجد شريف القدر شهير الذكر، تقام فيه الجمعة، والطريق يعترضه من شرق إلى غرب "[٤] ولم يزد الرحالة ابن بطوطة على ما ذكر وصفاً أخر ولكن الرحالة البلوي كان أكثر دقةٍ في وصفه، حيث وصف ما وجده داخل الجامع من اتساع صحنه وما كتب على محرابه ونقل لنا نص الكلام المكتوب "ثم جلنا من مصر في أعظم المصر وحللنا منها أكرم المحل واسنى القطر" "كنت أتردد بها إلى المسجد العتيق الحافل الذي بناه عمرو بن العاص رضي الله عنه وإليه ينسب اليوم فأرى جامعاً منيراً ومسجداً كبيراً له صحن فسيح وسَوارُ حافلة ومقاصر من العود

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ١٦، ١٧.

(٢) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي: من ذرية طلحة بن عبدالله، ولد في سنة: (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) انتهت إليه رئاسة التجار في عصره وظل بها إلى أن توفي، وبلغ حظ كبير في التجارة وسعة المال، امتاز بالحشمة والمروءة وفعل الخير، جدد عمارة جامع عمرو بن العاص-رضي الله عنه-، توفي في سنة: (٢٢ربيع الأول سنة: (٨٠٦هـ/ ٨أكتوبر ١٤٠٣م)، العسقلاني: **إنباء الغمر بأنباء العمر**، ٢/ ٢٧٠،ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ١/ ١٣٠،الصيرفي: **نزهة النفوس والأبدان**، ٢/ ١٩٣.

(٣) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢١٣.

(٤) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٣٧.

عجيبة، وتواريخ مكتوبة بالخط الحافل المذهب كثيرةٍ فمنها ما كان مكتوباً على المحراب، ونصه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [(١)] النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا وسيدنا الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن أمير المؤمنين، أمر بتجديده الملك الزاهد الناصر المجاهد صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف -وفقه الله تعالى- لطاعته في سنة ثمان وخمسمئة[(٢)]".

(١) سورة التوبة، آية ١٨.

(٢) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٢٠، ٢٢١، لقد وصف الرحالة ماشاهده مكتوب على محراب جامع عمرو بن العاص ولكنه أخطا في ذكر تاريخ تجديد محراب الجامع، فقد جدد صلاح الدين محراب جامع عمرو بن العاص كما ذكرنا سابقا في سنة(٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) في ص٣٠٧.

## المطلب الثاني: جامع أحمد بن طولون

جامع ابن طولون[١] بناه أحمد بن طولون وكان سبب بناء ابن طولون للجامع هو أن أهل مصر شكوا إليه ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة من كثرة جنده وسودانه، فأمر بعمارة الجامع على جبل يشكر[٢] وتم بناء جامع ابن طولون بالجير" قال القضاعي-رحمه الله-: وقيل أن أحمد بن طولون قال: أريد أن أبني بناء إن احترقت مصر بقي وإن غرقت بقى فقيل له: يبني بالجير والرماد والآجر الأحمر القوي النار إلى السقف، ولا يجعل فيه أساطين رخام، فإنه لا صبر لها على النار، فبناه هذا البناء" وتم بناء جامع ابن طولون على شكل جامع سامراء " وعمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية، وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة، وبناه على بناء جامع سامراء، وكذلك المنارة، وعلق فيه سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحكمة، وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية "[٣].

ومر الجامع خلال العصر الفاطمي ثم المملوكي بإصلاحات معمارية، فيذكر المقريزي نقلاً عن المسبحي بأن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أنزل إلى جامع ابن طولون

---

(١) يقع جامع ابن طولون في موضع يعرف بجبل يشكر، وابتدأ بناء هذا الجامع الأمير أحمد بن طولون بعد بنائه للقطائع سنة: (٢٦٣هـ/ ٨٧٦م) وانتهى من بنائه سنة: (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م)، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢١٥، وكذلك ذكر المقريزي مثل ما ذكر السيوطي إلا أنه اختلف معه في تاريخ انتهاء بناء الجامع فقد ذكر المقريزي أنه في سنة: (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م)، المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٤٠.

(٢) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٤٠، ابن دقماق: **الانتصار**، ١/ ١٢٢.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٤٠، ويمكن الرجوع أكثر لبناء أحمد بن طولون لجامعه إلى المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٣٨-٤٢، السيوطي: **المصدر السابق**،٢/ ٢١٥ - ٢١٨، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ٣/ ٣٨٦، ٣٨٧، أحمد عبدالرازق أحمد: **العمارة الإسلامية في مصر**، ص٤٦ - ٥٦، خالد عزب: **مسجد ابن طولون يستعيد رونقه التراثي**، ص١٤ - ١٩.

ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً، وفي سنة: (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) احترقت الفوارة التي كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شيء ويصفها المقريزي: " وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمود رخام في جوانبها مفروشة كلها بالرخام، وتحت القبة قصعة رخام فسختها أربعة أذرع، في وسطها فوارة تفور بالماء، وفي وسطها قبة مزوقة يؤذن فيها، فاحترق جميع هذا في ساعة واحدة" وفي المحرم سنة: (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) أمر الخليفة الفاطمي العزيز بالله بن المعز ببناء فوارة عوضاً عن التي احترقت، وعمل ذلك على يد راشد الحنفي وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء(١) وفي عهد الخليفة المستنصر صار ما حول الجامع خراباً وتوالت الأيام وتشعث الجامع وخرب أكثره" وصار أخيراً ينزل فيه المغاربة بأباعرها ومتاعها عندما تمر بمصر أيام الحج" حتى هيأ الله تعالى لعمارة جامع ابن طولون السلطان حسام الدين لاجين، وقد ذكر المقريزي سبب اهتمام السلطان حسام الدين لاجين بإجراء إصلاحات على جامع ابن طولون" وكان ممن وافق الأمير بيدراً على قتل الأشرف، الأمير حسام الدين لاجين المنصوري، والأمير قراسنقر، فلما قتل بيدر في محاربة مماليك الأشرف له، فر لاجين وقراسنقر من المعركة، فاختفى لاجين بالجامع الطولوني وقراسنقر في داره بالقاهرة، وصار لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه في الجامع وهو حينئذ خراب لا ساكن فيه، وأعطى الله عهداً إن سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الأرض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به "، فلما تولى حسام الدين لاجين الحكم في مصر جعل إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري(٢) شراء الأوقاف على الجامع الطولوني، وصرف إليه كل ما يحتاج إليه في العمارة وأكد عليه في أن لا يسخر فيه فاعلاً ولا صانعاً، وأن لا يقيم مستحثاً للصناع، ولا يشتري لعمارته شيئاً مما يحتاج إليه من سائر الأصناف إلا بالقيمة التامة، وأن يكون ما ينفق

---

(١) المقريزي: الخطط، ٤/ ٤٢.

(٢) علم الدين سنجر الدواداري: كان عالماً فاضلاً، له مشاركة في الفقه والحديث، سمع من الكثير من العلماء، توفي في حصن الأكراد في(٣ رجب سنة: ٦٩٩هـ/ ٢٤ مارس ١٣٠٠م)، المقريزي: السلوك، ٢/ ٣٣٣، ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ١/ ٣٢٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ٦/ ١٢٢.

على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته، فابتاع منية أندونة من أراضي الجيزة، واشترى أيضاً ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون مما كان في القديم عامراً ثم خرب وحكرها وعمر الجامع، وأزال كل ما كان فيه من تخريب، وبلّطه وبيضه ورتب فيه دروساً في الفقة وتفسير القرآن والحديث، والطب، وقرر للخطيب معلوماً وجعل له إماما راتباً، ومؤذنين وفراشين وعمل بجواره مكتباً لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله-عزوجل-، وبلغت النفقةعلى عمارة الجامع عشرين ألف دينار(١).

وفي سنة: (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) جدد الأمير يلبغا العمري الخاصكي درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسيين للحنفية، وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهماً وأردب قمح(٢)وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون تولى نظارة جامع ابن طولون القاضي كريم الدين وأنشأ فيه منارتين على طرفي جداره الشرقي بناهما بالطوب(٣).

وفى سنة: (٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م) أنشأ الحاج عبيدالله محمد بن عبدالهادي الهويدي البازدار مقدم الدولة رواقاً بجوار المئذنة وجدد ميضاة بجانب الميضاة القديمة(٤).

وكان ابن سعيد المغربي هو أول الرحالة المغاربة الذين أشاروا إلى جامع ابن طولون عندما زار مدينة القاهرة وذكر ما حوله من المباني ولم يورد تفاصيل عن مساحته أو من بناه أو هيئته التي كان عليها عند زيارته للقاهرة " وقصر ابن طولون في مدينة القطائع هو الآن ميدان تحت قلعة الجبل.أخبرني بذلك من سألته عنه من العارفين بهذا الشأن ولم يبق الآن أثر لمدينة القطائع الطولونية غير جامع ابن طولون،

(١) المقريزي: الخطط، ٤/ ٤٣، سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ١/ ١٤٧.

(٢) المقريزي: المصدر السابق، ٤/ ٤٤.

(٣) سعاد ماهر محمد: المرجع السابق، ١/ ١٤٨.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ٤/ ٤٤.

وهو خارج القاهرة وحوله المباني من غير سور يدور عليها "[(١)].

أما الرحالة التجيبي فقد ذكر مَن بني الجامع وما أنفق في بنائه معتمداً في ذلك على كتاب الحافظ ابن عساكر الدمشقي: " وبازاء المدينة في أرباضها جملة جوامع للخطبة، وبين مصر الجامع العظيم الشأن المنسوب لأبي العباس أحمد بن طولون-رحمه الله تعالى-، وهو الذي بناه، وأنفق فيه أموالا عظيمة. قرأت في تاريخ الحافظ أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي-رحمه الله- أن ابن طولون أنفق على هذا الجامع في بنائه ونفقته مئة وعشرين ألف دينار"[(٢)] ثم ذكر الرحالة التجيبي مدى اهتمام السلطان المملوكي حسام الدين لاجين بجامع أحمد بن طولون، حيث قام بتجديده وإصلاحه وإنفاق الكثير من الأموال عليه فقال: " جدد الآن بناء هذا الجامع المنسوب لابن طولون -رحمه الله-واعتنى بإصلاحه الملك الأجل حسام الدين والدنيا أبوالفتح لاجين الملقب بالمنصور-نفعه الله- وأنفق فيه أموالا عظيمة، عاينَّا فيه من الصناع جملة كثيرة " وذكر التجيبي ما فعله السلطان لاجين من إصلاح في جامع ابن طولون " ووضع فيه قبة جعل فيها طيقاناً صفراً صغارا على عدد ساعات الليل و النهار مفتحة، فإذا مرت ساعة انغلق الطاق الذي هو لتلك الساعة، وهو تدبير عجيب، ولا تزال كذلك تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات، ثم حالها الأول " [(٣)].

أما الرحالة البلوي الذي زار مصر على أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد ذكر بأن مساحة جامع ابن طولون توازي مساحة المسجد الحرام بمكة المكرمة في

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢١، ٢٢.

(٢) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٦، وقد اتفق كل من ابن دقماق والسيوطي في ذكر مقدار النفقة التي أنفقها أحمد بن طولون على بناء جامعه مع ما ذكره الرحالة التجيبي، بينما ذكر المقريزي بأن أحمد بن طولون قد انفق مائة ألف دينار وقال للقائم ببناء الجامع " فقال له أنفق، وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك " المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٣٨، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢١٥، ابن دقماق: **الانتصار**، ١/ ١٢٢.

(٣) التجيبي: **المصدر السابق**، ص٧

الطول والعرض " إلى أن وصلنا الى مدينة القاهرة فدخلناها في آخر يوم الأحد الثالث عشر لرجب من العام المذكور فنزلنا منها بقرب الجامع الأعظم المشهور بجامع ابن طولون الذي بناه ابن طولون فيما يذكر على مثال المسجد الحرام بمكة المشرفة طولا وعرضا " ولم يذكر أي معلومات أخرى تخص الجامع[1].

(١) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢١٥.

## المطلب الثالث: الجامع الأزهر

بنى القائد الفاطمي جوهر الصقلي الجامع الأزهر[(١)]، ولقي منذ إنشائه اهتماماً من قبل الخلفاء الفاطميين، فقد اهتم بأمره الخليفة الحاكم بأمر الله فجدد مئذنته في سنة: (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) وأوقف عليه عدة أوقاف[(٢)] كما جعل للجامع الأزهر تنورين وسبعة وعشرين قنديلاً من فضة وشرط أن تعلق في شهر رمضان، وفي عهد الخليفة الحافظ لدين الله أراد أن يزيد في مساحة الأروقة وذلك سنة: (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) فلم يجد متسعاً سوى الصحن، فأضاف فيه رواقاً يحيط من جهاته الأربعة وأقام على رأس المجاز قبة، وحفلت جوانبه وقبته بنقوش جصية بارزة جميلة وكتابات كوفية وآيات قرآنية[(٣)]، وبعد سقوط دولة الفاطميين وقيام دولة الأيوبيين أبطل السلطان صلاح الدين الأيوبي الخطبة في جامع الأزهر واكتفى بإقامتها في جامع الحاكم بأمر الله " وانقطعت الخطبة من الجامع الأزهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة، فإنه قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبدالملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه، وهو امتناع إقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الشافعي، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، وأقر الخطبة بالجامع

---

(١) الجامع الأزهر: هو أول جامع أسس في مدينة القاهرة، أنشأه القائد جوهر الصقلي مولى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لما اختط القاهرة، وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادي الأولى من سنة: (٣٥٩هـ/ ٩٧٠م) وأكتمل بناء الجامع لتسع خلون من شهر رمضان سنة: (٣٦١هـ/ ٩٧٢م)، المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٥١، ٥٢، وكذلك ذكر كلا من السيوطي والقلقشندي متى أنشأ الجامع الأزهر ومتى انتهى بناء الجامع من اختلف في اليوم من الشهر الذي فرغ من بناء الجامع فقد ذكر كل منهم أن البناء كمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة: (٣٦١هـ/ ٩٧٢م)، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٢١٩، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ٣/ ٤١٠.

(٢) أحمد عبدالرازق أحمد: **العمارة الإسلامية في مصر**، ص٨٦.

(٣) سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر واولياؤها الصالحون**، ١/ ١٩٨.

الحاكمي من أجل أنه أوسع " [(١)].

واستمر الأزهر منسي حتى عصر السلطان الظاهر بيبرس الذي أذن للأمير عز الدين أيدمر الحلي[(٢)] في سنة: (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) بإعمار الجامع، فاستعاد الأراضي التي أخذت من ساحة الأزهر بغير وجه حق، كما جمع له كثيراً من التبرعات والأموال وكذلك أطلق السلطان الظاهر بيبرس مبلغاً كبيراً من المال لعمارة الجامع الأزهر[(٣)]،فعمر الأمير عز الدين الواهي من أركانه وجدرانه، وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه، حتى عاد حرماً في وسط المدينة [(٤)]، وفي سنة: (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) حدثت زلزلة عنيفة في مصر ألحقت خراباً كبيراً بالجامع الأزهر وأصاب الخراب بعض جوامع القاهرة، فتقاسم الأمراء عمارة الجوامع، وأخذ الأمير سلار من رجال المماليك البحرية على نفسه عمارة الأزهر وتجديده[(5)].ثم جدد الجامع على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن علي الأسعردي محتسب [(٦)]القاهرة في سنة: (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)[(٧)]، وفي سنة: (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) بنى الأمير علاء الدين

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٥٥.

(٢) عز الدين أيدمر الحلي: كان من كبار أمراء دولة المماليك وأعظمهم، محل ثقة عند السلطان الظاهر بيبرس فكان ينوب عن السلطان الظاهر بيبرس في حال غيابه عن مصر، توفي في قلعة دمشق في يوم (٧شعبان سنة: ٦٦٧هـ/ ١٠ إبريل ١٢٦٩م) ودفن بتربته في سفح قاسيون، اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، ٣/ ٤٦،الصقاعي: **تالي وفيات الأعيان**،ص ١٦،الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ١٠/ ٥ ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ٣/ ١٧٠، ١٧١.

(٣) أحمد عبدالرازق أحمد: **العمارة الإسلامية في مصر**، ص٨٨.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٥٥.

(٥) عبدالرحمن زكى: **الأزهر وما حوله من الآثار**، ص٢٦.

(٦) نجم الدين الأسعردي: هو محمد بن علي بن حسين، عمل محتسب في القاهرة، توفي في(١٥ جمادي الأولى سنة: ٧٣٧هـ/ ١٣٣٥م)، المقريزي: **المقفي الكبير**، ٦/ ٢٥٨.

(٧) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٥٦.

طيبرس الخازندار[١] نقيب الجيوش بالديار المصرية زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون بجوار الجامع الأزهر المدرسة الطيبرسية وأوقف عليها الأوقاف الجليلة[٢].

وفي سنة: (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) انتهى الأمير أقبغا علاء الدين الواحدي من إنشاء مدرسته المتصلة بالمدرسة الطيبرسية وقيل: إنه لم يؤسس بنيانها على التقوى فأخذ أرضها بغير رضى من أصحابها وأنشأها بالعسف، وقد وقف عليها أوقافا كثيرة وجعل لها منارة هي إحدى المنارات الخمس الأزهرية [٣]وفي سنة: (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) استأذن الأمير سعد الدين بشير الجامدار الناصري السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في عمارة الجامع الأزهر فأذن له في ذلك، فأخرج الخزائن والصناديق التي ضاق المكان بها ونزع المقاصير التي استجدت في الجامع الأزهر، وتتبع جدرانه وسقوفه بالإصلاح حتى عاد إليه رونقه، وبدأ الجامع الأزهر وكأنه جديد، ودهن الجامع كله وبلطه، ومنع الناس من المرور فيه، ورتب فيه مصحفاً وجعل له قارئاً، وأنشأ على باب الجامع القبلي سبيلا لتسبيل الماء كل يوم وكتاب لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز، ورتب للفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم، ورتب فيه دروساً لفقهاء الحنفية ووقف على ذلك أوقافاً جليلة[٤].

وفي سنة: (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧- ١٣٩٨م) سقطت منارة الجامع فأعاد بناءها الظاهر

---

(١) علاء الدين طيبرس الخزنداري: أصله من مماليك بيليك الخزندار نائب السلطنة، ثم انتقل لبيدرا فتولى ديوانه بدمشق ولازم لاجين وهو نائب الشام فولاه لما تسلطن نقابة الجيش فظل بها إلى أن توفي، وهو الذي بنى المدرسة بجوار الجامع الأزهر وكان حسن السياسة أميناً مهابا عفيفاً، توفي في شهر ربيع الآخر سنة: (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) ودفن بمدرسته بجوار جامع الأزهر، المقريزي: **السلوك**، ٣/ ٢٠، العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ٢/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر واولياؤها الصالحون**، ١/ ٢٠١.

(٣) عبدالرحمن زكى: **الأزهر وما حوله من الآثار**، ص٢٦.

(٤) المقريزي: **الخطط**، ٤/ ٥٦، أحمد عبدالرازق أحمد: **العمارة الإسلامية في مصر**، ص٩٢، عبدالرحمن زكى: **المرجع السابق**، ص٢٦ - ٢٩.

أبوسعيد برقوق بن آنصل من ماله الخاص. ولم تدم هذه المنارة طويلا فقد سقطت في سنة: (٨١٧هـ/ ١٤١- ١٤١٥م) ثم في سنة: (٨٢٧هـ/ ١٤٢٣-١٤٢٤م).

وكان يعاد إصلاحها في كل مرة، وأنشأ السلطان برقوق صهريجا للماء في صحن الجامع وعمل فوقه مكانا مرتفعا له قبة ويسيل فيه الماء كما أنه أقام ميضأة[1].

أما الرحالة فقد ذكروا معلومات قليلة عن الجامع الأزهر دون التفصيل في جوانبه المعمارية ومدى اهتمام السلاطين المماليك به خصوصاً أن فترة زيارة الرحالتين اللذين ذكرا المعلومات كانت أثناء حكم المماليك على مصر فالرحالة التجيبي الذي زار مصر أثناء حكم السلطان المملوكي حسام الدين لاجين ذكر لنا أن جامع الأزهر يقع في الجهة الغربية من مدينة القاهرة[2]وأن مساحته أصغر من جامع الحاكم بأمرالله، ولم يذكر أي تفصيلات أخرى وقال في ذالك "والجامع الآخر بغربيها، وهو دون هذا في الكبر، ويعرفونه بالجامع الأزهر "[3].

أما الرحالة الآخر وهو ابن بطوطة الذي زار مصر في فترة حكم الناصر محمد بن قلاوون فهو أقل دقة من الرحالة التجيبي فلم يمدنا بمعلومات معمارية عن الجامع إنما اكتفى بذكر أن سطحه كان سكناً للعالم قوام الدين الكرماني[4]، وعلى الرغم من عدم ذكر الرحالة تفصيلات عن الجامع الأزهر إلا أنه ظل موضع اهتمام من قبل الخلفاء الفاطميين ومن بعدهم السلاطين المماليك الذين اهتموا بتجديده والزيادة فيه، كما نستنتج من كلام ابن بطوطة إلى استغلال سطح الجامع لسكن بعض العلماء.

---

(١) عبدالرحمن زكى: **الأزهر وما حوله من الآثار**، ص٢٩.

(٢) وتذكر الدكتورة سعاد ماهر بأن موقع الجامع الأزهر في الجنوب الشرقي من قاهرة المعز لدين الله الفاطمي على مقربة من القصر الكبير، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ١/ ١٦٥.

(٣) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٦

(٤) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٦.

## المطلب الرابع: جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي

توالت التجديدات والعمارة على جامع الحاكم[(١)]، ففي عهد الخليفة المستنصر عندما جدد سور القاهرة الشمالي وأدخل جامع الحاكم داخل الأسوار جددت بعض أجزاء المئذنة الشمالية والغربية وقد سجل ذلك عليها، إذ كتب عليها أن ذلك بني سنة: (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) في زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش[(٢)].

وفي سنة: (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) حدث في مصر زلزال فتهدم على أثر ذلك الجامع الحاكم فسقط كثير من البدنات التي فيه، وخرب أعالي المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه، فانتدب لذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل إليه ومعه القضاة والأمراء، فكشفه بنفسه وأمر بترميم ما تهدم منه، وإعادة ما سقط من البدنات فأعيدت وفي كل بدنة منها طاق، وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديداً وجعل له عدة أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد وفي الإسكندرية، ورتب فيه دروسا أربعة لإقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ودرساً للحديث النبوي، وجعل لكل درس مدرساً وعدداً كبيراً من الطلبة[(٣)].

---

(١) ينسب جامع الحاكم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله مع أن الذي أمر بإنشائه هو أبوه الخليفة العزيز بالله في شهر رمضان سنة: (٣٨٠هـ/ ٩٠٠م) وقد صلى فيه الخليفة العزيز بالله وخطب فيه الجمعة مرتين الأولى في الرابع من شهر رمضان سنة: (٣٨١هـ/ ٩٩١م) والثانية أيضاً كانت في شهر رمضان سنة: (٣٨٣هـ/ ٩٩٣م)، وفي سنة: (٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م أمر الحاكم بأمر الله أن يتم بناء الجامع، وقدرت النفقة عليه أربعون ألف دينار، فابتدئ العمل فيه، وفي سنة: (٤٠٣هـ/ ١٠١٣م) أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج إليه الجامع من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ما ذرع للحصر ستة وثلاثين ألف ذراع، فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار، المقريزي: **الخطط** ٤/ ٥٨، أحمد عبدالرازق أحمد: **العمارة الإسلامية في مصر**، ص١٠٠.

(٢) سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر واولياؤها الصالحون**، ١/ ٢٣٦.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٤/ ٥٩، ٦٠.

وجدد الجامع وبلط جميعه في عهد الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وأضيفت إلى أوقاف الجامع قطعة أرض من ناحية طنتدا(طنطا)قدرها خمسمائة وستون فدانا[(١)].

ووصف المقريزي ما وصل إليه حال الجامع في عصره فقال: " والجامع الآن متهدم وسقوفه كلها من زمن إلا ويسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعاد، وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن، فيما بينها وبين باب الجامع، وموضعها الآن مخزن تعلوه طبقة عمرها شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحلي، وهذه الميضأة الموجودة الآن أحدثت وأنشأ الفسيقة التي فيها ابن كرسون في أعوام بضع وثمانين وسبعمئة، وبيض مئذنتي الجامع واستجد المئذنة التي بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكملت في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمئة "[(٢)].

وذكر الرحالة التجيبي معلومات بسيطه عن موقعه ومن بناء جامع الحاكم بأمرالله، ولا نجد في كتب الرحالة المغاربة الآخرين ذكراً لجامع الحاكم بأمر الله. ومن المعلومات التي أمدنا بها التجيبي عن جامع الحاكم بأمر الله أنه يقع في شرق مدينة القاهرة وأنه يمتاز بكبر مساحته وأنه بني من قبل الحاكم بأمر الله الفاطمي أثناء فترة حكمه وحمل إليه المصاحف والستور وحصر الشاميين[(٣)].

(١) سعاد ماهر محمد: مساجد مصر واولياؤها الصالحون، ١/ ٢٣٨.

(٢) المقريزي: الخطط، ٤/ ٦٣.

(٣) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٥، ٦.

# المبحث الثاني

## المعالم الجغرافية والمدنية

---

**وفيـه خمســة مطالــب:**

- المطلب الأول: الفنادق والحمامات ، والبيمارستانات .
- المطلب الثاني: نهر النيل .
- المطلب الثالث: الأهرامات .
- المطلب الرابع : أبو الهول .
- المطلب الخامس: بركة الفيل .

* *    * ** *    * *

## المطلب الأول: الفنادق والحمامات والبيمارستانات

### ١- الفنادق:

أما الفنادق فنجد الرحالة ابن رشيد يذكر عند وصوله إلى مصر (الفسطاط) سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) نزوله بخان يعرف بربع الكارمي على مقربة من منزل صاحبه المحدث أبي عبدالله محمد بن عاصم[(١)].

وقدم لنا الرحالة التجيبي وصفاً للفنادق عندما نزل مدينة قوص فقال بعد وصف كبر المدينة وما تشتهر به من التجارة والزراعة: " وكان نزولنا بهذه المدينة بالخان الكبير المعروف بالفندق المكرم، وبه ينزل التجار المدعون بالأكارم، وقد كان عرض علينا بعض ذوي اليسار من فضلاء التجار النزول في بعض الديار، فرأينا أن النزول بالخان المذكور آنس لنا، وأحسن للاستفهام عن أحوال الطرقات، وإليه يقصد الجمالون وغيرهم ممن يريد دخول الصحراء، وما رأينا قط خانا أكبر منه، وهو نوع حصن، وكل نوع من مساكنه مستقل بنفسه، غير محتاج إلى غيره، وفي وسطه مسجد تصلى فيه الصلوات الخمس وله إمام راتب "[(٢)].

وتعتبر الفنادق والخانات من أهم المنشآت التجارية التي كانت تستخدم لإيواء الأجانب في القاهرة وهي تشبه الأسواق الكبيرة توضع البضائع في أسفلها ويتحول أعلاها ليلاً إلى مكان للنوم [(٣)].

ونتيجة ارتباط دولة المماليك بعلاقات تجارية مع كثير من الدول المحيطة بها ودول أوربا وحوض البحر المتوسط والدول العربية والهند والصين، ولأن مصر كانت

---

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٥/ ٢٨٤.

(٢) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص١٧٣.

(٣) محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص٧٣.

ملتقى للطرق التجارية تعتبر الوسيط التجاري بين تجارة الهند وتجارة أوربا وجدت جاليات أجنبية كبيرة العدد وأعداد متفاوتة مثل الأرمن والأحباش واللاتين واليونانيين والمسيحيين الوافدين من جورجيا وغيرهم،خاصة في مدينتي الإسكندرية والقاهرة لذلك اهتمت دولة المماليك بهم فقامت ببناء الفنادق والخانات ليقيموا فيها فترة تواجدهم في مصر[(١)]. وقبلهم اهتم الأيوبيون فبنوا الفنادق، ومن الفنادق التي بنيت في العصر الأيوبي واستمرت في العصر المملوكي نذكر فندق بلال والذي أنشأه الأمير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثي وكان التجار يودعون فيه صناديق أموالهم[(٢)].

ويصف المقريزي ما تحتويه هذه الصناديق وأحجامها " ولقد كنت أدخل فيه فإذا بدائرة صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير، لا يفصل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه، وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجلّ وصفه "[(٣)].

ومن الفنادق التي بنيت في العصر المملوكي نذكر فندق طرنطاي وهذا الفندق يفد إليه تجار الزيت الوافدين من الشام، وقد بقي هذا الفندق حتى سنة: (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) حيث احترق في الحريق الذي شب في القاهرة في سنة: (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)[(٤)].

واهتمت الدولة براحة التجار الأجانب في فنادقهم فكان لهم الحمامات والأفران

---

(١) سماح السلاوي: **الفنادق وحانات المسافرين في العصور الوسطى في مصر والشام**، ٤٥.

(٢) الأمير بلال المغيثي: روى عن عبدالوهاب بن رواج، توفي في(٩ ربيع الآخر في سنة: ٦٩٩هـ/ ٢ يناير ١٣٠٠م)، ودفن بقطيا ثم نقل إلى تربته بالقرافه، وكان خيراً ديناً، المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٣٣٣، الذهبي: **العبر**، ٣/ ٣٩٧، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ١١٩.

(٣) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ١٦٨.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**، ٣/ ١٧٢.

والكنائس[١]، ولكل جالية قنصل أعطته الدولة الحرية في اختيار مساعديه والإشراف عليهم، وللقنصل نائب يحل محله في بعض المهمات أو ينوب عنه للتخفيف من ضغط العمل واتساع المسئوليات، ويصل عدد مساعدي القنصل إلى سبعة[٢] ويعتبر القناصل مسؤلون عن رعاياهم أمام السلطان[٣] وقد تمتع التجار الأوربيون بالحرية داخل فنادقهم إذ سمحت الدولة بإحضار الخمور اللازمة لهم في سفنهم وإنزالها إلى فنادقهم[٤].

ففي سنة: (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) منع الأمير حاج ملك نائب السلطنة في أيام السلطان الصالح إسماعيل[٥] أن يحمل الفرنجة إلى الإسكندرية خمراً فحاول جمال الكفاة[٦] إقناع السلطان إسماعيل بالتراجع عن هذا القرار وأنه يتحصل من ذلك في السنة نحو الأربعين ألف دينار، ومن منع الفرنج من حمل الخمر فسد حال الإسكندرية، ومازال يقنع السلطان حتى أصدر قراراً بمنع النائب من ذلك[٧].

وبالرجوع إلى المقريزي فقد ذكر الفنادق وأطلق مصطلح الفندق على الخان فعند حديثه عن خان مسرور قال: " وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة،

---

(١) السيد العريني: **الشرق الأدني في العصور الوسطي الأيوبيون**، ص٢٠٧.

(٢) صبحي لبيب: **الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية**، ص٢٩٣.

(٣) السيد العريني: **المرجع السابق**، ص٢٠٧.

(٤) سعيد عاشور: **العصر المماليكي في مصر والشام**، ص٣٠٠.

(٥) الصالح إسماعيل: تولي السلطنة سنة: (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) بعد أخيه الناصر أحمد لما توجه إلى الكرك، واستمر في السلطنة حتى وفاته وبلغت مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر، توفي في ربيع الآخر سنة: (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) وعمره ٢٠ عاماً، ابن تغري بردي: **الدليل الشافي**، ١/ ١٢٩، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦/ ٣٢٧.

(٦) هو جمال الدين إبراهيم ناظر الخاص والجيش، الصفدي: **أعيان العصر وأعوان النصر**،٢/ ١٦٠.

(٧) المقريزي: **السلوك**، ٣/ ٣٩٩.

تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم "[(١)] فمصطلح الخان والذي ذكره الرحالة المغاربة تعني الفنادق والتي هي مكان يقصده التجار للنوم ووضع بضائعهم.

**الحمامات:**

فلا نجد غير وصف الرحالة ابن بطوطة لحمام من حمامات مدن صعيد مصر وهي مدينة منية ابن خصيب فقد وصف عدم تسترّ الناس في الحمام فأخبر قاضي المدينة فخر الدين النويري المالكي فأحضر القاضي القائمين على أمر الحمامات وكتب عليهم عقوداً أن لا يدخل أحد دون مئزر، فإنهم يحاسبون على ذلك، ويقول ابن بطوطة عن ذلك: " دخلت يوماً الحمام بهذه البلدة فرأيت الناس بها لا يسترون، فعظم ذلك عليَّ وأتيته فأعلمته بذلك، فأمرني أن لا أبرح وأمر بإحضار المكترين للحمامات، وكُتبت عليهم العقود أنه متى دخل أحد الحمام دون مئزر فإنهم يؤاخذون على ذلك واشتد عليهم أعظم الاشتداد، ثم انصرفت عنه " [(٢)].

وعرف المصريون سواء في عصر الأيوبيين أو المماليك الحمامات التي انتشرت في مدينة القاهرة والمدن المصرية الأخرى، ولم تكن من عادة المصريين بناء الحمامات عند بناء منازلهم، باستثناء أبناء الطبقة الحاكمة ومن يتبعهم من كبار المعممين والتجار، وكان المصريون لهم الحمامات العامة التي لم تساهم الدولة في بنائها أنما بُنيت على يد الأفراد الأثرياء الذين يبنونها للاستثمار والتوريث، وبعضها بني لتخصيص أيرادها كوقف على مدرسة أو سبيل، ويستخدم الناس هذه الحمامات لقاء أجر معين يدفع للقائم على الحمام[(٣)].

وكانت الحمامات على درجة عالية من الجودة حيث ذكر الرحالة عبداللطيف البغدادي الحمامات في مصر بقوله: " وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها

---

(١) المقريزي: الخطط، ٣/ ١٦٧، ١٦٨.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٤٩.

(٣) قاسم عبده: بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك، ص٣٠١.

وضعاً ولا أتّم حكمه ولا أحسن منظراً ومخبراً""[١].

وقد ذكر المقريزي نقلاً عن ابن عبدالظاهر أن عدد الحمامات في القاهرة وحدها حتى سنة: (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) بلغ حوالى ثمانين حماماً، وذكر لنا المقريزي في خططه ٤٤ حماما في القاهرة وحدها [٢].

ويذكر ابن دقماق بأن أول من بنى الحمامات كان عمرو بن العاص ﷺ في مدينة الفسطاط المسمى بحمام الفار سنة: (٢٢هـ/ ٦٤١م) " وهو أول حمام بني في الإسلام " ويذكر ابن دقماق بأن سبب التسمية هو صغر مساحتها قياساً بالحمامات الرومانية سابقاً في مصر [٣].

بينما يخالفه الرأي المقريزي فيرى بأن أول من بنى الحمامات في مصر كان الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله[٤].

وكانت بعض الحمامات خاصة بالرجال، والبعض الآخر خاص بالنساء، ووجدت من الحمامات ما كانت تخصص فترة للنساء وفترة للرجال[٥]؛ بل وجدت حمامات خاصه للصوفية فيذكر المقريزي حمام الصوفية والذي بناه السلطان صلاح الدين لصوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء [٦].

ولم يقتصر تخصص الحمامات للرجال والنساء من المصريين أو طوائف الصوفية بل شمل الغرباء الوافدين على الإسكندرية والقاهرة وغيرها من المدن المصرية فيذكر الرحالة ابن جبير بأن من اعتناء السلطان صلاح الدين بالغرباء فأمر " بتعيين حمامات

---

(١) البغدادي: كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ص٦٩.

(٢) المقريزي: الخطط، ٣/ ١٤٦ - ١٥٧.

(٣) ابن دقماق: الانتصار، ١/ ١٠٥.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ٣/ ١٤٦.

(٥) قاسم عبده: بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٣.

(٦) المقريزي: المصدر السابق، ٣/ ١٥٥.

يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك "[١].

وكانت الحمامات إحدى أهم وسائل علاج بعض الأمراض وبصفة خاصة الروماتيزم وآلام المفاصل[٢]وفي العصر المملوكي اعتبر الحمام فضلاً عن أنه مكان لإعلان الشفاء، فهو مركز اجتماعي حيث يلتقي الناس فيه سواء الرجال أو النساء بعضهم ببعض فيتناقلون أخبار الناس وقصصهم [٣]. وكان ذهاب كل من العروس وكذلك العريس إلى الحمام قبل الزواج أمراً ضروريا[٤]في موكب يصحب كلاً منهما بالموسيقى والأغاني حتى وصولهم الحمام، ثم يعود كل منهما بموكب مماثل بعد الاستحمام[٥]وعندما تجتمع النساء في الحمامات تستصحبن معهن أفخر ثيابهن فيتفاخرن ويتباهين[٦].

## البيمارستان

فنجد أن الرحالة المغاربة قد أبدعوا في وصف البيمارستان المنصوري فنقلوا لنا وصفاً امتاز بالدقة، فالرحالة التجيبي ذكر لنا البيمارستان عند حديثه عن مدينة القاهرة ولمن أعدّ هذا البيمارستان وما رتب فيه من الأطباء وما احتوت عليه خزائن البيمارستان من الأدوية للمرضى فيقول: " وبهذه القاعدة العلية مارستان عظيم القدر، شهير الذكر يقصر عنه أعظم قصر من قصور الملوك معدّ للمرضى وذوي العاهات، ابتناه الملك الأجل المجاهد قلاوون الصالحي الملقب بالمنصور- رحمه الله-، ووقف عليه أموالًا عظيمة، ورتب فيها الأطباء والخراج ومن يعالج أمر المرضى، ويتفقد

(١) ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، ص٤١.
(٢) صلاح البهنسي: **الحمامات العامة في العالم الإسلامي**، ص١٩٩.
(٣) سعيد عاشور: **المجتمع المصري**، ص١٠٧.
(٤) صلاح البهنسي: **المرجع السابق**، ص١٩٩.
(٥) قاسم عبده: **بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك**، ص٣٠٣.
(٦) سعيد عاشور: **المرجع السابق**، ص١٠٧.

أحوالهم بكرة وعشية، وجعل فيها من عقاقير الهند كثيرا مما لا يكاد يوجد إلا في خزائن الملوك وذخائرهم، رفقا من الله تعالى بالمرضى في هذه المدينة، وفيه من الكسي والأغذية ما يناسب ذلك"[١].

وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة موقع البيمارستان. فقال: إنه يقع بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون، ومقدار ما يجبى من البيمارستان. واتفق الرحالة ابن بطوطة مع الرحالة التجيبي في ما احتوت عليه خزائن البيمارستان من الأدوية " وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يُحصر، يذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم"[٢].

وهذا البيمارستان بخط بين القصرين من القاهرة كما ذكر ابن بطوطة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد، ثم عُرف بدار الأمير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية، وبدار موسك، ثم عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وصار يقُال لها: الدار القطبية ولم تزل بيد ذريته إلى أن أخذها الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل [٣] المعروفة بالقطبية، وعوضت عن ذلك قصر الزمرد برحبة باب العيد في الثامن عشر من شهر ربيع الأول من سنة: (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)[٤]

---

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص٤، ٥.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٧.

(٣) الخاتون مؤنسة بنت السلطان العادل أبي بكر بن أيوب: ولدت سنة: (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) روت الإجازة عن عفيفة الفارقانية، وعن الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفية، توفيت في ربيع الآخر سنة: (٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) بالقاهرة، ودفنت بباب زويلة، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣/ ٢٩٩.

(٤) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٦٨، وانظر عن البيمارستان المنصوري: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ط٢، ٧/ ٣٢٦، ٣٢٦، ابن إياس: بدائع الزهور، ١/ ق١: ص٣٥٣، ٣٥٤.

وقيل: في الثاني عشر من ربيع الأول وأمر الأمير علم الدين الشجاعي بالعمارة، فتولى الشجاعي أمر العمارة وأظهر من الاهتمام بالعمارة والاحتفال، مالم يسمع بمثله فعمرت في مدة يسيره [(١)] وهي أحد عشر شهراً وأيام، وكان مقاس هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع، وكان الشروع في بنائها مارستانا في أول ربيع الآخر سنة: (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) [(٢)].

ويتألف البيمارستان من إيوانات أربعة، وبكل إيوان شاذروان وبدور قاعته فسقية يصير إليها الماء من الشاذروانات، كما تميز برخامه الفاخر وبساتينه، ومياهه الوفيرة، بحيث لم يكن له مثيل في مصر والشام[(٣)]. ومدح الرحالة البلوي شكل البيمارستان المنصوري فقال: " ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به إلا (المارستان) وحده وهو قصر عظيم من القصور الرائقة حسنا وجمالا واتساعا مالم يعهد مثله بقطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكمل انتهاء في الحسن والجمال وانتماء من قد نعمت أدواحه وخبت على خضر الأغصان وزرق الغدران أرواحه " [(٤)].

وعندما اكتمل بناء البيمارستان المنصوري أوقف عليه الملك المنصور من الأملاك القياسر والرباع والحوانيت والحمامات والفنادق والأحكار وغير ذلك والضياع بالشام[(٥)] مايقارب ألف ألف درهم في كل عام[(٦)]، ورتب مصاريف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الأيتام. ووكل الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي أمير جندار في وقف ما عينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم، وجعل النظر

---

(١) النويري: نهاية الإرب، ٣١/ ٧٠، أحمد عيسي: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص٨٤، ٨٥.

(٢) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٦٨.

(٣) حياة الحجي: صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، ص٢١٥.

(٤) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢١٨.

(٥) النويري: المصدر السابق، ٣١/ ٧٠

(٦) المقريزي: المصدر السابق، ٤/ ٢٦٨، ٢٦٩.

لنفسه في أيام حياته ثم من بعده لأولاده، ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعي[(١)].

ولما تكامل بناء البيمارستان ركب السلطان وشاهده، وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء واستدعى السلطان قدحاً من الشراب فشربه وقال أوقفت هذا على مثلي، فما دوني وأوقفه السلطان على الملك والمملوك والجندي والأمير والكبير والصغير والحر والعبدوالذكر والأنثى وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ومن مات جهزه وكفن ودفن، ورتّب فيه الحكماء الطبائعية والكحّالين والجرائحية والمجبّرين لمعالجة الرمد والمرضى والمجرحين والمكسورين من الرجال والنساء، ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام، وقرر لذلك الجامكيات الوافرة وعُملت التخوت والفرش والطراريح والأنطاع والمخدات واللحف والملاوات لكل مريض فرش كامل وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها وجعلت قاعة للرمد، وقاعة للجرحى، وقاعة لمن أفرط به الإسهال وقاعة للنساء ومكان حسن للممرورين من الرجال ومثله للنساء، والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن، وأفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأكحال والشيافات والسفوفات وعمل المراهم والأدهان وتركيب الترقيات وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة، ومكان يفرق فيه الشراب وغير ذلك من جميع مايحتاج إليه[(٢)].

وقد ذكر الرحالة البلوي ما أخبره به العالم شمس الدين الكركي عن إعداد المرضى الذين يدخلون البيمارستان وما يعطى لهم من الكسوة والدراهم وما يعالج به المرضى من الأدوية وما رتب فيه من الأطباء والخدم فقال: " أخبرني الشيخ العالم المؤرخ شمس الدين الكركي المذكور أنه يكمل في كل يوم من المرضى الداخلين إليه

---

(١) أحمد عيسي: تاريخ البيمار ستانات في الإسلام، ص٨٦.

(٢) النويري: نهاية الإرب، ٣١/ ٧١.

والناقهين الخارجين منه أربعة آلاف نفس، وتارات يزيدون وينقصون، ولا يخرج منه كل من يبرأ فيه من مرض حتى يعطى إحسانا إليه، وإنعاما إليه كسوة للباسه ودراهم لنفقاته، وأما ما يعالج به المرضى من قناطر الأشربة المقنطرة والأكحال الرفيعة الطيبة التي تسحق فيها دنانير الذهب والإبريز وفصوص الياقوت النفيس وأنواع اللؤلؤ الثمين فشيء يهول السماع ويعم ذلك الجمع إلى ما يضاف إلى ذلك كله من لحوم الطيور والأغنام على اختلافها وتباين أصنافها مع ما يحتاج إليه كل واحد ممن يوافيه ويحل فيه لفرشه وعرشه من غطاء ووطاء ومشموم ومذرور وشبه ذلك مما هو معد على أكمله هنالك وما ليس مثله إلاَّ في منزل أمير أو خليفة، وقد رتب على ذلك كله من الأطباء الماهرين والشهود المبرزين، والنظام العارفين، والخدام المتصرفين كل ما هو في معالجته موثوق بعدالته مسلم له في معرفته غير مقصر في تصرفه وخدمته ولو استقصيت الكلام في هذا المارستان وحده لكان مجلداً مستقلاً بنفسه إذ في مبانيه الرائعة وصناعاته وتواريخه المذهبة ونقوشه العجيبة المنتخبة التي ترفل في ملابس الإعجاب، وتسحر العقول والألباب ما يفتن النفوس ويكسف أنواع البدور والشموس، وتحزّ عن وصف بعضها خطي الأقلام في ساحة الطروس فما وقعت عين مثله ولا سمعت بشبهه وشكله "[1].

ولم يحدد السلطان المنصور قلاوون عدد المرضى الذين يدخلون على البيمارستان وإنما جعله سبيلاً لكل من يصل إليه في جميع الأوقات سواء كان غنياً أو فقيراً، ولم يقف على المرضى داخل البيمارستان؛ بل إلى المرضى خارج البيمارستان وإمدادهم بما يحتاجون من الأشربة والأغذية والأدوية [2].

وجعل للبيمارستان أمناء ومباشرين فمباشري الإدارة وظيفتهم إحصاء ما يحتاج إليه البيمارستان من الأغذية والأدوية والأشربة وضبط ما يدخل إلى البيمارستان وما

---

(١) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢١٩.

(٢) النويري: **نهاية الإرب**، ٣١/ ٧٢.

يخرج منه ورواتب الموظفين في البيمارستان وكتابة ذلك كل شهر، ويرفع إلى ديوان الصندوق، ووظيفة المباشرين على ديوان الصندوق استخراج الأموال ومحاسبة المستأجرين وصرف الأموال على مباشري الإدارة ومباشري العمارة. ووظيفة مباشري العمارة هي القيام بترميم الأوقاف واستعمال الصناع وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم إلى ناظر البيمارستان(١).

وذكر ابن دقماق: " أن الملك المنصور قلاوون لما أراد عمارة المارستان أخربها (قلعة الروضة) وأخذ حواصلها، عمر بها المارستان والمدرسة "(٢).

أما عن أسباب بناء المنصور قلاوون البيمارستان فيذكر المقريزي أن السلطان المنصور قلاوون لما توجّه وهو أمير إلى غزو الروم في عصر السلطان الظاهر بيبرس سنة: (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) مرض بدمشق " أصابه قولنج عظيم "، فعالجه الأطباء بأدوية أحضرت له من بيمارستان نور الدين، فلما شفي من مرضه ركب لمشاهدة البيمارستان فأعجب به ونذر أن آتاه الله الملك أن يبني مارستان(٣).

ويذكر ابن إياس سبباً أخر فيقول: " وكان سبب بناء هذا البيمارستان، وهذا المعروف العظيم الذي صنعه قلاوون، قيل إنه أمر بشيء كان له فيه اختيار، فخالفه جماعة من العوام، ورجموا المماليك، فغضب عليهم السلطان، وأمر المماليك أن يقتلوا كل من وجدوه من العوام، فاستمر السيف يعمل فيهم ثلاثة أيام، فقتل في هذه المدة مالا يحصى عددهم من العوام وغيرهم وراح الصالح بالطالح، فلما تزايد الأمر طلع القضاة ومشايخ العلم إلى السلطان وشفعوا فيهم، فأمر بكف القتل عنهم بعد ما قتل من الناس جماعة كثيرة، فلما جرى ذلك، ندم السلطان على ما وقع منه، فأشار عليه بعض العلماء أن يفعل شيئاً من أنواع البر والخير، لعل أن يكفّر عنه ما جرى منه فشرع

---

(١) النويري: نهاية الإرب، ٣١/ ٧٢، ٧٣.

(٢) ابن دقماق: الانتصار، ١/ ١١٠.

(٣) المقريزي: الخطط، ٤/ ٢٦٨.

في بناء هذا البيمارستان "[١] وذكر البلوي بيمارستان أخر في مصر ولكنه ليس بمثل البيمارستان المنصوري "وفي مصر مارستان آخر على مثاله ولكن ليست حاله "[٢].

(١) ابن إياس: **بدائع الزهور**، ١/ ق١: ص ٣٥٤

(٢) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢٢٠.

## المطلب الثاني : نهر النيل

وصف لنا عدد من الرحالة أهمية نهر النيل للمصريين وكان أول من وصف لنا نهر النيل الرحالة ابن سعيد المغربي وذلك عند حديثه عن مدينة القاهرة " ومن عيوب القاهرة أنها في أرض النيل الأعظم، ويموت الإنسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل " ويعلل ذلك " لئلا يصادرها ويأكل ديارها "[(١)] أما عندما ذكر ابن سعيد مدينة الفسطاط قال إنها أكثر أرزاقاً وأرخص أسعاراً من القاهرة وذلك بسبب قرب نهر النيل من مدينة الفسطاط فالمراكب التجارية تصل نهر النيل محملة بالخيرات وتباع ما يصل فيها بالقرب من مدينة الفسطاط وهذا لا يتوفر لمدينة القاهرة لبعدها عن الساحل [(٢)].

أما الرحالة العبدري الذي أتى إلى مصر في زمن السلطان المنصور قلاوون فقد وصف لنا مدى اتساع نهر النيل وعظم فائدته في حياة المصريين، وأورد لنا حديث رؤية الرسول ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج أربعة أنهار في الجنة اثنان ظاهران وهما نهر النيل والفرات، واثنان باطنان " ونيلها من عجائب الدنيا عذوبة واتساعا وغلة وانتفاعا وقد وضعت عليه المدائن والقرى فصار كسلك انتظم دررا وقد روينا في الصحيح أن رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء وصل إلى سدرة المنتهى فإذا في أصلها أربعة أنهار، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال: أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات "[(٣)].

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٥.

(٢) ابن سعيد المغربي: **المصدر السابق**، ص٢٧.

(٣) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٤٥، وهوحديث صحيح ورد في كتاب صحيح البخاري، باب الأشربة، ورقم الحديث ٥٦١٠، البخاري: **صحيح البخاري المسمي الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، ٧/ ١٠٩.

واعتمد العبدري على كتاب البكري في وصف الحديث عن نهر النيل وأثر زيادة نهر النيل ونقصانه على حياة المصريين " قال البكري: فليس في الأرض نهر يسمى بحراً ويمًّا غيره قال الله-تعالى-فألقيه في اليم، واليم البحر فسماه بحراً وحق له ذلك قال وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل، ولا نهر يجبى منه ما يجبى من النيل، وابتداؤه بالتنفس في حزيران وهو شهر يونيه، فإذا انتهت الزيادة ستة عشر ذراعا تم خراج السلطان وخصب الناس الكافي، وكان المرعى ناقصا فاضر بالبهائم، فإذا بلغ سبعة عشر فذلك الخصب العام والصلاح التام، فإذا بلغ ثمانية عشر أضر بالضياع وأعقب الوباء بمصر، وقد بلغ في خلافة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه تسعة عشر ذراعًا قال عنه ابن حبيب: وإن نقص إلى خمسة عشر ذراعاً نقص من خراج السلطان ولا يستسقى لذلك، وإن حط إلى أربعة عشر ذراعاً استسقوا وكان الضرر الشديد، قال: وذكر أن أرض مصر مصورة في كتب الأوائل وسائر المدن مادة أيديها تسطعمها "[1].

ثم يصف لنا العبدري مدى اتساع نهر النيل " قلت: والنيل نهر متسع جدا أخذ من الجنوب إلى الشمال ويفترق بعد مسافة من فسطاط مصر على ثلاثة أنهار ولا يدخل واحد منها إلاّ في القوارب شتاء وصيفاً، وقد دخلتُه من مجمع نهرين فقرأتُ حزباً من القرآن قبل أن يقطع القارب الى الجيزة الأخرى، وصورة السقي به أن أهل كل بلد لهم خلج تخرج منه فإذا مد أترعها ففاضت على المزارع وسقتها كما تسقي سائر الأنهار، وقد علموا أين ينتهي سقي كل مقياس، ومن غرائب صنع الله أن مده يبتدئ في معمعان الحر وشدّته في الوقت الذي تفيض فيه الأنهار وينتهي في الوقت الذي تمد فيه الأنهار وتغيض فيحسر الماء عن الأرض في مبدأ زمان الحرث "، ثم ذكر العبدري نقلاً عن البكري تأثير نهر النيل على باقي الأنهار في حالة نقصانه أو زيادته " وقد حكى البكري عن ابن حبيب أن الله-تعالى-جعل النيل معادلا لأنهار الدنيا فحين يبتدئ

(١) العبدري: **رحلة البعدري**، ص١٤٦.

بالزيادة تنقص كلها وذلك لخمس بقين من شهر ينيه وحين يبتدئ بالنقصان تزيد كلها " (١).

ومن الرحالة الذين وصفوا لنا نهر النيل ابن بطوطة الذي يتفق كثيراً في وصفه مع ما ذكره الرحالة العبدري، فقد وصف ابن بطوطه مدى اتساع نهر النيل وذكر حديث حادثة إسراء الرسول الكريم-عليه أفضل الصلاة والسلام- ورؤيته لأنهار الجنة الأربعة الظاهران النيل والفرات والباطنان ثم ذكر متى تبدأ زيادة نهر النيل ومتى ينقص وأثر ذلك على المجتمع المصري.

" ونيل مصر يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق، واتساع قطر وعظم منفعة، والمدن والقرى بضفتيه منتظمة ليس في المعمور مثلها، ولا يعلم نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل وليسقي الأرض نهر يسمى بحراً غيره. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾(٢) فسماه يماً، وهو البحر وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ، وصل ليلة الإسراء إلى سدرة المنتهى، فإذا في أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران ونهران باطنان، فسأل عنها جبريل عليه السلام، فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات.

وفي الحديث أيضاً: أن النيل والفرات وسيحون وجيحون كل من أنهار الجنة. ومجرى النيل من الجنوب إلى الشمال خلافا لجميع الأنهار(٣). ومن عجائبه أن ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفوفها وابتداء نقصه حين زيادة الأنهر وفيضها، ونهر السند مثله في ذلك، وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيه فإذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعاً تم خراج السلطان، فإن زاد ذراعاً كان الخصب في العام والصلاح التام، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعاً أضر بالضياع، وأعقب الوَباء وإن نقص ذراعاً عن ستة عشر نقص خراج السلطان، وإن نقص ذراعين استسقى الناس وكان

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٤٦.

(٢) سورة القصص،آية ٧.

(٣) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٤٠.

الضرر الشديد " "والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها إلاّ في السفن شتاء وصيفاً، وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل، فإذا مد أترعها ففاضت على المزارع "[(١)].

ربما قد أخذ الرحالة ابن بطوطة وصف نهر النيل من الرحالة العبدري وأنا أرجح هذا الاحتمال وذلك لأن الوصفين متطابقان ولأن ابن بطوطة سجل رحلته بعد عودته لبلاده المغرب بأمر من سلطانها.

أما الرحالة البلوي فقد ركب بحر النيل مع عدد من أصحابه وقد ذكر لنا البلوي عدد المراكب على نهر النيل والجمال الداخلة للقاهرة بالماء والسقائين، وذكر لنا عدد دكاكين السقائين في مدينة القاهرة وذلك نقلاً عن أحد العلماء و عن العالم شمس الدين الكركي " ركبت بحر نيلها العذب في جملة وافرة من الصحب أخلاقهم أعذب من مائه وشمائلهم أرق من صفائه "[(٢)] ويقول عن عدد المراكب والسقائين: " أخبرنى هناك من أثقه من العلماء، قال أخبرنى أحد كتاب السلطان أنهم كتبوا وأحصوا المراكب الجارية في هذا النيل المعدة لا يساق الزرع خاصة، فألفوها تنيف على مئة ألف مركب ماعدا الزواريق الصغار التى للصيد والركوب، وغيرها ذلك فكأنها أكثر من أن تحصى. وأخبرنى الشيخ الإمام القدوة شمس الدين الكركي قال: عد الصاحب الوزير الملك الطاهر وأحصى الجمال الداخلة إلى القاهرة بالماء في كل يوم فبلغت مئتى ألف جمل ماعدا البغال والحمير والسقائين الذين بالزقوق وغيرهم فإن ذلك شئ لا ينضبط ولا ينحصر وهذه الجمال المذكورة تحط بالمدينة في كل يوم من أيام الصيف سبع آلاف وفي الشتاء أقل من ذلك قال: وأحصى دكاكين السقائين المعدة للسقى بالقاهرة فبلغت ستين ألف دكان ماعدا السقائين الذين بالأكواز و الأكواب في الطريق

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٤١.

(٢) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢١٧.

والأسواق وغيرها "[١].

وذكر البلوي أيضاً مخرج نهر النيل وأنه لا يتوصل له أحد من الناس لبعد وطول المسافة وذكر قول عمرو بن العاص ﷺ في نهر النيل نقلاً من كتاب الاكتفاء [٢]. " ومخرج النيل من جبل القمر ولا يكاد يتوصل إليه أحد لبعد المشقة وطول المسافة. وفي كتاب الاكتفاء ما نصه. وكان عمرو بن العاص ﷺ يقول: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة وقال: نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فإذا أراد الله أن يجريه أمر الأنهار فأمدته بمائها وفجّر له الأرض عيونا فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله –سبحانه- أوحى لكل ماء أن يرجع إلى عنصره "[٣].

وقد وصف لنا الرحالة نهر النيل ومدى اتساعه وأهميته على حياة المصريين في حالة نقصانه أو زيادته في حدوث الوباء والغلاء، كما وصف البلوي عدد المراكب في نهر النيل وهذا يدل على ازدهار النشاط التجاري في عصر المماليك.

---

(١) البلوي: **تاج المفرق**، ١/ ٢١٨.

(٢) لم يذكر البلوي من هو مؤلف كتاب الاكتفاء وعند البحث لم نجد اسم الكتاب بالكامل وأسم مؤلفه.

(٣) البلوي: **المصدر السابق**، ١/ ٢٢٠.

## المطلب الثالث : الأهرامـــــات

ذكر عدد من الرحالة المغاربة السبب في بناء الأهرامات ومن بناها، وقدموا لنا وصفاً عن شكلها، وأول من قدم لنا هذه المعلومات الرحالة العبدري فقال: " وأما أهرامها وبرابيها فمبان عجيبة في غاية الغرابة متضمنة من الحكمة وغرائب العلوم ما صار أعجوبة على وجه الدهر وبين الناس تنازع في أول من بناها، وفي أي شيء قصد بها، ولهم فيها خوض كثير لا حاجة بنا إليه، وقد ذكر القاضي صاعد صاحب الطبقات أن جماعة من العلماء زعموا أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صارت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ وهو أدريس النبي عليه السلام، وأنه أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل ومجّد الله تعالى فيها، وقالوا إنه أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء أو النار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع، فبنى الأهرام والبرابي التي في الصعيد، وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها العلوم حرصا منه على تخليدها "[1]. ثم يصف لنا العبدري شكل الأهرامات ومما بنيت " والأهرام مبان من حجارة صارت لإحكامها كالحجر الواحد في غاية العلو متسعة الأسفل مستديرة الشكل فكلما طلعت انخرطت حتى صار أعلاها حاداً على شكل المخروط، وليس لها باب ولا مدخل ولا يعلم كيف بنيت وقد ذكر البكري في المسالك والممالك وذكره المسعودي ومن كتابه نقله البكري أن أحمد بن طولون صاحب مصر استحضر من أرض الصعيد شيخا له مئة وثلاثون سنة موصوفا بالعلم والحكمة فسأله عنها فقال: إنها بنيتّ لحفظ جثة الملوك فقال له: كيف بنيت بتلك الحجارة العظيمة ومن أين يصعد إليها قال: إنهم كانوا يبنونها على مراق أبرزوها من البنيان فإذا فرغوا نحتوها. وذكر البكري أيضا أن شونيد بن سهلون ملك

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٤٦ - ١٤٧.

مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته وحملته على بناء الأهرام بالصخور وأعمدة الحديد والرصاص بأمر المنجمين ليكون حفظا لجثته وجثث أهله مستودعاً للعلوم من آفة الطوفان، واختير لها موضع بقرب النيل في الجانب الغربي فلما فرغ منها قال لهم: انظروا هل يفتح منها موضع فقالوا يفتح من الجانب الشمالي وحققوا له الموضع وأن ذلك يكون لأربعة آلاف دورة للشمس وأنه ينفق في هدمه كذا وكذا، فأمر أن يجعل في الموضع ذهب يزن ما ذكروا وحث على الفراغ من الأهرام ففرغ منها في ستين سنة وكتب عليها "[1] بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فإن الهدم أهون من البناء " فلما كان المأمون أراد أن يهدمها فقال له بعض شيوخ مصر: قبيح بمثلك أن يطلب شيئاً لا يناله فقال: لابد أن أعلم علم ذلك، ثم أمر بفتحها من الجانب الشمالي لقلة دوام الشمس على العمال فكانوا يوقدون النار عند الحجر فإذا أحمر رش عليه الخل ورمي بالمنجنيقات حتى فتحت الثلمه التى يدخل منها اليوم ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا وبإزاء النقب مالا فأمرهم بوزنه وبإحصاء ما أنفق على نفقه فوجدها سواء فعجب المأمون من ذلك، قال: ووجد طول كل واحد من الهرمين[2]الكبيرين أربعمئة ذراع بالمالكي وهو ذراع اليد، ويقال: ليس على وجه الأرض أرفع بناء منهما ويذكر أن عمقهما في الأرض مثل ارتفاعه "[3] وقاعدة الهرم الكبير مربعة وطول كل ضلع منها ٤٥ مترا، أما ارتفاعه فهو حوالى ٦ أمتار، وزاويته حوالى ٥١، وهو في مستوى أعلى من مستوى الأرض ومسقف بكتلة كبيرة من الحجر الجيري[4].

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص١٤٦ - ١٤٧.

(٢) لقد أستخدم المصريون في بناء الهرم الكبير وحده أكثر من مليونين ونصف مليون من كتل الأحجار يزن بعضها سبعة أطنان ونصف طن، أحمد فخري: **الأهرامات المصرية**، ص١٧.

(٣) العبدري: **المصدر السابق**، ص١٤٨.

(٤) أحمد فخري: **المرجع السابق**، ص١٦٢.

وقد اتفق الرحالة ابن بطوطة مع العبدري تماما في وصف الأهرامات من ناحية ذكر سبب بنائها وشكلها وقصة المأمون عندما أراد هدمها وفي ذلك يقول ابن بطوطة " وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها، ويزعمون أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمي أخنوخ، وهو إدريس ﷺ، وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية، وأول من بنى الهياكل ومجد الله- تعالى- فيها وأنه أنذر الناس بالطوفان، وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع، فبنى الأهرام والبرابي، وصور فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة، ويقال: إن دار العلم والملك بمصر مدينة منف، وهي على بريد من الفسطاط، فلما بنيت الإسكندرية انتقل الناس إليها وصارت دار العلم والملك إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه، مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد، والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو، مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى، كالشكل المخروط، ولا أبواب لها، ولا تعلم كيفية بنائها، ومما يذكر في شأنها أن ملكاً من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته وأوجبت عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعاً للعلوم ولجثة الملوك، وأنه سأل المنجمين: هل يفتح منها موضع؟ فأخبروه أنها تفتح من الجانب الشمالي، وعينوا له الموضع الذي تفتح منه، ومبلغ الانفاق في فتحه، فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه، واشتد في البناء فأتمه في ستين سنة، وكتب عليها: بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فإن الهدم أيسر من البناء، فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها، فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل، فلج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي، فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها

إلى اليوم ووجدوا بإزاء النقب مالاً، أمر أمير المؤمنين بوزنه، فحصر ما أنفق في النقب، فوجدهما سواء، فطال عجبه من ذلك، ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعاً "(١).

ونلاحظ في وصف ابن بطوطة للأهرامات أنه مطابق لوصف العبدري فأرجح أنه أخذ وصفه من الرحالة العبدري وذلك كما ذكرنا سابقا في وصف نهر النيل بسبب أنه سجل رحلته بعد عودته لبلاد المغرب بأمر السلطان أو أنه قد اعتمد على نفس المصادر التي اعتمد عليها العبدري فجاء الوصفان متطابقان.

وجاء وصف الرحالة البلوي للأهرامات أكثر دقه فقد اكتفى بوصف شكل الأهرامات فقال: " و بها الأهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر البديعة الإنشاء كأنها القباب المضروبة قامت في جو السماء، ولاسيما الاثنان منها يقصر الجو بهما سموا واتساعا ارتفاعها مئة ذراع بالذراع الكبيرة من أحد أركانها إلى الركن الثاني ثلاثمائة خطوة وست وستون خطوة وأقيمت من الصخر العظام تركيبها بديع الإلصاق، وهي محدودة الأطراف لا سبيل إلى الصعود إليها إلا على خطر ومشقة فتلفى أطرافها المحدودة كأوسع ما يكون بين الرحاب لو رام أهل الأرض بناءها لا عجزهم ذلك وبها كان يجعل الطعام في أيام يوسف عليه السلام"(٢).

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٤١ – ٤٢.

(٢) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢٢٠.

## المطلب الرابع : أبوالهـــول

أما أبوالهول فقد وصف شكله عدد من الرحالة ومنهم التجيبي الذي قدم لنا وصفاً امتاز بالدقة عن الشكل الخارجي لأبي الهول ومقدار حجمه فقال: " وبمقربة من هذه الأهرام الثلاثة رأس صورة من حجر صلد هائل المنظر على صورة رأس الإنسان، غير أنه غاية في الكبر قد قام كالصومعة العظيمة، ووجه هذا الرأس مقابل إلى الأهرام، وظهره إلى القبله مهبط النيل، ويدعوه أهل مصر بأبي الأهوال ذرع عنق هذا الرأس عرضا وأنا أنظر إليه، فألفي فيه نحو تسعة أقدام، ويزعمون أنه طلسم للرياح، وأنه لو ذهب لأتلف الريح مصر، والله أعلم بحقيقة ذلك وبما كان المراد به، وبما مر عليه من الدهور والعصور " [(١)].

وذكر الرحالة البلوي الشكل الخارجي له وأنه علامة لخروج نهر النيل " وعلى النيل رجل مبني من صخرة فيه علامات لخروج النيل في زيادته ونقصانه وقد وكل به قوم يتعاهدونه فإذا خرج سقى جميع ضياعهم ومزارعهم وهم يزرعون على ذلك السقي ولا يحتاج زرعهم إلى سقي آخر بقدرة السميع العليم " [(٢)].

(١) التجيبي: مستفاد الرحلة، ص١٦٧.

(٢) البلوي: تاج المفرق، ١/ ٢٢٠.

## المطلب الخامس : بركة الفيـــل

لا نجد وصفاً لبركة الفيل[(١)] غير ما ذكره الرحالة ابن سعيد المغربي، فقد وصفه بأنه مكان للنزهة للمجتمع في مصر ومكان لنزهة السلطان " وأعجبنى في ظاهرها بركة الفيل؛ لأنها دائرة كالبدر، والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل، وتسرج أصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم. فيكون بذلك لها منظر عجيب " وقال ابن سعيد المغربي شعرا يصف به هذا المنظر:

انظر إلى بركة الفيل التي اكتنفت ... بها المناظر كالأهداب للبصر

كأنما هي والأبصار ترمقها ... كواكب قد أدارها على القمر

ويقول في بيت آخر:

انظر إلى بركة الفيل التي نُحرت ... لها الغزالة نحرا من مطالعها

وخل طرفك مجنونا ببهجتها ... تهيم وجدًّا وحبا في بدائعها[(٢)]

---

(١) أما سبب تسميتها بركة الفيل فهو لأن الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون كان مغرماً باقتنا الحيوانات من السباع والنمور والفيلة والزرافات وغيرها وأنشأ لكل نوع منها داراً خاصة له، وكانت دار الفيلة واقعة على حافة البركة من الجهة القبلية الشرقية، حيث شارع نور الظلام وكان الناس يقصدون البركة للنزهة والفرجة على الفيلة فاشتهرت بينهم ببركة الفيل من وقتها إلى اليوم، محمد رمزي: **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية**، ١/ ١٥٣.

(٢) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٦- ٢٧.

# المبحث الثالث

## المعالم العسكرية

**وفيـه ثلاثـة مطالـب:**

- المطلب الأول : منارة الإسكندرية .
- المطلب الثاني : قلعة صلاح الدين .
- المطلب الثالث : قلعة الروضة.

* * *** * *

## المطلب الأول: منارة الإسكندرية

قدم لنا الرحالة وصفاً لما كانت عليه منارة الإسكندرية فالأول هو الرحالة العبدري الذي وصف لنا الشكل الخارجي للمنارة وما تحتوي عليه المنارة من الداخل وفي ذلك يقول: " وأما المنار فقد كتب الناس فيه وسطروا ما فيه الكفاية وقد دخلته وتأملته وما وصلت إلى أعلاه إلاّ بعد جهد ولا يظهر له من خارج فرط علو وهو خارج المدينة على أزيد من ثلاثة أميال وعلى مرتفع بشمال البلد وقد أحاط به البحر شرقا وغربا حتى تأكل حجره من الناحتين فدعم منها ببناء وثيق اتصل إلى أعلاه وزيد دعما بدكاكين متسعة وثيقة وضع أساسها في البحر ورفعت عنه نحو ثلاث قامات وباب المنار مرتفع عن الأرض نحو أربع قامات، وبني إليه بنيان حتى حاذاه ولم يتصل به ووضعت عليه ألواح يمشى عليها إلى الباب فإن أزيلت لم يوصل إليه، وفوق الباب من داخل موضع متسع لحراسة الباب يقعد فيه الحارس وينام فيه، وفي داخل المنار عدة بيوت رأيتها مغلقة وسعة الممر فيه ستة أشبار وفي غلظ الحائط عشرة أشبار ذرعته من أعلاه وسعة المنار من ركن إلى ركن مائة وأربعون شبراً، وفي أعلاه جامور كبير عليه آخر دونه و فوق الأعلى قبة مليحة يطلع إليها في درج مشرعة إلى النواحي، ولها محراب للصلاة ومن الإسكندرية إلى المنار بر متصل أحاط به البحر حتى اتصل بسور البلد فلا يمكن الوصول إلى المنار في البحر إلاَّ من البلد وفي هذا البر مقابر الإسكندريةوفيها من المزارات وقبور العلماء والصالحين مالا يعد كثرة "[1].

أما الرحالة الثاني ابن رشيد فقد ذكر ارتفاع المنارة وكم يبلغ مقاسها "ومن عجائب الإسكندرية منارها الذي يعجز عنه الواصف ويحار فيه الراصف، وضخامته من داخلة أكثر مما هي من خارجه، وهو من عجائب المصنوعات وغرائب المرئيات، قاس أحد أصحابنا جانبه البحري مئة ونيفا على عشرين قدما، وذكر لي بعض

---

(١) العبدري: **رحلة العبدري**، ص٩٢.

الأصحاب أنه أخذ ارتفاعه بالإسطرلاب فألفى القاعدة ستين قامة، والفحل الوسط أربعين، والفحل الأخير عشرين. -والله أعلم- (١).

أما الرحالة الثالث الذي وصف منارة الإسكندرية فهو ابن بطوطة الذي زار مصر على أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة: (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) وقد تهدم أحد جوانب المنارة وقال عنها: " قصدت المنار في هذه الوجهة فرأيت أحد جوانبه متهدماً، وصفته أنه بناء مربع ذاهب في الهواء، وبابه مرتفع على الأرض، وإزاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح خشب يعبر عليها إلى بابه، فإذا أزيلت لم يكن له سبيل. وداخل الباب موضع لجلوس حارس المنار، وداخل المنار بيوت كثيرة وعرض الممر بداخله تسعة أشبار، وعرض الحائط عشرة أشبار، وعرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع مائة وأربعون شبراً وهو على تل مرتفع، ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد في بر مستطيل يحيط به البحر من ثلاث جهات إلى أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل إلى المنار في البر إلا من المدينة. وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الإسكندرية ".

ثم يصف لنا ابن بطوطة حال منارة الإسكندريةسنة: (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) في أيام السلطان الناصر حسن عند عودته إلى بلاده المغرب وقد مر على مصر " وقصدت المنار عند عودي إلى بلاد المغرب عام خمسين وسبعمائة فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود إلى بابه(٢).

ولما ملك أحمد بن طولون حكم مصر بنى في أعلى المنارة قبة من خشب فأخذتها الرياح. وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس تداعى بعض أركان المنارة وسقط فأمر ببناء ما انهدم في سنة: (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)(٣).

---

(١) ابن رشيد: ملء العيبة، ٣/ ٩٤، ٩٥.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢١.

(٣) المقريزي: الخطط، ١/ ٢٩٤.

وفي سنة: (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) حدث في مصر زلزال عنيف عند طلوع الشمس اهتزت له أرض مصر كلها إلى القاهرة وأعمال الديار المصرية ودمشق والسواحل ومن أثر الزلزال تساقطت الدور وتشققت الجدران، وانهارت مآذن المساجد والمدارس وأحدث هذا الزلزال بالإسكندرية أضراراً جسيمة فكان تأثيره فيها أعظم من غيرها[(١)] وعن ذلك يقول السيوطي: " وكان تأثيرها بالإسكندرية أعظم من غيرها وطلع البحر إلى نصف البلد، وأخذ الجمال والرجال، وغرقت المراكب، وسقطت بمصر دور لا تحصى وهلك تحت الردم خلق كثير " [(٢)] وانشقت المنارة وسقط من أعلاها نحو الأربعين شرفة وأن البحر هاج وألقى الريح موجه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الإفرنجية إلى البر[(٣)] وخربت من أسوار الإسكندرية ستا وأربعين بدنة[(٤)].

وقد تم بناء ما تهدم من المنارة في شهور سنة: (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) على يد الأمير بيبرس الجاشنكير بتوجيه من السلطان الناصر محمد بن قلاوون[(٥)].

وإن أعمال إعادة بناء المنارة لم تكن مفيدة إذ أن الرحالة ابن بطوطة وصف لنا حال المنارة سنة: (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) وقد تهدّم أحد جوانبها واستولى على المنارة الخراب سنة: (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) كما ذكر الرحالة ابن بطوطة أثناء مروره عليها في طريق عودته إلى بلاده المغرب. وفي سنة: (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) شرع السلطان الناصر محمد بن قلاوون ببناء منارة تقع بالقرب من المنارة القديمة "فعاقه الموت عن

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ص٢٨٩.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ٢٦٢.

(٣) المقريزي: السلوك، ٢/ ٣٦٤.

(٤) أبو الفداء: المختصر، ٤/ ٦٣.

(٥) المقريزي: الخطط، ١/ ٢٩٤.

إتمامه"[١].

فكلف الأشرف شعبان والي المدينة وهو الأمير صلاح الدين بن عرام[٢] بتطبيق الإنجاز، فبناه على الأساس الذي ترك عليه منذ عهد الناصر محمد واتخذ المنار شكل برج إسطواني له باب وبنيت بأعلى جدرانه شرفات، وكان يتألف من عدة طوابق ذات شرفات[٣].

وقد قدم الرحالة ابن بطوطة وصف للتطورات المعمارية على المنارة، فقد وصف لما كانت عليه المنارة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة: (٧٢٧ هـ) وقد تهدم أحد جوانبها، ثم قدم وصف أخر، أثناء عودته إلى المغرب ومروره بمصر في سنة: (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) في عهد السلطان الناصر حسن وقد أصبحت خراباً.

---

(١) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص٢١، رشيدة بسرور: **مركز تجارى في مصر السفلى الإسكندرية خلال العهد المملوكي**، ص٢٦.

(٢) الأمير صلاح الدين بن عرام: تولى نيابة الإسكندرية والوزارة بمصر والأستادارية، كان ذكياً فصيحًا محبًا للعلم والعلماء توفي مقتولًا على يد مماليك الأمير بركة في(٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م)، المقريزي: **السلوك**، ٥/ ١٩،ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ٥/ ٢٦٣- ٢٦٨، **الدليل الشافي**، ١/ ٢٩١، ٢٩٢، السخاوي: **وجيز الكلام**، ١/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) رشيدة بسرور: **المرجع السابق**، ص٢٦.

## المطلب الثاني: قلعة صلاح الدين

نجد عند ذكر قلعة صلاح الدين وصفين للرحالة. الوصف الأول نجد فيه الصفة الغالبة وهي وصف المدينة أكثر من وصف القلعة فابن سعيد المغربي عند حديثه عن مدينة القاهرة وصفها بأنها أكثر عمارة و احتراما وحشمة من الفسطاط وذكر سببين الأول؛ لأنها أكثر مدارس وأضخم خانات لسكن الأمراء فيها، والسبب الثاني لأنها مقر للسلطنة لقرب قلعة الجبل، ولم يقدم لنا ابن سعيد وصفاً للقلعة أو مَن بنى القلعة أو ما تحتويه [1] ولم يقدم لنا الرحالة الآخرون وصفاً لقلعة صلاح الدين غير الرحالة التجيبي، فقد وصف لنا ما تحتويه القلعة من جامع وإيوان " وهذه القلعة بنيت للملك الأجل أبى المظفر يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين-رحمه الله تعالى-، وبها جامع للخطبة، وفيها الإيوان العجيب الشأن العظيم البنيان، القائم على أعمدة الرخام الهائلة البديعة الشكل، المعدومة النظير، بناه الأمير بالشجاعي، على نحو ما وصف عن إيوان كسرى، للملك الأجل المجاهد قلاوون الصالحي الملقب بالمنصور -رحمه الله تعالى- " [2].

وقد بنى السلطان صلاح الدين قلعة الجبل، لتكون له معقلا وحصناً يعتصم به من أعدائه، فإنه كان يحذر من الفاطميين فاختار لها المحل الذي بنيت فيه وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي [3]، فشرع في بنائها وبنى سور القاهرة في

---

(١) ابن سعيد المغربي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، ص٢٧.

(٢) التجيبي: **مستفاد الرحلة**، ص٣.

(٣) بهاء الدين قراقوش: أحد كبار كتاب أمراء الدولة الصلاحية، كان خادم لصلاح الدين، ولما تولى صلاح الدين السلطنة في مصر جعله مسؤول عن القصر، و جعله نائباً على مصر أثناء غيابه وفوض أمورها إليه واعتمد عليه في تدبير أحوالها، وسلمه السلطان صلاح الدين عكا لما أخذها من الفرنجة، وأسر بعكا لما غزها الفرنجة مرة أخرى واستولوا عليها، ففدى نفسه بعشرة آلاف دينار، ثم عاد إلى السلطان صلاح الدين ففرح به فرحاً شديداً، توفي في سنة: (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، أبوشامة: **الذيل على الروضتين**، ٣/ ٣١، =⇦

سنة: (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، وتعتبر القلعة أعظم منشآت صلاح الدين الحربية استغرق بناؤها زمنا طويلاً، إذ بدأ في تشييدها سنة: (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) واتمها على ما هو وارد في النقش على باب المدرج سنة: (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) وهدم ما حولها من المساجد وأزال القبور، وهدم الأهرام الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد، ونقل حجارتها وبنى بها السور والقلعة وبنى قناطر الجيزة، لأجل سهولة نقل تلك الأحجار عليها، وقصد صلاح الدين أن يكون السور محيطا بالقاهرة والقلعة ومصر، فمات قبل أن يتم ذلك، فأهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فأتمها في سنة: (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) [1].

وللقلعة ثلاثة أبواب تعتبر مداخل مائلة الأول يقع جهة الشمال في الجانب المواجه للمدينة ويقال له: الباب المدرج والثاني في جنوب القلعة والثالث يقع إلى الشرق منها[2].

وقد أشار الرحالة ابن جبير إلى قلعة صلاح الدين قبل الرحالتين ابن سعيد والتجيبي وذلك عند زيارته لمصر سنة: (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) وكانت في بداية بنائها " " وشاهدنا أيضًا بنيان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة حصين المنعة، يريد السلطان أن يتخذه موضع سكناه، ويمد سوره حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهرة والمسخرون في هذا البنيان والمتولون لجميع امتهاناته ومؤنته العظيمة، كنشر الرخام وتحت الصخور العظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور، وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا من العجائب الباقية الأثار العلوج الأسارى من الروم

---

= ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ٤/ ٩١، ٩٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣/ ٢٨، ٢٩، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٥/ ٤٥، ٤٦

(١) علي مبارك: **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ص٦٩، ٧٠.

(٢) الباز العريني: **الشرق الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون**، ص٢١١، ٢١٢.

وعددهم لا يحصى كثرة، ولا سبيل أن يمتهن في ذلك البنيان أحد سواهم[١]. وصف لنا الرحالة التجيبي الإصلاحات المعمارية على قلعة صلاح الدين في عهد السلطان المنصور قلاوون مما يدل على أهميتها ليس كحصن ضد الأعداء فقط وإنما كمقر للسلطنة.

(١) محمد بن جبير: رحلة ابن جبير المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص٥٠.

## المطلب الثالث: قلعة الروضـــة

ذكر لنا الرحالة ابن سعيد المغربي عن قلعة الروضة وأن السلطان الصالح نجم الدين لما بنى القلعة أمام الفسطاط وجعلها مقراً للسلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل إليها كثير من الأمراء " إلا أن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام الفسطاط، وصيرها سرير السلطنة، عظمت عمارة الفسطاط، وانتقل إليها كثير من الأمراء وضخمت أسواقها، وبنى فيها للسلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة، تنقل إليها من القاهرة سوق الأجناد، التي يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك " [(١)].

كانت جزيرة الروضة متنزه للناس فلما تولى السلطان الصالح نجم الدين بن السلطان الكامل حكم مصر سنة: (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) أنشأ قلعة الروضة، وعرفت بعدة مسميات منها قلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة، وبقلعة الصالحية، وشرع في حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان، وابتدأ بناء القلعة في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشرة، وفي عاشر ذي القعدة[(٢)] وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة [(٣)] وتحوّل الناس من مساكنهم التي كانت بها، وهدم كنيسة لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة، وأنفق في عمارتها أموالاً جمة وبنى فيها الدور والقصور، وعمل لها ستين برجاً، وبنى بها جامعاً وغرس بها جميع الأشجار ونقل إليها من البرابى العمد الصوان والعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليها من الغلال والأقوات خشية من محاصرة الفرنج، وكان السلطان الصالح نجم الدين أيوب يقف بنفسه ويرتب ما يعمل،

---

(١) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص٢٧.

(٢) المقريزي: الخطط، ٣/ ٣٢١.

(٣) السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ٣٣٩.

ويقال إنه قطع من الموضع الذي أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة[(١)] وهدم نيفاً وثلاثين مسجد وأدخلت في القلعة[(٢)] وحرص السلطان الصالح على أن يكتمل بناء القلعة في أقصر وقت، لذلك أنفق الكثير من الأموال في البناء فقد كلفه بناء الحجر الواحد دينار وكل طوبة درهم[(٣)].

ولما اكتمل بناء القلعة تحول السلطان الصالح نجم الدين إليها بأهله وحريمه واتخذها دار ملك، وأسكن معه مماليكه البحرية وكانت عدتهم نحو الألف[(٤)].

ولم يقدم لنا الرحالة المغاربة الآخرون الذين زاروا مصر في فترة السلاطين المماليك وصفاً لما كانت عليه قلعة الروضة في عهد المماليك، أما حال قلعة الروضة بعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب وزوال الدولة الأيوبية، ففي عصر السلطان المملوكي المعز أيبك أمر بتخريب قلعة الروضة، فخربت وعمر مدرسته التي كانت معروفة بالمعزية في رحبة الحناء بمدينة مصر[(٥)] وطمع في القلعة من له جاه، وأخذوا منها السقوف والشبابيك وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء كثيرة[(٦)]، ولما تولى الظاهر بيبرس السلطنة في مصر اهتم بعمارة قلعة الروضة، وأمر الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بعمارتها كما كانت فأصلح بعض ما تهدم منها، ورتب فيها الجاندارية وأعادها إلى ما كانت عليه من الحرمة وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء

---

(١) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ٣٢١، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٣٣٩، ٣٤٠، السيوطي: **كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة**، ص٨٤، ٨٥.

(٢) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٣/ ١٤٢.

(٣) المقريزي: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٢١، مصطفى دويدار: **جزيرة الروضة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية حكم المماليك**، ص٢٥٤.

(٤) السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٣٤١.

(٥) السيوطي: **كوكب الروضة**، ص٨٦، علي مبارك: **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر**، ص٨٠، ٨١.

(٦) المقريزي: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٢٣، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٣٤٣، مصطفى دويدار: **المرجع السابق**، ص٢٥٦.

ورسم بأن تكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها[١] ولما تولى السلطان المنصور قلاوون حكم مصر، وشرع في بناء البيمارستان والقبة والمدرسة نقل من قلعة الروضة مايحتاج إليه من العمد الصوان والعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة بالبرابي وأخذ منها رخاماً كثيراً وغير ذلك[٢]، ثم أخذ السلطان الناصر محمد بن قلاوون منها ما احتاج إليه من العمد الصوان في بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الناصري في مصر وأخذ غير ذلك حتى ذهبت القلعة كأن لم تكن[٣]غير أنه بقي منها عقد تسميه العامه في مصر القوس كان في جانبها الغربي. وبقي من القلعة عدة أبراج تهدمت أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل[٤]وأصبحت الروضة بعد هدم القلعة متنزها للناس تشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام فيها الأعياد والجمع[٥].

ومن خلال ما ذكر سابقاً نرى أن الرحالة المغاربة وصفوا لنا مدى اهتمام السلاطين في مصر بعمارة وتجديد الجوامع والبيمارستانات ومنارة الإسكندرية، كما وصفوا لنا أهم المعالم الحضارية الموجودة في مصر كالأهرامات وأبوالهول، وبركة الفيل وقلعة صلاح الدين وقلعة الروضة، ووضحوا لنا أهمية نهر النيل ومدى تأثيره في حالة نقصانه أو زيادته على الحياة الاقتصادية للمصريين.



---

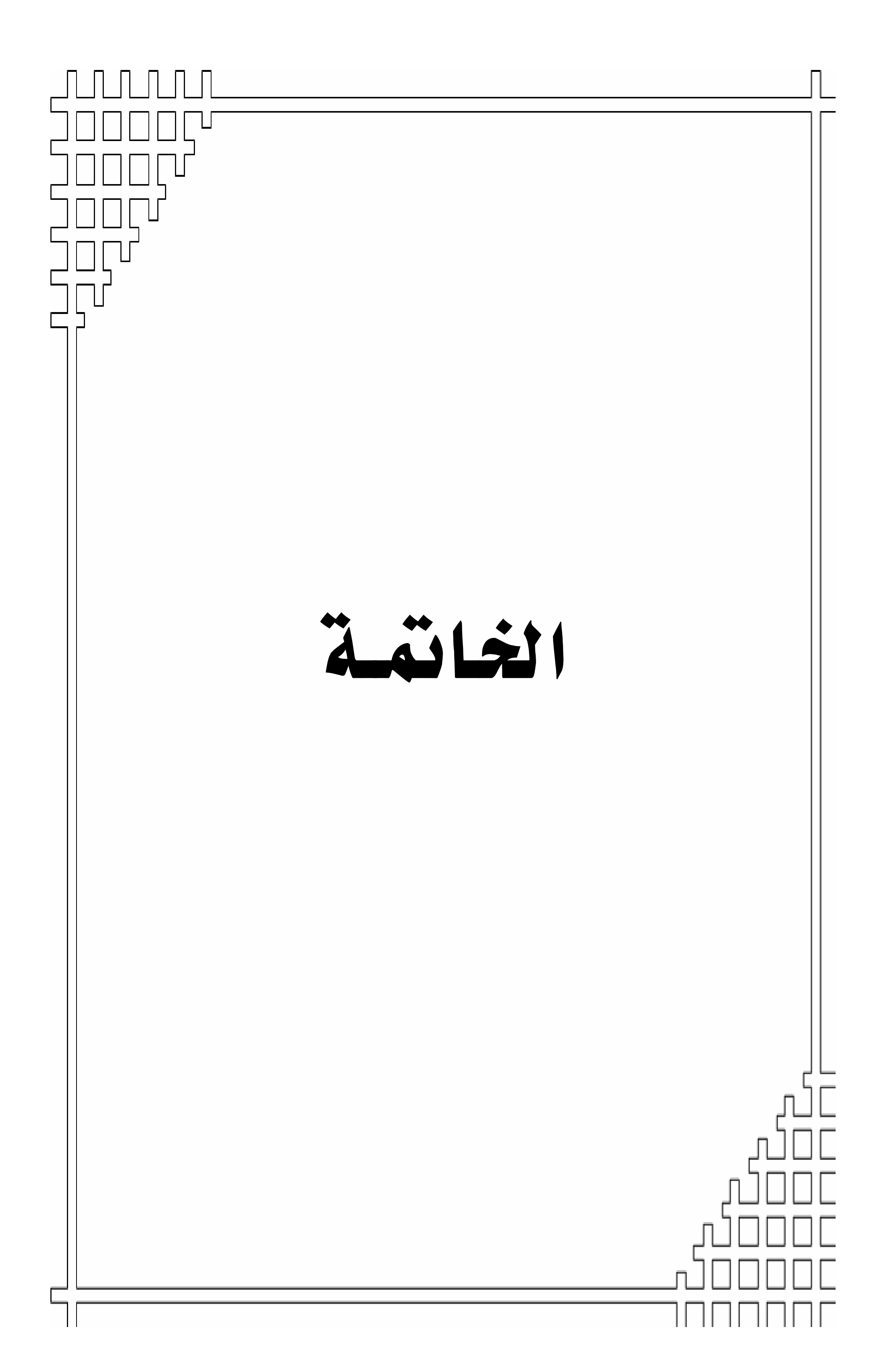
(١) المقريزي: **الخطط**، ٣/ ٣٢٣، السيوطي: **حسن المحاضرة**، ٢/ ٣٤٣، وذكر المؤرخ ابن شداد أن السلطان الظاهر بيبرس قد جدد قلعة الروضة بمصر بعدما هدمها المعز وذلك أثناء حديثه عن ما أنشاه السلطان من الضياع والقلاع بمصر، ابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، ص٣٤٧، علي مبارك: **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر**، ص٨٠، ٨١.

(٢) ابن دقماق: **الانتصار**، ص١١٠، المقريزي: **المصدر السابق**، ٣/ ٣٢٣، السيوطي: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٤٣، نيل دى ماكنزى: **القاهرة الأيوبية**، ص١٢٥، ١٢٦.

(٣) السيوطي: **المصدر السابق**،٢/ ٣٤٣.

(٤) المقريزي: **المصدر السابق**،٣/ ٣٢٣.

(٥) السيوطي: **المصدر السابق**، ٢/ ٣٤٣.



# الخاتمـة

# الخاتمة

لقد أمدتنا كتب الرحالة المغاربة بمعلومات تاريخية عن مصر في أواخر دولة بني أيوب، وفي الفترة الأولى من دولة المماليك في مصر، توصلنا من خلالها إلى عدة نتائج، نذكر منها:

١- ظهرت لنا شخصيات الرحالة وأمزجتهم ونفسياتهم من خلال ما كتبوه عن مصر، فظهرت لنا مثلاَ شخصية الرحالة العبدري عند نقده للمجتمع المصري في القاهرة والإسكندرية وعند نقده لظاهرة الأكل في الأسواق لدي المصريين و عدم اهتمامهم بمساجدهم وجوامعهم وإهمال نظافتها.

٢- بعض ما كتبه الرحالة جاء موافقاً لما ذكر في المصادر

٣- اعتمد بعض الرحالة عند وصفه لرحلته لمصر على المشاهدة والملاحظة والاعتماد على كتب المصادر الأخرى

٤ - كانت إشارات الرحالة إلى الحياه السياسية قليلة جداً على الرغم من أن الفترة الزمنية التي وجد فيها الرحالة في مصر حافلة بأحداث سياسية سواء خارجية من مواجهة الصالح نجم الدين أيوب الحملة الصليبية السابعة والمماليك مع الصليبيين والمغول أو على نطاق داخلي من خلافات بين البيت الأيوبي أوصراعات بين الأمراء المماليك على السلطة، ويرجع ذلك إلى قصر فترة مكوث الرحالة في مصر، وثانيا لأن الرحالة في المقام الأول كحاج يلفت نظره مدى اهتمام السلطان بالحجاج والخدمات المقدمة لهم

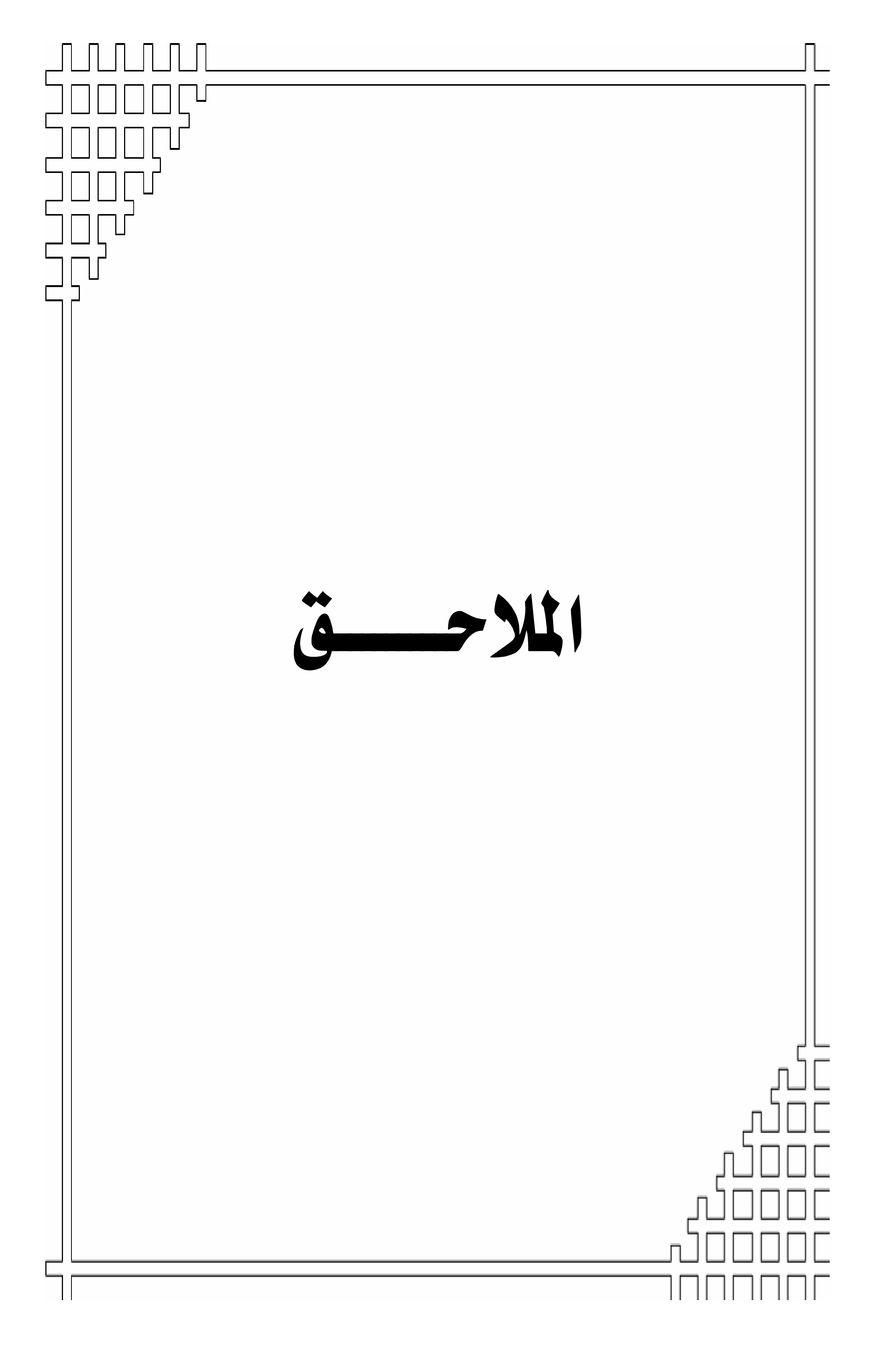
٥- أشار الرحالة إلى الحياة الاجتماعية فوصفوا لنا طبقات المجتمع وعاداتهم في الخروج للمتنزهات وزيارة القرافات في الأعياد واحتفالاتهم بالعيد ورؤية هلال رمضان ووصف خروج المحمل.

٦- أمدنا الرحالة المغاربة بمعلومات عن الحياة الاقتصادية والصناعات التي تنتجها المدن المصرية وتصدرها داخل مدنها أو إلى بلاد الشام وإفريقيا وازدهار

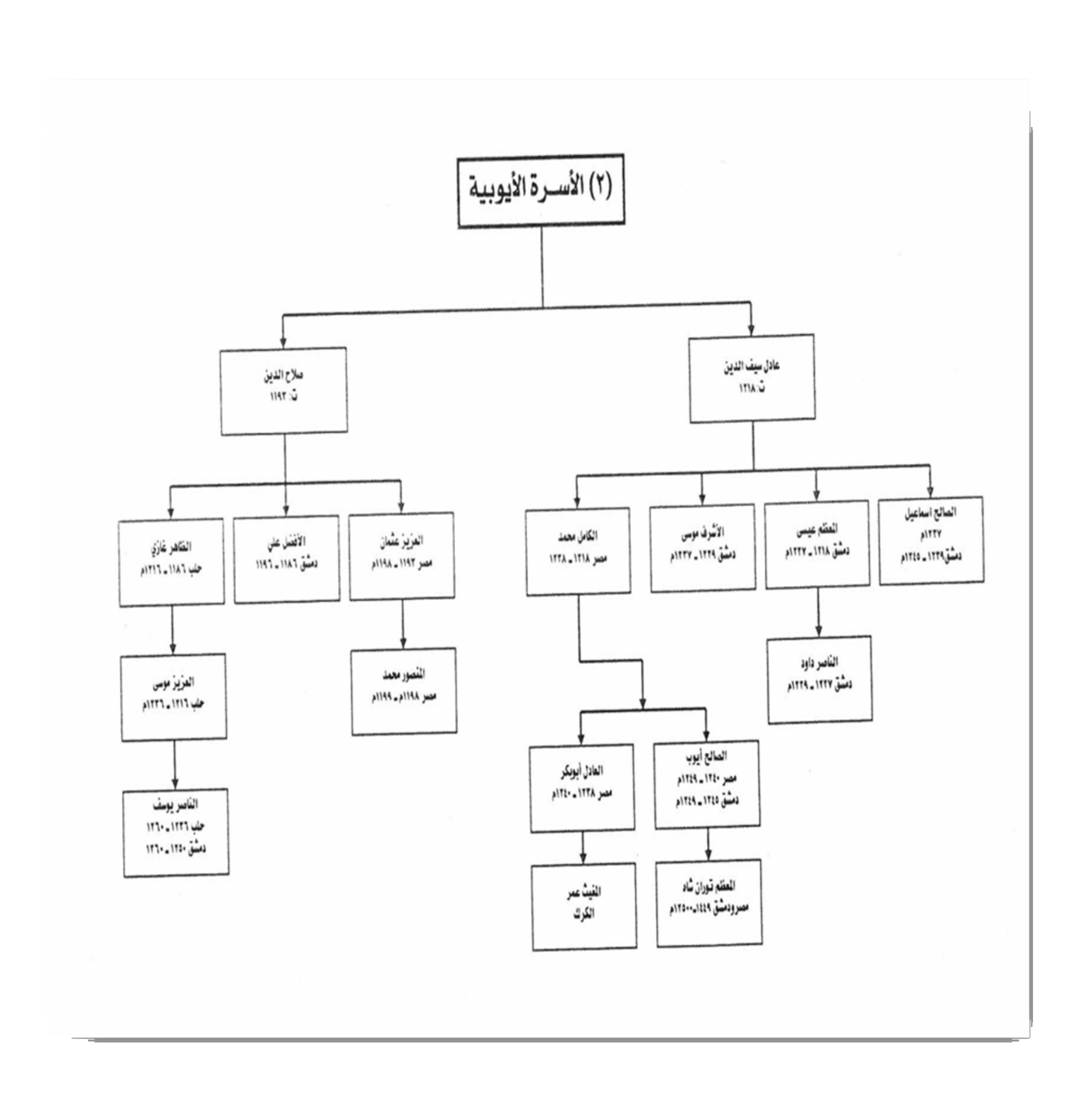
العلاقات التجارية في عصر المماليك بين مصر ودول أوربا، كما اشتكى الرحالة المغاربة من الضرائب التي تؤخذ منهم ووضحوا دور السلطان في إلغاء هذه الضرائب عن الحجاج بصفة عامة، كما أمدنا الرحالة بمعلومات عن العملة السائدة في مصر والمكاييل والموازين

٧- أشارت الرحلات المغربية إلى مدى ازدهار الحياة العلمية في عهد دولة المماليك واهتمام السلاطين بإنشاء المدارس الكثيرة ليس في المدن فقط وحتى في القرافات، وكذلك مساهمة الأمراء في إنشاء المدارس، وأشاروا إلى كثرة الزوايا في مصر، وكثرة حلقات العلم والعلماء، كما وضحوا لنا دور المرأة العالمة في نشر وتعليم الحديث.

٨- أوضحت لنا كتابات الرحالة المغاربة مدى اهتمام السلاطين في مصر بعمارة وتجديد الجوامع والبيمارستانات، ومنارة الإسكندرية، كما وضحوا لنا أهمية نهر النيل ومدى تأثيره في حالة نقصانه أو زيادة على الحياة الاقتصادية للمصريين.



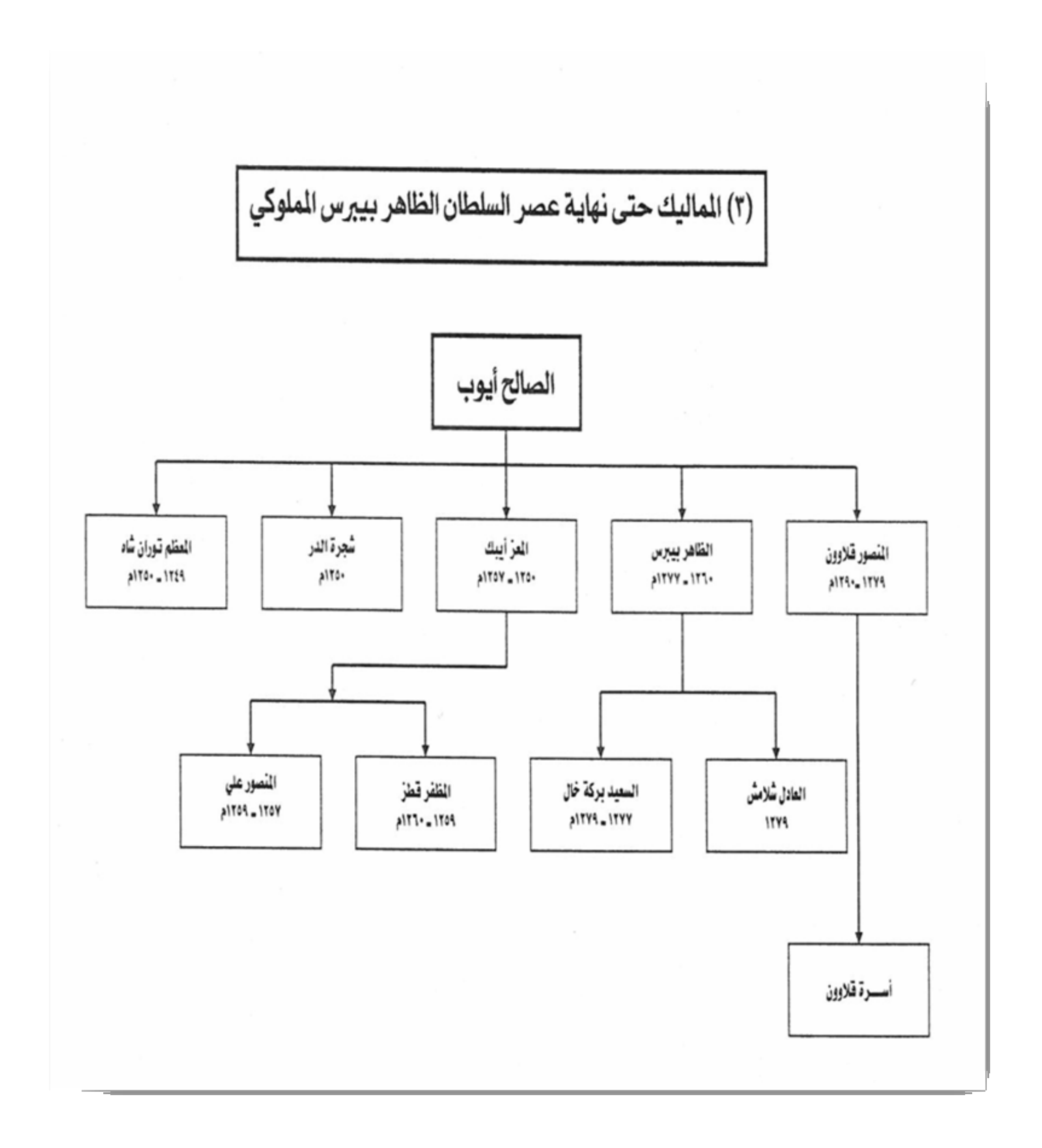
# الملاحــــق




ملحق رقم (١) الأسرة الأيوبية في مصر وبلاد الشام [١]

---

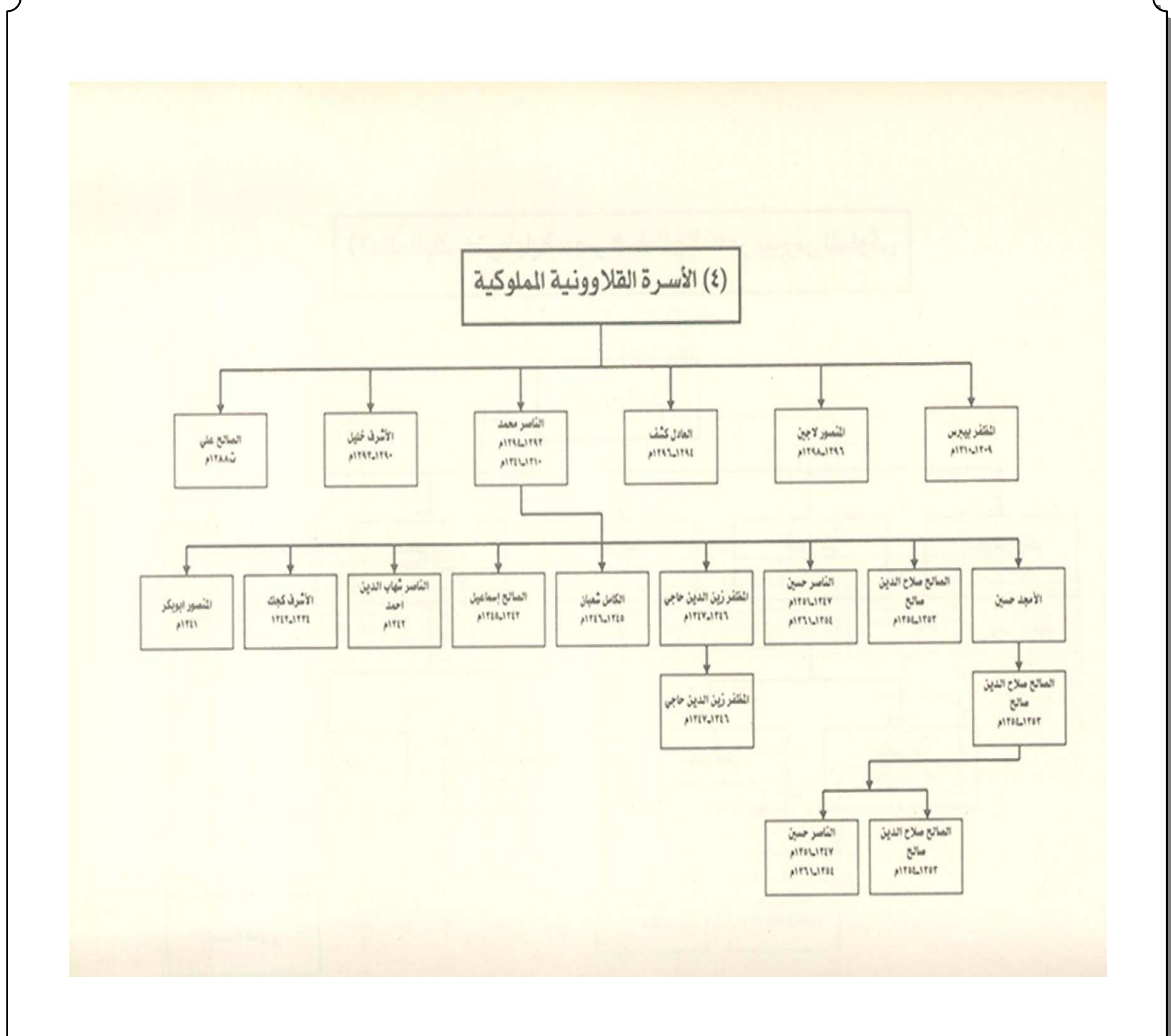
(١) نواف عبد العزيز الجحمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري**، ص٧٥٤.




ملحق رقم (٢) أسماء السلاطين المماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس[١]

---

(١) نواف عبد العزيز الجحمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري**، ص٧٥٥




ملحق رقم(٣) أسرة قلاوون التي حكمت مصر [١]

---

(١) نواف عبد العزيز الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، ص٧٥٦

١- ايوبيو مصر

| السنة الهجرية | السنة الميلادية | الأسماء |
|---|---|---|
| ٥٦٤ | ١١٦٩ | صلاح الدين يوسف - الناصر |
| ٥٨٩ | ١١٩٣ | عماد الدين عثمان - العزيز |
| ٥٩٥ | ١١٩٨ | سيف الدين أبو بكر - العادل |
| ٥٩٦ | ١١٩٩ | محمد الكامل |
| ٦١٥ | ١٢١٨ | سيف الدين أبو بكر - العادل الثاني |
| ٦٣٥ | ١٢٣٨ | نجم الدين أيوب - الصالح |
| ٦٣٧ | ١٢٤٠ | توران شاه المعظم[١] |
| ٦٤٨-٦٥٠ | ١٢٥٠-١٢٥٢ | موسى الأشرف |

ملحق رقم (٤) السلاطين الايوبيين الذين حكموا مصر [١]

(١) استانلي لين بول: تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري (العاشر إلى التاسع عشر الميلادي)، ص٨٧.

٣٠- المماليك البحرية
من سنة ٦٤٨ - ٧٩٢ هجرية
الموافق ١٢٥٠ - ١٣٩٠ ميلادية

| السنة الهجرية | السنة الميلادية | الأسماء |
|---|---|---|
| ٦٤٨ | ١٢٥٠ | شجرة الدر |
| ٦٤٨ | ١٢٥٠ | عز الدين أيبك (المعز) |
| ٦٥٥ | ١٢٥٧ | نور الدين علي - المنصور - |
| ٦٥٧ | ١٢٥٩ | سيف الدين قدوز - المظفر - |
| ٦٥٨ | ١٢٦٠ | ركن الدين بيبرس بندقداري - الظاهر - |
| ٦٧٦ | ١٢٧٧ | ناصر الدين بركه خان - السعيد - |
| ٦٧٨ | ١٢٧٩ | بدر الدين سلامش - العادل - |
| ٦٧٨ | ١٢٧٩ | سيف الدين قلاون ألفي - المنصور - |
| ٦٨٩ | ١٢٩٠ | صلاح الدين خليل الأشرف |
| ٦٩٣ | ١٢٩٣ | ناصر الدين محمد - الناصر - |
| ٦٩٤ | ١٢٩٤ | زين الدين كتبغا - العادل - |

ملحق رقم (٥) أسماء السلاطين المماليك البحرية الذين حكموا مصر[١]

(١) استانلي لين بول: تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري (العاشر إلى التاسع عشر الميلادي)، ص٩٨.

| السنة الهجرية | السنة الميلادية | الأسماء |
|---|---|---|
| ٦٩٦ | ١٢٩٦ | حسام الدين لاجين منصور |
| ٦٩٨ | ١٢٩٨ | محمد الناصر (للمرة الثانية) |
| ٧٠٨ | ١٣٠٨ | ركن الدين بيبرس جوشنكير - المظفر - |
| ٧٠٩ | ١٣٠٩ | محمد الناصر - للمرة الثالثة - |
| ٧٤١ | ١٣٤٠ | سيف الدين أبو بكر - المنصور - |
| ٧٤٢ | ١٣٤١ | علاء الدين قوجوق - الأشرف - |
| ٧٤٣ | ١٣٤٢ | شهاب الدين أحمد - الناصر - |
| ٧٤٣ | ١٣٤٢ | عماد الدين إسماعيل - الصالح - |
| ٧٤٦ | ١٣٤٥ | سيف الدين شعبان - الكامل - |
| ٧٤٧ | ١٣٤٦ | سيف الدين حاجي - المظفر - |
| ٧٤٨ | ١٣٤٧ | ناصر الدين حسن - الناصر - |
| ٧٥٢ | ١٣٥١ | صلاح الدين صالح - الصالح - |

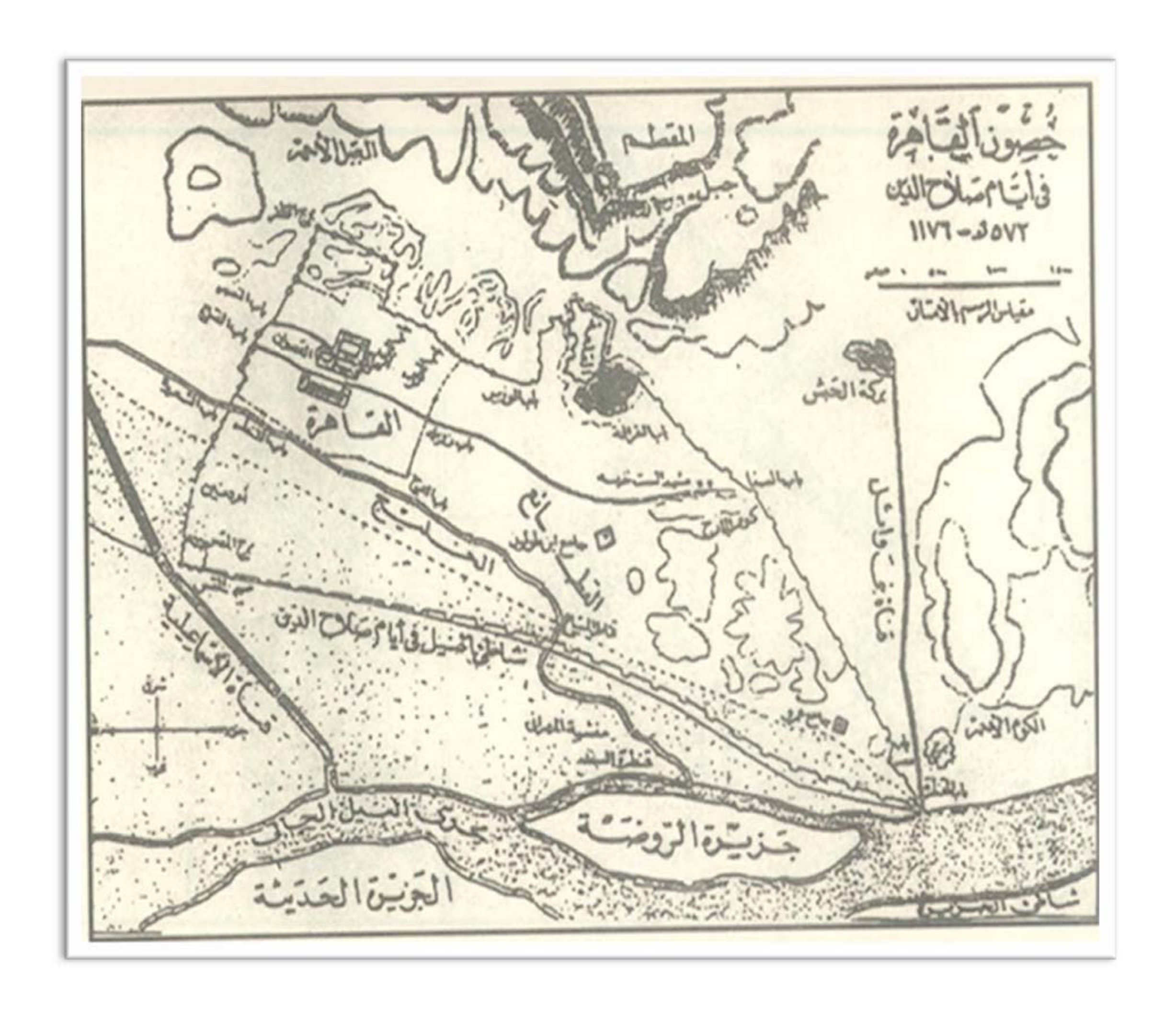
ملحق رقم (٦) تابع أسماء السلاطين المماليك البحرية الذين حكموا مصر[١]

(١) استانلي لين بول: تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري (العاشر إلى التاسع عشر الميلادي)، ص٩٩.

| السنة الهجرية | السنة الميلادية | الأسماء |
|---|---|---|
| ٧٥٥ | ١٣٥٤ | حسن ناصر (للمرة الثانية) |
| ٧٦٢ | ١٣٦١ | صلاح الدين محمد - المنصور - |
| ٧٦٤ | ١٣٦٣ | ناصر الدين شعبان - الأشرف - |
| ٧٧٨ | ١٣٧٦ | علاء الدين علي - المنصور - |
| ٧٨٣ | ١٣٨١ | صلاح الدين حاجي - الصالح - |
| ٧٨٤ | ١٣٨٢ | برقوق (راجع المماليك البرجي) |
| ٧٩١-٧٩٢ | ١٣٨٩-١٣٩٠ | حاجي (للمرة الثانية) - المظفر - |

ملحق رقم (٧) تابع أسماء السلاطين المماليك البحرية الذين حكموا مصر[1]

(١) استانلي لين بول: تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري (العاشر إلى التاسع عشر الميلادي)، ص١٠٠.

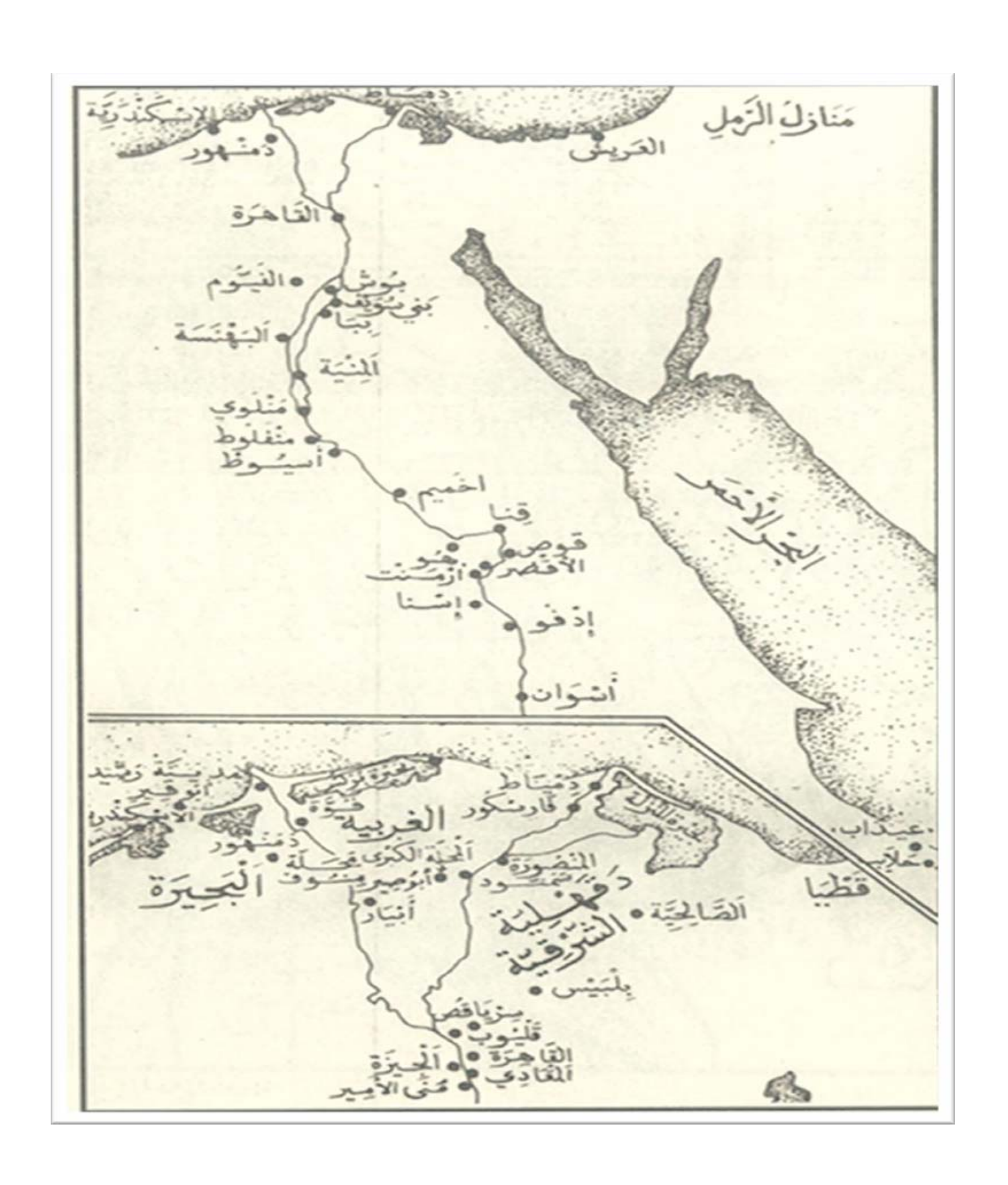



شكل رقم (١) خريطة توضح التحصينات الدفاعية

في مدينة القاهرة في عصر الأيوبيين [١]

---

(١) نواف عبد العزيز الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، ص٧٦٠.




شكل رقم (٢) رسم جغرافي لمسالك مصر[(١)]

(١) نواف عبد العزيز الجحمة: <u>رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري</u>، ص٧٥٩.




شكل رقم (٣) النقود في العصر الأيوبي[١]

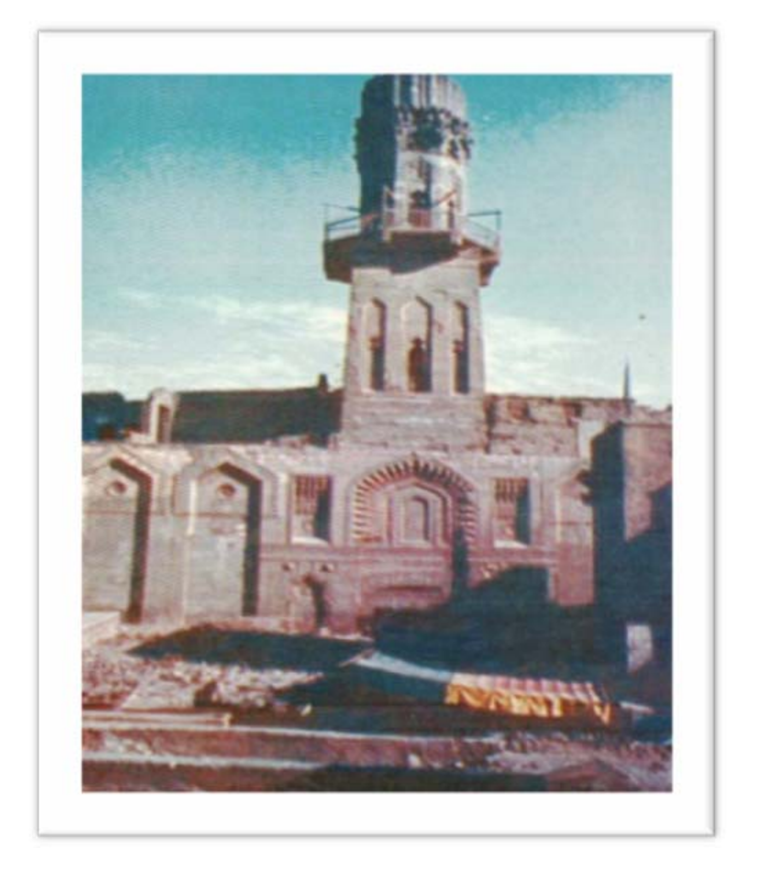
(١) محمد عمر نتو: النقود الإسلامية شاهد على التاريخ، ص١٠١.





شكل رقم (٤) المدرسة الكاملية في القاهرة [1]

(١) أحمد عبد الرازق: **العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**، ص٥٠٣، ٥٠٤.





شكل رقم (٥) المدرسة الصالحية في القاهرة[1]

---

(١) أحمد عبد الرازق: **العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**، ص٥٠٥.



شكل رقم (٦) جامع عمرو بن العاص ﵁، الواجهة الغربية



شكل رقم (٧) جامع عمرو بن العاص ﵁ القبة بالصحن (١)

(١) أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، ص٤٦٥.



شكل رقم (٨) الجامع الأزهر، منظر خارجي من الجهة الغربية [١]



شكل رقم (٩) الجامع الأزهر، الرواق الغربي [٢]

(١) أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، ص٤٧٣

(٢) أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص٤٧٥



شكل رقم (١٠)جامع الحاكم بأمر الله الرواق الشمالي
والرواق الغربي والمئذنة الشمالية الغربية

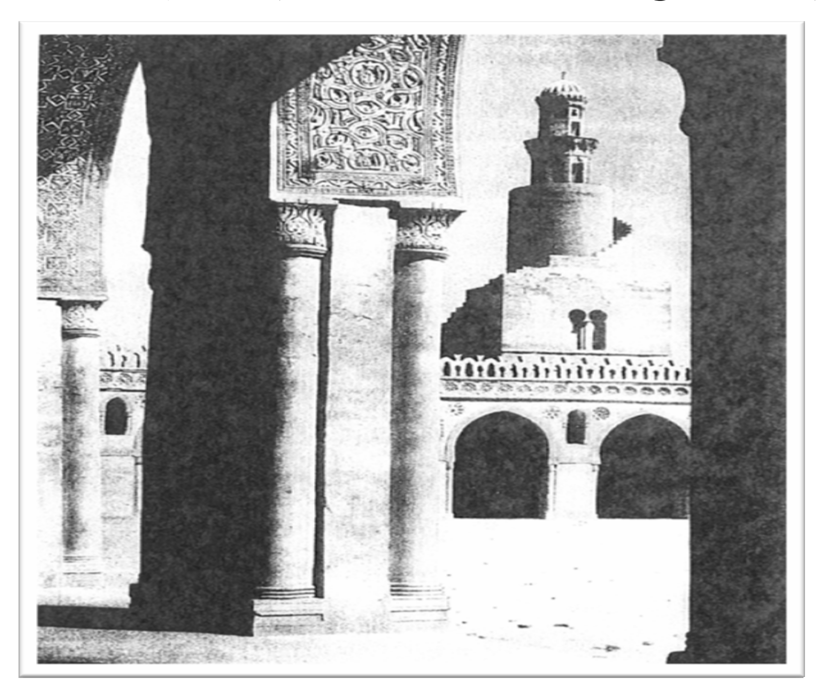


شكل رقم (١١) جامع الحاكم بأمر الله منظر عام من الداخل [(١)]

(١) أحمد عبد الرازق: **العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**، ص٤٧٦.



شكل رقم (١٢)جامع أحمد بن طولون، منظر عام خارجي من الجهة الغربية [(١)]



شكل رقم (١٣) جامع أحمد بن طولون [(٢)]

(١) أحمد عبد الرازق: **العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**، ص٤٧٠

(٢) نواف عبد العزيز الجحمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصور المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري**، ص٧٨٠.

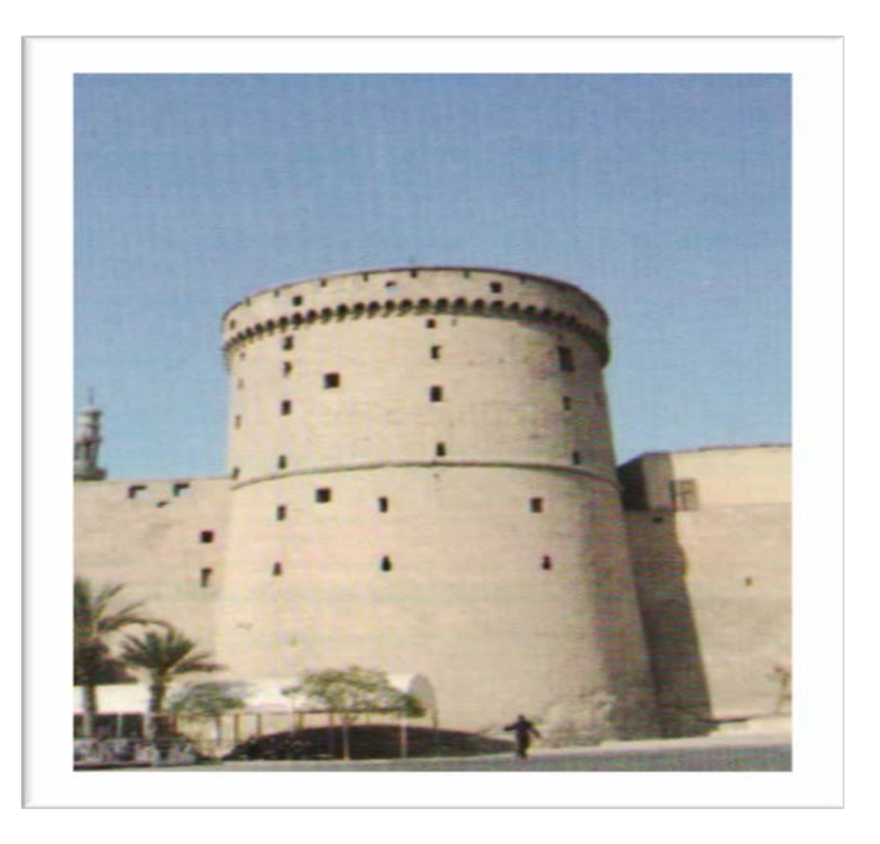


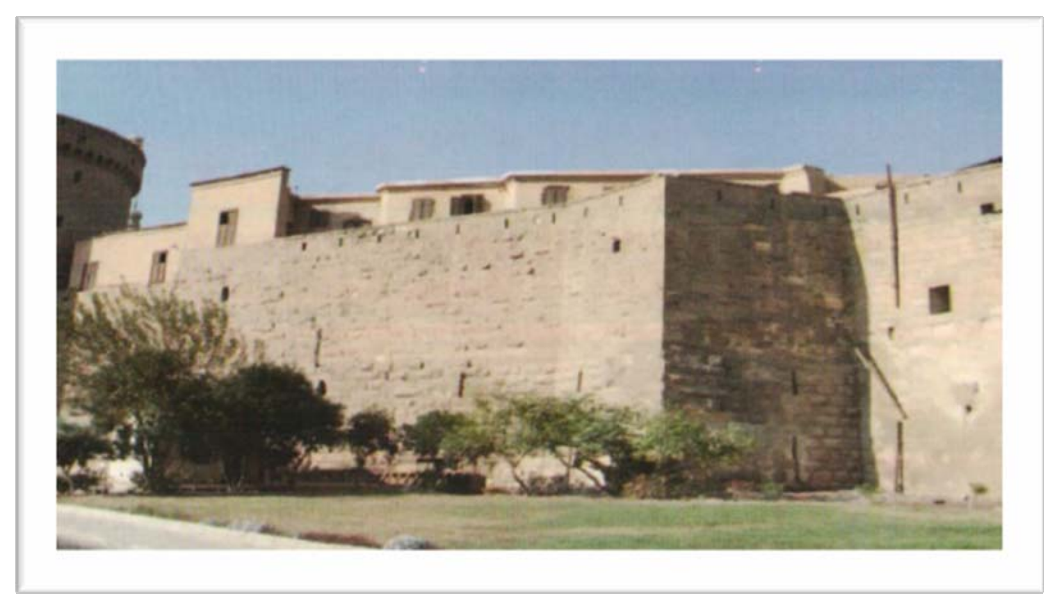
شكل رقم (١٤) الجامع الأقمر، الوجهة الغربية



شكل (١٥) الجامع الأقمر القسم الشمالي من الواجهة الغربية [1]

(١) أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، ص٤٧٩





شكل رقم (١٦) قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين) السور الجنوبي[1]

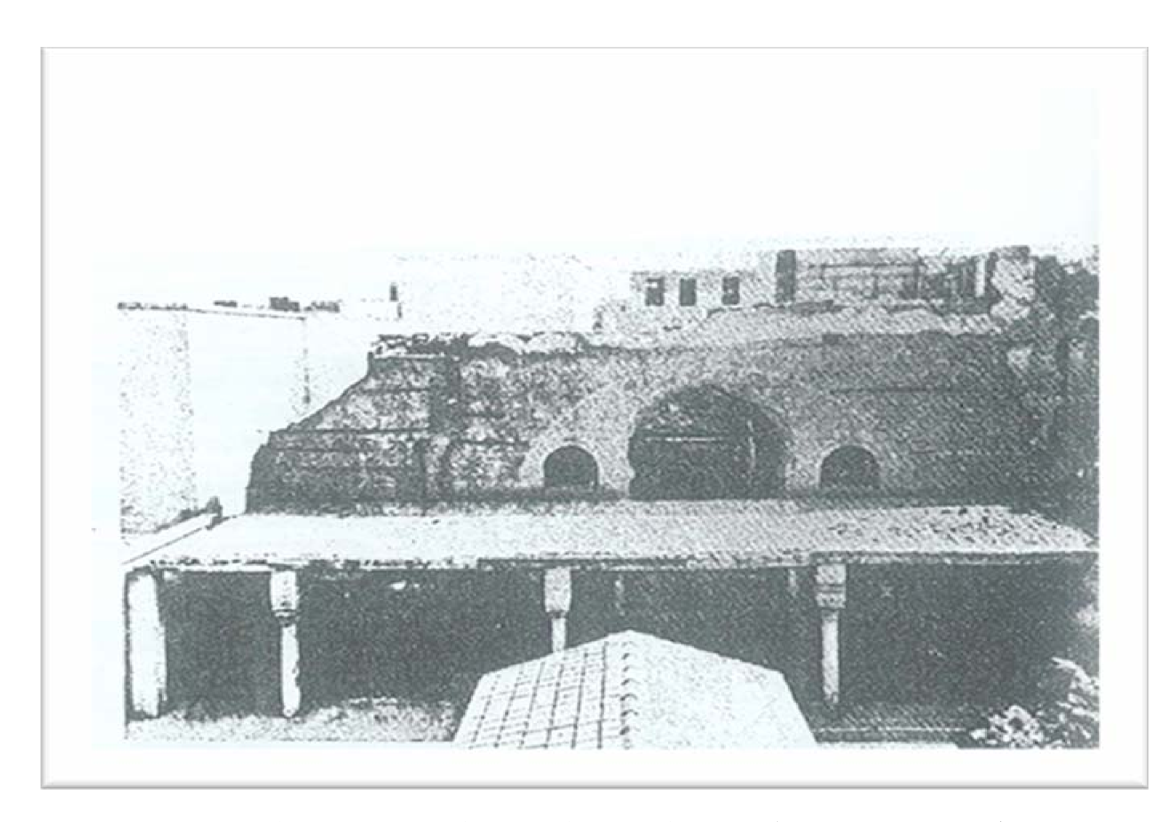
---

(١) أحمد عبد الرازق: **العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**، ص٤٩١

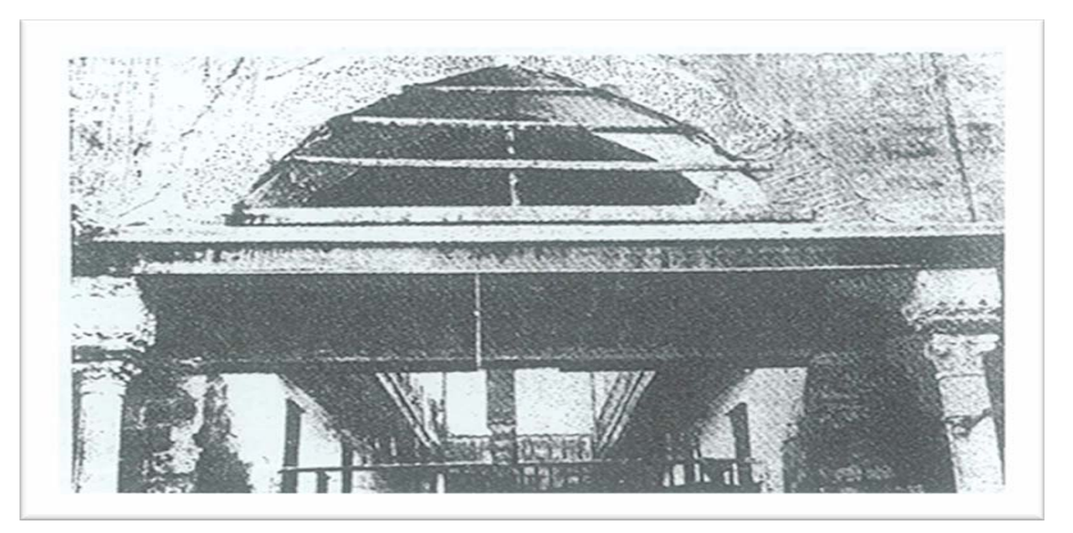


شكل رقم (١٧) قلعة صلاح الدين، باب المدرج، النص التأسيسى [١]

(١) أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، ص٥٠٠



شكل رقم (١٨) الإيوان الشمالي الشرقي للبيمارستان المنصوري



شكل رقم (١٩) الإيوان الجنوبي الشرقي للبيمارستان المنصوري [1]

(١) محمد حمزة الحداد: **السلطان المنصور قلاوون (تاريخ - أحوال مصر في عهده - منشآته المعمارية)**، ص٢١٩.



# المصادر والمراجع

# المصادر والمراجع

## أولاً: المصـــــادر:

(١) **القرآن الكريم**، (جل منزله وعلا).

(٢) ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الجواد، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.

- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م

(٣) ابن الإخوة: ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م)

- معالم القربة في أحكام الحسبة، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٤) الأدفوي: أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، مراجعة: طه الجاجرى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢٠٠١م

(٥) الأربلي: عبدالرحمن سنبط قنيتو (ت٧١٧هـ/ ١٣١٧ م)

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، صححه مكى السيد جاسم، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

(٦) الإسحاقي: محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد المغني بن علي
- كتاب لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، تحقيق ودراسة: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، د.ت.

(٧) الإسنوي: جمال الدين عبد الرحيم (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)
- طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٨) ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس بن القاسم السعدي الخزرجي (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبطه وصححه: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٩) ابن إياس: محمد بن أحمد (٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة: محمد مصطفى، الطبعة الثانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار الثقافية للنشر: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

(١٠) ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله (ت٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)
- كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار ملوك بنى أيوب)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة: ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م
- كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية) الجزء الثامن، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة: ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م

- كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، الجزء التاسع، تحقيق: هانس روبرت رويمر، القاهرة، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، د. ت.

(١١) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة الجعفي (ت٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)
- الجامع الصحيح وهو (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤٢٢هـ

(١٢) البرزالي: علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م)
- المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عُمَر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

(١٣) ابن بسام: محمد بن أحمد (توفي في نهاية النصف الأول من القرن الثامن الهجري)
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

(١٤) ابن بطوطة: محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)
- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق: كرم البستاني، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(١٥) البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)

- الرحلة في طلب الحديث، حققة وعلق عليه: نور الدين عتر، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م

(١٦) البغدادي: عبد اللطيف (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)

- كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: أحمد غسان سبانو، الطبعة الأولى، دمشق، دار قتيبة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

(١٧) البلوي: خالد بن عيسي (٧٦٨هـ/ ١٣٦٥ م)

- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة وتحقيق: الحسن بن محمد السائح، المغرب، مطبعة فضالة، د. ت.

(١٨) التجيبي: القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت٧٣٠هـ/ ١٣٢٩ م)

- برنامج التجيبي، تحقيق وإعداد: عبد الحفيظ منصور، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب: ١٩٨١م

- مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ليبيا، الدار العربية للكتاب: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(١٩) الترمذي: ابي عيسي محمد بن عيسي بن سورة (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حققه وخرج أحاديثة وعلق علية: شعيب الأرنؤوط وعبد اللطيف حرز الله الطبعة الأولى، دمشق، دار الرسالة العالمية: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

(٢٠) ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)

- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، بيروت، مكتبة الخانجي، د. ت.

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،حققه ووضع حواشيه: نبيل محمد عبدالعزيز، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية: ٢٠٠٨ م

- مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، تحقيق ودراسة: نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية: ١٩٩٧م

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢١) التنبكتي: أحمد بابا (ت١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢٢) ابن جبير: محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

- رحلة ابن جبير المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار قدم له وعلق عليه: أبو المظفر سعيد بن محمد السناري، الطبعة الأولى، دمشق - القاهرة، دار الكتاب العربي: ٢٠١٢م.

(٢٣) الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)

- غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشرها: ج. برجستراسر، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

(٢٤) الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)

- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢٥) ابن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٢٦) ابن الجيعان: شرف الدين يحي بن المقر (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، القاهرة، مكتبة الكيليات الازهرية: ١٩٧٤م

(٢٧) ابن الحاج: محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي (ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)

- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها، ضبطه وصححه وخرج آياته: توفيق حمدان، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م

(٢٨) ابن حبيب: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه،حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين،راجعه وقدم له: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٦م.

(٢٩) الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

- معجم البلدان، قدم لها: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، د. ت

(٣٠) الحنبلي: أحمد بن إبراهيم (ت٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)

- شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب، تحقيق: نظام رشيد، العراق، أصدار وزارة الثقافة والفنون: ١٩٧٨م.

(٣١) ابن خرداذبه: عبيد الله بن عبد الله (توفي نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)

(٣٢) – المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، الطبعة الأولى، بيروت، دار أحياء التراث العربي: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٣٣) خسرو: ناصر (٤٨٠هـ/ ١٠٨٨م)

(٣٤) – سفر نامه، نقلها إلى العربية يحي الخشاب، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب الجديد: ١٩٧٠م

(٣٥) ابن الخطيب: لسان الدين (٦٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

– الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجى: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

– الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجى: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

(٣٦) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

– تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها: تركي فرحان المصطفى، الطبعة الأولى،، بيروت، دار إحياء التراث العربي: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

– مقدمة ابن خلدون، اعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها: تركي فرحان المصطفى، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م

(٣٧) ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د. ت.

(٣٨) خليفة: حاجي (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م

(٣٩) داوودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)

- طبقات المفسرين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٤٠) ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، د. ت.

- الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، دراسة وتحقيق: سمير طباره، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٤١) الدوادار: ركن الدين بيبرس المنصوري (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)

- التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨-٧١١هجرية)، نشره وقدم له ووضع فهارسه: عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالدس.ريتشاردز، الطبعة الأولى، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، حققه: عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٤٢) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)

- الأعلام بوفيات الأعلام، تحقيق مصطفي بن علي عوض وربيع أبو بكر عبدالباقي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م

- تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- دول الإسلام، حققه وعلق عليه: حسن إسماعيل مروة، قرأه وقدم له: محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر: ١٩٩٩م.

- ذيل تاريخ الإسلام، اعتنى به: مازن بن سالم باوزير، الطبعة الأولى، الرياض، دار المغني للنشر والتوزيع: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- ذيول العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، الطبعة الحادية عشر، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- العبر في خبر من عبر، حققه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤٣) ابن رشيد: محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (ت٧٢١هـ/ ١٣٢١م)

- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الثالث، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الشركة التونسية للتوزيع، د. ت

- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الخامس، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٤٤) ابن سباط: حمزة بن أحمد بن عمر (ت٩٢٦هـ/ ١٥٢٠ م)

- تاريخ ابن سباط، عنى به وحققه: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، طرابلس، جروس برس: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٤٥) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)

- معيد النعم ومبيد النقم، قدم له وشرحه وأعد فهارسه: صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- طبقات الشافعية، المحقق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، الناشر فيصل عيسي البابي الحلبي: ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

(٤٦) السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجبل، د. ت.

- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني وأحمد الخطيفي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٤٧) السراج: محمد بن محمد الأندلسي (ت١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م)

- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٩٨٥م.

(٤٨) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

- تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، بيروت، دار حزم للطباعة والنشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م

- طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة، تحقيق: محمد الششتاوي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الأفاق العربية: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٤٩) الشافعي: الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة الهجراني الحضرمي (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)

- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عني به: بوجمعة مكري و خالد زواري، الطبعة الأولى، جدة، دار المنهاج للنشر والتوزيع: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

(٥٠) ابن شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

(٥١) ابن شاهين: زين الدين عبد الباسط بن خليل (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)

- نيل الأمل في ذيل الدول،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م

(٥٢) ٧٨- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)

- تاريخ الملك الظاهر باعتناء أحمد حطيط، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٥٣) الشرقاوي: عبدالله بن حجازي بن إبراهيم الأزهري (ت١٢٢٧ه/ ١٨١٢م)

- تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق وتعليق: رحاب عبد الحميد القاري، القاهرة، مكتبة مدبولي: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٥٤) الشوكاني: محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه: محمد أحمد عبدالعزيز سالم، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٥٥) الشيزري: عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٥٦) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

- أعيان العصر وأعوان النصر، حققه علي أبو زيد، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: أحمد زكي بك، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧ م

- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٥٧) الصقاعي: فضل الله بن أبي الفخر (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)

- تالي وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سوبلة، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية: ١٩٧٤ م

(٥٨) الصيرفي: علي بن داود الجوهري (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، دار الكتب: ١٩٧٠م

(٥٩) الظاهري: خليل بن شاهين (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

(٦٠) ابن ظهيرة: محمد بن محمد بن أبي بكر بن على المكي المخزومي (ت٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)

- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة،تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية: ١٩٦٩م.

(٦١) العاصمي: عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي المكي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض،الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م

(٦٢) ابن عبد الظاهر: محي الدين (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، حققه مراد كامل، راجعه: محمد علي النجار، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإدارة العامة للثقافة، د. ت.

(٦٣) العبدري: محمد بن محمد العبدري الحيحي.

- رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، حققه محمد الفاسي، المغرب، جامعة محمد الخامس، د. ت.

- رحلة العبدري، المحقق: علي إبراهيم كردي، الطبعة الثانية، دمشق، دار سعد الدين: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٦٤) العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن حجر(ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

- إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشى، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،حققه وقدم له ووضع فهارسة: محمد سيد جاد الحق، عابدين، دار الكتب الحديثة، د. ت.

- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: حامد عبد المجيد و محمد المهدي أبو سنة، مراجعة: إبراهيم الإبيارى .

(٦٥) العليمي: عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن المقدسي الحنبلي (٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)
- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، الطبعة الأولى، سوريا، دار النوادر: ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م

(٦٦) ابن العماد: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

(٦٧) العمري: ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)
- التعريف بالمصطلح الشريف، عنى بتحققه وضبطه: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققه: كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ٢١٠م.

(٦٨) ابن العميد: المكين جرجس (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)
- أخبار الأيوبيين، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية د.ت

(٦٩) العيني: بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٧٠) الغساني: الأشرف (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)
- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، بغداد، دار البيان: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٧١) الفارابي: أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)
- إحصاء العلوم، قدم له وشرحة: علي بو ملحم، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال: ١٩٩٦م.

(٧٢) أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)

- تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، د. ت.

- المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ويحي سيد حسين ومحمد فخرى الوصيف، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف، د. ت.

(٧٣) ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)

- تاريخ ابن الفرات عني بتحرير نصه ونشره قسطنطين رزيق، بيروت، جامعة بيروت الاميركية: ١٩٣٦م.

(٧٤) ابن فرحون: إبراهيم بن نور الدين (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

(٧٥) ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس راشد بن حماد (توفي بعد عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

- رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، حققها وعلق عليها سامي الدهان، دمشق، المطبعة الهاشمية: ١٣٧٦هـ/ ١٩٦٠م.

(٧٦) ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٣١م)

- كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة لمؤلف من القرن الثامن الهجري، حققه بشار عواد معروف و عماد عبد السلام رؤوف، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٩٩٧م.

(٧٧) الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، ب. ت.

(٧٨) ابن القاضي: أحمد بن محمد المكناسي (١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة: ١٩٧٣م.

- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، القاهرة، مكتبة دار التراث: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، تونس، المكتبة العتيقة، د ت.

(٧٩) القدسي: أبو حامد محب الدين محمد بن خليل الشافعي (ت٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)
- دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، تحقيق: صبحي لبيب و أولريش هارمان، الطبعة الأولى، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨٠) القرماني: أحمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: فهمي سعد و أحمد حطيط، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٨١) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)
- آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر: ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

(٨٢) القلقشندي: أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٨٣) الكتبي: محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د. ت

(٨٤) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
- البداية والنهاية، تخريج وتحقيق: أحمد جاد، القاهرة، دار الحديث: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٤م.

(٨٥) الكندي: محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

- الولاة وكتاب القضاة، هذبه وصححه: رفن كست، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، د. ت.

(٨٦) مخلوف: محمد بن محمد (ت١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

(٨٧) المراكشي: عبد الواحد (ت٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م)

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه: محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي،الطبعة السابعة، الدار البيضاء، دار الكتاب: ١٩٧٨م.

(٨٨) المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧ م)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م

(٨٩) المغربي: علي بن موسى بن سعيد (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤ م)

- الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع: ١٩٧٠م.

- رايات المبرزين وغايات المميزين، حققه وعلق عليه الدكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر: ١٩٨٧م.

- المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف: ١٩٦٤م.

- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية: ٢٠٠٠م

(٩٠) المقري: أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

- أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفي السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د. ت.

(٩١) المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، قدم وشرحه: صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

- تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي، دراسة وتحقيق: د. عبد المجيد دياب، القاهرة، دار الفضيلة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، دراسة وتحقيق: عبد المجيد دياب، القاهرة، دار الفضيلة: ١٩٩٧م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤١١هـ / ١٩٩١م

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزي، وضع حواشيه: خليل المنصور،الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م

- النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق وإضافات: محمد السيد علي بحر العلوم، النجف، المكتبة الحيدرية: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

(٩٢) المكي: تقي الدين أبي الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي (ت٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)

- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧ م

(٩٣) الملطي: عبد الباسط بن خليل بن شاهين (ت٩٢٠هـ/ ١٩١٤م)

- نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٩٤) المناوي: زين الدين محمد عبد الرؤوف (ت١٠٢١هـ/ ١٦١٢م)

- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق: محمد أديب الجادر، بيروت، دار صادر، د. ت.

(٩٥) المنذري: زكي أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

- التكملة لوفيات النقلة، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م

(٩٦) ابن منظور: محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

- لسان العرب، الطبعة السادسة، بيروت، دار صادر: ٢٠٠٨م.

(٩٧) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

- نهاية الأرب في فنون الأرب، تحقيق: نجيب مصطفي فواز و حكمت كشلي فواز، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م

(٩٨) الوادي آشي: محمد بن جابر(٧٤٩هـ/ ١٣٣٨م)

- برنامج الوادي آشي، تحقيق: محمد محفوظ، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٩٨٢م

(٩٩) ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨ م)

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الخامس، حققه: حسنين محمد ربيع وراجعه: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب: ١٩٧٧م

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م

(١٠٠) ابن الوردي: زين الدين عمر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)

- تاريخ ابن الوردي، النجف، المطبعة الحيدرية، د. ت.

(١٠١) ابن الوكيل: يوسف الملواني (ت١١٣١هـ/ ١٧١٩م)

- تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،دراسة وتحقيق: عماد أحمد هلال وعبد الرازق عيسى، الطبعة الأولى، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع: ٢٠٠٠م.

(١٠٢) اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠٣) اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)

- ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق عباس هاني الجراح، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

## ۞ ثانياً: المراجـــــــع:

(١) إبراهيم: محمد عبد السلام عباس و سمير صبري شبل

- التراث المعماري في مصر الإسلامية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية: ٢٠١٠ م - ١٤٣١ هـ

(٢) الأترشي: شوكت عارف محمد

- الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، الطبعة الأولى، عمان، دار دجلة: ٢٠٠٧ م

(٣) أحمد: أحمد رمضان

- الرحلة والرحالة المسلمون، جدة، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ب. ت.

(٤) أحمد: أحمد عبد الرازق

- تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة، دار الفكر العربي: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

- العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي (٢١- ٩٢٣هـ / ٦٤١- ١٥١٧ م) الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩.

(٥) أحمد: كرم حلمي فرحات

- التراث العلمي للحضارة الإسلامية في الشام والعراق خلال القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق: ٢٠٠٤م

(٦) أحمد: مصطفي أحمد

- الموسوعة الجغرافية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع: ٢٠٠٤ م

(٧) الأشقر: محمد عبد الغنى

- سلار الأمير التتري المسلم نائب السلطنة المملوكية في مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة مدبولي: ٢٠٠٠م.

(٨) أمين: أحمد

- ضحى الإسلام، الطبعة العاشرة،بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.

(٩) أمين: محمد محمد

- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر(٦٤٨- ٩٢٣ م / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النهضة العربية بالقاهرة: ١٩٨٠ م

(١٠) الأنصاري: محمد جابر

- التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٩٩٢م

(١١) الباشا: حسن

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية: ١٩٦٦م

- القاهرة تاريخها فنونها آثارها، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، د.ت.

(١٢) البتنوني: محمد لبيب

- الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، الطبعة الثانية، مصر، مطبعة الجمالية: ١٣٢٩ هـ.

(١٣) البدر شيني: أحمد هاشم أحمد

- مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(١٤) بدوى: أحمد أحمد

- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت

(١٥) بدوي: عبد المجيد أبو الفتوح

- التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، الطبعة الأولى، جدة، عالم المعرفة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(١٦) بسرور: رشيدة

- مركز تجاري في مصر السفلى: الإسكندرية خلال العهد المملوكي، تونس، مركز النشر الجامعي: ٢٠٠٧ م

(١٧) البطاوي: حسن أحمد عبد الجليل

- أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: ٢٠٠٧ م

(١٨) التازي: عبد الهادي

- ابن بطوطة أمير الرحالة، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(١٩) الجاسر: حمد

- أشهر رحلات الحج ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي، الطبعة الأولى، الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م

(٢٠) جبران: نعمان محمود

- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، الطبعة الأولى، الأردن، مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعية: ٢٠٠٠م

(٢١) الجحمة: نواف عبد العزيز

- رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري (١٢-١٤)م، الطبعة الأولى، عمان / الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع: ٢٠٠٨ م

(٢٢) حبيب: شوقي عبد القوى عثمان

- التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧ م)، المجلس الأعلى للثقافة: ٢٠٠٠م

(٢٣) حتى: فليب

- تاريخ العرب، الطبعة الثانية عشر، بيروت، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع: ٢٠٠٧م.

(٢٤) الحجي: حياة ناصر

- السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده مع تحقيق "وثيقة وقف سرياقوس"، الطبعة الأولى، الكويت، مكتبة الفلاح ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، الطبعة الأولى، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري الرابع والخامس عشر الميلادي دراسة وثائقية، الطبعة الأولى، الكويت: ١٩٨٠.

(٢٥) الحداد: محمد حمزة إسماعيل

- السلطان المنصور قلاوون (تاريخ - أحوال مصر في عهده - منشأته المعمارية)، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة مدبولي: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٢٦) حدادي: أحمد

- رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢٧) حسن: زكي محمد

- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، الطبعة الأولى، القاهرة الناشر شركة نوابغ الفكر: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- فنون الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت

(٢٨) حسن: علي إبراهيم

- تاريخ المماليك البحرية،الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٤٨م.

(٢٩) حسين: حسني محمود

- أدب الرحلة عند العرب، الطبعة الثانية، بيروت،دار الأندلس: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م

(٣٠) حسين: حمدي عبد المنعم محمد

- تاريخ الأيوبيين والمماليك، الطبعة الأولى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م

(٣١) حلاق: حسان

- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٩٩م

(٣٢) حمزة: عبد اللطيف

- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٩م.

(٣٣) حمزة: هاني

- مصر المملوكية قراءة جديدة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار العين للنشر: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٣٤) حميدة: عبد الرحمن

- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر: ١٩٨٤م.

(٣٥) خصباك: شاكر

- كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، بغداد، مطبعة دار السلام: ١٩٧٩م

(٣٦) الدفاع: علي بن عبد الله

- رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية، الطبعة الثانية، الرياض، مكتبة التوبة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٣٧) دهمان: محمد أحمد

- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

(٣٨) دويدار: مصطفى علي إبراهيم

- جزيرة الروضة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية حكم المماليك، الطبعة الاولى، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: ٢٠١١م

(٣٩) الرحيلي: سليمان

- السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، الرياض، مكتبة التوبة: ١٤١٤هـ

(٤٠) رزق: علاء طه

- عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٤١) رمزي: محمد

- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٤م

(٤٢) الزركلي: خير الدين

- الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت.

(٤٣) زكى: عبد الرحمن

- الأزهر وما حوله من الآثار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر: ١٩٧٠م.

(٤٤) زيادة: نقولا

- الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، د. ت.

- الرحالون المسلمون والأوربيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للموسوعات: ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠ م

(٤٥) سالم: السيد عبد العزيز

- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف: ١٩٦٩م.

- تاريخ المغرب الكبير، بيروت، دار النهضة العربية: ١٩٨١ م

- التاريخ والمؤرخون العرب، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

(٤٦) السرجاني: راغب

- روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية للمؤلف، الطبعة الثانية، القاهرة، دار نهضة مصر للنشر: ٢٠١١م.

(٤٧) سرور: محمد جمال الدين

- دولة بنى قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، مصر، دار الفكر العربي، د. ت.

(٤٨) صبره: عفاف سيد محمد

- المدارس في العصر الأيوبي من كتاب تاريخ المدارس في مصر، أعدها للنشر: عبدالعظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٢م.

(٤٩) ضيف: شوقي

- الرحلات، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د. ت.

(٥٠) طقوش: محمد سهيل

- تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) (٤٨٩-٦٩٠هـ/ ١٠٩٦- ١٢٩١م)، الطبعة الأولى، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، الطبعة الأولى، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥١) طه: عبد الواحد ذنون

- الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، الطبعة الأولى، بيروت، دار المدار الإسلامي: ٢٠٠٥م.

(٥٢) عاشور: سعيد عبد الفتاح

- الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطي، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٩٧م.

(٥٣) الظاهر بيبرس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢٠١ م

- العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٩٤م.

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار النهضة العربية: ١٩٩٢م.

- مصر في عصر الأيوبيين والمماليك من كتاب موسوعة تاريخ مصر عبر العصور تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٣م.

- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربية: د. ت.

- نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك من كتاب موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ١٩٩٥م

(٥٤) عاشور: فايد حماد محمد

- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

(٥٥) العبادي: أحمد مختار

- في تاريخ الأيوبي والمملوكي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت.

- الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية من كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية: ٢٠٠٤م

(٥٦) عبد الحميد: أمال رمضان عبد الحميد

- الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي (٦٤٨- ٩٢٣هـ) (١٢٥٠- ١٥١٧م)، الجيزة، مطبعة العمرانية للأوفست: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٥٧) عبد العاطي: عبد الغنى محمود

- التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف: ٢٠٠١م.

(٥٨) عثمان: حسام الدين إبراهيم

- موسوعة مدن العالم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع: ٢٠١٢م.

(٥٩) العريني: السيد الباز

- الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الايوبيون)، القاهرة، دار النهضة العربية، د. ت.

(٦٠) علي: جواد

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، آوند دانش للطباعة والنشر: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٦١) عمر: أحمد مختار

- معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب: ١٤٢٩م/ ٢٠٠٨م.

(٦٢) عوض: محمد مؤنس أحمد

- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، الهرم، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية: ١٩٩٥م.

(٦٣) العيادي: محسن حامد

- ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري والأدبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د. ت.

(٦٤) عيسى: أحمد

- تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الطبعة الثانية، بيروت، دار الرائد العربي: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٦٥) غريب: جورج

- أدب الرحلة تاريخه وأعلامه، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الثقافة: ١٩٧٩م

(٦٦) الفاجالو: محمد

- الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة ٢٩٠مهـ/ ٥٤٨م، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي / جامعة أم القرى: ١٤٣١هـ

(٦٧) فخري: أحمد

- الأهرامات المصرية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية: ٢٠٠٣ م

(٦٨) فكري: أحمد

- مساجد القاهرة ومدارسها العصر الأيوبي، القاهرة، دار المعارف بمصر، د.ت.

(٦٩) فهمي: نعيم زكي

- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٧٠) فهيم: حسين محمد

- أدب الرحلات، الكويت، عالم المعرفة: ١٩٧٨م.

(٧١) قاسم: قاسم عبده

- بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك من كتاب موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ١٩٩٥م.

- عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، الطبعة الأولى، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٨م.

- أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت: ١٩٧٨م.

- أهل الذمة في مصر العصور الوسطى دراسة وثائقية، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف: ١٩٧٩م.

- اليهود في مصر، الطبعة الأولى،القاهرة، دار الشروق: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٧٢) الفقي: عصام الدين عبد الرؤف

- بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري، القاهرة، عالم الكتب: ١٩٨٠م.

(٧٣) قنديل: فؤاد

- أدب الرحلة في التراث العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م

(٧٤) الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٧٥) كحالة: عمر رضا

- معجم المؤلفين، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٧٦) الكحلاوي: محمد محمد

- آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

(٧٧) كنون: عبد الله

- ذكريات مشاهير رجال المغرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د. ت.

(٧٨) لبيب: صبحي

- الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية من كتاب مصر وعالم البحر المتوسط إعداد وتقديم: رؤوف عباس، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع: ١٩٨٦م.

(٧٩) لطفي: أحمد نصار

- وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٩م.

(٨٠) ماجد: عبد المنعم

- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ج ١، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٧٩ م

- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ج٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٦٧م.

(٨١) مال الله: علي محسن عيسي

- أدب الرحلات عند العرب في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري، بغداد، طبعة الإرشاد: ١٩٧٨م.

(٨٢) مبارك: علي

- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الطبعة الثانية، القاهرة،مطبعة دار الكتب: ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م

- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، القاهرة،مطبعة دار الكتب: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٨٣) محمد: محمد أحمد

- في تاريخ الأيوبيين والمماليك، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٨٤) محمد: أسماء أبوبكر

- ابن بطوطة الرجل والرحلة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ م

(٨٥) محمد: سعاد ماهر

- العمارة الإسلامية على مر العصور، الطبعة الأولى، جدة، دار البيان العربي للنشر والتوزيع: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، د. ت.

(٨٦) محمدين: محمد محمود

- الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، الطبعة الثانية، الرياض، دار الخريجي: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٨٧) مصطفي: أحمد أمين

- الحياة في القرن الثامن الهجري كما تصورها رحلة ابن بطوطة، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة السعادة: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م

(٨٨) منير: عمرو عبد العزيز

- مصر والعمران بين كتابات الرحالة والموروث الشعبي في القرنين السادس والسابع الهجريين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة: ٢٠٠٩ م

(٨٩) الموافى: ناصر عبد الرازق

- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الوفاء: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٩٠) مؤنس: حسين

- ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، القاهرة، دار المعارف، د. ت.

- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، الطبعة الأولى، مدريد، د. ن، ١٣٨٦هـ/ ١٩٨٦م

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار الرشاد: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م

(٩١) النباهين: علي سالم

- نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي: ١٩٨١م

(٩٢) النبراوي: رافت

- النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق: ٢٠٠٠ م

(٩٣) نتو: محمد عمر

- النقود الإسلامية شاهد على التاريخ، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤٣٢هـ

(٩٤) النجار: محمد رجب

- الشطار والعيارين، الكويت، عالم المعرفة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٩٥) نجيب: عامر

- الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، عمان - الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع: ٢٠٠٣ م

(٩٦) أبو النصر: محمد عبد العظيم

- تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، الطبعة الأولى، القاهرة، شركة نوابغ الفكر: ٢٠٠٩ م

(٩٧) نواب: عواطف محمد يوسف

- الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٧ هـ

(٩٨) نويصر: حسني محمد

- العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، د. ت.

(٩٩) الوقاد: محاسن محمد

- كتاب الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٩م.

- اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٩م.

(١٠٠) ياسين: عبد الناصر

- الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: ٢٠٠٢م.

(١٠١) اليوزبكي: توفيق

- تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

## ۞ ثالثاً: المراجع المترجمة:

(١) بالنثيا: آنخل جنثالث

- تاريخ الفكر الأندلسي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٥٥م.

(٢) بروكلمان: كارل

- تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار المعارف، د. ت.

(٣) بول: استانلي لين

- تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري (العاشر إلى التاسع عشر الميلادي)، ترجمه للفارسية: عباس إقبال وترجمة عن الفارسية: مكي طاهر الكعب، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للموسوعات: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٤) ترتون: أ. س

- أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف: ١٩٦٧م.

(٥) كراتشكوفسكى: أغناطيوس يوليانوفيش

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٦) ماكنزى: نيل دى.

(٧) - القاهرة الأيوبية - دراسة طبوغرافية، ترجمة: عثمان مصطفى عثمان، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة: ٢٠٠٧م.

(٨) ماير: ل. ا

- الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

(٩) موير: السير وليم

- تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة مدبولي: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

### ۞ رابعاً: الموسوعات والمعاجم:

(١) البستاني: بطرس

- دائرة المعارف، طهران، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، د. ت.

(٢) شلبي: أحمد

- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة السابعة، القاهرة،مكتبة النهضة المصرية: ١٩٨٤م.

- الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الأولى، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٣) مجمع اللغة العربية:

- المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

### ۞ خامساً: الرسائل العلمية:

(١) إبراهيم: سحر السيد

- تربية الأطفال وأثرها على المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م - ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مطبوعة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠ م

(٢) باحويرث: سماح بنت سعيد عبد القادر

- الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٣٥٠- ١٥١٧م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، غير مطبوعة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠ م

(٣) الحازمي: نوف محمد

- أثر الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحياة العلمية في عهد المماليك الجراكسة في مصر (٧٨٤ - ٩٢٢هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧م، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، غير مطبوعة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٤) الشهري: عبد الله بن فراح بن صالح اليوسي

- دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول (٦١٦-٧٢٠هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، غير مطبوعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٥) الصاعدي: هيفه صالح صلاح

- الأوبئة والأمراض في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر والشام، رسالة ماجستير، جامعة طيبة، غير مطبوعة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

(٦) عابد: محمد يوسف عمر

- بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقارنة (٧٢٦ -٧٥٠هـ/ ١٣٢٦ - ١٣٤٩ م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، غير مطبوعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٧) العبدلي: عائشة مانع عبيد

- إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٨- ١٥١٧ م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مطبوعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٨) المبارك: حصة ناصر

- الناصر محمد بن قلاوون والحياة الأقتصادية في عصره، رسالة ماجستير، جامعة أم القري، غير مطبوعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

## ۞ سادساً: الدوريـــــات:

(١) البدوي: إسماعيل إبراهيم حسنين

- الوقف مفهومه وفضله وشروطه وأنواعه، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف في المملكة العربية السعودية الذي تنظمه جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ

(٢) البهنسى: صلاح أحمد

- الحمامات العامة في العالم الإسلامي، مجلة المنهل، العدد ٥٧١، المجلد ٦١ العام ٦٦، شوال / ذو القعدة ١٤٢١ هـ - يناير - فبراير ٢٠٠١م.

(٣) السلاوي: سماح

- الفنادق وحانات المسافرين في العصور الوسطى في مصر والشام،مجلة المقتطف المصري التاريخية، العدد الرابع، مارس ٢٠١٠ م

(٤) الضعيفي: عبد العزيز

- علاقة العلماء المغاربة بنظرائهم المصريين بين الاستفادة والإفادة مجلة التاريخ العربي، العدد التاسع والعشرين، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٥) عزب: خالد

- مسجد أحمد ابن طولون يستعيد رونقه التراثي،مجلة المنهل، العدد ٥٩٦، المجلد ٦٧، العام ٧١ الربيعان ١٤٢٦هـ/ ابريل ومايو ٢٠٠٥ م

(٦) عضاضة: وجيه

- الرحلات عند العرب في العصور الوسطى، تاريخ العرب والعالم، العدد الثاني عشر، ذي القعدة ١٣٩٩هـ/ أكتوبر عام ١٩٧٩م.

(٧) الفاسي: محمد

- ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق، مجلة معهد المخطوطات العربية تصدر عن معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد الخامس، الجزء الأول، ذو القعدة ١٣٧٨هـ/ مايو١٩٥٩م

(٨) النهار: عمار محمد

- الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك مؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية المنعقد في جامعة الشارقة خلال الفترة ٦-٧ جماد الثاني ١٤٣٢هـ/ ٩- ١٠ مايو آيار ٢٠١١م.

(٩) الوقاد: محاسن

- المحمل المصري في العصر المملوكي الأول، الندوة العالمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الجزيرة العربية من بداية القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن السابع الهجري) تم عقد اللجنة التحضيرية الأولى في ٥ رجب ١٤٢٤ هـ برئاسة الدكتور: خليل بن إبراهيم.





# فهرس الموضوعات

# فهرس الموضوعات


| الموضـــــــــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **ملخص الرسالة** | ٣ |
| Abstract of the Thesis | ٤ |
| **الإهـــــداء** | ٥ |
| **الشكر والتقدير** | ٦ |
| **المقدمـــــة** | ٨ |
| أهمية الموضوع | ١١ |
| أسباب اختياري للموضوع | ١٢ |
| الدراسات السابقة | ١٢ |
| خطـة البحـــث | ١٦ |
| **التمهيـــــد** | ٢٠ |
| مفهوم الرحلة | ٢٢ |
| الرحلة عند المسلمين | ٢٤ |
| أنواع الرحلات وأهميتها | ٤٠ |
| أهمية الرحلات | ٤٧ |
| **الفصل الأول: الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين حياتهم ورحلاتهم ومؤلفاتهم** | ٥٢ |
| **المبحث الأول: ابن سعيد المغربي (٦١٠-٦٨٥ هـ/ ١٢١٣-١٢٧٤م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته** | ٥٤ |

| الموضــــــــــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المبحث الثاني: ابن رشيد (٦٧٥-٧٢١هـ/ ١٢٥٨-١٣٢١م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته | ٧٤ |
| المبحث الثالث: العبدري كانت رحلته (سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م) - ولم يعرف تاريخ مولده ووفاته-، حياته ورحلاته ومؤلفاته | ٨٥ |
| المبحث الرابع: التجيبي السبتي (٦٧٠-٧٣٠هـ/١٢٧١-١٣٢٩م) ، حياته ورحلاته ومؤلفاته | ٩٢ |
| المبحث الخامس: ابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٠هـ/ ١٣٠٣-١٣٦٨م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته | ٩٧ |
| المبحث السادس: البلوي (٧١٣-٧٨٠هـ/ ١٣١٣-١٣٨٧م)، حياته ورحلاته ومؤلفاته | ١٠٧ |
| **الفصل الثاني: الأحوال السياسية والوظائف الإدارية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتب الرحالة المغاربة** | ١١٧ |
| المبحث الأول: الأحوال السياسية لمصر من خلال كتابات الرحالة | ١١٩ |
| المبحث الثاني: الوظائف الإدارية والمهام السلطانية من خلال كتابات الرحالة المغاربة | ١٥٤ |
| **الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتابات الرحالة المغاربة** | ١٦٤ |
| المبحث الأول: الحياة الاجتماعية في مصر | ١٦٦ |
| التمهيد | ١٦٧ |
| المطلب الأول: المجتمع المصري | ١٦٨ |
| المطلب الثاني: الملبس والمأكل والمناسبات | ١٨٦ |
| المطلب الثالث: الاحتفالات الدينية | ١٩٢ |
| المطلب الرابع: الأوقاف | ٢٠٤ |

| الموضــــــــــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في مصر** | ٢١٢ |
| المطلب الأول: الزراعة | ٢١٣ |
| المطلب الثاني: التجـــارة | ٢١٧ |
| المطلب الثالث: الصناعات والحرف | ٢٢١ |
| المطلب الرابع: الضرائـــب | ٢٢٦ |
| المطلب الخامس: العملة والمكاييل والموازين | ٢٣٠ |
| **الفصل الرابع: الحياة العلمية لمصر في القرنين السابع والثامن من خلال كتابات الرحالة المغاربة** | ٢٣٤ |
| **المبحث الأول: المؤسسات العلمية** | ٢٣٦ |
| المطلب الأول: المـــدارس | ٢٣٧ |
| المطلب الثاني: المساجـــد | ٢٥٣ |
| المطلب الثالث: الزوايا والأربطة | ٢٦٠ |
| **المبحث الثاني: المناهج وأساليب التعليم** | ٢٦٤ |
| **المبحث الثالث: العلوم والعلماء** | ٢٦٩ |
| التمهيـــد | ٢٧٠ |
| المطلب الأول: العلوم النقلية | ٢٧١ |
| المطلب الثاني: العلوم العقلية | ٢٨٠ |
| المطلب الثالث: أشهر العلماء ومصنفاتهم | ٢٨٢ |
| **الفصل الخامس: المعالم الدينية والمدنية والعسكرية لمصر في القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال كتابات الرحالة المغاربة** | ٣٠٠ |
| **المبحث الأول: المعالم الدينية** | ٣٠٢ |
| المطلب الأول: جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه | ٣٠٣ |

| الموضـــــــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| المطلب الثاني: جامع أحمد بن طولون | ٣١١ |
| المطلب الثالث: الجامع الأزهر | ٣١٦ |
| المطلب الرابع: جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي | ٣٢٠ |
| **المبحث الثاني: المعالم الجغرافية والمدنية** | ٣٢٢ |
| المطلب الأول: الفنادق والحمامات والبيمارستانات | ٣٢٣ |
| المطلب الثاني : نهر النيل | ٣٣٥ |
| المطلب الثالث : الأهرامـــات | ٣٤٠ |
| المطلب الرابع : أبوالهـــول | ٣٤٤ |
| المطلب الخامس : بركة الفيـــل | ٣٤٥ |
| **المبحث الثالث: المعالم العسكرية** | ٣٤٦ |
| المطلب الأول: منارة الإسكندرية | ٣٤٧ |
| المطلب الثاني: قلعة صلاح الدين | ٣٥١ |
| المطلب الثالث: قلعة الروضــة | ٣٥٤ |
| **الخاتمـــــة** | ٣٥٧ |
| **الملاحــــــق** | ٣٦٠ |
| **المصادر والمراجع** | ٣٨١ |
| **فهرس الموضوعات** | ٤٢٦ |